

الشيخ في علوم البلاغة

للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن
القزويني الخطيب

ضبطه وشرحه
الأديب الكبير الأستاذ
عبد الرحمن البرقوقي

منشئ البيان والماء ظف بمجلس النواب

دار الفكر العسرنى

مقدمة الشارح للطبعة الأولى

التي طبعت سنة ١٩٠٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله)

حياطة الدين مِلْأَك الخير ، والتفقه فيه قِوَام السعادة ؛ وإنما السبيل إلى هذا معرفة اللغة التي جاء بها ذلك الدين ، ومِسَاك اللغة علم البيان ، الذي لولاه لم تر براعة كاتب ، وخلاصة شاعر ، وذراية خطيب ، وما كنت تسمع نظاماً أنيق الظاهر ، عميق الباطن ، بل المعاني السوقية ، والألفاظ المبتذلة التي تعافها الطباع ، وتمجها الأسماع ؛ والذي لولاه لاستسر إعجاز القرآن ^(١) ، ولاستمر به يد الدهر ^(٢) السّرار ، فينجزم إذ ذاك حبل الدين ، وتتهار — معاذ الله — دعائم اليقين .

وهذا ما هدانا إمام اللغة في عصره : الشيخ عبد القاهر الجرجاني إلى وضع كتابين في هذا العلم ، دار لهما فلك الفصاحة ، وبرقت أسارير البيان ، سمي أحدهما أسرار البلاغة ، والآخر دلائل الإعجاز .

(١) استسر : من قولهم : استسر القمر ، أى خفي ليلة السرار ، والسرار : آخر ليلة من الشهر .

(٢) يد الدهر : أبد الدهر .

كتب في هذا الفن قبل الإمام عبد القاهر : جماعة من البلغاء ، مثل : الجاحظ وقدامة الكاتب وابن دريد ، بيد أن ذلك الإمام هو الذي أخذ بضبعيه^(١) ، وأناف به على اليفاع^(٢) فهو الذي عين له رسوماً يُعرجُ عليها ، وسن له قوانين يُعمدُ إليها ، وأبرز ذلك في كلام لا يقوم بفصاحته لسان ، ولا يطلعُ فحجّه إنسان^(٣) .

قام بعد هؤلاء أبو يعقوب يوسف السكاكي : إمام فتّ في عضده حب الفلسفة^(٤) ، فعمد إلى هذا العلم ، وقبع في كسر بيته^(٥) ، لا يرى إلا نفسه ، ولا يسمع إلا حسه ، ووضع ما وضع مما نهج فيه أهل النظر من الحكماء ، لا منهج المطبوعين من البلغاء ، وهو وإن فاق عبد القاهر في التقسيم والتبويب وتقريب الأحكام ؛ فلم يدرك شأوه في لطف الحس ، وصفاء الديباجة ، وبراعة الكلام ؛ فكان وسطاً بين عبد القاهر وأضرابه من المتقدمين ، وبين عبد الحكيم وأترابه من المتأخرين .

(١) الضبع : العضد .

(٢) اليفاع : ما ارتفع من الأرض ، وأناف به على اليفاع ، وأخذ بضبعيه : يريد أنعشه ونوه به وسما .

(٣) اطلع الأرض : بلغها ، والقعج : الطريق الواسع بين جبلين في قبل من أحدهما .

(٤) يقال : فت هذا الشيء في عضده : إذا كسر قوته ، والمراد بلغت منه واستولت عليه .

(٥) قبع القنفذ : أدخل رأسه في جلده ، وكذلك الرجل إذا أدخل رأسه في قميصه ؛ وكسر البيت : جانب الحباء .

نهض بعد ذلك جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب ، فهدب
ماوضعه السكاكي ، وضم إليه تنقلاً مما وضعه عبد القاهر ، وأخرج للناس كتاباً
هشت له النفوس ، وأصاب منها مواقع الماء من ذي الغلة الصادي .

ظهر حوالى ذلك قوم درجوا من غش الفلسفة ، فوضعوا على هذا الكتاب
الشروح والخواشي ، وملكوا بهذا العلم مسلماً تنكره اللغة ، ويستهجونه
البغاء ، فأغمضوا عن أسرار البلاغة ، وتشبثوا بالفلسفة ، وحمى بينهم وطيس
المنظرة ، حتى أتوا على الذماء الباقي من هذا العلم ، وحتى أضحى وقد
انهالت دعائمه ، وتنكرت معاملة :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسر بمكة سامر
أتى على ذلك حين من الدهر بلغ من هذا العلم نسيئة^(١) ، حتى أتيح له
في هذا العصر إمام^(٢) تولى الله تأديبه ، وأرضعه أفوايق حكمته ، وأوحى إليه
صالح العلم ، وأيده بآيات الحق : إمام أرسله الله رحمة للغة والدين ، رحمة
للغة بما يدبجه يراعه ، وما يحويه من آثار المتقدمين ، ورحمة للدين بما يبين من
صحيحه ، ويكشف عن صريحه ..

فينا تراه في جحفل من البلاغة والبيان ، ينافح كتائب العمى بعصب
يمان ، ويفرى أحشاء الفهاة بيراع أحد من السنان^(٣) ، إذا هو فوق منبر

(١) النسيئ : بقية الروح ، ويقال : بلغ منه نسيئه : إذا أشرف على التلف .

(٢) هو أستاذنا الإمام الشيخ محمد عبده .

(٣) الجحفل : الجيش ، وينافح : يضارب أشد المضاربة ، والكتائب
جمع كتيبة : وهي الجيش أيضاً ، والإمضب : السيف القاطع ، استعير هنا للسان ،
وفرى : يقطع ، والمراد ظاهر .

التذكير ، يسوق للناس الرشد في نوابع الكلم ، وروائع الحكم ، فلا يلبث أن يقوم من أود المائل ، ويبحث من النفوس جذور الباطل^(١) ، وبيننا تراه ينقب في مناجم العلم ، ليلتقط من آثار الآباء ، ما تكون فيه عبرة الأبناء ، إذا هو يخرج للناس من منجم علمه ، جواهر تزرى بثلك الجواهر ، ويبرز بها شأوا الأوائل والأواخر .

كان من بين ما قرأناه عليه حفظه الله : كتابا أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لذلك الإمام ، فما هو إلا أن سطع فينا نور هذين الكوكبين ، حتى استبان لنا سوء ما كنا نعتسف فيه^(٢) ، ورحمنا أنفسا وأنصبتناها في غير طائل ، ومطايا من العمر أنضيناها في سبيل الباطل ، وحتى علمنا أن مالدنيا من هذا العلم لم يكن إلا سبابة لا تنفع غلة^(٣) ، ولا تغني عن رواد البلاغة .

وهذا ما حرك النفس إلى شرح ذلك الكتاب ، الذي هو عمدة طلاب البلاغة في هذا العصر ، وقبلتهم التي يحجون إليها ، لولا ما يعترض سبيلهم من اختصار ألبأ المؤلف إليه رغبة أن تكون قواعد هذا العلم على طرف الثمام^(٤) ، والذي عقد عليه أولئك القوم سحبا من الألفاظ حجبت معانيه دون الطالب لتلك الأسرار ، كما تحجب الغيوم صفحة البدر دون الأنظار ، ولم نزل رَدَحًا من

(١) الأود : الأعوجاج ، ويبحث : يقتلع .

(٢) الركاب يعتسفن الطريق : يخطئنه على غير هداية .

(٣) نفع الماء العطش : سكنه ، وهذا الشيء لا يغني عنك : لا ينفعك .

(٤) الثمام : نبت ضعيف لا يطول ، ويقال : هو لك على طرف الثمام :

أى هين المتناول .

الزمن نستخير الله في أن نلج هذا المأزق المتلاحم ، حتى حار لنا سبجانه ولدينا من الصبر درع مسردة لا تنفذ فيها السهام^(١) ، ومن الثقة بالله قبس^(٢) يضيء لنا دُجَنَات الظلام .

أسلفنا أن ثمرة هذا النوع من العلم هي إدراك إعجاز القرآن ، والوقوف على الأسرار التي بها يرتفع شأن الكلام ، ويفضل بعضه بعضاً . لكن لا بد للمرء قبل ذلك أن يحظى برس^(٣) من اللغة ، ويصيب ذرواً من النحو ، ويرشف الضرب من لسان العرب^(٤) ، ويكون له مع ذلك خاطر كدم في مكدم ، وذهن إذا لاقى الضريبة صمم^(٥) .

أما النحو : فهو معيار لا يتبين نقصان كلام ورجحانه ، حتى يعرض عليه ، ومقياس لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه ، ومن شذ فيه فقد خمش وجه الكلام ، وجعل نفسه غرضاً لسهام الملام ؛ انظر كيف نعى على أبي نواس حين غلط في قوله يصف الخمر^(٦) :

-
- (١) الردح : المدة ، والمأزق : المضيق . ويقال : سرد الدرع : نسجها ، وهو تداخل الحلق بعضها في بعض .
- (٢) القبس : جذوة من نار ، والدجنة : الظلمة .
- (٣) يقال : بلغنى رس من خبر وذرو من قول : أى شيء منه .
- (٤) الرشف : المص ، والضرب : العسل الأبيض الغليظ والمعنى ظاهر .
- (٥) كدم في مكدم : طمع في مطمع ، وقوله وذهن إذا لاقى الضريبة صمم ، فالضريبة : المضروب بالسيف وإنما دخلته الهاء — وإن كان بمعنى مفعول — لأنه صابر في عداد الأسماء كالنطيحة ، يشبه الذهن بالسيف في المضاء .
- (٦) لأن فعل أفعَلَ لا يجوز حذف الألف واللام فيها ، وإنما يجوز

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب
وكيف سلقه الناس بأستهم ، حين قال فى الأمين محمد^(١) :

ياخير من كان ومن يكون إلا النبي الطاهر المأمون

وقل لى بعيشك : هلى يمكن الحاهل به أن يزود عن القرآن فيما عساه
أن يخفى من وجوه الإعراب ، فيدرك ما قاله العلماء مثلافى قول الله جل شأنه :
«إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون^(٢)» وما استشهدوا به من قول الشاء :

وإلا فاعلموا أنا وأتم بغاة ما بقينا فى شقاو

وأما اللغة والأدب فهما مسرح الفصاحة ، ومعنى البلاغة ، نعم ، وهل
يتسنى للقائل أن يعمد إلى ما كان من الكلمات عذب النطق ، سهل اللفظ ،
غير حوشى مهجور ، ولا سوقى مردود ، وما كان من التراكيب جيد
السبك ، محكم الرصف ، غير مستكره فج ، ولا متكلف وخم ، وما كان من
التشبيه والمجاز والكناية قد أصاب المحز ، ووضع فيه الهداء مواضع الثقب ،

حذفهما من فعلى التى لا أفعل لها نحو : حبلى ، إلا أن تسكون فعلى أفعل مضافة .
وهنا عريت عن الإضافة .

(١) فإنه رفع الاستثناء من الموجب .

(٢) سيمر بك فى الشرح أن « الصابئون ، مرفوع على الابتداء وخبره
محذوف والنية به التأخير عما فى حيز إن من اسمها وخبرها ، كأنه قيل : إن الذين
آمنوا والذين هادوا والنصارى ، حكمهم كذا ، والصابئون كذلك ، وإن فائدة
التقديم التنبيه على أن الصابئين مع كونهم أبين المذكورين ضلالا وأشد هم غيا ،
يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فالظن بغيرهم .

إلا إذا ضرب في اللغة بسهم ، وجرى في أساليبها على عرق^(١) ، وهل يتأتى
للرجل أن يدرك إعجاز القرآن ، وتبريزه على سائر الكلام ، حتى يلم بجميع
خروبه ، ويسبر سائر أساليبه .

ولقد أفضى الجود بقوم إلى أن بحسوا الأدب حقاً ، ولم يوفوه من
الإعظام قسطه ، حتى صوّحت لديهم زهرته ، وذوّت بينهم نضرتة^(٢) ،
وصار من يحاول العلم منهم ، فإنما يرتوى من آجن ، ويكتنز من غير طائل ،
ألم يعلموا أن العلوم عيال عليه ، وأن الشريعة مفتقرة إليه ، وأن مثلها ومثله
قول أئى الأسود الدؤلى :

فَالْأَيُّ يَسْكُنُهَا أَوْ تَسْكُنُهُ فَإِنَّهُ أَخُوها غَذَّتْهُ أُمُّهُ بِلَبَانِهَا

وهل بلغ أئمة الدين هذه المنزلة : فهم أغراض القرآن ، ومعرفة أسرار
الشريعة ، إلا بعد أن قبضوا على خزائن الأدب ، وألقت إليهم مقاليد اللغة ،
ألم يكن مما نجم عنه تعدد الآراء بينهم ، أن كان أحدهم يروى من كلام
العرب ما يروى الآخر غيره ؟ هذا لفظ القرء مثلاً ، ذهب مالك رحمه الله إلى
أنه الطهر ، وحبته في ذلك قول الأعشى :

أَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمٌ غَزْوَةٌ تَشْدُ لَأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا

(١) يقال : فلان بصيب بكلامه المحز ، ويضع الهناء مواضع النقب :
إذا كان ماهراً مصيباً . والهناء : القطران ، والنقب جمع نقبة : وهي أول ما يبدو
من الحرب قطعاً متفرقة ، والعرق : الأصل ، والمعنى ظاهر .

(٢) صوّحت الزهرة : يبلست ، وذوّى البقل : ذبل .

مَوْرَثَةٌ مَالًا وَفِي الْحَيِّ رِفْعَةً لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرْأَنِ نِسَائِكَ
 وذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى أنه الحيض ، ومستنده قول الراجز :
 يَا رَبِّ ذِي ضِعْفٍ عَلَيَّ قَارِضٍ يُرَى لَهُ قَرْنٌ كَقَرْنِ الْحَائِضِ
 وبذلك قوله صلى الله عليه وسلم : قصوا الشارب وأعفوا اللحى ، قال
 قوم معناه : وفروا وكثروا ، وقال آخرون : قصروا ونقصوا ؛ حجة من
 ذهب إلى التكثير قول جرير :

وَلَكِنَّا نَعِضُّ السِّيفَ مِنْهَا بِأَسْوَاقٍ عَافِيَاتِ اللَّحْمِ كَوْمِ^(١)

وحجة من ذهب إلى التقصير : قول زهير .

تَحْمَلُ أَهْلَانَا مِنْهَا فَبَانُوا عَلَى آثَارِ مَنْ ذَهَبَ الْعَفَاءُ

ومثل هذا كثير : لا يكاد يحصيه الاستقصاء ، حتى لقد اختصه العلماء
 بالتأليف ، وأفردوه بالكتاب ؛ اللهم إني الصادق عن معرفة اللغة وأسرار
 العربية صاد عن تعرف كتابك ، وأسرار شريعتك ، فسواء من أعدم
 الناس الدواء الذي يشفي من الداء ، وتستبقى به حشاشة الأنفس ، ومن
 أعدمهم العلم بأن فيه شفاء ، وأن لهم فيه استبقاء .

أين أنت أيها القاروق الذي قلت حين تلت قول الله جل شأنه :
 « أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ
 مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ » ثم قلت لإخوتك المؤمنين :

(١) منها : أي من النوق ، والأسواق : جمع ساق ، والكوم : جمع كوما :
 وهي الناقة العظيمة السنام . يقول إنه يعقر النوق العظيمة بالسيوف .

ما تقولون فيها ، فنهض ذلك الهذلي وقال : هذه لغتنا . التخوف : التنقص ،
وأنشد قول أبي كبير يصف ناقته :

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا كما تخوف عودَ النَّبْعَةِ السَّقْنُ^(١)

فقلت عليكم بديوان العرب ، فإن فيه تفسير كتابكم .

من لى بك لتنظر حال القسائمين بأمر الدين الآن ، وازدراءهم للغة القرآن ،
حتى بلغ بهم الأمر أنهم يرمون البلغاء بالسخف ، ويتهمونهم بالزيغ عن الجادة ،
اللهم إن هذا خذلان فأدر كنا برحمتك ، وهيء لنا من أمرنا رشدا .

إلى هنا علمت أن البلاغة لا يسلس قيادها ، إلا لمن شدا في الأدب
وعلم النحو والصرف واللغة ، وهذا النوع من العلم علم أسرار البلاغة ،
ولطائف الفصاحة ، المسمى بعضه : علم المعاني ، وبعضه الآخر : علم البيان ،
ومن ثم قال البيانويون : إن البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ،
إذ لا يكون ذلك إلا بوساطة هذه العلوم ، كما ستعرف .

وحيث انتهى بنا الحديث إلى هذا الموضع ، وجب علينا أن نوفي القول
في الفصاحة والبلاغة حقه من البيان .

ولم الناس قديماً بأمر الألفاظ ولوعاً صرفهم عن جادة الاعتدال ، وجار
بهم عن قصد السبيل ، فعكفوا على العبارات المزخرفة ، والألفاظ المفوطة ،
والتراكيب الضخمة ، واجمل الفخمة ، وكادوا يقصرون الفصاحة على هذا

(١) تَامِكًا : سناماً عظيماً ، والقرد : الذي أكله القراد ، والسفن : الحديد
الذي ينحت به وهو المبرد ، يقول : إن الرحل أثر في سنام الناقة وتنقص منها
كما ينقص السفن من العود .

النوع من الحسن ، ويذهبون إلى أن ذلك هو الذى يرتفع به شأن الكلام ويفضل بعضه بعضاً ، ويبعد الشأن فى ذلك حتى ينتهى الأمر إلى الإعجاز ، وإلى أن يخرج من طوق البشر جميعاً ، فانبرى لهم الشيخ عبد القاهر رحمه الله ، وأرهف عليهم لساناً أخرس الشقاشق^(١) ، وأعدم نطق الناطق ، وأسأل الوادى عليهم مجزاً ، وأخذ منافذ القول عليهم أخذاً ، فنادى بفساد مذهبهم هذا ، وإنه قد يفضى إلى إنكار إعجاز القرآن ، وإن ذلك وحده لا تثبت به فضيلة ، ولا يشف عن براعة خاطر ، وإنما الذى يدل على بعد الغور ، ودقة الفكر ، ويرتقى به الكلام حتى ينتهى إلى حيث تنقطع الأطماع ، وتحسر الظنون ، وتستوى الأقدام فى العجز ، هو تلك الأسرار والدقائق التى وضع لها كتابيه : أسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز .

ذهب هذا الإمام إلى أن معترك البلاغة الذى تَظْهَر فيه الخواطر براعتها ، والبلغاء مُنْتَهَاهَا^(٢) ، هو عند توخى تلك الأسرار والمعانى فيما بين الكلم على حسب الأغراض التى يصاغ لها الكلام . فالبلغ هو الذى يضع كلامه الوضع الذى تقتضيه تلك المعانى ولا يخل بشيء منها . فينظر مثلاً إلى الوجوه التى تراها فى قولك : زيد منطلق ، وزيد ينطلق ، وينطلق زيد ، ومنطلق زيد ، وزيد المنطلق ، والمنطلق زيد ، وزيد هو المنطلق ، وفى الشرط والجزاء إلى

(١) الشقاشق : جمع شقشقة وهى شئ كالرثة يخرج به البعير من فيه إذا هاج ، ويقال للفصيح : هدرت شقاشقه ، يريدون قوة البيان ، ويقال : فى بخلاف ذلك : خرست الشقاشق .

(٢) المنته : القوة .

الوجوه التي تراها في قولك : إن تخرج أخرج ، وإن خرجت خرجت ، وإن تخرج فأنا خارج ، وأنا خارج إن خرجت ، وأنا إن خرجت خارج ؛ وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك : جاءني زيد مسرعاً ، وجاءني يسرع ، وجاءني وهو مسرع ، أو هو يسرع ؛ وجاءني قد أسرع وجاءني وقد أسرع ، فيعرف لكل من ذلك موضعه ، ويحيى به حيث ينبغي له ، وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى ، فيضع كلاماً من ذلك في حاق معناه ، نحو أن يحيى بما في نفي الحال وبلا إذا أراد الاستقبال ، وبأن فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون ، وبإذا فيما علم أنه كائن ، وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ، ثم يعرف فيما حقه موضع الواو من موضع الفاء ، وموضع الفاء من موضع ثم ، وموضع أو من موضع أم ، وموضع لكن من موضع بل ؛ وينظر في التعريف والتذكير والتقديم والتأخير في الكلام كله ، وفي الحذف والتكرار والإضمار والإظهار ، فيصيب بكل من ذلك مكانه ، ويستعمله على وجهه ؛ ثم إنه ليست المزية بواجبة لهذه المعاني في أنفسها ، ومن حيث هي على الإطلاق ، ولكن تعرض بحسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام ، ثم بحسب موقع بعضها من بعض ، فليس إذا راقك التنكير مثلاً في سؤدد من قول البحترى :

تَنَقَّلَ فِي خَلْقِ سُودٍ سَمَاحًا مُرَجِي وَبَأْسًا مَهِيَا

وجب أن يروقك أبداً وفي كل شيء ؛ بل ليس من فضل ومزية الإيجسب الموضع ، وبحسب المعنى الذي تريد ؛ وإنما سبيل هذه المعاني : سبيل الأضباغ

التي تعمل منها الصور والنقوش ، فكما أنك ترى الرجل قد تهَدَّى في الأصابع
التي عمل منها الصور والنقش في ثوبه الذي نسج إلى ضرب من التخيير
والتدبر في أنفس الأصابع وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجها لها وترتيبه إياها :
إلى ما لم يهتد إليه صاحبه ، فحاء نقشه من أجلي ذلك أعجب ، وصورته أغرب ؛
كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيها معاني النحو ووجوهه .

وزبدة القول : إن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ، وكل ما شا كل
ذلك مما يعبر به عن فضل بعض القائلين عن بعض ، من حيث راموا أن
يعلموا السامعين ما في نفوسهم ، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم ، إنما هي ألفاظ
مترادفة لا معنى لها غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما لو كانت
دلالة ، ثم تبرحها في صورة هي أبهى وأزين ، وأنى وأعجب ، وأحق بأن
تستولى على هوى النفس ، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب ، وأولى بأن
تطلق لسان الحامد ، وتطيل رغم الحاسد ، ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير
أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ، ويختار له اللفظ الذي هو
أخص به ، وأكشف عنه وأتم له ، وأحرى بأن يكسوه فضلا ويكسبه نبلا ،
وإذن فمرجعها النظم والكلام ، دون الألفاظ المجردة والكلمات المفردة .

وقد استظهر عبد القاهر لهذا بعدة أمور ، منها : أنك
تؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك في موضع آخر ، كلفظ
الأخذع في بيت الحماسة :

تأملت نهمو الحمى سقى وسدتنى وجعت من الإصغاء ليتها وأخذعا

وبيت البحتري :

وإني وإن بلغتني شَرَفَ الْغِنَى وأعتقت من رِقِ الْمَطَامِعِ أَدْعَى
فإن لها في هذين المكانين مالا يخفى من الحسن : ثم إنك تتأملها
في بيت أبي تمام :

يادهر قوم من أَدْعَيْكَ فَقَدْ أَصْبَحْتَ هَذَا الْأَنَامِ مِنْ جَرِّكَ (١)
فتجد لها من الثقل على النفس . ومن التنغيص والتكدير : أصعاف
ما وجدت هناك من الروح والخفة ، والإيناس والبهجة : وهذا باب واسع .
فإنك تجد الرجلين قد استعملا كلما بأعيانها ، ثم ترى هذا قد فرع السماء ، فإنك
وترى ذاك قد لصق بالحضيرة . سو كانت الكلمة إذا حسنت . حسنت
من حيث هي لفظ ، وإذا استحققت المزية والشرف ، استحققت في ذاتها وعلى
انفرادها دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في
النظم لما اختلف بها الحال ، ولكانت إما أن تحسن أبدا ، أو لا تحسن أبدا .

ومنها أنك لا تشك إذا فكرت في قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابلعي ماءك
ويا سماء ألقى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا
للقوم الظالمين » فتجلى لك منها الإعجاز ، وبهرك الذي ترى وتسمع . إنك لم
تجد ما وجدت من المزية الظاهرة إلا الأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها

(١) الخرق بالضم : العنف ، وكذلك الحق والجهل ، وضم الرام للشعر ،
ويريدون بتقويم الأخدعين — وهما عرقان في صفحتي العنق كالليتين : لإزالة
الكبر والعنف .

ببعض . وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة ، وهكذا إلى أن نستقر بها إلى آخرها ، وأن الفضل تنأجها بينها ، وحصل من مجموعها : وكذلك إذا نظرت إلى قول ابن المعتز :

سألت عليه شعاب الحلى حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

فإنك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها ، إنما تم لها الحسن ، وانتهى إلى حيث انتهى بما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير ، وتجدها ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها ، وإن شككت فانظر إلى الجارين والظرف ، فأزل كلا منهما عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه ، فقل سألت شعاب الحلى بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره . ثم انظر : كيف يكون الحال وكيف يذهب الحسن والحلاوة ، وكيف تعدم أريحيتك التي كانت ، والنشوة التي كنت تجدها ؟

ومنها غير ذلك مما أثبتناه في غير هذا الموضع من الكتاب .

أما المتأخرون كالسكاكي والخطيب وابن الأثير فهم — إذا ألطفت النظر وأنعمت الفكر — ممن سلكوا طريقة عبد القاهر وقفوا إثره ، ذاك لأنهم لم يقصروا الفضيلة على هذا النوع من الحسن : تلاؤم الحروف وسلاسة الألفاظ بل جعلوا ذلك وجهاً من وجوه الفضيلة ، وداخلاً في عداد ما يفاضل به بين كلام وكلام ، وبينوا أن قوام الشرف والنبيل هو تطبيق الكلام على مقتضى الحال ، الذي عبر عنه الشيخ : بتوخي معاني النجوفيا بين الكلم على حسب الأنراض التي يصاغ لها الكلام . بيد أنهم عمدوا إلى الفصاحة وأخرجوها

من حيز البلاغة ، وجعلوها : اسماً لما كان بنجوة من تنافر الحروف ، وغرابة الألفاظ ، ومخالفة ما ثبت عن الواضع ، وتنافر الكلمات ، والتعقيد في النظم والمعنى ، ومخالفة القانون النحوي ؛ وجعلوا البلاغة اسماً لما كان مطابقاً لمقتضى الحال مع فصاحته ؛ وهذا غير قادح فيما ذهب إليه الشيخ .

هذا وما كلف الشيخ رحمه الله بشأن النظم ، والتنويه بتلك الأسرار . حتى طال بكلامه الأمد ، وحتى كاد يتجاوز غاية الإفصاح إلى نهاية الإملال ، إلماً عني به ووضع لأجله كتابه دلائل الإعجاز من إزالة ما كان يعلق بالأذهان كافة في عصره من الخطأ في وجه إعجاز القرآن .

﴿ و بعد ﴾ فمن المعروف أن القرآن تحدى العرب إلى معارضته ، وأخدهم بالإتيان بمثل أقصر سورة منه ، فما كان إلا أن استولى عليهم العجز ، وبلغ منهم المي ، وخرست ألسنتهم فما تحير مقالا ، وخلدت قرومهم فما تستطيع سيالا : وآية ذلك فرارهم إلى شبا الأسنه ، واقتحامهم غمرات الموت ، ووكان لهم عنها محيص لا بتغوا إليه سيالا ؛ بيد أن للعلماء في وجه الإعجاز مذاهب لا تتعدى أربعا : فذهب بعض إلى أن الله سبحانه ما أنزل القرآن ليكون حجة للنبوة . بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام ، والعرب إنما لم يعارضوه لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك وسلب عيولهم به : وذهب فريق إلى أن إعجازه في أن له أسلوباً يختص به ، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد ، وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام المنظوم ، تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه ، وإلى الكلام الموزون المسجح ، وإلى ما يرسل إرسالا ، وأسلوب القرآن

مبين لهذه العارق . خارج عن هدد الوجود : لا سيما في مقاطع الآيات ، مثل
يعلمون ويؤمنون . وذهب ثالث إلى أن إيجاره في أن اشتمل على الغيوب
ومالم تلم به علوم الناس : من أخبار من مضى ، وأحوال مستقبل الأيام .

وذهب آخرون إلى أنه معجز بفصاحته ، ووافقهم على ذلك الشيخ
عبد القاهر إلا أنه خالفهم فيما ذهبوا إليه من تفسير الفصاحة بالمزايا اللفظية
التي تتعلمور الكلام : كالتشبيهات ، والاستعارات ، والكنايات ، وإرسال المثل ،
والجناس ، والتورية ، وكل أنواع الصناعة اللفظية : وفسرها هو بتوخي معاني
النحو ، وأسرار التركيب . وترتيب الكلام حسبما تقتضيه المقاصد والأغراض .

وقال : إن هذا هو وجد الإعجاز في القرآن ، وهذه هي المزية التي امتاز بها عن
سائر الكلام . فأما التشبيهات والاستعارات وأخواتها ، فمزايا يشاركه فيها كل
كلام العرب . وما سمع عن أحد من العرب ممن عجب بفصاحة القرآن أنه طرب
لتشبيه ، أو دهش لتمثيل . أو عجب لجناس أو تورية ، أو صعق لسطاع مثل
غريب ونكتة بدیعة : وما كان يروعونهم ويملك عليهم مشاعرهم : غير تلك
الأسرار والمعاني التي سلك فيها القرآن مسلكا خرج عن طوق البشر ، فما
تأرصه مغارض ، ولا حدث نفسه محدث ، بل ظلوا حيارى هائمين ، يقولون :
سحر ! نعم إنه السحر الذي يأخذ بمجامع القلوب ، ويملك الحواس ، ويختلب
الألباب : ولعل الإفاضة في هذا البحث ، وإيفاء حقه من البيان ، يخرج بنا
عن موضوع هذه المقدمة : فلنمسك بعنان القلم ، ونكته إلى كتبه الخاصة به ،
فيذلك البيان الواسع . والإفاضة الوافية ، والله ولي التوفيق .

عبد الرحمن البرقوقي

تقریظ

أستاذنا الامام المغفور له الشيخ محمد عبده

بني كنهه في الحقيقة ان ملكتها الهيا و قد انكسر على سبب التغير
سماز به انا تفسيره من المعنى لتبلغ من عا تلمها ما تريد من الزنى وجه انه يحيل
الى حجب الزنى ببارقة عنه او المرد ما كانا يحيل اليه او يكن ميل الى
الرجوع او غير برزور سكرانه او تحير في اقتداء التغير له و قد ارماني به
و لكن ما يقصد الكل - انما استأجرتى و قد انكسر كثر من الحواس
منطقه و ما تسمى - و لو علمت انك يا بنى كنهه - قد اهل الله في

حقیقتہ الہیہ
و صمد الہی بعد ما یصل علیہ السلام الی شکل تھان الہیہ و صمد الہی بعد ما یصل
الہیہ الی صمد الہی و تبقہ من صمد الہیہ و علیہ من صمد الہیہ و صمد الہیہ
یصل الہیہ الی صمد الہیہ و صمد الہیہ الی صمد الہیہ و صمد الہیہ الی صمد الہیہ
و صمد الہیہ الی صمد الہیہ و صمد الہیہ الی صمد الہیہ و صمد الہیہ الی صمد الہیہ

عمره من وجهه كغيره
~~وكان من شيوخه~~ شيوخه تارة من النصارى واما من المسلمين
 النصارى من جهة فخره الذي فيه فاستمر اليه في جميع بقاعها
 فله عسكرة او ائتوا به مع قيسه وادوا خطرا له لم يكن - استماعه

[illegible]

ليست البلاغة في الحقيقة إلا ملكة البيان ، وقوة النفس على حسن التعبير عما تريد من المعنى ، لتبلغ من مخاطبتها ما تريد من أثر في وجدانه -يميل به إلى الرغبة فيما رغب عنه ، أو النفرة مما كان يميل إليه ، أو تمكين ميل إلى مرغوب ، أو تقرير نفرة من مكروه . أو تحويل في اعتقاد ، أو تغيير لعادة ، أو ما يشبه ذلك مما يقصد بالمخاطاب ، وذوق النفس كذلك لحاسن ما تسمعه ، أو وجوه النقد فيما يلقي إليها : هذه هي البلاغة في حقيقة الأمر .

وضعوا علومًا ليصل محصلها إلى امتلاك تلك الملكة ، أحكم قواعدها عبد القاهر الجرجاني ، وتبعه من جاء بعده على نوع من التحرير والتنقيح . وجاء صاحب التلخيص تمجمل ما ينبغي تنبيه النفس إليه ، من أسرار تأليف الألفاظ ، ليكون المحصل لذلك الجميل على بصيرة من وجوه التعبير .

شرحه كثير من الناظرين في الفن ، وتعلق الأغلب بلفظه ، ولم ينظروا الغاية من وضعه ، فصرفوا الوقت فيه ، وفاتهم البلاغة نفسها بجميع مقاصدها ، فلا هم يحسنون إذا كتبوا ، ولا هم يقنعون إذا خطبوا ، ولا هم يحسنون الاستماع إذا خطبوا ، كما هو معروف لأنفسهم ، ولكل من يعرفهم .

شرحه الشيخ عبد الرحمن البرقوقي ، واطلعت على نموذج من شرحه ، فوجدته كافيًا في تبين معنى ما في الكتاب ، موجهًا نظر الناظر فيه إلى ما قصد منه : ولا حاجة بالسائر إلى الغاية من الفن إلى ما هو أكثر مما جاء فيه ،

وإنما الواجب عليه تحصيل الملكة بالعمل ، ومزاولة كلام البلغاء ، وكسب
أساليب الفصحاء ، حتى يتم له من شأنه ما يريد ، ويشهد له كلامه قبل
أن يشهد هو لنفسه ؛ وليس لكلامه أن يشهد حتى يروق العلم وأهله ،
وعدوه وخاله ؛ وأسأل الله أن ينتفع بهذا الشرح مطالعه ، ويستفيد
منه مراجعته ؟

محمد عده

فاتحة التلخيص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ على ما أنعم ، وعلم من البيان ما لم نعلم . والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، خير من نطق بالصواب ، وأفضل من أوتي الحكمة^(١) . وفصل الخطاب . وعلى آله الأطهار ، وصحابه الأخيار .

« أما بعد » فلما كان علمُ البلاغة وتوابعها من أجلِّ العلوم قدراً ، وأدقِّها سرّاً ، إذ به تُعرف دقائق العربية وأسرارها ، وتُكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أسترها ؛ وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذي صنعه الفاضل العلامة أبو يعقوب يوسف السكاكي : أعظم ما صنف فيه من الكتب المشهورة نفعا ، لكه نه أحسنها ترتيباً ، وأتمها تحريراً ، وأكثرها للأصول جمعاً ؛ ولكن كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد ، قابلاً للاختصار ، مفتقراً إلى الإيضاح والتجريد^(٢) : ألَّفْتُ مُختصراً يتضمن ما فيه

(١) الحكمة : كمال العلم وإتقان العمل . وفصل الخطاب : الكلام البين الذي ينبه المخاطب إلى المقصود من غير التباس . أو الخطاب الذي يفصل بين الحق والباطل .

(٢) أي تجريده عما فيه من الحشو

مقدمة الشارح

للطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وسلام على عباده الذين اصطفى »

« وأما بعد » فإنى أحمد الله سبحانه أن حاط هذا الشرح بالقبول ، وكتب له البقاء والخلود ، حتى رأيتَه يطبع للمرة الثانية ، بعد أن مضى على طبعته الأولى نحو من ثمان وعشرين حجة ، وبعد أن رأيتُ « نَعَام القلوب إليه زَفَافَةً ، ورياح الآمال حَوَّله هَفَافَةً ، ووعيون الأفاضل نحوه رَوَاقٍ ، وأستهم بتمنيهِ نواطق »

والكتاب فيما أظن ويظن معي أفاضلنا ، أكان المتن أم الشرح : يستحق هذا القبول . وطول الإفادة منه ، فإن المتن رضى الله عن صاحبه أجمعُ كُنَاشَةٍ لعلوم البلاغة ، على صغر حجمه ، ووجازة كلمه ؛ والشرح من أوسط الشروح وأجملها ، جَلَوَتْ فيه هذا العلم كما تجلَّى العروس .

على أن هذه الطبعة الثانية تمتاز عن الأولى بالكثير الكثير ، من الضبط والزيادة والتحوير .

والى الله أضرع أن يديم الانتفاع به ، ويجعله بسبب من مرضاته .
إنه سميع الدعاء .

عبد الرحمن البرقوقي

٢١ شعبان سنة ١٣٥٠ هـ الموافق أول يناير سنة ١٩٣٢

من القواعد ، وَيَشْتَعِلُ على ما يحتاج إليه مِنَ الْأَمْثِلَةِ والشواهد ، ولم آل
جَهْدًا^(١) في تحقيقه وتهذيبه ؛ وَرَتَّبْتُهُ ترتيباً أقربَ تناوُلًا من ترتيبه ، ولم أبالغ
في اختصار لفظه تقريباً لتعاطيه ، وطلباً لتسهيل فهمه على طالبيه ؛ وَأَضَفْتُ
إِلَى ذَلِكَ فَوَائِدَ عَثَرْتُ فِي بعض كتب القوم عليها ، وزوائد لم أظفر في كلام
أحدٍ بالتصريح بها ولا الإشارة إليها ، وسميته « تلخيص المفتاح » .
وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ : أَنْ يَنْفَعَ بِهِ ، كَمَا نَفَعَ بِأَصْلِهِ ؛ إِنَّهُ
وَلِيُّ ذَلِكَ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

(١) الأول : التقصير ، وأصله : أن يعدي بالحرف ، بيد أنه ضمن معنى
المنع ، فصار المعنى : لم أمنعك اجتهداً .

م

﴿ الفصاحة ﴾ يُوصَفُ بها المفردُ وَالْكَلَامُ وَالتَّكَلُّمُ .

« وَالبَلَاغَةُ » يُوصَفُ بها الْأَخِيرَانِ فَقَطْ .

فالفصاحةُ في المفردِ : خُلُوصُهُ مِنْ تَنَافُرِ الْحُرُوفِ ، وَالغَرَابَةِ ، وَتُخَالَفَةِ الْقِيَاسِ . فالتنافرُ ؛ نَحْوُ :

* غَدَائِرُهُ مُسْتَشْرِزَاتٌ إِلَى الْعُلَى *

(الفصاحة) إن للبيانين في الفصاحة والبلاغة أقوالا مضطربة ، وآراء متباينة ، وهذا حديث فيهما يثابج الصدر إن شاء الله .

الفصاحة وضعها العرب لمعان تشف عن الظهور والإبانة ، يقولون : فصح اللبن وأفصح : إذا أخذت رغوته ، وأفصح الصبح : إذا بدا ضوؤه . ومنه المثل : أفصح الصبح لدى عينين ، وأفصح الأعجمي بالعربية ، وفصح لسانه بها : بخلصت لفته من اللكنة ، وهذا يوم مفصح وفصح : لا غيم فيه ولا قر .

ومن هنا أطبق علماء البيان على أن الكلام الفصيح ما كان سهل اللفظ ، واضح المعنى ، جيد السبك ، متلائم الحروف ، غير مستكره فحج ، ولا متكلف وخم ، ولا بما نبذته العرب ، وعدلت عن ألفاظه البلاء ، أو ما كان بنجوة من تنافر الحروف ، وغرابة الألفاظ ، ومخالفة ما ثبتت عن الواضع ، وتنافر الكلمات ، والتعقيد في النظم والمعنى ، ومخالفة القانون النحوي .

أما تنافر الحروف : فهو وصف في الكلمة ينجم عنه ثقل حملها على اللسان ، والحكم في ذلك هو الإحساس الروحاني ، والدوق السليم الذي يثمره التحفظ

والغرابه نحو : * فاحمًا ومرسناً مسرجاً * أى كالسيف الشريجي
في الدقة والاستواء ، أو كالسراج في البريق واللمعان ؛ والمخالفة نحو :
* الحمد لله العليّ الأجلّ * قيل : ومن الكراهة في السمع نحو :

لكلام العرب ، ومزاولة أساليب البلاغ . وما جاء متنافراً كلمة : مستشرزات ،
في قول امرئ القيس :

غداثره مستشرزات إلى العلا تضلّ العقاص في مثنى ومرسل

الغداثر : الذوائب ، والضمير يرتبط بفرع في قوله :

وفرّج يزين المتن أسوداً فاحم أثيث كقنور النخلة المتعشك

والاستشرار : الارتفاع والرفع جميعاً ، فيكون الفعل منه تارة لازماً إن
كسرت زايه ، ومتعدياً إن فتحها ، ولعلا : جمع عليها : تأنيث الأعلى ، وأراد
الجهات العلا ، والعقاص جمع عقيصه : الخصلة من الشعر تأخذها المرأة فتلويها
ثم تعقدّها حتى يبقى فيها التواء ثم تجعلها وسط رأسها كالرمانه وهي الغديرة
يقول : إن غداثره مشدودة على الرأس وأن مجموع الشعر منه عقاص أو غداثر
ومنه مثنى - مفتول ، ومنه مرسل ، وأن العقاص تغيب في الآخرين والمراد أن
وقوف شعرها وجمال وضعه .

والغرابه : أن يكون اللفظ حوشياً غير مألوف الاستعمال ولا ظاهر المعنى ،
وذلك نوعان حسن لا يعاب استعماله على العربي الفصح ، وهو في النظم أحسن منه
في النثر ، وذلك مثل مشمخر : فإنها في قول البحترى يصف ليوان كسرى :

مشمخيرة تغسلو آله شرفات رفعت في رؤس رضوى وقُدس

لا بأس بها ، وقبيح حاس يعاب استعماله على سائر الفصحاء وهو أن يكون مع

* كريم الجرشي شريف النسب * وفيه نظر .

وفي الكلام : خلوصه من ضعف التأليف ، وتنافر الكلمات ،
والتعقيد ، مع فصاحتها ؛ فالضعف نحو : ضرب غلامه زيداً ، والتنافر
كقوله : * وليس قرب قبر حرب قبر *

ذلك كزأ غليظاً ، مثل جحيش في قول تأبط شراً :

يَطلُّ بموَماةٍ وَيُمسِي بِغَيْرِهَا جُحَيْشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورَ الْمَهَالِكِ^(١)
ومثل اطلنخ في قول أبي تمام :

قَدْ قُلْتُ لَمَّا اِطْلَنْخَمَ الْأَمْرُ وَأَنْبَعَثَتْ عَشَوَاهُ تَالِيَةً عُبْسًا دَهَارِيَسًا^(٢)
ومثل جفخ في قول المتنبي :

جَفَخَتْ وَهُمْ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ شِيمٌ عَلَى الْحَسْبِ الْأَغْرُ دَلَائِلُ^(٣)

ومن هنا كان قول بعضهم : إن الكلام الفصيح ما كان في ألباطه عنجبية
الغرابية ، .بعد عن الاقتدة الإحاطة بمعناه ، وعز على الأفهام إدراكه : جهلا
بمحاسن الفصاحة وأوضاع البلاغة . قال الجاحظ - وهو من هو - : رأيت
الناس يديرون في كتبهم أن امرأة خاصمت زوجها إلى يحيى بن يعمر ، فانتهرها

(١) الموامة : المفازة الواسعة : ويقال للرجل . إذا كان يستبد برأيه :
جحيش وحده : وهو ذم ، ويقال : اعروري الفرس ركبا عريانا . وهو
أفعول ، مستعار هنا للهلكة .

(٢) اطلنخ الامر : اشتد ، والدهاريس : النواهي .

(٣) جفخ : غر وتكبر ، وشيم : فاعل ، والأغر : الشريف ، يقول جفخت
ونفرت بهم شيم ، وهم لا يفخرون بها ، وهذه الشيم دلائل على حسبهم الأغر

وقوله :

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِيَ وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحَدِي
والتعقيد : أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد ليخلل

مراراً ، فقال له يحيى : آ إن سألتك ثمن شكرها وشبكك أنشأت تطلها
وتضللها (١) ثم قال : فإن كانوا قد رويوا هذا الكلام لكي يدل على فصاحة ،
فقد باعده الله من صفة الفصاحة .

هذا ، ومن الغريب الحوشى ما يحتاج إلى أن يخرج له وجه بعيد ، مثل :
مسرجا ، في قول رؤية بن العجاج :

أَيَّامٌ أَبَدَتْ وَأَضْحَتْ مُقَلَّجًا أَغْرَبَرًا قَا وَطَرَفًا أَبْلَجًا
وَمُثَلَّةً وَحَاجِبًا مُزَجَّجًا وَفَاحِمًا وَمَرَسِنًا مُسَرَّجًا

المرسن : الأنف . فلا يعلم ما أراد بقوله : مسرجا ، حتى اختلف في تخريجه ،
فقيل : من قولهم للسيوف سرجية أى منسوبة إلى قين يقال له سريج ، يريد : أنه
في الاستواء والدقة كالسيف السرجي ، وقيل : من السراج ، يريد : أنه في البريق
كالسراج ، وهذا يقرب من قولهم : سرج وجهه بكسر الراء : أى حسن ، وسرج
الله وجهه : أى بهجه وحسنه .

هذا ، وكما أن تهذيب الكلام من الغرابة شرط في الفصاحة . كذلك
تهذيبه من الابتذال . فينبغي للفصيح أن يحتنب السوقى المبتذل الذى أبلاه
التكرار ، وتدل باستعمال العامة إلى الحضيض .

ومخالفة ما ثبت عن الواضع ، مثل : الأجلال ، في قول أبى النجم :

الحمد لله العلى الأجلل .

(١) الشكر بالفتح ويكسر : العرج ، وضلل فلاناً حقه ، كنع : نقصه إياه
وأبطله عليه ، وتطلها كتمدها : تطلها ، والشبر : حق النكاح أو النكاح نفسه .

إِذَا فِي النَّظْمِ ، كَقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ فِي خَالِ هِشَامٍ :
وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكَاً أَبَوَاهُ حَتَّى أَبُوهُ يَقَارِبُهُ

القياس : الأجل بالإدغام ، ومثله قول المتنبي :
فَلَا يُبْرَمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ وَلَا يُحْلَلُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ يُبْرَمُ
ومخالفة القانون النحوي ، مثل : ضرب غلامه زيداً ، فإن رجوع الضمير إلى
المفعول المتأخر لفظاً ممتنع عند الجمهور ، لئلا يلزم رجوعه إلى ما هو متأخر
لفظاً ورتبة ، ومثل ذلك قوله :

كَسَا حِلْمُهُ ذَا الْحِلْمِ أَثْوَابُ سُودِدٍ وَرَقَى نَدَاهُ ذَا النَّدَى فِي ذُرَى الْمَجْدِ
وتنافر الكلمات ما كان مثل قول القائل (١) :

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ
وقول ابن بشير يرثي أحمد بن يوسف :

لَا أَذِيلُ الْإِمَالَ بَعْدَكَ إِنِّي بَعْدَهَا بِالْأَمَالِ جِدُّ بِحِيلِ
كَمْ لَهَا مَوْقِفٌ بِبَابِ صَدِيقٍ رَجَعْتُ مِنْ نَدَاهُ بِالتَّعْطِيلِ
لَمْ يَضِرْهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شَيْءٌ وَأَنْتُنْتُ نَحْوَ عَزْفِ نَفْسٍ ذُهُولِ
فتفقد النصف الأخير من البيت الثالث ، فإنك ستجد بعض الفاظه تتبرأ
من بعض . ومن ذلك — بيد أنه أخف مما قبله — قول أبي تمام :
كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِيَ وَإِذَا مَا لَمْتَهُ لَمْتَهُ وَخَدَى
وقد أشد خلف الأحمر في هذا المعنى :

(١) زعموا أن قاتل هذا البيت جنى صاحبه على حرب بن أمة فمات في
فلاة ، ويسمى هذا النوع من الجن هاتفاً .

أى : لبس مثله في الناس حتى يقاربه ، إلا مملكا أبو أمه أبوه ؛
وإما في الإثقال ، كقول الآخر :

وَبَعْضُ قَرِيبِ الْقَوْمِ أَوْلَادُ عَالَةٍ يَكْذِبُ لِسَانَ الْنَاطِقِ الْمُتَحَفِّظِ
وأجود الكلام ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل الخارج ، فكأنه أفرغ
إفراغا واحداً ، فهو يجري على اللسان ، كما يجري الدهان : ومثله قول
أبي حية النميري :

رَمَتْنِي وَسِئْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشِيَّةُ آرَامِ الْكِدَّاسِ رَمِيمُ
رَمِيمُ الَّتِي قَالَتْ لِحَارَاتِ يَتْبَا ضَمِنْتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يَتْبَا
أَلَا رَبَّ يَوْمَ لَوْ رَمَتْنِي رَمِيَّتُهَا وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنِّضَالِ قَدِيمُ

يقول : رمته بطرفها وأصابني بحاسنها ، ولو كنت شاباً لرميت كما رميت ،
وفنت كما فنت ، ولكن قد تطاول عهدي بالشباب . فأنت إذا عمدت إلى مثل
هذا : وجدت له اهتزازاً في نفسك وأريحية في فؤادك .

والتعقيد أن يشبك المتكلم طريقك إلى المعنى ، ويوعر مذهبك نحوه ، حتى
يقسم فكرك ويشعب قلبك ، فلا تدري من أين تتوصل ، وأنى طريق تسلك
إلى معناه ، مثال ذلك قول الفرزدق :

إِلَى مَلِكٍ مَا أُمُّهُ مِنْ مُحَارِبٍ أُوهُوَلَا كَانَتْ كَلَيْبُ تَصَاهِرُهُ
يريد إلى ملك أبوه ما أمه من محارب . وقوله أيضاً يمدح إبراهيم بن
هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان :

وما مثله في الناس إلا مسكا أبو أمه حتى أبوه يقاربه
يريد : وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه ، يعنى : وما مثله

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لَتَقَرَّبُوا^(١) وَتَسْكِبُ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لَتَجْمَدَا
فَإِنَّ الْإِثْقَالَ مِنْ جُحُودِ الْعَيْنِ إِلَى بُخْلِيهَا بِالدَّمُوعِ ، لَا إِلَى مَا قَصَدَهُ مِنْ

في الناس أحد يشبهه في الفضائل إلا هشاماً ، فهو كما تراه في غاية التعقيد ، حتى
كانه لم يجمع في صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَاراً^(٢)
ومثله قول المتنبي .

وَفَاؤُكُمْ كَمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ بَأَنْ تُسْعِدَ أَوِ الدَّمْعُ أَشْفَاؤُ سَاجِمُهُ

يريد : وفاؤكم كما بأن تسعدا كالربع أشجاء طاسمه . يخاطب صاحبيه بأن
عدم وفائهما له بالمساعدة على البكاء ، مما يزيد في حزنه . كالربع كلما درست
معامله كان ذلك أدعى لحزنه : ثم اعتذر بأن الدمع يشفي الباكي ، لأن من حزن
قلبه استراح بالبكاء . وهذا الضرب من التعقيد يرجع إلى اللفظ ، لأن منشاء
فساد النظم بما صنعه الشاعر من التقديم والتأخير وغيرهما مما ليس له أن
يصنعه ، ولا يسوغ أن يقدم عليه . وثمت ضرب آخر يرجع إلى المعنى ، وهو
أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم بحسب اللغة إلى المعنى
الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهراً ، كقول العباس بن الأحنف :

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لَتَقَرَّبُوا وَتَسْكِبُ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لَتَجْمَدَا
بدأ فدل بسكب الدموع على ما يوجبها الفراق من الحزن والسكد ، فأحسن
وأصاب ، لأن من شأن البكاء أبداً أن يكون أمانة للحزن ، وأن يجعل كناية
عنه كقولهم : أبكاني وأضحكني . على معنى : سامني وسرتني .

السُّرُورِ . قِيلَ : وَمِنْ كَثْرَةِ التَّكْرَارِ وَتَتَابُعِ الإِضَافَاتِ ، كَقَوْلِهِ :

ثم ساق هذا القياس إلى نقيضه ، فالتمس أن يدل على ما يوجب دوام التلاقي من السرور بقوله : لتجمدا ، لظنه أن الجود يخلو العين من البكاء من غير اعتبار شيء آخر ، وغلط فيما ظن ، لأن الجود يخلو العين من البكاء ، مع أن الحال حال بكاء ، ومع أنه يراد منها أن تبكى فلا يكون كناية عن السرور ، وإنما يكون كناية عن البخل كما قال السباعر :

أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجْدُ يَوْمَ وَاسِطٍ عَلَيْكَ بِجَارِي دَمْعِهَا جَمُودُ

ولو كان الجود يصلح أن يراد به عدم البكاء في حال السرور ، لجاز أن يدعى به الرجل ، فيقال : لازالت عينك جامدة ، كما يقال : لأبكي الله عينك ، وذلك بما لا يشك في بطلانه ، وعلى ذلك قول أهل اللغة : سنة جماد : لا مطر فيها ، وناقدة جماد : لا ابن فيها ، فكما لا تجعل السنة والناقدة جماداً إلا على معنى أن السنة بخيلة بالقطر والناقدة لا تسخر بالدر ، لا تجعل العين جموداً إلا وهناك ما يقتضى إرادة البكاء منها ، وما يجعلها إذا بكت محسنة موصوفة بأنها قد جادت وإذا لم تبك مسيئة موصوفة بأنها قد ضنت .

هذا ، وببيت ابن الأحنف المذكور : نظير كلام ابن الربيع بن خيثم ، فإن رجلاً قال له - وقد صلى ليلة حتى أصبح - : أتعبت نفسك ، فقال : راحتها أطلب ، ومثله قوله :

تَقُولُ سَلِيمِي لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا وَلَمْ تَذَرِ أَنِّي لِلْمَقَامِ أَطَوِّفُ

وهو معنى كثير حسن جميل ، وقد زاد بعضهم على هذه الأمور المخلة بالفصاحة أمراً آخر وهو الكراهة في السمع بأن يمج اللفظ ويتبرأ من سماعه ، كالجرشي ، في قول أبي الطيب المتنبي بمدح سيف الدولة :

مُبَارَكُ الْأَسْمِ أَغْرُ اللَّقَبِ كَرِيمُ الْجَرِشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبِ

(الجرشي : النفس) وفيما ذكر هذا القائل نظر ، لأن الكراهة في السمع

* سُبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيَّهَا شَوَاهِدُ * وَقَوْلُهُ :
 * حَمَامَةٌ جَرَعِي حَوْمَةَ الْجَنْدَلِ اسْجَمِي * وَفِيهِ نَظَرٌ .
 وَفِي الْمُتَكَلِّمِ : مَلَكَةٌ يُقْتَلَرُ بِهَا عَلَى التَّعْبِيرِ عَنِ الْمَقْصُودِ
 بِإِلْفَظٍ فَصِيحٍ .

تشمها الغرابية ، وقد احترز عنها ؛ وزاد بعضهم أمراً آخر أيضاً وهو كثرة
 التكرار وتتابع الإضافات ، وأنشد على الأول قول أبي الطيب :

وَتَسْعِدَنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سُبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيَّهَا شَوَاهِدُ
 الغمرة : الشدة ، والسبوح : الفرس الحسين العدو الذي لا يتعب راكبه ،
 فكأنه يسبح في الماء . وعلى الثاني قول ابن بابك :

حَمَامَةٌ جَرَعِي حَوْمَةَ الْجَنْدَلِ اسْجَمِي فَأَنْتَ تَمْرَأِي مِنْ سَعَادٍ وَمَسْتَمِعِ
 (الجرعاء تأنيث الأجرع : وهي رملة لا تبيت شيئاً ، والحومة : معظم الشيء ،
 والجندل : الحجارة والسجع : هدير الحمام) وفيه نظر ، لأن ذلك إن أنفى باللفظ
 إلى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم ، وإلا فلا يخل بالفصاحة .
 قال الشيخ عبد الفاهر : قال صاحب : إياك والإضافات المتداخلة ، فإن
 ذلك لا يحسن ؛ وذكر أنه يستعمل في الهجاء كقول القائل :

يَا بَعْلِي بِنَ حَمْرَةَ بِنَ عَمَّارِهِ أَنْتَ وَاللَّهِ ثَلِجَةٌ فِي خِيَارِهِ
 ثم قال الشيخ : ولا شبهة في ثقل ذلك في الأكثر ، لكنه إذا سلم من
 الاستكراه فليح ولفظ ؛ وبما حسن فيه قول ابن المعتز .

وَوَخَّلَتْ تَنْدِيرُ الرِّاحِ أَيْدِي جَاذِرٍ عِتَاقٍ دَنَانِيرِ الْوُجُوهِ مِلَاحٍ

(وَالْبَلَاغَةُ) فِي الْكَلَامِ مُطَابَقَتُهُ لِمُقْتَضَى الْحَالِ مَعَ فَصَاحَتِهِ ؛ وَهُوَ

ومنه قول أبي تمام :

خُذْهَا ابْنَةُ الْفِكْرِ الْمَهْدَبِ فِي الدَّجَى وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةٍ الْجَلْبَابِ
(وَأَمَّا الْبَلَاغَةُ) نَفْهَى فِي اللُّغَةِ تَفْهِيءٌ عَنِ الْوُصُولِ وَالْإِنْتِهَاءِ ، قَالَ فِي
الْقَامُوسِ بَلَغَ الرَّجُلُ بِلَاغَةً : إِذَا كَانَ يَبْلُغُ بِعِبَارَتِهِ كُنْهَ مَرَادِهِ مِنْ إِيْجَازِ بِلَا
إِخْلَالٍ أَوْ إِطَالَةٍ بِلَا إِمْلَالٍ ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ الْيَاسِيُونَ : لِمَنَّا تَطْبِيقُ الْكَلَامِ عَلَى
مُقْتَضَى الْحَالِ مَعَ فَصَاحَتِهِ ، وَتَطْبِيقُ الْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ : هُوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ
الْشَيْخُ عَبْدُ الْقَاهِرِ بِالنَّظْمِ ، حَيْثُ يَقُولُ : النَّظْمُ تَوْخِيٌّ مَعَانِي النَّحْوِ فِيمَا بَيْنَ
الْكَلِمِ عَلَى حَسَبِ الْأَغْرَاضِ الَّتِي يُصَاغُ لَهَا الْكَلَامُ . فَالشَّاعِرُ الْبَازِلُ ، أَوِ الْكَاتِبُ
الْمَجِيدُ ، هُوَ الَّذِي يُضَمُّ كَلَامَهُ الْمَوْضِعَ الَّذِي تُقْتَضِيهِ تِلْكَ الْمَعَانِي ، وَهَنَّاكَ مَعْتَرِكُ
الْبَلَاغَةِ الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ الْخَوَاطِرُ بِرَاعَتِهَا ، وَالبُلْغَاءُ مِنْهَا ، فَأَنْتَ إِذَا عَمِدْتَ
إِلَى مَا تَوَاصَفُوهُ بِالْحَسَنِ ، وَشَهِدُوا لَهُ بِالْفَضْلِ ، مِثْلُ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

تَمَنَّائَانَا لِيَلْقَانَا بِقَوْمٍ تَخَالُ بَيَاضَ لَأْمِهِمِ السَّرَابَا
فَقَدْ لَاقَيْنَا فَرَأَيْتَ حَرْبًا عَوَانًا تَمْنَعُ الشَّيْخَ الشَّرَابَا

ومثل قول ابن الدميني :

أَبِيْنِي أَفِيْ يُمْنِيْ يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي فَأَفْرِحْ أُمَّ صَيَّرْتَنِي فِي شِمَالِكَ
أَبِيْتُ كَأَنِّي بَيْنَ شَقِيْنِ مِنْ عَصَا حِذَارِ الرَّدَى أَوْ حَيْفَةً مِنْ زِيَالِكَ
تَعَالَلْتُ كَيْ أَشْجَى وَمَا بِكَ عَاةٌ تُرِيدُنِي قَتْلِيْ قَدْ ظَفَرْتُ بِذَلِكَ
فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ سَبِيلاً لِهَذَا الْحَسَنِ الَّذِي يَهْجُمُ عَلَيْكَ ، وَيَمْلَأُ عَيْنَيْكَ : إِلَّا تَوْخِيَّ
تِلْكَ الْمَعَانِي . وَتَوْفِيَّةَ حَقُوقِهَا ، ثُمَّ إِنَّهُ لَيْسَتْ الْمَرْبِيةُ بِوَاجِبَةٍ لِهَذِهِ الْمَعَانِي فِي أَنْفُسِهَا ،

مُخْتَلِفٌ ، فَإِنَّ مَقَامَاتِ الْكَلَامِ مُتَفَاوِتَةٌ ، فَمَقَامُ كُلِّ مِنَ التَّنْكِيرِ ،
وَالْإِطْلَاقِ ، وَالتَّقْدِيمِ ، وَالذِّكْرِ ، يُبَيِّنُ مَقَامَ خِلَافِهِ ؛ وَمَقَامُ الْفَصْلِ يُبَيِّنُ
مَقَامَ الْوَصْلِ ، وَمَقَامُ الْإِعْجَازِ يُبَيِّنُ مَقَامَ خِلَافِهِ ؛ وَكَذَا خِطَابُ الذِّكْرِ مَعَ
خِطَابِ الْعَبِيٍّ . وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مَعَ صَاحِبَتِهَا مَقَامٌ ، وَارْتِفَاعٌ شَأْنٌ

ولكن تعرض بحسب الأغراض التي يوضع لها الكلام ، ثم بحسب موقع بعضها
من بعض ، فرب تنكير مثلاً له منزلة في لفظ ، وهو في لفظ آخر في غاية الفبح
(فظهر) لك أن البلاغة صفة في الكلام بها يقع التفاضل ويثبت الإعجاز ، وإذا
كان ذلك كذلك فلا يكون مرجعها الألفاظ من حيث هي ألفاظ مفردة ، بل
الألفاظ باعتبار إفادتها المعاني : أي الأغراض والمزايا التي يصاغ لها الكلام
(وكثيراً ما) تسمى تلك الصفة فصاحة أيضاً وهذا هو مراد الشيخ عبد القاهر
بما يكرره في دلائل الإعجاز من أن الفصاحة صفة راجعة إلى المعنى دون اللفظ
(قال) وما يشهد لذلك أنك لا تشك إذا فكرت في قوله تعالى : (وقيل يا أرض
ابلعى ماءك وياسماء أفلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي
وقيل بعداً للقوم الظالمين) فتجلى لك منها الإعجاز ، وبهرك الذي ترى وتسمع ،
أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة إلا لامر يرجع إلى تركيبها ، وأن
الفضل نتائج ما بينها وحصل من مجموعها ، فإن ارتبت في ذلك فتأمل هل ترى
لفظة منها لو أنردت من بين أخواتها لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها
من الآية ؟ وما يؤيد ذلك أنك ترى للكلمة تؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها
تشغل عليك في موضع آخر . وهاك مثلاً يشهد بصحة ذلك ، وهو أنه قد جاءت
لفظة الشيء مقبولة حسنة في قول أبي حية :

إِذَا مَا تَقَاضَى الزَّمَنُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ . تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

الْكَلَامِ فِي الْحُسْنِ وَالْقَبُولِ بِمُطَابَقَتِهِ لِلإِعْتِبَارِ الْمُنَاسِبِ ، وَانْخِطَاطُهُ
بِعَدَمِهَا : فَمُقْتَضَى الْحَالِ هُوَ الإِعْتِبَارُ الْمُنَاسِبُ : فَالْبَلَاغَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى اللَّفْظِ
بِإِعْتِبَارِ إِفَادَتِهِ الْمَعْنَى بِالتَّرَكِيبِ : وَكَثِيرًا مَا يُسَمَّى ذَلِكَ فَصَاحَةً أَيْضًا وَلَهَا
طَرَفَانِ : أَعْلَى وَهُوَ حَدُّ الإِعْجَازِ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهُ ، وَأَسْفَلَ وَهُوَ مَا إِذَا
غَيَّرَ الْكَلَامُ عَنْهُ إِلَى مَا دُونَهُ التَّحَقُّقَ عِنْدَ الْبُلْغَاءِ بِأَصْوَاتِ الْحَيَوَانَاتِ ؛
وَبَيْنَهُمَا مَرَاتِبُ كَثِيرَةٌ ؛ وَتَتَّبِعُهَا وَجُوهٌ أُخَرُ تُورِثُ الْكَلَامَ حُسْنًا .

وجاءت ضعيفة مستكرهة في قول المتنبي :

لَوْ الْفَلَكَ الدَّوَّارُ أَبْغَضْتَ سَعِيَّةً لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَّرَانِ

فلو كانت الكلمة إذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى
انفرادها لما اختلفت بها الحال ، ولكانت إما أن تحسن أبدأ أو لا تحسن أبدأ .
وهناك دليل ثالث ، وهو أنا نعلم أن النبي عليه السلام تحدى العرب بفصاحة
القرآن ، ولو كانت عائدة إلى الألفاظ لكان قد تحداهم بالموجود عندهم في الماضي
والحاضر . ودليل رابع وهو أن العالم بلغة من اللغات لا يحتاج في التلغظ بفرداتها
إلى الروية . هذا هو لباب كلام عبد القاهر رحمه الله (تكملة) هذه نتف
في البلاغة لثلة من البلغاء . قال عبد الحميد بن يحيى : البلاغة تقرير المعنى في الأفهام
من أقرب وجوه الكلام . وقال الرماني : البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن
صورة من اللفظ . وقال ابن المعتز : البلاغة البلوغ إلى المعنى ولم يطال سفر الكلام .
وقال إعرابي : البلاغة التقرب من البعيد والتباعد من الكلفة ، والدلالة بقليل
على كثير . هذا والبليغ عمره الله من تراه يعبث بالكلام ويقوده بالين زمام .
ومن إذا أنشدته مثل قول البحري :

وَفِي الْمُشْكَلِ مَلَكَةٌ يُقْتَدَرُ بِهَا عَلَى تَأْلِيفِ كَلَامٍ بَلِيغٍ . فَعِلِمَ أَنَّ كُلَّ بَلِيغٍ
فَصِيحٌ ، وَلَا عَكْسَ ، وَأَنَّ الْبَلَاغَةَ مَرْجِعُهَا إِلَى الْإِحْتِرَازِ عَنِ الْخَطَا فِي تَأْدِيَةِ
الْمَعْنَى الْمُرَادِ ، وَإِلَى تَمْيِيزِ الْفَصِيحِ مِنْ غَيْرِهِ ، وَالثَّانِي مِنْهُ مَا يَبَيِّنُ فِي

بَلَوْنَا نَارَ آيِبٍ مَنْ قَدْ نَرَى فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحٍ ضَرِيحًا
هُوَ الْمَرْءُ أَبَدَتْ لَهُ الْحَادِثَا تَعَزَّيْنَا وَشَيْكَأَ وَرَأْيَا صَبِيحًا
تَنْقَلَّ فِي خَلْقٍ سُودَدٍ سَمَحًا مُرَجَّى وَبَأْسًا مَرِيحًا
فَكَالسَيْفِ إِنْ جِثَّتْ صَارِخًا وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِثَّتْ مُسْتَشِيحًا

أَنقَ لَهُ ، وَأَخَذَتْهُ الْأَرِيحِيَّةُ عِنْدَهُ ؛ إِذْ يَرَى شَعْرًا دَنَا حَتَّى أَطْمَعَ ، وَنَأَى حَتَّى
امْتَنَعَ ، وَلَا غُرُوبَ فَالْبَحْتَرَى هُوَ الَّذِي ضَرَبَ فِي قِدَاحِ الشَّعْرِ بِأَعْلَى السَّهَامِ ، وَأَخَذَ
فِي عِيُونِ الْفَضْلِ بِأَوْفَى الْأَقْسَامِ ، وَشَعْرُهُ هُوَ الَّذِي يَتَرَقَّرُقُ فِيهِ مَاءُ الطَّبْعِ وَيَرْتَفِعُ
لَهُ حِجَابُ الْقَلْبِ وَالسَّمْعِ (مَلَكَةٌ) الْمَلَكَاتُ هِيَ الصِّفَاتُ الرَّاسِخَةُ الَّتِي تَحْصُلُ بِتَكَرُّرِ
الشَّيْءِ (وَهُوَ) أَيْ مُقْتَضَى الْحَالِ (مُقَابِلَاتُ الْكَلَامِ) أَيْ أَحْوَالُهُ (فَقَامَ كُلُّ مَنْ
التَّنْكِيرُ الْخ) أَيْ فَالْحَالِ الَّذِي يَنْسَبُ بِهِ التَّنْكِيرُ يَبَيِّنُ الْحَالِ الَّذِي يَنْسَبُ بِهِ التَّعْرِيفُ
وَهَكَذَا (وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مَعَ صَاحِبَتِهَا مَقَامٌ) وَإِذَا فَلَا يَنْبَغِي لِلْبَلِيغِ أَنْ يَصْنَعَ مَا يَخَالِفُ
ذَلِكَ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَعْشَى لَوْ اسْتَبَدَلَ بِقَوْلِهِ :

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عِيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تَحَوَّقُ
قَوْلُهُ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ مُتَحَرِّقَةٍ ، لَبَّأَ عَنْهُ الطَّبْعُ ، وَأَنْكَرَتْهُ النَّفْسُ كُلُّ الْإِنْكَارِ ،
وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُ لَا يَشْبَهُ الْغَرَضَ وَلَا يَلِيْقُ بِالْحَالِ ، حَيْثُ أَنَّ الْمَعْنَى عَلَى أَنَّ هُنَاكَ
مَوْقِدًا يَتَجَدَّدُ مِنْهُ الْإِلَهَابُ وَالْإِشْعَالُ حَالًا لِحَالًا . وَإِذَا قِيلَ مُتَحَرِّقَةٌ كَانَ الْمَعْنَى

عِلْمُ مَتْنِ اللُّغَةِ ، أَوْ التَّعْرِيفِ ، أَوْ النَّحْوِ ، أَوْ يُدْرِكُ بِالْحُسِّ ، وَهُوَ مَا عَدَا
التَّعْقِيدَ الْمَعْنَوِيَّ . وَمَا يُحْتَرَزُ بِهِ عَنِ الْأَوَّلِ عِلْمُ الْمَعَانِي ، وَمَا يُحْتَرَزُ بِهِ عَنِ
التَّعْقِيدِ الْمَعْنَوِيِّ عِلْمُ الْبَيَانِ ، وَمَا يُعْرَفُ بِهِ وَجُوهُ التَّحْسِينِ عِلْمُ الْبَدِيعِ .
وَكَثِيرٌ يُسَمَّى الْجَمِيعَ عِلْمَ الْبَيَانِ ، وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّي الْأَوَّلَ عِلْمَ الْمَعَانِي ،
وَالْآخِرَيْنِ عِلْمَ الْبَيَانِ ، وَالثَّلَاثَةَ عِلْمَ الْبَدِيعِ .

الفن الأول علم المعاني

وَهُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ أَحْوَالُ اللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ الَّتِي يَطَائِقُ مُقْتَضَى
الْحَالِ . وَيَنْحَصِرُ فِي ثَمَانِيَةِ أَبْوَابٍ : أَحْوَالُ الْإِسْنَادِ الْخَبَرِيِّ ، أَحْوَالُ
الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ ، أَحْوَالُ الْمُسْنَدِ ، أَحْوَالُ مُتَعَلِّقَاتِ الْفِعْلِ ، الْقَصْرُ ، الْإِنْشَاءُ

على أن هناك نارا قد ثبتت لها وفيها هذه الصفة فحسب . وقس على هذا مثله
(للاعتبار المناسب) ألا الذي اعتبره المتكلم مناسباً بحسب السليقة ، أو بحسب
تتبع تراكيب الباء ، وهو الخصوصيات (وما يقرب منه) ظاهر عبارة المفتاح
أنه معطوف على هو والضمير في منه عائد إلى الأعلى ويكون حد الإعجاز خبراً
عنهما . وهو صحيح ، فإن التنزيل فيه ما هو متناه في البلاغة وما هو دون ذلك ،
وكلاهما وقع به الإعجاز (وأسفل) قال الرازي : وليس من البلاغة في شيء
(التحق الخ) وإن كان صحيح الإعراب (إن كل بليغ فصيح ولا عكس)
أما عبد القاهر فإنه يرى أن المصاححة والبلاغة والجزالة والبراعة ألفاظ مترادفة
(والثاني) أي تمييز الفصيح من غيره (بالحس) هو الذوق (الأول) يعني الخطأ
في تأدية المعنى المراد (أحوال اللفظ) أي الأمور العارضة له من التقديم

الفصل والوصل ، الإيجاز والإطناب والساواة . لأن الكلام إما خبر أو إنشائي ؛ لأنه إن كان لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه فخير ، وإلا فإنشائي . والخبر لا بد له من مسند إليه ومسند وإسناد ، والمسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلاً أو في معناه ؛ وكل من الإسناد والتعلق إما بقصر أو بغير قصر ، وكل جملة قرئت بأخرى إما معطوفة عليها أو غير معطوفة ، والكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة ، أو غير زائد .

« تنبيه » صدق الخبر مطابقتها للواقع ، وكذبه عدمها ؛ وقيل مطابقتها لاعتقاد المخبر ولو خطأ ، وعدمها ؛ بدليل قوله تعالى إن المنافقين لكاذبون .

والتأخير ، والتعريف والتكثير ، والفصل والوصل ، وغير ذلك مما سيأتي تفصيله (لأنه إن كان لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه فخير) يعجبنى قول بعضهم : الخبر هو القول المقتضى بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفي أو بالإثبات (أو في معناه) كالمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وما أشبه ذلك . (تنبيه) بين فيه حقيقة الصدق والكذب حيث تقدم إشارة ما إلى ذلك في قوله تطابقه أو لا تطابقه (مطابقتها للواقع الخ) وهذا هو المشهور وعليه التعويل (وقيل) القائل النظام (ولو أخطأ) أي غير مطابق للواقع (بدليل أن كان المنافقين لكاذبون) فكذبهم جل شأنه في قولهم إنك لرسول الله وإن كان مطابقاً للواقع لأنهم لم يعتقدوه . والنظام دليل آخر وهو أن من اعتقد

ورد بأن المعنى الكاذبون في الشهادة ، أو في تسميتها ، أو في المشهود به ،
في زعمهم .

« الجاحظ » مطابقة مع الاعتقاد ، وعدمها معه ، وغيرهما ليس
بصدق ولا كذب ، بدليل : أفترى على الله كذباً أم به جنة ، لأن المراد

أمراً فأخبر به ثم ظهر خبره بخلاف الواقع يقال ما كذب ولكنه أخطأ كما روى
عن عائشة أنها قالت فيمن شأنه كذلك : ما ذب ولكنه وهم ، ورد بأن المنفى
تعمد الكذب لا الكذب ، بدليل تكذيب الكافر كاليهودي إذا قال الإسلام
باطل وتصديقه إذا قال الإسلام حق كذا في الإيضاح (في الشهادة) لأن المعنى
نشهد شهادة واطأت فيها قلوبنا ألسنتنا ، كما يترجم عنه إن واللام وكون الجملة
اسمية ، فالتكذيب في قولهم نشهد وادعائهم المواطأة لافي قولهم إنك لرسول الله
(أو في تسميتها) أى في تسميتهم إخبارهم شهادة . لأن الإخبار إذا خلا عن
المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة (أو في المشهود به) يعنى قولهم إنك لرسول الله
(في زعمهم) لأنهم يعتقدون أنه خبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه فكانه
قيل إنهم يزعمون أنهم كاذبون في هذا الخبر الصادق (الجاحظ) حاصل مذهب
إليه أن الخبر ثلاثة أقسام : صادق ، وكاذب ، وغير صادق ولا كاذب ، لأن
الحكم إما مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه ، وإما غير مطابق مع
الاعتقاد أو عدمه ، فالأول أى المطابق مع الاعتقاد هو الصادق ، والثالث أى
غير المطابق مع الاعتقاد هو الكاذب ، والثاني والرابع أى المطابق مع عدم
الاعتقاد وغير المطابق مع عدم الاعتقاد كل منهما ليس بصادق ولا كاذب ،
فالصدق عنده مطابقة الحكم للواقع مع اعتقاده ، والكذب عدم مطابقة مع
اعتقاده ، وغيرهما ضربان مطابقة مع عدم اعتقاده وعدم مطابقة مع عدم

مالذاني غير الكذب . لأنه قسيمة ، وغير الصدق ، لأنهم لم يعتقدوا
ورداً بأن المعنى أم لم يفتر ، فغير عنه بالجنة ، لأن المجنون لا افتراء له .

﴿أحوال الإسناد الخبري﴾

لا شك أن قصد المخبر بخبره : إفادة المخاطب . إما الحكم ، أو كونه

اعتقاده (بالثاني) أي الإخبار حال الجنة (بأن المعنى أم لم يفتر) فيكون التقسيم
للخبر الكاذب في نوعيه الكاذب عن عمد ولا عن عمد (المخبر) أي من يريد
الإخبار لا من ينطق بالجملة الخبرية فإنه قد يقصد التحسير والتعزير . في القرآن
حكاية عن امرأة عمران : رب إني وضعتها أنثى . وفيه حكاية عن زكريا عليه
السلام : رب إني وهن العظم مني . ومثل هذا كثير ومنه قوله :

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أُمِّيمٌ^(١) أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ أَصَابِنِي سَهْمِي
فَأَنْتِ عَفَوْتَ لَأَعْفُونَ جَلَّالًا وَلَنْ سَطَوْتَ لَأَوْهِنَ عَظْمِي

(الحكم) المراد به الثبوت أو الانتفاء وكون ذلك مقصوداً للمخبر بخبره
لا يستلزم تحققه في الواقع وهذا مغزى قول من قال : إن الخبر لا يدل على
ثبوت المعنى أو انتفائه وليس مغزاه أنه لا يفهم الثبوت منه ولا الانتفاء فإن
ذلك هو مفهوم الكلام بلاريب ولا يصح إنكاره ، فإننا إذا قلنا زيد قائم
فمفهومه ثبوت القيام زيد ، وأما احتمال عدم الثبوت فليس مفهوماً للفظ أصلاً
بل احتمال عقلي من جهة صحة تخلف الدلالة لكونها وضعية (كونه) أي

(١) أميم : منادى مرخم .

عالمًا به ؛ وَيُسَمَّى الْأَوَّلُ فَائِدَةُ الْخَبَرِ ، وَالثَّانِي لَازِمُهَا ، وَقَدْ يُنْزَلُ الْعَالِمُ
بِهِمَا مَنْزِلَةً الْجَاهِلِ لِعَدَمِ جَرِيهِ عَلَى مُوجِبِ الْعِلْمِ : فَيَنْبَغِي أَنْ يَقْتَصَرَ مِنْ
التَّرَكِيبِ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ ، فَإِنْ كَانَ خَالِي الذَّهْنِ مِنَ الْحُكْمِ وَالتَّرَدُّدِ فِيهِ
أَسْتُغْنِي عَنْ مَوْكِدَاتِ الْحُكْمِ ، وَإِنْ كَانَ مُتَرَدِّدًا فِيهِ طَالِبًا لَهُ ، حَسَنَ
تَقْوِيَّتِهِ بِمَوْكِدٍ ، وَإِنْ كَانَ مُنْكَرًا وَجَبَ تَوْكِيدُهُ بِحَسَبِ الْإِنْكَارِ ،

الخبر (ويسمى الأول فائدة الخبر والثاني لازمها) قال السكاكي : والأولى
بدون هذه تمتنع وهذه بدون الأولى لا تمتنع كما هو حكم اللازم المجهول
المساواة ، أي يمتنع أن لا يحصل العلم الثاني من الخبر نفسه عند حصول الأول
منه لا امتناع حصول الثاني قبل حصول الأول مع أن سماع الخبر من الخبر
كاف في حصول الثاني منه ، ولا يمتنع أن لا يحصل الأول من الخبر نفسه عند
حصول الثاني منه لجواز حصول الأول قبل حصول الثاني وامتناع حصول
الحاصل (وقد ينزل العالم بهما منزلة الجاهل) فيلحق إلیه الكلام كما يلقى إلى
الجاهل . وقد ورد كثير آتيزيل العالم بالشئ منزلة الجاهل به لأغراض ترجع إلى
التسوية بينه وبين الجاهل . تعبيراً له وتقريباً لحاله . وإن شئت فعليك بكلام
رب العزة . ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا
به أنفسهم لو كانوا يعلمون . وانظر كيف تجد صدره يصف أهل الكتاب بالعلم
على سبيل التوكيد القسمي وآخره ينفية عنهم حيث لم يعملوا بعلمهم (فينبغي)
أي إذا كان الغرض الأصلي من الكلام ما تقدم فينبغي الخ (فإن كان الخ) أصل
هذا الكلام ما أجاب به أبو العباس عن قول الكندي المتفلسف إني لأجد في
كلام العرب حشواً ، يقولون عبد الله قائم وأن عبد الله قائم وأن عبد الله لقائم
والمعنى واحد بأن قال بل المعاني : مختلفة فعبد الله قائم إخبار عن قيامه ، وإن
عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل ، وإن عبد الله لقائم جواب عن إنكار

كما قال تعالى حِكَايَةً عَنْ رَسُولٍ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِذْ كَذَّبُوا فِي الْمَرَّةِ
الْأُولَى : إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ، وَفِي الثَّانِيَةِ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ، وَيُسَمَّى
الضَّرْبُ الْأَوَّلُ ابْتِهَائِيًّا ، وَالثَّانِي طَلَبِيًّا ، وَالثَّلَاثُ إِنكَارِيًّا ؛ وَإِخْرَاجُ
الْكَلَامِ عَلَيْهَا إِخْرَاجًا عَلَى مُقْتَضَى الظَّاهِرِ ، وَكَثِيرًا مَا يُخَرَّجُ الْكَلَامُ عَلَى
خِلَافِهِ ، فَيُجْعَلُ غَيْرُ السَّائِلِ كَالسَّائِلِ ، إِذَا قُدِّمَ إِلَيْهِ مَا يُلَوِّحُ لَهُ بِالْخَبَرِ
فَيَسْتَشْرِفُ لَهُ اسْتِشْرَافَ الْمُتَرَدِّدِ ، الطَّالِبِ ، نَحْوُ : وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الدِّينِ
ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ . وَغَيْرُ الْمُنْكَرِ كَالْمُنْكَرِ ، إِذَا لَاحَ عَلَيْهِ شَيْءٌ
مِنْ أَمَارَاتِ الْإِنْكَارِ ، نَحْوُ :

منكر (لإخراج الكلام عليها) على الوجوه المذكورة وهي الخلو من التأكيد
في الأول والتقوية بمؤكد استحساناً في الثاني ووجوب التأكيد بحسب الإنكار
في الثالث (يلوح) يشير (له) أي لغير السائل (فيستشرف له) أي فيتطلع
غير السائل للخبر ، وأصل الاستشراف أن ينظر الإنسان إلى الشيء رافعاً رأسه
باسطاً كفه على عينه كالمتقي لشعاع الشمس (نحو ولا تخاطبني) الخطاب لنوح
أي لا تكلمني يا نوح في شأن قومك ولا تشفع في دفع العذاب عنهم ، فهذا يلوح
بالخبر تلويحاً ويشعر بأنه قد حق عليهم العذاب فصار المقام مقام أن يتردد
المخاطب في أنهم صار محكوماً عليهم بالإغراق أم لا . فقل إنهم مفرقون مؤكداً
ونحوه : وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء وصل عليهم إن صلاتك سكن
لهم ، ومثل هذا قول بعض العرب :

فَعَنْبٌ وَهِيَ لَكَ الْفِدَاءُ إِنَّ غِنَاءَ الْإِبِلِ الْخُدَاءُ

نجا شقيق عارض رُحمة إن بني عمك فيهم رِماح
والمنكر كغير المنكر إذا كان معه ما إن تأمله ارتدع ، نحو :
لا ريب فيه .

ومنه قول بشار بن برد :

بكر أصحابي قبل الهجير إن ذاك النجاح في التبيكير

وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض (نحو جاء شقيق) فإن بجيئه هكذا مدلا بشجاعته قد وضع رُحمة عرضاً دليل على إعجاب شديد منه واعتقاده أنه لا يقوم إليه من بني عمه أحد ، كأنهم كلهم عزل ليس مع أحد منهم ربح . والبيت لحجل بن فضلة أحد بني عمرو بن عبد القيس بن معن وهو أحد أولاد عم شقيق الذي جاء لمحاربتهم ، ومثل البيت قوله تعالى : ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، مؤكداً بأن واللام وإن كان مما لا ينكر لأن تمامهم في الغفلة والإعراض عن العمل لما بعده من أمارات الإنكار (نحو لا ريب فيه) أي ليس مظاً للريب لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه . ومقتضى صنيعة في الإيضاح إن ذلك تنظير لتزليل الشيء منزلة عدمه فينبغي كما نزل الإنكار منزلة عدمه فنفي مقتضاه وهو التأكيد (تكملة) قال الشيخ عبد القاهر : قد تدخل كلمة إن الدلالة على الظن قد كان منك أيها المتكلم في الذي كان أنه لا يكون . كقولك للشيء هو برأى من المخاطب ومسمع : إنه كان من الأمر ما ترى ، وكان مني إلا فلان إحسان ثم إنه جعل جزائي ما رأيت ، فتجعلك كأنك ترد على نفسك ظنك الذي ظننت وتبين الخطأ الذي توهمت . ومن خصائصها أن تضمير الشأن معها حسناً ولطفاً ليس بدونها بل لا يصلح إلا بها وذلك في مثل قول رب العزة : إنه من يتق

وَهَكَذَا اَعْتِبَارَاتِ النَّفْيِ « ثُمَّ الْإِسْنَادُ » بِشَيْءٍ حَقِيقَةٍ عَقْلِيَّةٍ . وَهِيَ

وَيَصِيرُ . فَإِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ، وَمِنْ لَطِيفِ ذَلِكَ مَا تَجِدُهُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْآيَاتِ
الَّتِي أَنْشَدَهَا الْجَاهِظُ لِبَعْضِ الْحِجَازِيِّينَ :

إِذَا طَمَعُ يَوْمًا لَحْرَانِي قَرَيْتُهُ كَسَاتِبَ يَأْسٍ كَرَّهَا وَاطَّرَادَهَا
أَكْدُ ثِمَادِي وَابْهَاءَ كَثِيرَةٍ أَعَالِجُ مِنْهَا حَفَرَهَا وَاكْتَدَادَهَا (١)
وَأَرْضِي بِهَا مِنْ بَحْرِ آخِرٍ إِنَّهُ هُوَ الرَّيُّ أَنْ تُرَضَى النُّفُوسُ ثِمَادَهَا

وَمَا تَصْنَعُهُ إِنْ فِي الْكَلَامِ أَنْكَ تَرَاهَا تَهْيِءُ النِّكَرَةَ لِأَنْ تَكُونَ مَبْتَدَأَ كَقَوْلِهِ :

إِنْ شِوَاءٍ وَاشِوَةٍ وَخَبَبَ الْبَازِلِ الْأُمُونِ (٢)

وَلِإِنْ كَانَتِ النِّكَرَةُ مَوْصُوفَةً تَرَاهَا مَعَ أَنْ أَحْسَنَ كَقَوْلِهِ :

إِنَّ دَهْرًا يَنْفُشُ شَمْلِي بِسُعْدَى لَزَمْتُ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ

وَمِنْ تَأْثِيرِ إِنْ فِي الْجُمْلَةِ أَنَّهَا تَغْنَى عَنِ الْخَبَرِ نَحْوُ :

إِنْ مَحَلًّا وَإِنْ مُرْتَحَلًا وَإِنْ فِي النَّفْسِ إِنْ مَضَوْا مَهَلًا

فَلَوْ أَسْقَطَ إِنْ لَمْ يَحْسُنِ الْحَدْفُ أَوْ لَمْ يَسْغُ (وَهَكَذَا اَعْتِبَارَاتِ النَّفْيِ)
فَيَسْتَفْنَى عَنِ التَّأْكِيدِ فِي الْإِبْتِدَائِيِّ وَيَحْسُنُ تَأْكِيدُهُ فِي الطَّلَبِ ، وَيَجِبُ تَأْكِيدُهُ
بِحَسَبِ الْإِنْكَارِ فِي الْإِنْكَارِيِّ وَيَخْرُجُ الْكَلَامُ فِيهِ عَلَى خِلَافِ مَقْتَضَى الظَّاهِرِ
وَالْمَثَلُ ظَاهِرَةٌ (ثُمَّ الْإِسْنَادُ مِنْهُ الْخ) اَعْلَمْ أَنَّ سَبَبَ تَسْمِيَةِ الْإِسْنَادِ فِي هَذَيْنِ
الْقِسْمَيْنِ مِنَ الْكَلَامِ عَقْلِيًّا هُوَ اسْتِنَادُهُ إِلَى الْعَقْلِ دُونَ الْوَضْعِ ، لِأَنَّ إِسْنَادَ
الْكَلِمَةِ إِلَى الْكَلِمَةِ شَيْءٌ يَحْصُلُ بِقَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ دُونَ وَاضِعِ اللَّغَةِ ، فَلَا يَصِيرُ

(١) الثِّمَادُ جَمْعُ ثَمْدٍ : وَهُوَ الْمَاءُ الْقَائِلُ :

(٢) الْمَطِيَّةُ الْمَوْثِقَةُ الْخُلُقِ الْمَأْمُونَةُ الْعِشَارِ .

إِسْنَادُ الْعَمَلِ أَوْ مَعْنَاهُ إِلَى مَا هُوَ لَهُ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ فِي الظَّاهِرِ كَقَوْلِ الْمُؤْمِنِ :
أَنْبَتَ اللَّهُ الْبَقْلَ ، وَقَوْلِ الْجَاهِلِ : أَنْبَتَ الرَّبِيعُ الْبَقْلَ ، وَكَقَوْلِكَ :
تَجَاءَ زَيْدٌ وَأَنْتَ أَتَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَجِئْ ، وَمِنْهُ تَجَازَى عَقْلِي وَهُوَ إِسْنَادُهُ إِلَى

ضَرْبِ خَبَرٍ عَنْ زَيْدٍ بِوَضْعِ اللَّغَةِ بَلْ يَمْنُ قَصْدُ إِثْبَاتِ الضَّرْبِ فَعَلَا لَهُ وَإِنَّمَا
الَّذِي يَعُودُ إِلَى وَاضِعِ اللَّغَةِ إِنْ ضَرْبُ إِثْبَاتِ الضَّرْبِ لَا لِإِثْبَاتِ الْخُرُوجِ وَأَنَّهُ
لِلْإِثْبَاتِ فِي زَمَانٍ مَاضٍ وَلَيْسَ لِإِثْبَاتِهِ فِي زَمَانٍ مُسْتَقْبَلٍ ، فَأَمَّا تَعْيِينُ مَنْ ثَبَتَ لَهُ
فَإِنَّمَا يَتَعَلَقُ بِمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ مِنَ الْمُخْبِرِينَ وَلَوْ كَانَ لَغَوِيًّا لَسَكَانَ حَكْمُنَا بِأَنَّهُ تَجَازَى
فِي مِثْلِ قَوْلِنَا خَطَّ أَحْسَنُ مِمَّا وَشَى الرَّبِيعُ مِنْ جِهَةِ أَنَّ الْفِعْلَ لَا يَصِحُّ إِلَّا مِنَ الْحَيِّ
الْقَادِرِ حَكْمًا بِأَنَّ اللَّغَةَ هِيَ الَّتِي أَوْجِبَتْ أَنْ يَخْتَصَّ الْفِعْلُ بِالْحَيِّ الْقَادِرِ دُونَ الْجَمَادِ
وَذَلِكَ عَمَّا لَا شَكَّ فِي بَطْلَانِهِ (أَوْ مَعْنَاهُ) الْمُرَادُ بِمَعْنَى الْفِعْلِ نَحْوُ الْمَصْدَرِ وَاسْمِ
الْفَاعِلِ وَاسْمِ الْمَفْعُولِ وَالصِّفَةِ الْمُشَبَّهَةِ وَاسْمِ التَّفْضِيلِ وَالظَّرْفِ (فِي الظَّاهِرِ) مُتَعَلَقٌ
بِقَوْلِهِ لَهُ وَإِنَّمَا قَالَ فِي الظَّاهِرِ لِيَشْمَلَ مَا لَا يَطَابِقُ اعْتِقَادَ الْمُتَكَلِّمِ بِمَا يَطَابِقُ الْوَاقِعَ
وَمَا لَا يَطَابِقُهُ ، فَأَقْسَامُ الْحَقِيقَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَرْبَعَةٌ مِثْلُ ثَلَاثَةٍ مِنْهَا وَهِيَ مَا يَطَابِقُ الْوَاقِعَ
وَالْإِعْتِقَادَ جَمِيعًا ، وَمَا يَطَابِقُ الْإِعْتِقَادَ فَقَطْ ، وَمَا لَا يَطَابِقُ الْوَاقِعَ وَالْإِعْتِقَادَ .
أَمَّا مِمَّا لَا يَطَابِقُ الْوَاقِعَ فَقَطْ فَقَوْلُ الْمُعْتَزَلِيِّ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ حَالَهُ وَهُوَ يَخْفِيهَا مِنْهُ :
خَلَقَ اللَّهُ الْأَفْعَالَ كُلَّهَا (أَنْبَتَ الرَّبِيعُ الْبَقْلَ) مِثْلُهُ قَوْلُ الْكَفَّارِ : وَمَا يَهْلِسُ كُنَّا
إِلَّا الدَّهْرُ ، فَهَذَا وَنَحْوُهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ قَائِلُهُ عَلَى أَنَّهُ مُتَأَوَّلٌ بَلْ أَطْلَقَهُ بِجَهْلِهِ
وَعَمَاهُ إِطْلَاقٌ مِنْ يَضَعُ الصِّفَةَ فِي مَوْضِعِهَا لَا يَوْصِفُ بِالْمَجَازِ ، وَاسْكَنْ يَقَالُ عِنْدَ
قَائِلِهِ إِنَّهُ حَقِيقَةٌ وَهُوَ كَذِبٌ وَبَاطِلٌ (بِمَجَازِ عَقْلِي) وَبِسْمِي مَجَازًا حَكْمِيًّا وَمَجَازًا
فِي الْإِثْبَاتِ وَإِسْنَادًا مَجَازِيًّا (إِسْنَادُهُ) أَيْ الْفِعْلُ أَوْ مَعْنَاهُ (بِتَأَوَّلِ) مُتَّصِلٌ

مَلَابِسٍ لَهُ غَيْرِ مَا هُوَ لَهُ بِتَأْوِيلٍ ؛ وَلَهُ مَلَابَسَاتٌ شَتَّى ، يَلَابِسُ الْفَاعِلُ
وَالْمَفْعُولَ بِهِ ، وَالْمَصْدَرُ ، وَالزَّمَانُ وَالْمَكَانُ ، وَالسَّبَبُ ؛ فَيُسْنَدُهُ إِلَى الْفَاعِلِ
وَالْمَفْعُولِ بِهِ ، إِذَا كَانَ مَبْنِيًّا لَهُ ، حَقِيقَةً ، كَمَا مَرَّ ، وَإِلَى غَيْرِهِمَا لِلْمَلَابَسَةِ

بإسناده ، والتأويل من آل إلى كذا يرجع إليه ومعناه تطيب المال من الحقيقة
أو الموضع الذي إليه من العقل وحاصل . ذلك أن تنصب قرينة صارفة للإسناد
على أن يكون إلى ما هو (وله) أي للفعل . . . واعلم ، أن هذا الضرب من المجاز
على حدته كثر من كنوز البلاغة وذخر يعتمد إليه الكاتب البليغ والشاعر المفلق
والخطيب المصقع ، وربما يدور بخلدك أن الإبداع فيه أمر يستطيعه كل الناس
وينجم هذا الظن من أنك ترى الرجل يقول أتى بي الشوق إلى لقائك ، وسارني
الحنين إلى رؤيتك ، وأشبه ذلك مما تجده لشهرته يجرى بجرى الحقيقة التي
لا يشك أمرها ، وهو عمرك الله على خلاف ما تظن . فإنك لتراد يدق ويلطف
حتى يمتنع مثله على الفحول البزل ، وحتى يأتيك بالبدعة لم تعرفها والنادرة تألق
لهنا . . . هذا ، وليس كل شيء يصلح لأن تتعاطى فيه انجهاز العقلي بسهولة بل
تجدك في كثير من الأمر وأنت تحتاج إلى أنت تهيه الشيء وتصلحه له بشيء
تتوخاه في النظم كقول من يصف جملاً :

تَنَاسَ طِلَابَ الْعَامِرِيَّةِ إِذْ نَأَتْ بِأُسْجَحِ مِرْقَالِ الضُّحَى قَلِقَ الضُّفْرُ (١)

(١) الأسجح : الرقيق المشفر . ومِرْقَال الضحى : أي يسرع السير في الضحى

وهو وقت الحر . والضفر : حزالم الرجل .

مجاز . كَقَوْلِهِمْ عَيْشَةً رَاضِيَةً ، وَسَيِّئًا مُفْعَمًا ، وَشِعْرًا شَاعِرًا ، وَنَهَارًا
حَسَنًا ، وَنَهْرًا جَارًا ، وَبَنَى الْأَمِيرُ الْمَدِينَةَ : وَقَوْلُنَا بِتَأْوِيلٍ يُخْرِجُ مَا مَرَّ
مِنْ قَوْلِ الْجَاهِلِ ، وَلِهَذَا لَمْ يُحْمَلْ نَحْوُ قَوْلِهِ :

إِذَا مَا أَحْسَنَهُ الْأَفَاعِي تَحَيَّرَتْ شَوَاةُ الْأَفَاعِي مِنْ مُثَلِّمَةِ سُمر (١)
تَجُوبُ لَهُ الظُّلُمَاءُ عَيْنٌ كَأَنَّهَا زُجَاجَةٌ شَرِبَ غَيْرُ مَالَى وَلَا صِفَرٍ
يريد أن يهتدى بنور عينه في الظلمات ويمكنه بها أن يخرقها ويمضي فيها
ولولاها لكانت الظلماء كالسد الذي لا يجد السائر شيئاً يفرجه به ويجعل لنفسه
فيها سبيلاً ، فلولا أنه قال تجوب له فعلق له بتجوب لما صلحت العين لأن يسند
تجوب ، إليها ولكان لا تتبين جهة التجوز في جعل تجوب فعلا للعين كما ينبغي ،
وكذلك لو قال تجوب له الظلماء عينه لم يكن له هذا الموقع ولا اضطرب عليه
معناه . وانقطع السلك من حيث كان يعيبه حينئذ أن يصف العين بما وصفها به
الآن (مفعم) أى غلوه ، سائحة ، قال الشيخ عبد القاهر : وبما طريق المجاز فيه
الحكم قول الخنساء :

تَرْتَعُ مَا رَتَعْتَ حَتَّى إِذَا أَذْكَرْتُ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ
وذلك أنها لم ترد بالإقبال والإقبال غير معناها فتكون قد تجوزت في نفس
الكلمة وإنما المجاز في أن جعلتها لكثرة ما تدبر وتقبل كأنها تجسمت من الإقبال
والإدبار ، وليس أيضاً على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وإنما
كانوا يذكرونه منه ، إذ لو قلنا أريد إنما هي ذات إقبال وإدبار أفسدنا الشعر

(١) يقول إذا سار ليلاً واحست به الافاعي وهي بعيدة عن جحورها
تحيّرت : أى تلوت ، شواتها : أى أطرافها أو انقبضت جلدها وتنحّت ، والمثلية :
السمر . يريد أخفافها التي تلمها السير على الحجازة .

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ كَرَّ الْغَدَاةِ وَمَرُّ الْعَشِيِّ
عَلَى الْمَجَازِ ، سَأَلَمَ يُعْلَمُ أَوْ يُظَنُّ أَنَّ قَائِلَهُ لَمْ يَرِدْ ظَاهِرُهُ ، كَمَا اسْتَدِلَّ
عَلَى أَنَّ إِسْنَادَ مِيزَ فِي قَوْلِ أَبِي النَّجْمِ :

مِيزَ عَنْهُ قُنْزُعًا عَنْ قُنْزِعِ جَذَبُ اللَّيَالِي أَبْطَى أَوْ أَسْرَعِي
مَجَازُ بِقَوْلِهِ عَقِيبَهُ : * أَفْنَاهُ قِيلُ اللَّهِ لِلشَّمْسِ اطْلَعِي * (وَأَقْسَمَهُ

على أنفسنا وخرجنا إلى شيء مغسول وإلى كلام عامي مرذول لا مساغ له عند
من هو صحيح الذوق ، صحيح المعرفة ، نسابة للبعاني (نحو قوله أشاب) وقول
أبي الإصبع :

أَهْلَكْنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَعَا وَالذَّهْرُ يَغْدُو مُصَمَّمًا جَذَعًا
(أشاب) هو للصِّلَتَانِ الْعَبْدِيُّ الشَّاعِرُ الْخَمَاسِيُّ وَبَعْدَهُ :

إِذَا لَيْلَةٌ أَهْرَمَتْ يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَتِي
نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَنْقُضِي
تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ
(ميز) قبله :

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الْخِيَارِ تَدْعِي عَلَى ذَنْبًا كَلَّهُ لَمْ أَصْنَعِ
مِنْ أَنْ رَأَيْتُ رَأْيِي كَرَأْسِ الْأَصْنَعِ

ميز : أى فصل عنه أى عن رأسه ، والقنزع : الشعر المجتمع فى نواحي الرأس -
وجذب الليالى : مضىها وتعاقبها ، وقوله أبطى أو أسرعى : حال من الليالى على
تقدير القول أى مقولا فيها ويجوز أن يكون الأمر بمعنى الخير (أفناه) تمامه

أَرْبَعَةٌ) لَأَنَّ طَرَفَيْهِ إِذَا حَقِيقَتَانِ ، نَحْوُ : أَنْبَتَ الرَّبِيعُ الْبَقْلَ ، أَوْ مَجَازَانِ
نَحْوُ : أَحْيَا الْأَرْضَ شَبَابَ الزَّمَانِ ، أَوْ مُخْتَلِفَانِ ، نَحْوُ أَنْبَتَ الْبَقْلَ شَبَابُ
الزَّمَانِ ، وَأَحْيَا الْأَرْضَ الرَّبِيعَ : وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ : وَإِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ
آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ، يَذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ . يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ، يَوْمًا يَجْعَلُ

* حَتَّى إِذَا وَارَاكَ أَفَقٌ فَأَرْجَعِي *

(لأن طرفيه) وهما المسند والمسند إليه (حقيقتان) لغويتان (نحو أنبت
الربيع البقل) مثله قوله :

* وَشَيْبَ أَيَّامِ الْفِرَاقِ مَفَارِقِي *

وقول جرير :

لَقَدْ لَمَسْنَا يَا أُمَّ غِيْلَانَ فِي السَّرَى وَنَمَتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمِ
(مجازان) لغويان (نحو أحيا الأرض شباب الزمان) فإن المراد بإحياء
الأرض لإحداث النضرة والخضرة الناشئة عن تهييج القوى المنمية فيها ،
والإحياء في اللغة : إعطاء الحياة ، وهي صفة تقتضي الحس والحركة الإرادية .
والمراد بشباب الزمان : زمان ازدياد قواها المنمية ، والشباب في اللغة : كون
الحيوان في زمان تكون حرارته الغريزية مشبوبة (وأحيا الأرض الربيع)
مثله قول أبي الطيب :

وَتُحْيِي لَهُ الْمَالَ الصَّوَارِمُ وَالْقِنَا وَيَقْتُلُ مَا يُحْيِي التَّبَسُّمُ وَالْجَدَا
جعل الزيادة والوفور حياة للسهل ، وتفريقه في العطاء قتلا له ، ثم أنبت
الإحياء فعلا للصوارم ، والقتل فعلا للتبسم ، مع أن الفعل لا يصح منهما ، ونحوه
قولهم : أهلك الناس الدينار والدرهم ، جعلت الفتنة إهلاكاً ثم أنبت الإهلاك
فعلا للدينار والدرهم (وإذا تليت الخ) فأثبت الفعل في جميع ذلك لما لا يثبت له .

الْوِلْدَانِ شَيْبًا ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا . وَغَيْرُ مُخْتَصِرٍ بِإِخْبَارِ بَانَ
يَجْرِي فِي الْإِنْشَاءِ نَحْوُ : يَا هَامَانَ ابْنِي لِي صَرْحًا . وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ قَرِينَةٍ
لَفْظِيَّةٍ ، كَمَا مَرَّ ، أَوْ مَعْنَوِيَّةٍ ، كَأَسْتَحَالَةَ قِيَامِ الْمُسْنَدِ بِالْمَذْكُورِ عَقْلًا
كَقَوْلِكَ : مَحَبَّتِكَ جَاءَتْ بِي إِلَيْكَ ، أَوْ عَادَةَ نَحْوِ : هَزَمَ الْأَمِيرُ الْجُنْدَ ،
وَصَدَّوْهُ عَنِ الْمَوْحِدِ فِي مِثَالِ : أَشَابَ الصَّغِيرَ . وَمَعْرِفَةَ حَقِيقَتِهِ إِمَّا

فَعَل . إِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْمَعْقُولِ ، عَلَى مَعْنَى السَّبَبِ (أَثْقَالُهَا) مَا كُنْزَ فِيهَا وَأَوْدَعَ
جَوْفَهَا (نَحْوُ يَا هَامَانَ ابْنِي لِي صَرْحًا) فَأَثْبَتَ الْبِنَاءَ لِهَامَانَ وَإِنَّمَا هُوَ لِلْعَمَلَةِ
وَهَامَانَ أَمْرٍ (كَمَا مَرَّ) يَرِيدُ قَوْلَ أَبِي النَّجْمِ : أَفْنَاهُ قِيلَ اللَّهُ (بِالْمَذْكُورِ) أَيْ
بِالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ الْمَذْكُورِ مَعَ الْمُسْنَدِ (وَمَعْرِفَةَ حَقِيقَتِهِ) قَالَ الْإِمَامُ عَبْدُ الْقَاهِرِ :
أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَاجِبٍ فِي هَذَا الْحِجَازِ أَنْ يَكُونَ لِلْفِعْلِ فَاعِلٌ فِي التَّقْدِيرِ إِذَا أَنْتَ
أَسْنَدْتَ الْفِعْلَ إِلَيْهِ عَدْتَ بِهِ إِلَى الْحَقِيقَةِ ، مِثْلُ أَنْتَ تَقُولُ فِي رِجْلَيْ تِجَارَتِهِمْ :
وَيَحْوُوا فِي تِجَارَتِهِمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَتَأْتِي فِي كُلِّ شَيْءٍ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يُمْكِنُكَ
أَنْ تَثْبِيتَ لِلْفِعْلِ فِي قَوْلِكَ أَقْدَمَنِي بِذَلِكَ حَقٌّ لِي فَاعِلًا سِوَى الْحَقِّ ، وَكَذَا
لَا نَسْتَطِيعُ فِي قَوْلِهِ

وَصَيَّرَنِي هَوَاكَ وَبِي لِحَيِّنِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ

وَقَوْلُهُ يَزِيدُكَ وَجْهَهُ ، أَلْبَيْتُ ، أَنْ تَزْعِمَ أَنْ لَهُ فَاعِلًا قَدْ نَقَلَ عَنْهُ الْفِعْلَ فَجَعَلَ
لَهُوًى وَلَوْجْهَهُ ؛ فَالْإِعْتِبَارُ إِذَنْ بِأَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْفِعْلُ مَوْجُودًا
فِي الْبِكَلَامِ عَلَى حَقِيقَتِهِ . مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْقُدُومَ مَوْجُودًا عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَكَذَا
الْحَصْرُورَةَ وَالزِّيَادَةَ مَوْجُودَتَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَإِذَا كَانَ مَعْنَى الْإِفْظِ مَوْجُودًا

فَذَهَرَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : مَا رَزَحْتَ تَحَارَتِهِمْ ، أَيْ مَا رَزَحُوا فِي تَحَارَتِهِمْ ،
وَأَمَّا خَفِيَّةٌ ، كَمَا فِي قَوْلِكَ : سَرَّتَنِي رُؤْيَاكَ ، أَيْ سَرَّني اللهُ عِنْدَ رُؤْيَاكَ
وَقَوْلِهِ : يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حُسْنًا * إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرًا

على الحقيقة لم يكن المجاز فيه نفسه فيكون في الحكم . قال الرازي : فيه نظر
لأن الفعل لابد من أن يكون له فاعل حقيقة لامتناع صدور الفعل لا عن
فاعل . فهو إن كان ما أسند إليه الفعل فلا مجاز وإلا فيمكن تقديره . فزعم
السكاكي أن الحق في جانب الرازي ، وأن فاعل هذه الأفعال هو الله تعالى
وتسعه المصنف في ذلك ، قال التفتازاني : وفي ظني أن هذا تكلف والحق ما ذكره
الإمام : وهذا صحيح لأن تقدير الفاعل الموجد ، وهو الله تعالى ، في مثل هذه
الأفعال تقدير آلم لا يقصد في الاستعمال . ولا يتعلق به الغرض في التراكيب
(يزيدك) مؤلاني نواس من قصيدة يهجو فيها الأعراب لتعشقهم النساء
دون الغلمان ، ومثله قول حاجر بن عوف :

أَيَّ عَبَرِ الْفَوَارِسِ يَوْمَ دَاجٍ وَعَمَّى مَالِكٌ وَضَعَ نِسِيَهَا^(١)
فَلَوْ صَاحَبْتِنَا لَرَضِيَتْ عَنَّا إِذَا لَمْ تَغْبُقِ الْمِائَةَ الْغُلَامَا^(٢)

يزيد إذا كان العام عام جذب ، وجفت ضروع الإبل ، حتى إن حلب منها
مائة لم يحصل من لبنها ما يكون غبوق غلام واحد . فالفعل هو الذي غبق

(١) عبر الفوارس : وزنها وعرف عددها وقوتها ، واحتال بعد ذلك

بالهزيمة عندما عرفه العدو حتى رجع إلى قومه وكانوا كامنين ، فثاروا على
أعدائهم وقتلواهم . ويوم داج : أي يوماً داجياً ، أي مظلياً بالسحاب .

(٢) أي إذا لم يكف لبن مائة ناقة لغبوق غلام واحد ، أي عند الجذب

أَيَّ يَزِيدُكَ اللَّهُ حُسْنًا فِي وَجْهِهِ : وَأَنْكَرَهُ السَّكَاكِيُّ ذَاهِبًا إِلَى أَنَّ
مَا مَرَّ وَنَحْوَهُ اسْتِعَارَةٌ بِالْكِنَايَةِ ، عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالرَّبِيعِ الْفَاعِلَ الْحَقِيقِيَّ
بِقَرِينَةٍ نِسْبَةِ الْإِنْبَاتِ إِلَيْهِ ، وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ غَيْرُهُ . وَفِيهِ نَظَرٌ : لِأَنَّهُ
يَسْتَأْنِفُ أَنَّ يَكُونَ الْمُرَادُ بِعَيْشَةٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ، صَاحِبَهَا
كَأَسْيَأَتِي . وَأَنَّ لَا تَصِحَّ الْإِضَافَةُ فِي نَحْوِ نَهَارُهُ صَائِمٌ ، لِإِبْطَالِ الْإِضَافَةِ
الشَّيْءِ إِلَى نَفْسِهِ ، وَأَنَّ لَا يَكُونَ الْأَمْرُ بِالْبِنَاءِ لِهَامَانَ ، وَأَنَّ يَتَوَقَّفَ نَحْوُ :

مُسْتَعْمَلٌ فِي نَفْسِهِ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، وَالْمَجَازُ فِي إِسْنَادِهِ إِلَى الْإِبْلِ وَجَعَلَهُ فَعْلًا لَهَا
(وَأَنْكَرَهُ السَّكَاكِيُّ) وَهَآكَ مَاقَالُهُ : الَّذِي عِنْدِي هُوَ نَظْمُ هَذَا النَّوْعِ فِي سَبَلِ
الْإِسْتِعَارَةِ بِالْكِنَايَةِ بِجَعْلِ الرَّبِيعِ اسْتِعَارَةً بِالْكِنَايَةِ عَنِ الْفَاعِلِ الْحَقِيقِيِّ ،
بِوَسَاطَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي التَّشْبِيهِ وَجَعَلَ نِسْبَةَ الْإِنْبَاتِ إِلَيْهِ قَرِينَةً لِلْإِسْتِعَارَةِ ، وَبِجَعْلِ
الْأَمِيرِ الْمُدَبِّرِ لِأَسْبَابِ هَزِيمَةِ الْعَدُوِّ ، اسْتِعَارَةً بِالْكِنَايَةِ عَنِ الْجُنْدِ الْهَازِمِ
وَجَعَلَ نِسْبَةَ الْهَزِيمِ إِلَيْهِ قَرِينَةً لِلْإِسْتِعَارَةِ (وَفِيهِ نَظَرٌ) إِنْ مَا أَوْرَدَهُ الْمُصَنِّفُ
عَلَى مَذْهَبِ السَّكَاكِيِّ لَا يَتِمُّ إِلَّا إِذَا كَانَ الْمُرَادُ بِالشَّيْءِ نَفْسَ الْمَشْبَهِ بِهِ حَقِيقَةً
وَالسَّكَاكِيُّ صَرَحَ أَنَّ الْمُرَادَ الْمَشْبَهَ بِهِ ادِّعَاءُ فَاعِرِفَ هَذَا حَتَّى تَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ
مِنَ الْأَمْرِ ، نَعَمْ قَدْ رَدُّوا مَذْهَبَهُ فِي الْإِسْتِعَارَةِ بِالْكِنَايَةِ بِمَا يَصْعَبُ دَفْعُهُ
وَسَيَمُرُّ بِكَ فِي مَحَلِّهِ (أَنَّ يَكُونَ الْمُرَادُ بِعَيْشَةٍ صَاحِبَهَا) وَهُوَ بَاطِلٌ إِذْ لَا مَعْنَى
لِقَوْلِنَا فَهُوَ صَاحِبُ عَيْشَةٍ (كَمَا سَيَأْتِي) يُرِيدُ تَفْسِيرَ الْإِسْتِعَارَةِ بِالْكِنَايَةِ
عَلَى مَذْهَبِ السَّكَاكِيِّ (وَأَنَّ لَا تَصِحَّ الْإِضَافَةُ) لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّهَارِ حِينَئِذٍ فَلَانِ
نَفْسِهِ . يَعْنِي وَقَدْ وَقَعَتْ هَذِهِ الْإِضَافَةُ فِي الْبَلِيغِ مِنَ الْكَلَامِ : فَارْجَحْتَ تِجَارَتَهُمْ
(وَأَنَّ لَا يَكُونَ الْأَمْرُ بِالْبِنَاءِ لِهَامَانَ) لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ حِينَئِذٍ هُوَ الْعَمَلَةُ أَنْفُسُهُمْ
وَاللَّازِمُ بَاطِلٌ ، لِأَنَّ النَّدَاءَ لَهُ وَالْخُطَابَ مَعَهُ (وَأَنَّ يَتَوَقَّفَ) لِأَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ

أثبت الراسع البقل على السمع : وَاللَّوْازِمُ كُلُّهَا مُشْتَفِيَةٌ ؛ وَلِأَنَّهُ يَنْتَقِضُ
بِنَحْوِ : نَهَارُهُ صَائِمٌ ، لاشْتِمَالِهِ عَلَى ذِكْرِ طَرَفِي التَّشْبِيهِ .

﴿ أَحْوَالُ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ ﴾

أما حذفه : فَلِلْإِحْتِرَازِ عَنِ الْعَبَثِ بِنَاءً عَلَى الظَّاهِرِ ، أَوْ تَخْيِيلِ
الْعُدُوِّ إِلَى أَقْبَوَى الدَّلِيلَيْنِ مِنَ الْعَقْلِ وَاللِّفْظِ كَقَوْلِهِ :

توقيفية ، يعني وليس كذلك ، لأن مثل هذا التركيب صحيح شائع ، سمع من
الشارع أو لم يسمع (لاشتماله الخ) وذلك يمنع من حمل الكلام على الاستعارة
كما صرح به السكاكي ، لكن أجابوا عن هذا بأن ذلك إنما يكون مانعاً إذا كان
ذكرهما على وجه ينبيء عن التشبيه مثل زيد أسد ، وبعد ، فقط اعتاد السكاكي
أن يخالف أئمة البلاغة فيما لا غناء في مخالفتهم فيه ، وما كان أغنانا عن معرفة
مذهبه هذا . وحبذا عمل المصنف لو أنه جعله دبر أذنه (أما حذفه) قال
عبد القادر يصف الحذف : إنه لعجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به
ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك
أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين (فللاحتراز الخ)
يقول : إن المسند إليه — بعد أن تدل عليه القرينة — تختلف مقاصد البلغاء
من حذفه ، فتارة يكون الغرض التجرّز عن العبث ، لأن ذكره يعد عبثاً
لدلالة القرينة عليه وعلم السامع به ، وأخرى يكون لتخييل أن في تركه تعويلاً
على شهادة العقل ، وفي ذكره تعويلاً على شهادة اللفظ من حيث الظاهر ، وكما بين
الشهادتين ، إلى آخر ما ذكره ، هذا . وإنما قال تخييل لأن الدال حقيقة

٥ قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتَ عَلِيلٌ * أَوْ اخْتِيارَ تَنْبَهُ السَّامِعِ عِنْدَ
الْقَرِيْنَةِ ، أَوْ مِقْدَارِ تَنْبَهُ ، أَوْ إِيْهَامِ صَوْتِهِ عَنْ لِسَانِكَ ، أَوْ عَكْسِهِ ، أَوْ
تَأْتِي الْإِنْكَارِ لَدَى الْحَاجَةِ ، أَوْ تَعْيِيْنِهِ ، أَوْ ادِّعَاءِ التَّعْيِيْنِ ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ،

عند الحذف هو اللفظ المدلول عاينه بالقرائن (قال لي) تمامه :

٥ سهر دائم وحزن طويل * فلم يقل أنا عليل للاحتراز أو التخيل . وربما
يكون الحذف لغير ذلك لأن لكل امرئ في باب البلاغة مانوي (أَوْ إِيْهَامِ صَوْتِهِ
عَنْ لِسَانِكَ) تعظيماً له (أَوْ عَكْسِهِ) أي إِيْهَامِ صَوْنِ لِسَانِكَ عَنْهُ تَحْقِيقاً لَهُ
(أَوْ تَأْتِي) أي تيسر الإنكار عند الحاجة إلى الإنكار ، نحو نذل لثيم ، عند
قيام القرينة على أن المراد زيد ، ليتأتى لك أن تقول ما أردت زيدا بل غيره
(أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ) كاتباع الاستعمال الوارد على تركه مثل رمية من غير رام
وشنشة (١) أعرفا من أخزم ، أو على ترك نظائره كما في الرفع على المدح أو
الذم أو الترحم ، فإنهم لا يكادون يذكرون فيه المبتدأ ، قال :

هُمْ حَلَوُ مِنَ الشَّرَفِ الْمُعَلَّى وَمِنْ كَرَمِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاؤُوا
بُنَاةٌ مَبْكَارِمٍ وَأُسَاةٌ كُلَّمِ دِمَاؤُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشِّفَاءُ
وقال الحماسي :

رَأَيْتَنِي عَلَى مَا بِي نَعْمِيْلَةٌ فَاشْتَكَيْتُ إِلَى مَا لِي حَالِي أَسَمَّ كَمَا - هَرَّ

(١) هو لابي أخزم الطائي وكان له ابن عاق يقال له أخزم . فبات وترك

بنين ، فوثبوا يوماً على جدهم أبي أخزم فأدموه فقال :

لأن بني ضرجوني بالدم شنشنة أعرفا من أخزم

يعني أن هؤلاء أشبهوا أباهم في العقوق ، والشنشنة : الطيبة والعادة .

وَأَمَّا ذِكْرُهُ فَلْيَكُونِ الْأَصْلَ وَلَا مُقْتَضَى لِلْعُدُولِ عَنْهُ ، أَوْ لِلِاحْتِيَاظِ

غَلَامًا رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ يَافِعًا لَهُ سِيمَاءٌ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ
وقال الأفيشر في ابن عم له موسر سأله فذمه ، فشكاه إلى القوم وذمه ،
فوثب إليه ابن عمه ولطمه :

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعٍ
حَرِيسٌ عَلَى الدُّنْيَا مُضِيعٌ لِدِينِهِ وَلَيْسَ لِمَا فِي بَيْتِهِ بِمُضِيعٍ
ومنه قولهم — بعد أن يذكروا الرجل — فتي من شأنه كذا وكذا ، وأغر
من صفته كيت وكيت كقوله :

سَأَشْكُرُ عَمْرًا مَا تَرَاحَتْ مَنِيتِي أَيَادِي لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَتَى غَيْرُ مُحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مُظْهِرِ الشُّكْوَى إِذَا النُّعْلُ زَلَّتِ
رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا فَكَانَتْ قَدَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ
وقوله :

فَتَى كَانَ يُدْنِيهِ الْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ أَسْتَفْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ
فَتَى لَا يَمُدُّ الْمَالَ رَبًّا وَلَا تَرَى بِهِ جَفْوَةً إِنْ نَالَ مَا لَا وَلَا كِبْرُ
فَتَى كَانَ يُعْطَى السَّيْفَ فِي الرَّوْعِ حَقُّهُ إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِيَ وَتَشَقَّى بِهِ الْجُزُرُ

وقول جميل :

وَهَلْ بُدِينَةُ يَا لِلنَّاسِ قَاضِيَتِي دَيْنِي وَفَاعِلَةٌ خَيْرًا فَأَجْزِيَهَا
تَرُونُو عَيْنِي مَهَا أَقْصَدْتُ بِهِمَا قَلْبِي عَشِيَّةَ تَرْمِيِي وَأَزْمِيَهَا

لِضَعْفِ التَّعْوِيلِ عَلَى الْقَرِينَةِ ، أَوْ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى غَبَاوَةِ السَّامِعِ ، أَوْ زِيَادَةِ
الِإيضاحِ وَالتَّفْهِيمِ ، أَوْ إِظْهَارِ تَعْظِيمِهِ ، أَوْ إِهَانَتِهِ ، أَوِ التَّبَرُّكِ بِذِكْرِهِ ، أَوْ
اسْتِلْذَافِهِ ، أَوْ بَسْطِ الْكَلَامِ حَيْثُ الْإِصْغَاءُ مَطْلُوبٌ ، نَحْوُ : هِيَ عَصَا .

هَيْفَاءُ مُقْبِلَةٌ عَجَزَاءُ مُدْبِرَةٌ رِيًّا الْعِظَامِ بِلِينِ الْعَيْشِ غَازِيهَا
وبعد أن يذكروا الديار والمنازل : ربع كذا وكذا ، قال :

اعْتَادَ قَلْبِكَ مِنْ كَيْلَى عَوَائِدُهُ وَهَاجَ أَهْوَاؤُكَ الْمَكْنُونَةَ الطَّلَلُ
رَبْعٌ قَوَايِ أَذَاعَ الْمُعْصِرَاتُ بِهِ وَكُلُّ حَيْرَانَ سَارِ مَأْوُهُ خُضِيلٌ (١)

وهذه طريقة مستمرة عندهم . . هذا ، ومن لطيف الحذف قول بكر
ابن النطاح :

الْعَيْنُ تُبْدِي الْحُبَّ وَالْبُغْضَا وَتُظْهِرُ الْإِبْرَامَ وَالنَّقْضَا
دُرَّةٌ مَا أَنْصَفْتَنِي فِي الْهَوَى وَلَا رَحِمْتَ الْجَسَدَ الْمُنْضَى
غَضَبِي وَلَا وَاللَّهِ يَا أَهْلَهَا لَا أَطْعَمُ الْبَارِدَ أَوْ تَرْضَى

التقدير هي غضي . وهذا شعر يمتزج بأجزاء النفوس ، ويصل إلى القلوب
بلا آذان (أو إظهار تعظيمه أو إهانتته) كما في بعض الأسماء المحمودة أو المذمومة
(حيث الإصغاء مطلوب) أى فى مقام يكون لإصغاء السامع مطلوباً للتسكلم

(١) أذاع المعصرات : أنزلت ماها بكثرة . والحيران السارى : هو
المزن يجرى ليلاً .

وَأَمَّا تَعْرِيفُهُ فَبِالإِضْمَارِ : لِأَنَّ الْمَقَامَ لِلتَّكْلِيمِ أَوْ الْخُطَابِ أَوِ الْغَيْبَةِ . وَأَصْلُ الْخُطَابِ أَنْ يَكُونَ لِمَعْنَيْنِ ، وَقَدْ يُتَرَكُّ إِلَى غَيْرِهِ لِيَعْمَّ كُلَّ مُخَاطَبٍ نَحْوُ : وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، أَى تَنَاهَتْ حَالُهُمْ فِي الظُّهُورِ ، فَلَا يَخْتَصُّ بِهَا مُخَاطَبٌ . وَبِالْعَلَمِيَّةِ لِإِحْضَارِهِ بَعِيْنِهِ فِي ذَهْنِ السَّامِعِ

لشرفه ، ولذلك يطل الكلام مع الاحياء (للتكلم) كقول بشار :
أَنَا الْمُرْعَثُ لَا أَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ذَرَّتْ بِي الشَّمْسُ لِلْقَاصِي وَلِلدَّانِي (١)
(أَوِ الْخُطَابِ) كقول الخمسي :

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي . وَأَشْمَتَ بِي مِنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
(أَوِ الْغَيْبَةِ) لَكُونِ الْمُسْتَدِلِّ إِلَيْهِ مَذْكُوراً ، أَوْ فِي حَكْمِ الْمَذْكُورِ لِقَرِينَةٍ ،
كقول أبي تمام :

بِئْسَ أَبَى إِسْحَاقَ طَالَتْ يَدُ الْعُلَى وَقَامَتْ قَنَاطَةُ الدِّينِ وَاشْتَدَّ كَاهِلُهُ
هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَى النَّوَاحِي أَتَيْتَهُ فَلَجَّتْهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ
وقوله تعالى : وَلَأَبْوِيهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ . أَى وَلَأَبْوِيهِ الْمَيْتِ (لِمَعْنَيْنِ)
وَاحِداً أَوْ كَثِيراً (لِيَعْمَ كُلَّ مُخَاطَبٍ) عَلَى سَبِيلِ الْبَدَلِ لِأَعْلَى سَبِيلِ التَّنَاقُلِ دَفْعَةً
وَاحِدَةً (نَحْوُ : وَلَوْ تَرَى) وَكَأَيُّ تَقْوِيلٍ : فَلَانِ لَيْتُمْ إِنْ أَكْرَمْتَهُ أَهَانَكَ ، وَإِنْ
أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ أَسَاءَ إِلَيْكَ ، فَلَا تَرِيدُ مُخَاطَباً بَعِيْنَهُ بَلْ تَرِيدُ إِنْ أَكْرَمَ أَوْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ
قَصْداً إِلَى أَنْ سَوَّاهُ مُعَامَلَتَهُ لَا يَخْتَصُّ بِوَاحِدٍ دُونَ وَاحِدٍ (نَاكِسُوا رُؤُوسَهُمْ)
مِنْ : خِيَاءٍ وَالْخُزَى (بِهَا) أَى بِرُؤْيَا حَالِهِمْ (وَبِالْعَلَمِيَّةِ) أَى تَعْرِيفِ الْمُسْتَدِلِّ إِلَيْهِ

(١) كَانَ بَشَارٌ يَلْقَبُ بِالْمُرْعَثِ لِرُعْتِهِ لَكَانَتْ لَهُ فِي صُغُرِهِ ، وَالرُعْتَةُ : الْقِرْطُ
الْمَنْعِيُّ يَمُتُّ فِي شُعْمَةِ الْأُذُنِ . وَذَرَّتْ الشَّمْسُ : طَاعَتْ .

ابتداءً بِاسْمٍ مُخْتَصٍّ بِهِ ، نحو : قل هو الله أحد ؛ أو تعظيم أو إهانة أو
كناية ، أو إيهام استلذاذه ، أو التبرُّك به أو نحو ذلك . وبالموصولية
لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلّة ، كقولك : الذي
كان معنًا أمس رجُلًا عالمًا . أو استهجان التصريح بالاسم ، أو زيادة

بإيراده علمًا (نحو : قل هو الله أحد) هو ضمير الشأن مبتدأ أول والله مبتدأ
ثان والجملة خبره ، فقد ورد المسند إليه علمًا لأجل إحضاره في الذهن ابتداءً
بجميع مشخصاته التي قام عليها الدليل كالقدرة ونحوها ، باسم خاص به تعالى ،
ونحوه قول الشاعر :

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقْرُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُشِيعٌ غِنَاهُ
وقول الآخر :

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكَتْ قِتَالَهُمْ حَتَّى عَلَوْا فَرَسِي بِأَشَقَرٍ مَرْبُودٍ
(أو تعظيم أو إهانة) كما في الكنى والالقب المحمودة والمذمومة (أو كناية)
حيث الاسم صالح لها ، وما ورد صالحاً للكنية من غير باب المسند إليه
قوله تعالى : تبت يدا أبي لهب ، كناية عن كونه جهنمياً (أو إيهام استلذاذه)
نحو قوله :

يَا ظَبْيَاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَىٰ مَشْكُنًا أَمْ لَيْلَىٰ مِنَ الْبَشَرِ
(أو نحو ذلك) مما يناسب اعتباره في الإعلام كالتفاؤل والتطير ،
(أو استهجان التصريح بالاسم) قال السكاكي : والعدول عن التصريح
باب من البلاغة يصار إليه كثيراً ، وإن أوردت تطويلاً . يحكى عن
شريح أن عدى بن أرطاة أتاه ومعه امرأة له من أهل الكوفة يخاصمها ،

التقرير نحو : وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ، أَوِ التَّفْخِيمِ نَحْوُ :
فَفَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ، أَوْ تَنْبِيهِ الْمُخَاطَبِ عَلَى خَطَايَا نَحْوُ :

فلما جلس بين يدي شريح قال عدى : أين أنت ؟ قال بينك وبين الحائط . قال : إني
أمرؤ من أهل الشام ، قال : بعيد سحيق ، قال وأنى قدمت العراق ، قال : خير
مقدم ، قال : وتزوجت هذه ؟ قال : بالرفاء والبنين ، قال : وإنها ولدت
غلاماً ، قال : ليهنك الفارس ، قال : وأردت أن أنقلها إلى داري ، قال : المرء
أحق بأهله ، قال : قد كنت شرطت لها وكرها ، قال الشرط أملك . قال :
أقض بيننا ، قال : فعات ، قال : فعلى من قضيت ؟ قال : على ابن أملك : عدل
شريح عن لفظ عليك لئلا يواجهه بالصريح على ما يشق على المخاضم من القضاء
عليه (نحو وروادته) فالكلام مسوق لزيادة طهارة ذيله والمذكور
أدل عليه من امرأة العزيز أو زليخا . ومما هو نص في زيادة تقرير الغرض
المسوق له الكلام في غير المسند إليه بيت السقط :

أَعْبَادَ الْمَسِيحِ يَخَافُ صَحْبِي وَنَحْنُ عَبِيدُ مَنْ خَلَقَ الْمَسِيحَ

فإنه أدل على عدم خوفهم النصارى من أن يقول نحن عبيد الله (نحو :
فَفَشِيَهُمْ) وقوله تعالى : والمؤمنون هم خير من عبائهم : ومثله قوله :

مَضَى بِهَا مَا مَضَى مِنْ عَقْلِ شَارِبِهَا وَفِي الرَّجَاجَةِ بَاقٍ يَطْلُبُ الْبَاقِ

ومنه في غير هذا الباب بيت الحماسة :

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَالَ الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ ابْعَدِ

فإن ما مفعول ، وقول أبي نواس :

وَلَقَدْ نَهَرْتُ مَعَ الْعَوَاقِ بِدُلُومِهِمْ وَأَسْمَتُ سَرَحَ اللَّهِ وَحَيْثُ أَسَامُوا

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ ۖ يَشْفِي غَدِيانَ ضُدُورِهِمْ أَنْ تَصْرَعُوا
أَوِ الْإِيمَاءَ إِلَى وَجْهِ بِنَاءِ الْخَيْرِ نَحْوُ : إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ : ثُمَّ إِنَّهُ رَبَّمَا جَعَلَ ذَرِيعَةً إِلَى التَّعْرِيضِ بِالْتَعْظِيمِ
لشأنه نَحْوُ :

وَبَلَغْتُ مَا بَلَغَ أُمُرُوهُ بِشَبَابِهِ فَإِذَا انْصَرَفَ كُلُّ ذَلِكَ أَثَمٍ^(١)

(نحو : إن الذين) ففيه من التنبيه على خطئهم في هذا الظن ما ليس في
قولك إن القوم الفلاني . والبيت لعبدة بن الطيب من قصيدة يعظ فيها بنيه
(أو الإيماء إلى وجهه ببناء الخير) يقول : قد يعرف المسند إليه بالموصلية لما
في صلته من الإشارة إلى نوع الخير من ثواب أو عقاب أو مدح أو ذم مثلاً .
وحاصله أن يؤتى بالفاتحة على وجه ينبه الفطن على الخاتمة نحو : إن الذين
يستكبرون الآية ، ففي مضمون الصلة الذي هو الاستكبار إيماء إلى أن الخير
أمر من جنس الإذلال والعقوبة : قال السكاكي : ثم يتفرع على هذا اعتبارات
لطيفة ، ربما جعل ذريعة إلى التعريض بالتعظيم كقولك : الذي يرافقك يستحق
الإجلال والرفع والذي يفارقك يستحق الإذلال والصفع ، ومنه قولهم جاء^(٢)
بعد اللتيا والتي ، أو بالإهانة كما إذا قايت الخير في الصورتين ، وربما جعل

(١) أثام : كسلام ، جزاء الإثم .

(٢) قال السكاكي في فصل الإيجاز : وقول العرب جاء بعد اللتيا والتي
بترك صلة الموصول إثارة للإيجاز تنبيهاً على أن المشار إليهما باللتيا والتي وهي
الحنة ، والشدائد بلغت من شدتها وفضاعة شأنها ، مبلغاً يبهت الواصف معها
حتى لا يحير بدلت شفة .

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعْزُّ وَأَصْوَلُ
أَوْ شَأْنٍ غَيْرِهِ نَحْوُ : الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ
وَبِالْإِشَارَةِ لَتَمَيِّزِهِ أَكْمَلَ تَمَيِّزٍ نَحْوُ قَوْلِهِ :
« هَذَا أَبُو الصَّقَرِ فَرَدًّا فِي تَحَايِيهِ »

ذريعة إلى تعظيم شأن الخبر كقول الفرزدق : « إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ » البيت
فإن فيه إيماء إلى أن الخبر المبني عليه أمر من جنس الرفعة والبناء ؛ ثم في هذا
الإيماء تعريض لتعظيم بناء بيته من حيث أنه فعل من رفع السماء ، أو تعظيم
شأن غير الخبر نحو : الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ، ففيه إيماء إلى أن
الخبر المبني عليه أمر من جنس الخسران ، وفيه مع ذلك تعظيم لشأن شعيب ،
وفي هذه الاعتبارات كثرة ، فحم لها حول ذكائك . وهذا ، وقد يقصد بالموصول
الحث على التعظيم نحو : جاء الذي عليك ، أو التحقير نحو : جاء الذي سألك
أو النهكم كقوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ لِمِثْنٍ مِنَ الْفِتَنِ هَذَا
الباب لا تكاد تضبط (لتمييزه أكبر تمييز) لغرض من الأغراض كأن يكون
في مقام المدح وفي حال إجراء أوصاف الرفعة ونعوت الأثرة (نحو هذا
أبو الصقر) مثله قوله :

وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصَ ضَيْفٍ مُقْبِلٍ مُتَسَرِّبٍ سِرْبًا لَيْلٍ أُغْبِرِ
أَوْ مَا إِلَى الْكُومَاءِ هَذَا طَارِقٌ نَحَرْتُني الْأَعْدَاءُ إِنْ لَمْ تُنْحَرِي

وقول المتنبى :

أَوَلَيْكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

أَوِ التَّعْرِيضِ بِغَاوَةِ السَّامِعِ كَقَوْلِهِ :

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئَنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ الْجَامِعُ
أَوْ بَيَانِ حَالِهِ فِي الْقُرْبِ أَوْ الْبُعْدِ أَوْ التَّوَسُّطِ : كَقَوْلِكَ : هَذَا أَوْ ذَلِكَ
أَوْ ذَاكَ زَيْدٌ ؛ أَوْ تَحْقِيرِهِ بِالْقُرْبِ نَحْوُ : أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ؛ أَوْ
تَعْظِيمِهِ بِالْبُعْدِ نَحْوُ : أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ ؛ أَوْ تَحْقِيرِهِ كَمَا يُقَالُ : ذَلِكَ اللَّعِينُ
فَعَلَ كَذَا ، أَوْ لِلتَّنْبِيهِ عِنْدَ تَعْقِيبِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ بِأَوْصَافٍ عَلَى أَنَّهُ جَدِيرٌ
بِمَا يَرِدُ بَعْدَهُ مِنْ أَجْلِهَا نَحْوُ : أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمْ

والبيت لابن الرومي وتماثله من نسل شيبان بين الضال والسلم : الضال :
هو السدر ، والسلم : شجر ذو شوك ، وهما من شجر البوادي ، وأشار بذلك إلى
ما تتماذج به العرب من سكنى البادية لأن العز مفقود في الحضر (أو التعريض
بغياوة السامع) وأنه لا يتميز الشيء عنده إلا بالحس (أولئك آبائي) هو للفرزدق
من قصيدة يفتخر فيها على جرير (نحو هذا أو ذلك أو ذاك) فهذا زيد في حال
القرب وذلك في حال البعد وذاك في حال التوسط ، وإنما أخر لأنه إنما يتحقق
بعد تحقيق الطرفين (أهذا الذي يذكر آلهمكم) مثله قوله تعالى : وما هذه الحياة
الدنيا إلا لهو ولعب ، وقوله تعالى ، وهو من غير باب المسند إليه : ماذا أراد
الله بهذا مثلا . وقول الشاعر :

تَقُولُ وَدَقَّتْ صَدْرَهَا بِيَمِينِهَا أَبْعَلِي هَذَا بِالرَّحَا الْمُتَقَاعِسِ (١)

(نحو ذلك الكتاب) ذهاباً إلى بعد درجته ، ونحوه : فذلكن الذي لمتني
فيه ، لم تقل فهذا — وهو حاضر — رفعا لمنزلته في الحسن وتمهيدا للعدر
في الافتتان به (نحو : أولئك على هدى) فقد عقب المشار إليه وهو المتقين
(١) المتقاعس : الذي يخرج صدره ويدخل ظهره .

الْمُفَاحِشُونَ . وَبِاللَّامِ إِيضًا إِمَّا شَارَةً إِلَى مَعْنَاهُ ، نَحْوُ : وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى

بأوصاف هي الإيمان بالغيب وإقام الصلاة وغير ذلك ، ثم عرف المسند إليه بالإشارة تنسيهاً على أن المشار إليهم أحقاء بما يرد بعد أولئك وهو كونهم على الهدى عاجلاً والفوز والفلاح آجلاً من أجل اتصافهم بالأوصاف المذكورة . ومثل ذلك قول عروة بن الورد :

لَمَّا اللَّهُ ضَعَلُو كَا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِي الْمَشَاشِ ^(١) أَلِفَا كُلُّ مَجْزَرٍ
يَنَامُ ثَقِيلًا ثُمَّ يُصْبِحُ قَاعِدًا يَخْتِ الْخَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفِّرُ
يُعِينُ نِسَاءَ الْحَى مَا يَسْتَعِينُهُ فَيُضْحِي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْمُحَسَّرِ
وَلَكِنْ ضَعَلُو كَا صَفِيحَةً وَجْهِهِ كَضَوْءِ سِرَاجِ الْقَابِسِ الْمُتَنَوِّرِ
مُطَلًّا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِسَاحَتِهِمْ زَجَرَ الْمَنِيحِ الْمُشْهَرِ
وَإِنْ بَعْدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ تَشَوَّفُ أَهْلُ الْغَائِبِ الْمُتَنَظَّرِ
فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَى الْمَنِيَّةَ يَلْقَاهَا حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَغْنِي يَوْمًا فَأَجْدَرِ

عدد له خصالا فاضلة كما ترى ثم عقب هذا بقوله ، فذلك فأفاد أنه حرى بما ذكر بعده لأجل اتصافه بتلك الخصال (معهود) بين المتكلم والمخاطب لتقدم ذكره صريحا أو كناية كما في الآية ، أو لعلم المخاطب به نحو : إذ هما في الغار

(١) المشاش جمع مشاشة : قيل هي رهوس المفاصل مثل الركبتين ، وفي إضافة مصافى إلى المشاش من التهمك ما لا يخفى . والمجزر : موضع جزر الإبل . والمتعفر : المترب . والبعير المحسر : هو المعنى . وقوله وإن بعدوا الخ : على التقديم والتأخير ، أراد لا يأمنون اقترابه وإن بعدوا .

أَيُّ لَيْسَ الَّذِي طَلَبَتْ كَالْتِي وَهَبَتْ لَهَا ، أَوْ إِلَى نَفْسِ الْحَقِيقَةِ كَقَوْلِكَ :
الرَّجُلُ خَيْرٌ مِنَ الْمَرْأَةِ ؛ وَقَدْ يَأْتِي لِوَاحِدٍ بِاعْتِبَارِ عَهْدِيَّتِهِ فِي الذَّهْنِ كَقَوْلِكَ :
أَدْخُلِ السُّوقَ حَيْثُ لَا عَهْدَ ؛ وَهَذَا فِي الْمَعْنَى كَالنَّكِرَةِ ، وَقَدْ يُفِيدُ

ونحو : إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَكَقَوْلِكَ لِمَنْ فَوْقَ سَهْمَا : الْقَرْطَاسُ .
أَوْ لِحَضُورِهِ نَحْوَ هَذَا الرَّجُلِ ، يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ (أَيُّ لَيْسَ الَّذِي الْخ) أَيُّ لَيْسَ الذَّكَرُ
الَّذِي طَلَبْتَهُ امْرَأَةُ عِمْرَانَ كَالْأُنْثَى الَّتِي وَهَبْتَ لَهَا ، أَيُّ فَالْلامُ فِي الْإُنْثَى إِشَارَةٌ إِلَى
مَعْنَى تَقَدُّمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ، لَكِنَّهُ لَيْسَ مُسْتَدَآءً إِلَيْهِ
لأنَّه يَجْرُورُ بِالكَافِ ، وَالْلامُ فِي الذَّكَرِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا سَبَقَ ذَكَرَهُ كَنَازِيَةٍ فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى : رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ، فَإِنْ لَفْظَ مَا وَإِنْ كَانَ يَعْمُ الذَّكَورَ
وَالْإِنَاثَ إِلَّا أَنْ التَّجْرِيرَ ، وَهُوَ أَنْ يَعْتَقَ الْوَلَدَ لخدمَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، لِأَنَّمَا كَانَ
لِلذَّكَورِ دُونَ الْإِنَاثِ (إِلَى نَفْسِ الْحَقِيقَةِ) بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ عُمُومِهَا وَخُصُوصِهَا
(الرَّجُلُ خَيْرٌ مِنَ الْمَرْأَةِ) مِثْلُهُ الدِّينَارُ خَيْرٌ مِنَ الدِّرْهَمِ وَقَوْلُ الْمُعَرِّي :

وَالْخِلُّ كَلِمَاءٌ يُبْدَى لِي ضَمَائِرُهُ مَعَ الصَّفَاءِ وَيُخَفِّفُهَا مَعَ السَّكَدِ
وقوله تعالى ، وَهُوَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْبَابِ : وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ .
أَيُّ جَعَلْنَا مَبْدَأَ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ هَذَا الْجِنْسُ الَّذِي هُوَ الْمَاءُ (يَأْتِي) أَيُّ الْمَعْرِفِ
بِلَامِ الْحَقِيقَةِ (بِاعْتِبَارِ عَهْدِيَّتِهِ فِي الذَّهْنِ) لِمُطَابَقَتِهِ الْحَقِيقَةَ (أَدْخُلِ السُّوقَ)
فَأَشِيرَ بِالْلامِ إِلَى الْحَقِيقَةِ لَكِنْ فِي ضَمْنِ بَعْضِ الْإِفْرَادِ لِقِيَاسِ الْقَرِينَةِ عَلَى ذَلِكَ
وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ (فِي الْمَعْنَى) وَأَمَّا فِي اللَّفْظِ فَتَجْرِي
عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْمَعَارِفِ مِنْ وَقُوعِهِ مَبْتَدَأً وَذَا حَالٍ وَوَصْفًا لِلْمَعْرِفَةِ وَمَوْصُوفًا بِهَا
وَنَحْوُ ذَلِكَ (كَالنَّكِرَةِ) فَيُعَامَلُ مُعَامَلَتَهَا وَيُوصَفُ بِالْجُمْلَةِ كَقَوْلِهِ :

﴿ وَلَقَدْ أَمَرْتُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَ ﴾

الاستغراق ، نحو : « إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ » وَهُوَ ضَرْبَانِ : حَقِيقِيٌّ ، نحو :

° وإنما لم يقل نكرة لما بينهما من تفاوت ما ، وهو أن النكرة معناها بعض غير معين من جملة أفراد الحقيقة وهذا معناه نفس الحقيقة ، وإنما تستفاد البعضية من القرينة كالدخول والأكل فيما مر (نحو إن الإنسان) فأشير باللام إلى الإنسانية في ضمن كل فرد من أفرادها بدليل الاستثناء الذي هو معيار العموم لأن شرطه دخول المستثنى منه لو لم يذكر هذا . والحاصل أن المراد باسم الجنس المعرف باللام إما نفس الحقيقة لا ما يصدق عليه من الأفراد وهو تعريف الجنس والحقيقة ، ونحوه علم الجنس كأسماء ، وإما فرد معين وهو العهد الخارجي . ونحوه العلم الخاص كزيد ، وإما فرد غير معين وهو العهد الذهني ونحوه النكرة كرجل ، وإما كل الأفراد وهو الاستغراق . ونحوه لفظ كل مضافاً إلى النكرة كقولنا كل رجل . (وبعد) فقد قال أستاذنا الشيخ محمد عبده في تفسير سورة والعصر : إن الاستغراق بآل في لسان العرب ليس كالاستغراق بلفظ كل وإيست آل مساوية لكل التي تضاف إلى النكرة ويراد بها تعميم الحكم في جميع أفراد الجنس ، وإنما يراعى في آل استغراق المعهود عند المخاطبين ، لأنها في لسانهم للعهد . وتعريف الجنس إما في فرد أو أفراد وإن تفارق العهد أبداً وكذلك التي يسميها النحاة العهد الذهني ويتحiron في الفرق بينها وبين النكرة ثم يقول فريق منهم إن الفرق في اللفظ وإجراء أحكامه أما المعنى فلا فرق فيه ، وهو وهم فاسد . وهذا كلام من قتل اللغة علماً وأحاط بأسرارها خبراً (وهو) أي الاستغراق (حقيقي) وهو أن يراد كل فرد مما يتناول اللفظ لغة .

عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، أَيُّ كُلِّ غَيْبٍ وَشَهَادَةٍ : وَعُرِفَ كَقَوْلِنَا : جَمَعَ
الْأَمِيرُ الصَّاعَةَ ، أَيُّ صَاعَةٍ بَلَدِهِ أَوْ مَمْلَكَتِهِ . وَاسْتِغْرَاقُ الْمَفْرَدِ أَشْمَلُ :
بِدَلِيلِ صَحَّةِ لَارِجَالَ فِي الدَّارِ ، إِذَا كَانَ فِيهَا رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ ، ذَوْنِ
لَا رَجُلٍ . وَلَا تَنَافٍ بَيْنَ الْإِسْتِغْرَاقِ وَإِفْرَادِ الْأَسْمِ ، لِأَنَّ الْحَرْفَ إِثْمًا يَدْخُلُ
عَلَيْهِ مُجَرَّدًا عَنْ مَعْنَى الْوَحْدَةِ ، لِأَنَّهُ بِمَعْنَى كُلِّ فَرْدٍ لَا مَجْمُوعِ الْأَفْرَادِ ، وَهَذَا

(وعرفي) وهو أن يراد كل فرد مما يتناول به اللفظ بحسب متفاهم العرف (أى
صاعاً بلده أو مملكته) لاصاعه الدنيا (واستغراق المفرد أشمل) هذه العبارة
قد أشار إلى مغزاها جار الله الزمخشري في كشافه ، ومعناها أن اسم الجنس
المفرد إذا دخلت عليه أداة الاستغراق كحرف التعريف أو النفي كانت شموله
للأفراد أكثر من شمول المثنى والجمع الداخل عليهما تلك الأداة وذلك أن المفرد
يتناول كل واحد من الأفراد ، والمثنى إنما يتناول كل اثنين اثنين ، ولا ينافيه
خروج الواحد ، والجمع إنما يتناول كل جماعة جماعة ، ولا ينافيه خروج الواحد
والاثنين . ودليل ذلك صحة : لَارِجَالَ فِي الدَّارِ إِذَا كَانَ فِيهَا رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ
وعدم صحة لَارِجُلٌ إِذَا كَانَ فِيهَا رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ . وهذا ، وقد قالوا إن كلام
المصنف مسلم في النكرة المنفية دون المعرفة باللام ، لأن الجمع المعروف باللام
الاستغراق يتناول كل واحد من الأفراد بل هو في ذلك أقوى من المفرد
(ولا تنافي) هذا جواب عن سؤال أورده السكاكي وهو أن إفراد الاسم ينافي
أن تكون الأداة الداخلة عليه للاستغراق ، لأن الإفراد يدل على الوحدة ،
والاستغراق على التعدد (الحرف) الدال على الاستغراق كحرف النفي ولام
التعريف (عليه) أى على الاسم المفرد .

امْتَنَعَ وَصَفُهُ بِنَعْتِ الْجَمْعِ . وَبِالإِضَافَةِ لِأَنَّهَا أَخْصَرُ طَرِيقٍ نَحْوُ :

* هَوَاىَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدٌ * أَوْ تَضْمِينًا تَعْظِيمًا لِشَأْنِ
الْمُضَافِ إِلَيْهِ ، أَوْ الْمُضَافِ أَوْ غَيْرِهَا ، كَقَوْلِكَ عَبْدِي حَفَرٌ ، وَعَبْدُ
الْخَلِيفَةِ رَكِيبٌ ، وَعَبْدُ السُّلْطَانِ عِنْدِي ؛ أَوْ تَحْقِيرًا نَحْوُ : وَلَدُ الْحَجَّامِ حَاضِرٌ .

(امتنع وصفه بنعت الجمع) ولا اكتراث بما حكاه الاخفش في الديار الصفر
والدرهم البيض (لأنها الخ) أو لإغنائها عن تفصيل متعذر كقوله :

نَمْرَ مَطَرٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَأَنَّهُمْ سُودٌ لَهَا فِي غَيْلٍ خَفَانٍ أَشْبَلُ
أَوْ لتضمنها اعتباراً لطيفاً مجازياً كقوله :

إِذَا كَوَّرَ كَبُّ الْخُرْقَاءِ لَاحَ بِسُجْرَةٍ سَهِيلٍ أَذَاعَتْ غَزْلَهَا فِي الْقَرَائِبِ

(لأنها أخصر طريق) والمقام مقام اختصار (هواى) هو لجعفر بن عتبة
الحارثي من أبيات قالها وتماه :

* جَنِيْبٌ وَجْهَانِي بِسَكَّةٍ مُوْتَقٍ *

ولهذه :

عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنَّى تَخَلَّصَتْ	إِلَى وَبَابِ السَّجْنِ دُونِي مَغْلَقُ
أَلَمْتُ فَحَيَّتْ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعَتْ	فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتْ النَّفْسُ تَزْهَقُ
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَخَشَّعْتُ بَعْدَ كَرَمِ	لِسَيِّئٍ وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ
وَلَا أَنَّ قَلْبِي يَزْدَهِيهِ وَعِيدُهُمْ	وَلَا أَنِّي بِالشَّيْءِ فِي الْقَيْدِ أَخْرَقُ
وَأَكُنْ عَرَشِي مِنْ هَوَاكِ ضَامَةً	كَأَنَّكَ أَلْقَى مِنْكَ إِذَا أَنَا مُطْلَقُ

وَأَمَّا تَنْكِيرُهُ فَلِلْأَفْرَادِ نَحْوُ : وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى . أَوْ

النَّوعِيَّةِ نَحْوُ : وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ . أَوْ التَّعْظِيمِ أَوْ التَّخْقِيرِ كَقَوْلِهِ :

لَهُ حَاجِبٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَشِينُهُ وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ

والضمانه الحب والعشق ، وهو انى بمعنى مهوى ، فهو أخصر من الذى أهواه ، ونحوه ، ومصعد : مبعده ذاهب فى الارض .

(فللافراد) وقد ينكر لكون المقام غير صالح للتعريف إما لانك لا تعلم جهة من التعريف حقيقة أو تتجاهل ، وباب التجاهل فى البلاغة عريق ، وإن شئت فانظر لفظ كان فى قول الخارجية :

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالِكٌ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ

ماذا ترى ؟ وإما لأنه يمنع من التعريف مانع كقوله :

إِذَا سَمِعْتَ مُهَنَّدَهُ يَمِينٍ لَطُولِ الْخَمَلِ بَدَلَهُ شِمَالًا

لم يقل يمينه احترازاً عن التصريح بنسبة السامة إلى يمين الممدوح (رجل) أى فرد من أشخاص الرجال (غشاوة) أى نوع من الأغلبية غير مايتعارفه الناس وهو غطاء النعمى عن آيات الله ، ورأى السكاكى أن التذكير للتعظيم أى غشاوة عظيمة تجب أبصارهم بالكلية وتحول بينها وبين الإدراك ، وهذا أليق . (له حاجب) أى له حاجب أى حاجب وليس له حاجب ما ومثله قوله :

وَلِلَّهِ مِنِّي جَانِبٌ لَا أَضِيْعُهُ وَلِلَّهِ مِنِّي وَانْخِلَاعٌ جَانِبٌ

والبيت لابن أبي السمط من آيات منها :

فَتَى لَا يُبَالِي الْمُدْلِجُونَ بِنُورِهِ إِلَى بَابِهِ أَنْ لَا تُفْنِيَ الْكَوَاكِبُ

يَعْمُ عَنْ الْفَحْشَاءِ حَتَّى نَكَاتَهُ إِذَا ذُكِرَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ غَائِبٌ

أَوِ التَّكْثِيرِ كَقَوْلِهِمْ : إِنَّ لَهُ لَا بِلَا وَإِنَّ لَهُ كَعَمَّا . أَوِ التَّقْلِيلِ نَحْوُ :
وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ؛ وَقَدْ جَاءَ لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّكْثِيرِ نَحْوُ : وَإِنْ
يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ ، أَيْ ذَوُو عَدَدٍ كَثِيرٍ وَآيَاتٍ عِظَامٍ .
وَمِنْ تَنْكِيرٍ غَيْرِهِ لِلْإِفْرَادِ أَوِ النَّوْعِيَّةِ نَحْوُ : وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ
مَاءٍ ، وَلِلتَّعْظِيمِ نَحْوُ : فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلِلتَّحْقِيرِ نَحْوُ : إِنْ
نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا * وَأَمَّا وَصْفُهُ : فَلِكُونِهِ مُبَيَّنًّا لَهُ كَاشِفًا عَنْ مَعْنَاهُ ،

(ورضوان من الله أكبر) أى وشىء من رضوانه أكبر مما ذكر قبل من
الجنة ونعيمها لأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراه
من النعم ، وإنما تنها له برضاه ، كما إذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة
وإن عظمت (للتعظيم والتكثير) معاً (غيره) أى غير المسند إليه (كل دابة
من ماء) أى كل فرد من أفراد الدواب من نطفة معينة أو كل نوع من أنواع
الدواب أو كل من نوع من أنواع المياه . وهذا ، ومن تنكير غير المسند إليه للنفارة
وعدم التعيين قوله تعالى : أو اطرحوه أرضاً ، وللتقليل قول المتنبي :

فَيَوْمًا يَخِيلُ تَطَرُّدُ الرُّومِ عَنْهُمْ وَيَوْمًا يَجُودُ تَطَرُّدُ الْفُقَرَا وَالْجُدْبَا

أى بعدد نور من خيولك وشىء يسير من فيضان جودك . . . واعلم ، أنه
كما أن التنكير لإبهامه يفيد التعظيم والتحقير والتقليل ، كذلك لفظ البعض
كما في قوله :

تَرَاكَ أُمْكِنَّةً إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضُ النُّفُوسِ حَمَامُهَا

كقولك : الجِسْمُ الطَّوِيلُ العَرِيضُ العمِيقُ ، يَحْتَاجُ إِلَى فَرَاغٍ يَشْغَلُهُ
وَنَحْوُهُ فِي الْكَشْفِ قَوْلُهُ :

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا
أَوْ مُخَصَّصًا نَحْوُ : زَيْدُ التَّاجِرِ عِنْدَنَا ، أَوْ مَدْحًا أَوْ ذَمًّا نَحْوُ : جَاءَنِي
زَيْدُ الْعَالِمِ أَوْ الْجَاهِلِ حَيْثُ يَتَعَيَّنُ الْمَوْصُوفُ قَبْلَ ذِكْرِهِ . أَوْ تَأْكِيدًا

أَرَادَ نَفْسَهُ ، وَنَحْوَ هَذَا كَلَامُ ذِكْرِهِ بَعْضُ النَّاسِ . وَنَحْوُ قَوْلِهِمْ : كَفَى هَذَا
الْأَمْرُ بِمَضَى اهْتِمَائِهِ (فِي الْكَشْفِ) وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَصْفًا لِلْمُسْتَدَلِّ بِهِ (الْأَلْمَعِيُّ)
فَالْأَلْمَعِيُّ الْحَدِيدُ اللَّسَانُ وَالْقَلْبُ وَقَدْ أَبَانَهُ بِقَوْلِهِ : الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ . حَكَى أَنَّ
الْأَصْمَعِيَّ سَأَلَ عَنِ الْأَلْمَعِيِّ فَأَنْشَدَ الْبَيْتَ وَلَمْ يَزِدْ : وَهُوَ لَأَوْسُ بْنُ حَجَرٍ التَّمِيمِيُّ
مِنْ قَصِيدَةٍ يَرْتِي بِهَا فَضَالَهَ بْنِ كَلْدَةَ وَأَوَّلَهَا :

أَيْتَهَا النَّفْسُ أَتَجَلَّى جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا
إِنَّ الَّذِي جَمَعَ السَّامَاةَ وَالنَّجْدَةَ وَالْبَرَّ وَالْتَقَى جَمْعًا
أَوْدَى فَمَا تَنْفَعُ الْإِشَاحَةَ مِنْ شَيْءٍ لَمَنْ قَدْ يُخَاوِلُ الْبِدْعَا

الْإِشَاحَةُ : الْحَذَرُ ، وَالْبِدْعُ : الْأُمُورُ الْغَرِيبَةُ وَمِثْلُ الْبَيْتِ قَوْلُهُ : إِنْ الْإِنْسَانُ
خَلَقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ حَزَنًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا . قَالَ الزَّخَشَرِيُّ : الْهَلْعُ :
سُرْعَةُ الْجَزَعِ عِنْدَ مَسِّ الْمَكْرُوهِ ، وَسُرْعَةُ الْمَنَعِ عِنْدَ مَسِّ الْخَيْرِ . مِنْ قَوْلِهِمْ نَاقَةٌ
هَلُوعٌ : سُرْعَةُ السَّيْرِ . وَعَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :
مَا الْهَلْعُ ؟ قُلْتُ قَدْ فَسَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى (حَيْثُ يَتَعَيَّنُ الْخ) وَإِلَّا صَارَ الْوَصْفُ مُخَصَّصًا
هَذَا ، وَقَدْ يَكُونُ الْوَصْفُ لِبَيَانِ الْمَقْصُودِ وَتَفْسِيرِهِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَمَا مِنْ دَابَّةٍ

نحو: أَمْسِ الدَّابِرَ كَانَ يَوْمًا عَظِيمًا . وَأَمَّا تَوَكِيدُهُ : فَلِلتَّقْرِيرِ أَوْ دَفْعِ
تَوَهُمِ التَّجَوُّزِ أَوِ السَّهْوِ ، أَوْ عَدَمِ الشُّمُولِ * وَأَمَّا بَيَانُهُ : فَلِإِضَاحِهِ بِاسْمِهِ

في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه . قال في الكشف : فإن قلت هلا قيل
وما من دابة ولا طائر إلا أم أمثالكم ، وما معنى زيادة قوله في الأرض ويطير
بجناحيه ؟ قلت : معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة كأنه قيل وما من دابة قط
في جميع الأرضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه
إلا أم أمثالكم بحفظة أحوالها غير مهمل أمرها ، وللتقرير ، أي جعل المسند إليه
مستقراً محققاً ثابتاً بحيث لا يظن به غيره نجو جاءني زيد زيد إذا ظن المتكلم
غفلة السامع عن سماع لفظ المسند إليه أو عن حمله على معناه (التجوز) أي التكلم
بالمجاز (أو عدم الشمول) أي أو لدفع توهم عدم الشمول ، فأنت إنما : تقول
جاء القوم كلهم ، لأنك لو قلت جاء القوم وسكت لكان يجوز أن يتوهم السامع
أنه قد تخلف بعضهم إلا أنك لم تعتد به ، أو أنك جعلت الفعل الواقع من
البعض كالواقع من الجميع لكونهم في حكم الشخص الواحد كما يقال للقبيلة :
فعلتم وصنعتهم . يراد فعل قد كان من بعضهم . وربما يجمع بين كل وأجمعين
بحسب اقتضاء المقام كقوله تعالى : فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، بناء على كثرة
الملائكة واستبعاد وجود جميعهم مع تفرقهم واشتغال كل منهم بشأن وبهذا يزداد
التعبير والتقريع على ما ليس . واعلم أنهم لم يعنوا بقولهم التوكيد يفيد الشمول
أنه يوجه من أصله وأنه لولاه لما فهم الشمول من اللفظ وإلا لم يسم توكيداً
ولأنما المأني أنه يمتنع أن يكون اللفظ المقتضى للشمول مستعملاً على خلاف
ظاهراً ومتجوزاً فيه (بيانه) أي تعقيبه بعطف البيان (فلايضاحه) وقد يحى

مُخْتَصِرٌ بِهِ نَحْوُ : قَدِمَ صَدِيقُكَ خَالِدٌ . وَأَمَّا الْإِبْدَالُ مِنْهُ :
فَلِزِيَادَةِ التَّقْرِيرِ نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ أَخُوكَ ، وَجَاءَ الْقَوْمُ أَكْثَرُهُمْ ،
وَسَلِبَ عَمَرُو ثَوْبُهُ . وَأَمَّا الْعَطْفُ : فَتَفْصِيلُ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ مَعَ
اِخْتِصَارٍ ، نَحْوُ : جَاءَ زَيْدٌ وَعَمَرُو . أَوِ الْمُسْنَدِ كَذَلِكَ نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ

عطف البيان لغير الإيضاح كما في قوله تعالى : جعل الله الكعبة البيت الحرام
قياماً للناس . فقد ذكر الزمخشري أن البيت الحرام عطف بيان للكعبة جيء به
للإيضاح لا للإيضاح ، كما تجيء الصفة لذلك . وذكر في قوله تعالى : ألا بعداً لعاد
قوم هود ، إنه عطف بيان لعاد ، وفائدته — وإن كان البيان حاصلًا بدونه —
أن يؤسروا بهذه الدعوة وسماً ، وتجعل فيهم أمراً محققاً لا شبهة فيه بوجه من
الوجوه (فلزيادة التقرير) إنما عبر بذلك لإيماء إلى أن البديل هو المقصود بالنسبة
والتقرير زيادة تحصل تبعاً وضمناً ، أما التوكيد فإن الغرض منه نفس التقرير
(نحو جاءني زيد أخوك) مثال لبديل الكل والتقرير فيه ظاهر لما فيه من التكرير
ومثله — وهو من غير المسند إليه — قوله تعالى : اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم . قال في الكشف : وفائدة البديل التوكيد لما فيه من
التكرير والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين (وجاء
القوم أكثرهم) مثال لبديل البعض ، وقد حصل التقرير فيه بذكر ما اشتمل
عليه الأول بالدلالة الكلية ، فإن الأكثر بعض القوم (وساب زيد ثوبه)
مثال لبديل الاشتغال ، وبيان التقرير فيه أن المبدل منه يشعر به في الجملة ،
فالنفس قبل ذكره تتشوف لشيء يطلبه المبدل منه ، فإذا ذكر كان
تسكراً (كذلك) أي مع اختصار (نحو جاءني زيد فعمر و الخ)

فَعَمْرُو أَوْ ثَمَّ عَمْرُو ، أَوْ جَاءَنِي الْقَوْمُ حَتَّى خَالِدًا : أَوْ رَدَّ السَّامِعُ إِلَى الصَّوَابِ
نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ لَا عَمْرُو ، أَوْ صَرَفَ الْحُكْمَ إِلَى آخَرٍ نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ
بَلْ عَمْرُو ، وَمَا جَاءَنِي عَمْرُو بَلْ زَيْدٌ : أَوْ الشَّكُّ ، أَوْ التَّشْكِيكُ لِلْسَّامِعِ
نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ أَوْ عَمْرُو * وَأَمَّا فَصْلُهُ : فَلِتَخْصِيصِهِ بِالْمُسْنَدِ .

فالقاء و ثم وحتى تشترك في تفصيل المسند وتختلف من جهة أن القاء
تدل على أن ملابسة الفعل للتابع بعد ملابسته للمتبوع بلا مهلة ، و ثم كذلك مع
مهلة وحتى مثل ثم إلا أن فيها دلالة على أن ما قبلها إما ينقض شيئاً فشيئاً إلى
أن يبلغ ما بعدها (جاءني زيد لا عمرو) تقول ذلك لمن زعم أن عمراً جاءك دون
زيد أو أنهما جاآك جميعاً . ومثل أن تقول : ما جاءني زيد لكن عمرو ، فإنك
تخاطب به من يعتقد أن زيدا جاءك دون عمرو (آخر) أي محكوم عليه آخر
(نحو جاءني زيد بل عمرو) . اعلم أن بل إذا تقدمها لإيجاب جماعت ما قبلها
كالمسكوت عنه عند الجمهور أو مقطوعاً بنفي الحكم عنه عند ابن الحاجب وأثبتت
الحكم لما بعدها عند الجميع ، وإن تقدمها نفي أو نهي فنهى لتقرير ما قبلها على
حالته وجعل ضده لما بعدها . وعند المبرد أنها تنقل معنى النفي والنهي لما بعدها
(أو الشك) أي شك المتكلم (أو التشكيك للسامع) إلى إيقاعه في الشك . بقي
الإيهام كقوله تعالى : وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين . والإباحة
والتخيير مثل قولك : ليدخل الدار زيد أو عمرو ، والفرق بينهما واضح ، فإن
الإباحة لا تمنع من الإتيان بالشيئين أو الأشياء جميعاً (فصله) أي تعقيبه بضمير
الفصل (فلتخصيصه بالمسند) أي لقصر المسند على المسند إليه ، وقد يكون الفصل
للتأكيد فحسب وذلك إذا كان التخصيص حاصلًا بدونه بأن يكون في الكلام

وَأَمَّا تَقْدِيمُهُ : فَدِسْكَوْنِ ذِكْرِهِ أَهَمُّ ، إِمَّا لِأَنَّهُ الْأَصْلُ وَلَا مُقْتَضَى
لِلْعُدُولِ عَنْهُ ، وَإِمَّا لِإِتِّمَاقِ الْخَبَرِ فِي ذِهْنِ السَّامِعِ ، لِأَنَّ فِي الْمُبْتَدَأِ
تَشْوِيقًا إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ :

وَالَّذِي حَارَتْ الْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانَ مُسْتَحْدَثٍ مِنْ جَمَادٍ
وَإِمَّا لِتَعْجِيلِ الْمَسَرَّةِ أَوِ الْمَسَاءَةِ لِلتَّفَاوُلِ أَوْ التَّطْيِيرِ ، نَحْوُ : سَعْدٌ فِي دَارِكَ ،
وَالسَّفَاحُ فِي دَارِ صَدِيقِكَ ، وَإِمَّا لِإِيْهِامِ أَنََّّهُ لَا يَزُولُ عَنْ الْخَطِّيرِ أَوْ

ما يفيد قصر المسند على المسند إليه نحو : إن الله هو الرزاق ، أو قصر المسند
إليه على المسند كقول أبي الطيب :

إِذَا كَانَ الشَّبَابُ الشُّكْرَ وَالشَّيْبُ هُمًا فَالْحَيَاةُ هِيَ الْحِمَامُ

« واعلم ، أن مثل هذه المباحث المذكورة في العطف والفصل ولو بينت
في النحو فإنها تذكر في البيان باعتبار استعمالها لمناسبة الحال . وهكذا كل ما
ماثلها في ذلك (تقديمه) اعلم أن التقديم في باب البلاغة القدح المعلى فإنه
لا يزال يفتقر لك عن بدیعة ، ويفضى بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعراً
يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعة ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف
عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان (والذي) البيت
لأبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري ، من أبيات يرثي بها فقيهاً
جنفياً والمقصود بالحيوان في البيت هو الإنسان كما لا يخفى ، والخيرة الوافعة فيه
من وجهة نياط النفس بالجسم « هذا ، وقد جعل السكاكي البيت شاهداً لكون

أَنَّهُ يُسْتَلَذُّ بِهِ ؟ وَإِنَّمَا لِنَحْوِ ذَلِكَ . عَبْدُ الْقَاهِرِ : وَقَدْ يُقَدَّمُ لِيُفِيدَ تَخْصِيصَهُ
بِالْخَبَرِ الْفِعْلِيِّ إِنِّ وَلِيَّ حَرْفِ النَّفْيِ نَحْوُ : مَا أَنَا قُلْتُ هَذَا ، أَيْ لَمْ أَقُلْهُ مَعَ
أَنَّهُ مَقُولٌ لِغَيْرِي ، وَلِهَذَا لَمْ يَصِحَّ مَا أَنَا قُلْتُ هَذَا وَلَا غَيْرِي ، وَلَا : مَا أَنَا

المُسْنَدُ إِلَيْهِ مَوْصُولًا وَهُوَ أَحْسَنُ (وَلَمَّا لِنَحْوِ ذَلِكَ) مِثْلُ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْمَطْلُوبَ
إِنَّمَا هُوَ اتِّصَافُهُ بِالْخَبَرِ لَا نَفْسِ الْخَبَرِ ، كَمَا إِذَا قِيلَ لَكَ : كَيْفَ الرَّاهِدُ ؟ فَتَقُولُ :
الرَّاهِدُ يَشْرَبُ وَيَطْرَبُ ، وَمِثْلُ إِفَادَةِ زِيَادَةِ تَخْصِيصِ كَقَوْلِهِ :

مَتَى تَهْزُرُ بَنِي قَطَانَ تَجِدُهُمْ سَيُوفًا فِي عَوَاتِقِهِمْ سَيُوفٌ
جُلُوسٌ فِي تَحَالِسِهِمْ رِزَابٌ وَإِنْ ضَيْفٌ أَلَمَ فَهُمْ خُفُوفٌ

قَالَ السَّكَاكِيُّ (وَفَدَ يَقْدَمُ الْخ) هَذَا مَغْزَى كَلَامِ عَبْدِ الْقَاهِرِ لَا لِفِظِهِ .
(تَخْصِيصُهُ بِالْخَبَرِ الْفِعْلِيِّ) أَيْ قَصْرُ الْخَبَرِ الْفِعْلِيِّ عَلَيْهِ (وَلِيَّ حَرْفِ النَّفْيِ) أَيْ وَقَعَ
بَعْدَ حَرْفِ النَّفْيِ بِلَا فَصْلِ (أَيْ لَمْ أَقُلْهُ الْخ) فَأَفَادَ التَّقْدِيمَ نَفْيَ الْفِعْلِ عَنْكَ وَثَبُوتَهُ
لِغَيْرِكَ ، فَلَا تَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا فِي شَيْءٍ ثَبَتَ أَنَّهُ مَقُولٌ وَأَنْتَ تَرِيدُ نَفْيَ كَوْنِكَ
قَائِلًا لَهُ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا

الْمَعْنَى عَلَى أَنَّ السَّقَمَ ثَابِتٌ مَوْجُودٌ وَلَيْسَ الْقَصْدُ بِالنَّفْيِ إِلَيْهِ وَلَسَكَنٌ إِلَى أَنَّ
يَكُونُ هُوَ الْجَائِبُ لَهُ وَيَكُونُ قَدْ جَرَهُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ :

« وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشَّعْرِ كَلَّةً »

الشَّعْرُ مَقُولٌ عَلَى الْقَطْعِ وَالنَّفْيِ لِأَنَّ يَكُونُ هُوَ وَحْدَهُ الْقَائِلُ لَهُ (لَمْ يَصِحَّ
مَا أَنَا قُلْتُ هَذَا وَلَا غَيْرِي) لِمُنَاقَضَةِ مَنْطُوقِ الثَّانِي مِنْهُوْمِ الْأَوَّلِ ، وَالَّذِي يَصِحُّ
عِنْدَ قَصْدِ هَذَا الْمَعْنَى أَنْ يَقَالَ : مَا قُلْتُ أَنَا وَلَا أَحَدٌ غَيْرِي (وَلَا مَا أَنَا رَأَيْتُ

رَأَيْتُ أَحَدًا ، وَلَا : مَا أَنَا ضَرَبْتُ إِلَّا زَيْدًا ، وَإِلَّا فَقَدْ يَأْتِي لِلتَّخْصِصِ رَدًّا
عَلَى مَنْ زَعَمَ انْفِرَادَ غَيْرِهِ بِهِ ، أَوْ مُشَارَكَتَهُ فِيهِ نَحْوُ : أَنَا سَعَيْتُ فِي حَاجَتِكَ
وَيُؤَكِّدُ عَلَى الْأَوَّلِ بِنَحْوِ لَا غَيْرِي ، وَعَلَى الثَّانِي بِنَحْوِ وَحْدِي ؛ وَقَدْ يَأْتِي

أحداً) لأنه يقتضى المحال وهو أن يكون لإنسان غير المتكلم قد رأى كل أحد
من الناس لأنه قد نفي عن المتكلم الرؤية على جهة المموم في المفعول لأن النكرة
في سياق النفي تعم فيجب أن تثبت انفراده على جهة المموم في المفعول (ولا بما أنا
ضربت إلا زيداً) لأن نقض النفي بإلا يقتضى أن يكون الفاعل له قد ضرب
زيداً وإيلاء الضمير حرف النفي يقتضى أن لا يكون ضربه وذلك تناقض .
(وإلا) قد علمت أن المسند إليه المقدم إن ولى حرف النفي فهو يفيد التخصيص
اللبتة وإن لم يل حرف النفي بأن لا يكون ثم نفي أصلاً أو يكون حرف النفي
متأخراً عن المسند إليه فقد يفيد التخصيص وقد يفيد التقوى (غيره) أى غير
المسند إليه (به) أى بالخبر الفعلي (ويؤكد على الأول) وهو أن يكون الكلام
للرد على من زعم انفراد الغير . (وعلى الثاني) وهو أن يكون للرد على من زعم
المشاركة ، فإن قلت أنا فعلت كذا وحدي في قوة أنا فعلته لا غيري فلم يختص
كل منهما بوجه من التوكيد دون وجه ؟ فإننا نقول لأن جدوى التوكيد لما كانت
إمالة شبهة خالجت قلب السامع وكانت في الأول أن الفعل صدر من غيرك
وفي الثاني أنه صدر منك بشركة الغير أكدت وأمطت الشبهة في الأول بقولك
لا غيري والثاني بقولك وحدي لأنه محزه ولو عكست أحلت . وهذا ، ومن البين
في ذلك قولهم في المثل :

فَتَقْوِيَةِ الْحُكْمِ نَحْوُ : هُوَ يُعْطَى الْجَزِيلَ . وكذا إذا كان الفعل منفيًا

* أَنُؤْمِنُ^(١) بِصَبِّ أَنَا حَرَشْتُهُ *

(نحو هو يعطى الجزيل) فأنت لا تريد أن غيره لا يعطى الجزيل ولا أن تعرض بإنسان ولكن تريد أن تقرر في ذهن السامع وتحقق أنه يفعل إعطاء الجزيل . وسلب التقوى على ما ذكره الشيخ عبد القاهر هو أن الاسم لا يؤتى به معرى من الموامل إلا بالحديث قد نوى إسناده إليه فإذا قالت عبدالله فقد أشعرت قلب السامع بذلك أنك تريد الحديث عنه فهذا توطئة له وتقدمة للإعلام به ، فإذا جئت بالحديث فقلت : قام مثلاً دخل على القلب دخول المانوس به وذلك لا محالة أشد لشبوته وأنى للشبهة وأمنع للشك . وجلة الأمر أنه ليس بإعلامك بالشبهة بغتة مثل الإعلام به بعد التنبيه عليه لأن ذلك يجرى مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والأحكام . قال : ويشهد لما قلنا أنا إذا تأملنا وجدنا هذا الضرب من الكلام يجيء فيما سبق فيه إنكار من منكر أن يقول الرجل : ليس لي علم بالذي تقول ، فتقول : أنت تعلم أن الأمر على ما أقول ولكنك تميل إلى تخصمي ، ويجيء فيما اعترض فيه شك نحو أن تقول للرجل : كأنك لا تعلم ما صنع فلان ولم يبلغك ، فيقول : أنا أعلم ولكني أداريه ، وفي تكذيب مدع كقوله عز وجل : وإذا جاءكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ، فإن قولهم آمنا دعوى منهم أنهم لم يخرجوا بالكفر كما دخلوا به

(١) المثل يقول العالم بالشئ لمن يريد تعليمه إياه ، وحرش الضب واحترشه : صاده بالحيلة المعروفة . وهي أن يحرك يده على باب جحره ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضربه فيأخذه .

فالموضع موضع تكذيب ، وفيما القياس في مثله أن لا يكون كقوله تعالى : والذين اتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ، وذلك أن عبادتهم لها تقتضى أن لا تكون مخلوقة ، وفيما يستغرب من الأمر نحو أن تقول : ألا تعجب من فلان يدعى العظيم وهو يعنى باليسير ويزعم أنه شجاع وهو يفرع من أدنى شيء . وفي الوعد والضمان كقول الرجل : أنا أعطيك أنا أكفيك ، وذلك أن من شأن من تعدده وتضمن له أن يعترضه الشك في تمام الوعد وفي الوفاء به فهو من أحوج شيء إلى التأكيد ، وفي المدح والافتخار كقول الحماسي :

هُمْ يَفْرُشُونَ^(١) اللَّبْدَ كُلَّ طِمْرَةٍ وَأَجْرَدَ سَبَاحٍ يَبْدُ الْمَغَالِبِ
وقوله :

هُمَا يَلْبَسَانِ الْمَجْدَ أَحْسَنَ لِبْسَةٍ شَجِيحَانِ مَا اسْطَاعَا عَلَيْهِ كَلَامُهُمَا
وقوله :

هُمْ يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ

عَلَى وَجْهِهِ مِنْ الدِّمَاءِ سَبَائِبُ^(٢)

وذلك أن من شأن المادح أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به ويبعدهم عن الشبهة ، وكذلك المفتخر كقول طرفة :

- (١) اللبد : الصوف ، وقد جرت العادة بوضع قطعة منه على ظهر الفرس تحت السرج للينه . والظمرة : الفرس الجواد . والأجرد : الفرس القصير الشعر . والسباح : الذي يشبه عدوه السباحة ويبد : يغاب .
- (٢) الكبش : رئيس الجيش يتركونه قنبلاً . والسبائب جمع سبيبية : الثوب ، يشبهون بها طرائق الدم .

نحو : أَنْتَ لَا تَكْذِبُ ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ لِنَفْيِ الْكَذِبِ مِنْ لَا تَكْذِبُ ، وَكَذَا مِنْ لَا تَكْذِبُ أَنْتَ ، لِأَنَّهُ لِنَأْكِيدِ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ لَا الْحُكْمِ ؛ وَإِنْ بَنِيَ الْفِعْلُ عَلَى مُنْكَرٍ أَفَادَ تَخْصِيصَ الْجِنْسِ أَوِ الْوَاحِدِ بِهِ ، نَحْوُ رَجُلٍ

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجُفْلَى *

المشتاة : مكان الشتاء أو زمانه . والجفلى : الدعوة العامة إلى الطعام (نحو أنت لا تكذب) مثله قوله تعالى : والذين هم بربهم لا يشركون ، فإنه يفيد من التأكيـد في نفي الإشراك ما لا يفيد في قولنا والذين لا يشركون ربهم ولا قولنا والذين بربهم لا يشركون (لأنه) أى لفظ أنت في لا تكذب أنت (لنأكيـد المحكوم عليه) لئلا يتوهم أنه غير ضمير المخاطب وأسند الحكم للضمير تجاوزاً أو سهواً أو نسياناً (وإن بنى الفعل على منكر) يعنى إن أخبر بالفعل عن منكر أفاد تخصيص الجنس أو الواحد به نحو ، رجل جاءنى أى لا امرأة أو لا رجلان ، وذلك لأن أصل النكرة أن تكون لواحد من الجنس فيقع القصد بها تارة إلى الجنس فقط ، كما إذا كان المخاطب بهذا الكلام قد عرف أن قد أتاك آت ولم يدر جنسه أرجل هو أم امرأة ، أو اعتقد أنه امرأة . وتارة إلى الواحد فقط ، كما إذا عرف أن قد أتاك من هو من جنس الرجال ولم يدر أرجل هو أم رجلان أو اعتقد أنه رجلان . وبعد ، فحاصل كلام عبد القاهر أن الاسم إذا قدم على الفعل فإن ولى حرف النفي أفاد التقديم أن نفي الفعل مخصوص بهذا الاسم ، وإن لم يل حرف النفي اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل إلا أن المعنى من هذا القصد ينقسم قسمين : أحدهما ما يفيد تخصيص فحوى الفعل بالاسم للرد على من زعم انفراد غيره به أو مشاركته فيه ، الثانى ما لا يفيد إلا تقوى

جاءني ، أي لامرأة أو لا رجلاً . ووافقه السكاكي على ذلك ، إلا أنه
قال : التقديم يفيد الاختصاص ، إن جاز تقدير كونه في الأصل مؤخرًا
على أنه فاعل معنى فقط نحو : أنا قمت ، وقدر ، وإلا فلا يفيد إلا تقوى
الحكم ، سواء جاز كما مر ولم يقدر ، أو لم يجوز يجوز زيد قام ؛ واستثنى
المنكر بجعله من باب : وأسروا النجوى الذين ظلموا ، أي على القول

الحكم وتقريره في ذهن السامع وهكذا أيضاً الفعل المنفي فإذا قلت أنت لا تحسن
هذا كان أشد لنفي إحسان ذلك عنه من أن تقول لا تحسن هذا حتى لو أتيت
بأنت فيما بعد تحسن فقلت لا تحسن أنت لم يكن له تلك القوة هذا كله إذا بنى
الفعل على معرف ، فإن بنى على منكر أفاد التقديم تخصيص الجنس أو الواحد
بالفعل كما علت (على ذلك) أي على أن التقديم يفيد التخصيص والتقوى
(إلا أنه قال) حاصل مذهبه أن المسند إليه المقدم إن كان نكرة فهو للتخصيص
إن لم يمنع منه مانع وإن كان معرفة فإن كان مظهراً فلا يكون للتخصيص ألبتة
وإن كان مضمراً فإن قدر كونه في الأصل مؤخرًا فهو للتخصيص وإلا فالتقوى
(نحو أنا قمت) فإنه يجوز أن تقدر أصله قمت أنا ، على أن أنا تأكيد للمفاعل
الذي هو التاء في قمت فيكون فاعلاً في المعنى وإن كان تأكيداً في اللفظ (وقدر)
معطوف على جاز يقول إن إفادة التخصيص تتوقف على شيئين أحدهما جواز
التقدير ، والآخر حصول ذلك التقدير من المتكلم (نحو زيد قام) فإنه لا يجوز
أن يقدر أن أصله قام زيد فقدم ، لأنه يلزم عليه تقديم المفاعل اللفظي وهو
لا يجوز (واستثنى الخ) لما كان مغزى كلامه قبل أن لا يكون نحو رجل

بِالْبَدَالِ مِنَ الضَّمِيرِ لِثَلَا يَنْتَفِي التَّخْصِصُ إِذْ لَا سَبَبَ لَهُ سِوَاهُ ، بِخِلَافِ
الْمَعْرِفِ ؛ ثُمَّ قَالَ : وَشَرْطُهُ أَنْ لَا يَمْنَعَ مِنَ التَّخْصِصِ مَانِعٌ ، كَقَوْلِنَا
رَجُلٌ جَاءَنِي ، عَلَى مَا مَرَّ ، دُونَ قَوْلِهِمْ : شَرُّ أَهَرَّ ذَا نَابٍ ، أَمَّا عَلَى التَّقْدِيرِ
الْأَوَّلِ فَلَا مُمْتَنَاعَ أَنْ يُرَادَ الْمَهْرُ شَرُّهُ لَا خَيْرٌ ، وَأَمَّا عَلَى الثَّانِي فَلْيَنْبُوهُ عَنْ
مَظَانِّ اسْتِعْمَالِهِ ؛ وَإِذْ قَدْ صَرَّحَ الْأَلَمَّةُ بِتَخْصِصِهِ حَيْثُ تَأَوَّلُوهُ بِمَا أَهَرَّ
ذَا نَابٍ إِلَّا شَرُّهُ ، فَالْوَجْهُ تَفْطِيعُ شَأْنِ الشَّرِّ بِتَنْكِيرِهِ . وَفِيهِ نَظَرٌ ، إِذِ الْفَاعِلُ

جاءني مفيداً للتخصيص لأنه إذا أخر فهو فاعل لفظاً لا معنى استثناه بأن قدر
أصله جاءني رجل ، لا على أن رجل فاعل جاءني بل على أنه بدل من الفاعل
الذي هو الضمير المستتر في جاءني ، فيكون فاعلاً معنى ، كما قيل في قوله تعالى :
وَأَسْرَوْا النُّجُوزَ الَّذِينَ ظَلَمُوا : إِنْ الَّذِينَ ظَلَمُوا بَدَلُ مِنَ الْوَاوِ فِي أُسْرُوا ، وَفَرَّقَ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْرِفِ بِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَقْدِرْ ذَلِكَ فِيهِ انْتَفَى تَخْصِصُهُ إِذْ لَا سَبَبَ لِتَخْصِصِهِ
سِوَاهُ ، وَلَوْ انْتَفَى تَخْصِصُهُ لَمْ يَقَعْ مَبْتَدَأُ بِخِلَافِ الْمَعْرِفِ لَوْجُودِ شَرْطِ الْإِبْتِدَاءِ
فِيهِ وَهُوَ التَّعْرِيفُ (وَشَرْطُهُ) أَيْ شَرْطُ جَعْلِ الْمُنْكَرِ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَاعْتِبَارِ
الْتِمْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ فِيهِ (عَلَى مَا مَرَّ) مِنْ أَنْ مَعْنَاهُ رَجُلٌ جَاءَنِي لَا امْرَأَةٌ أَوْ لَا
رَجُلَانِ (شَرُّ أَهَرَّ ذَا نَابٍ) هَذَا مِثْلُ يَضْرِبُ فِي ظُهُورِ أَمَارَاتِ الشَّرِّ وَمَخَايِلِهِ ،
وَأَهَرُّهُ : حَمْلُهُ عَلَى الْهَرِيرِ وَهُوَ التَّصْوِيتُ ، وَذُو النَّابِ : السَّبْعُ (الْأَوَّلُ) يَعْنِي
تَخْصِصَ الْجِنْسِ (الثَّانِي) يَعْنِي الْوَاحِدَ (فَلْيَنْبُوهُ) لِأَنَّهُ لَا يَقْصَدُ بِهِ أَنْ الْمَهْرُ شَرُّ
لَا شِرَانِ (تَفْطِيعُ شَأْنِ الشَّرِّ بِتَنْكِيرِهِ) لِأَنَّ التَّنْكِيرَ كَمَا يَخْفَى بِفَيْدِ التَّعْظِيمِ وَالتَّهْوِيلِ
فَيَكُونُ الْمَعْنَى شَرُّ عَظِيمٍ أَهَرُّ ذَا نَابٍ لَا شَرَّ حَقِيرٍ ، فَيَكُونُ تَخْصِصاً نَوْعِيّاً وَهَذَا

اللفظي والمعنوي سواء في امتناع التقديم ما بقياً على حالها ، فتحوير
تقديم المعنوي دون اللفظي تحكم ؛ ثم لا نسلم انتفاء التخصيص لولا
تقدير التقديم ، لحصوله بغيره كما ذكره ؛ ثم لا نسلم امتناع أن يراد
المهر شرّاً لاخيراً . ثم قال : وَيَقْرُبُ مِنْهُ هُوَ قَامَ ، زَيْدٌ قَامَ ، في التقوى
لِتَضْمِنِهِ الضمير ؛ وَشَبَّهَهُ بِالْحَالِي عَنْهُ مِنْ جِهَةِ عَدَمِ تَغْيِيرِهِ فِي التَّكْلَمِ .

ولاني لأعجب من السكاكي عفا الله عنه حيث أسمع جمعجة ولا أرى طحناً .
وليت شعري ما الذي حدا به إلى مخالفة الإمام عبد القاهر حتى وقع في ذلك
الخطب الظاهر ، وبعد ، فإذا على المصنف لو أنه ثبت مذهبه هذا بين سطور
كتابه (والمعنوي) كالتأكيد والبدل (ما بقياً على حالها) أي مادام الفاعل فاعلاً
والتابع تابعاً (تحكم) أي حكم بلا موجب (انتفاء التخصيص) يعني في نحو
رجل جاءني (كما ذكره) أي السكاكي في بيان وجه الخصوص في قولهم شراهر
ذا ناب من التهويل والتفطيع (ثم لا نسلم امتناع أن يراد المهر شرّاً لاخيراً) قال
الشيخ عبد القاهر إنما قدم شر لأن المراد أن يعلم أن الذي أهر ذا ناب هو من
جنس الشر لا من الخير ، فخرى مجرى أن تقول رجل جاءني ، تريد أنه رجل
لا امرأة ، وقول العلياء إنه إنما صلح لأنه بمعنى ما أهر ذا ناب إلا شر بيان
لذلك ، وهذا صريح في خلاف ما ذكره السكاكي (ثم قال) هاك ما قاله
السكاكي في مفتاحه بعد تقرير التقوى في نحوه هو قام لما فيه من الإسناد مرتين .
ويقرب من قبيل أنا عرفت وأنت عرفت وهو عرف في اعتبار تقوى الحكم
زيد عارف ؛ وإنما قلت يقرب دون أن أقول نظيره لأنه لما لم يتفاوت في التكلم

وَالْخُطَابِ وَالْغَيْبَةِ : ولهذا لم يحكم بأنه جملة ، ولا عومل معاملةً لها في البناء .
وَمَا يُرَى تَقْدِيمُهُ كَاللَّازِمِ ، لَفْظُ مِثْلٍ وَغَيْرٍ ، في نحو : مِثْلُكَ لَا يَبْخَلُ ، وَغَيْرُكَ
لَا يَخُودُ ، بِمَعْنَى أَنْتَ لَا تَبْخَلُ وَأَنْتَ تَجُودُ ، مِنْ غَيْرِ إِرَادَةِ تَعْرِيضٍ لِغَيْرِ

وَالْخُطَابِ وَالْغَيْبَةِ فِي أَنَا عَارِفٌ وَأَنْتَ عَارِفٌ وَهُوَ عَارِفٌ أَشْبَهُ الْخَالِي عَنْ
الضَّمِيرِ ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَحْكَمْ عَلَى عَارِفٍ بِأَنَّهُ جُمْلَةٌ وَلَا عُمِلَ مَعَامِلَتُهَا فِي الْبِنَاءِ حَيْثُ
أَعْرَبَ فِي نَحْوِ رَجُلٍ عَارِفٍ رَجُلًا عَارِفًا رَجُلٌ عَارِفٌ (مِثْلٌ وَغَيْرٌ) إِذَا اسْتَعْمَلَا
عَلَى سَبِيلِ الْكِنَايَةِ (فِي نَحْوِ مِثْلِكَ لَا يَبْخَلُ) مِمَّا لَا يَرَادُ بِلَفْظِ مِثْلٍ لِنَسَانٍ غَيْرِ
مَا أَضِيفَ إِلَيْهِ وَلَكِنْ أُرِيدَ أَنْ مَنْ كَانَ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا كَانَ مِنْ مَقْتَضَى
الْقِيَاسِ أَنْ يَفْعَلَ مَا ذَكَرَ أَوْ أَنْ لَا يَفْعَلَ وَلَكِنْ الْمَعْنَى هَذَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَمْ أَقُلْ مِثْلُكَ أَغْنِي بِي سِوَاكَ يَا فَرْدًا فِي مَحَاسِنِهِ
وَعَالِيهِ قَوْلُ الْمُتَنَبِّي :

مِثْلُكَ يَبْنِي الْمِزْنَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غَرْبِهِ
(وَغَيْرُكَ لَا يَجُودُ) مِثْلُهُ قَوْلُ الْمُتَنَبِّي :

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ *

فَإِنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ أَنْ يَعْرُضَ بِوَاحِدٍ هُنَاكَ فَيُصِفُهُ بِأَنَّهُ يَنْخَدِعُ ، بَلْ أَرَادَ
أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ يَنْخَدِعِ ، وَكَذَا قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

وَعَيْرِي يَا كَلُّ الْمَعْرُوفِ سُحْتًا وَتَشَحَّبُ عِنْدَهُ الْأَيَادِي

فَإِنَّهُ لَمْ يَرِدْ أَنْ يَعْرُضَ بِشَاعِرٍ سِوَاهُ ، فَيُزَعَمُ أَنَّ الَّذِي قَرَفَ بِهِ عِنْدَ الْمَدُوحِ
مَنْ أَنَّهُ هَجَاءٌ كَانَ مِنْ ذَلِكَ الشَّاعِرِ لَا مِنْهُ بَلْ أَرَادَ أَنْ يَنْقُ عَنْ نَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ

المخاطب ، لِيَكُونَهُ أَعْوَنَ عَلَى الْمُرَادِ بِهِمَا « قِيلَ » وَقَدْ يُقَدَّمُ لِأَنَّهُ دَالٌّ عَلَى الْعُمُومِ نَحْوُ : كُلُّ إِنْسَانٍ لَمْ يَقُمْ ، بِخِلَافِ مَا لَوْ أُخِّرَ نَحْوُ : لَمْ يَقُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ ، فَإِنَّهُ يُفِيدُ نَفْيَ الْحُكْمِ عَنْ جُمْلَةِ الْأَفْرَادِ ، لَا عَنْ كُلِّ فَرْدٍ ، وَذَلِكَ لِثَلَاثٍ يَأْزِمُ تَرْجِيحُ التَّأْكِيدِ عَلَى التَّأْسِيسِ ، لِأَنَّ الْمَوْجِبَةَ الْمَهْمَلَةَ الْمَعْدُولَةَ

مَنْ يَكْفُرُ بِالنَّعْدَةِ وَيَلْزِمُ « هَذَا » وَاسْتِعْمَالَ مِثْلِ وَغَيْرِ هَذَا مَرْكُوزٌ فِي الطَّبَاعِ وَإِذَا تَصَفَّحْتَ الْكَلَامَ وَجَدْتَهُمَا يَقْدَمَانِ أَدْبَاً عَلَى الْفِعْلِ إِذَا نَحَى بِهِمَا نَحْوُ . مَا ذَكَرْنَاهُ وَلَا يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى فِيهِمَا إِذَا لَمْ يَقْدَمَا ، وَالسَّرُّ فِي ذَلِكَ أَنَّ تَقْدِيمَهُمَا يُفِيدُ تَقْوَى الْحُكْمِ كَمَا سَبَقَ تَقْرِيرُهُ ، وَسَيَأْتِي أَنَّ الْمَطْلُوبَ بِالسَّكْنَاءِ فِي مِثْلِ قَوْلِنَا مِثْلَكَ لَا يَسْخُلُ وَغَيْرُكَ لَا يَجُودُ هُوَ الْحُكْمُ ، وَأَنَّ السَّكْنَاءَ أَبَاحَ مِنَ التَّصْرِيحِ فِيمَا قَصَدْنَاهَا ، فَكَانَ تَقْدِيمُهُمَا أَعْوَنَ لِلْمَعْنَى الَّتِي جَلَبْنَا لِأَجْلِهَا (قِيلَ) الْقَائِلُ ابْنُ مَالِكٍ وَجَمَاعَةٌ (نَحْوُ كُلِّ إِنْسَانٍ لَمْ يَقُمْ) فَتَقْدِيمُ كُلِّ إِنْسَانٍ عَلَى لَمْ يَقُمْ يُفِيدُ نَبْيَ الْقِيَامِ عَنْ كُلِّ النَّاسِ (وَذَلِكَ لِثَلَاثٍ يَلْزِمُ الْخ) يَقُولُ هَذَا الْقَائِلُ : إِنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنِ التَّقْدِيمُ مُفِيداً لِعُمُومِ النَّفْيِ وَالتَّأْخِيرِ مُفِيداً لِنَفْيِ الْعُمُومِ لَلَزِمَ تَرْجِيحُ التَّأْكِيدِ عَلَى التَّأْسِيسِ . وَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّأْسِيسَ الَّذِي هُوَ إِنْشَاءُ مَعْنَى لَمْ يَكُنْ حَاصِلاً قَبْلَ أَرْجَحِ مِنْ التَّأْكِيدِ الَّذِي هُوَ إِفَادَةُ مَا قَدْ حَصَلَ ، لِأَنَّ الْإِفَادَةَ خَيْرٌ مِنَ الْإِعَادَةِ . وَبَيَّانُ الْإِزْمِ فِي التَّقْدِيمِ ، أَنَّ قَوْلَنَا إِنْسَانٍ لَمْ يَقُمْ ، مُوجِبَةٌ مَهْمَلَةٌ مَعْدُولَةٌ مَحْمُولٌ ، أَمَّا أَنَّهَا مُوجِبَةٌ فَلِأَنَّهُ حُكْمٌ فِيهَا بَثْبُوتُ عَدَمِ الْقِيَامِ لِلْإِنْسَانِ ، وَأَمَّا أَنَّهَا مَهْمَلَةٌ فَلِأَنَّهُ أَهْمَلُ فِيهَا بَيَانُ كَمِيَّةِ أَفْرَادِ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ ، وَأَمَّا أَنَّهَا مَعْدُولَةٌ مَحْمُولٌ فَلِأَنَّ حَرْفَ السَّلْبِ قَدْ جَعَلَ جُزْأً مِنَ الْمَحْمُولِ ، وَإِذَا كَانَتْ كَذَلِكَ كَانَ مَعْنَاهَا السَّلْبُ عَنْ جُمْلَةِ الْأَفْرَادِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِكُلِّيَّتِهَا وَلَا لِحُزْمِيَّتِهَا وَالْمَحَقَّقُ مِنْهَا السَّلْبُ عَنْ الْبَعْضِ

المحمول في قوة السالبة الجزئية المستلزمة نفى الحكم عن الجملة دون كل فرد ، والسالبة المهمة في قوة السالبة السككية المقتضية للنفي عن كل فرد ، لورود موضوعها في سياق النفي ، وفيه نظر ، لأن النفي عن الجملة في الشورة الأولى وعن كل فرد في الثانية ، إنما أفادته الإسناد

فهي في قوة السالبة الجزئية المستلزمة نفي الحكم عن الجملة ألبتة ، لأن مفهومها سلب الحكم عن بعض الأفراد ، كقولنا ليس بعض الإنسان بقائم . وهذا المعنى يصدق عند انتفاء الحكم عن بعض الأفراد دون بعض وعند انتفائه عن كل فرد وعلى كل حال يصدق النفي عن جملة الأفراد أي عن مجموعها على طريق السلب المساط على الإثبات الكلي وإذا كان ذلك كذلك كانت المهمة والجزئية متلازمين لأنه كلما صدق الساب عن البعض الذي هو مفاد الجزئية صدق ثبوت الساب للمصدوق في الجملة الذي هو مفاد المهمة ، وكلما صدق ثبوت الساب المصدوق في الجملة صدق الساب عن البعض .

فيتحقق بهذا أن الموجبة المهمة المعدولة المحمول للساب عن الجملة لا عن كل فرد . فلو كان إنسان لم يقم بعد دخول كل أيضاً معناه كذلك كان كل مفيداً للمعنى الحاصل قبله ، فيجب أن يحمل على نفي الحكم عن كل فرد ليكون كل لتأسيس معنى آخر ترجيحاً للتأسيين على التأكيد . وبيان اللزوم في التأخير ، أن قولنا لم يقم إنسان سالبة مهمة والسالبة في قوة السالبة السككية المقتضية للنفي عن كل فرد مثل لا شيء من الإنسان بقائم وإنما كانت تلك في قوة هذه لورود موضوعها وهو نسكرة في سياق النفي ، والنسكرة في سياق النفي نعم . فعني لم يقم إنسان نفي الحكم عن كل فرد ، فلو كان بعد دخول كل أيضاً كذلك كان كل

إِلَى مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ كُلُّ ، وَقَدْ زَالَ ذَلِكَ بِالْإِسْنَادِ إِلَيْهِ ، فَيَكُونُ تَأْسِيسًا
لَا تَأْكِيدًا ، وَلِأَنَّ الثَّانِيَةَ إِذَا أَفَادَتِ النَّفْيَ عَنْ كُلِّ فَرْدٍ فَقَدْ أَفَادَتِ
النَّفْيَ عَنِ الْجُمْلَةِ ، فَإِذَا حُمِلَتْ عَلَى الثَّانِي لَا يَكُونُ كُلُّ تَأْسِيسًا ، وَلِأَنَّ
النَّكَرَةَ الْمُنْفِيَّةَ إِذَا عَمَّتْ كَانَ قَوْلُنَا : لَمْ يَقُمْ إِنْسَانٌ ، سَالِبَةً كَثِّيَّةً
لَا مُهْمَلَةً . . عَبْدُ الْقَاهِرِ : إِنْ كَانَتْ كُلُّ دَاخِلَةً فِي حَيْثُ النَّفْيِ بَأَنَّ أُخِّرَتْ

لِتَأْكِيدٍ مَعْنَى حَصَلَ قَبْلَ فَيَجِبُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى نَفْيِ الْقِيَامِ عَنْ جُمْلَةِ الْأَفْرَادِ لِيَكُونَ
كُلُّ تَأْسِيسٍ مَعْنَى آخِرٍ ، إِذَا التَّاسِيسُ أَرْجَحَ مِنَ التَّأْكِيدِ (وَفِيهِ) أَيْ فِيمَا اسْتَدَلَّ
بِهِ هَذَا الْقَائِلُ أَمَّا أَصْلُ قَوْلِهِ فَصَحِيحٌ (الْأَوَّلَى) يَعْنِي الْمَوْجِبَةُ الْمَهْمَلَةُ الْمَعْدُولَةُ
الْمَحْمُولُ كَقَوْلِنَا إِنْسَانٌ لَمْ يَقُمْ (الثَّانِيَةُ) يَعْنِي السَّالِبَةُ الْمَهْمَلَةُ كَقَوْلِنَا لَمْ يَقُمْ إِنْسَانٌ
(مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ كُلُّ) وَهُوَ لَفْظُ إِنْسَانٍ (فَيَكُونُ تَأْسِيسًا لَا تَأْكِيدًا) لِأَنَّ
التَّأْكِيدَ لَفْظٌ يَفِيدُ تَقْوِيَةً مَا يَفِيدُهُ لَفْظُ آخَرٍ وَمَا نَحْنُ فِيهِ لَيْسَ كَذَلِكَ ، وَبَعْدَ ،
فَقَدْ قَالُوا إِنْ هَذَا الْمَنْعُ لَا يَصِحُّ إِلَّا عَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يَرَادَ التَّأْكِيدُ الْإِصْطِلَاحِيُّ ، أَمَّا
لَوْ أُرِيدَ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ لِفَادَةٍ مَعْنَى كَانَ حَاصِلًا بِدُونِهِ فَاَنْدِفَاعُ الْمَنْعِ ظَاهِرٌ
(الثَّانِيَةُ) يَعْنِي السَّالِبَةُ الْمَهْمَلَةُ (حَمَلَتْ) أَيْ كُلُّ (الثَّانِي) وَهُوَ النَّفْيُ عَنْ جُمْلَةِ
الْأَفْرَادِ (لَا يَكُونُ تَأْسِيسًا) بَلْ تَأْكِيدٌ لِأَنَّ هَذَا الْمَعْنَى كَانَ حَاصِلًا بِدُونِهِ وَحَيْثُ شُذِّ
فَلَوْ جَعَلْنَاهُ لَمْ يَقُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ لِعَمُومِ النَّفْيِ مِثْلَ لَمْ يَقُمْ إِنْسَانٌ لَمْ يَلْزَمْ تَرْجِيحُ التَّأْكِيدِ
عَلَى التَّاسِيسِ إِذْ لَا تَأْسِيسَ أَصْلًا بَلْ يَلْزَمْ تَرْجِيحُ أَحَدِ التَّأْكِيدَيْنِ عَلَى الْآخَرِ
(وَلِأَنَّ النَّكَرَةَ) هَذَا بَحْثٌ فِي التَّسْمِيَةِ يَقُولُ إِنْ النَّكَرَةُ الْمُنْفِيَّةُ إِذَا عَمَّتْ كَانَتْ
لِقَضِيَّةٍ الْمَحْتَوِيَّةِ عَلَيْهَا سَالِبَةً كَلِمَةً لَا مَهْمَلَةً ، فَتُسَمَّى ذَلِكَ الْقَائِلُ لَهَا بِالْمَهْمَلَةِ
لَا يَصِحُّ (وَعَبْدُ الْقَاهِرِ) كَلَامُهُ هُوَ مَقَادُ كَلَامِ ابْنِ مَالِكٍ وَجَمَاعَتِهِ وَلَكِنْ أَيْنَ

عَنْ أَدَاتِهِ نَحْوُ * مَا كُلُّ مَا يَتَمَتَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ * أَوْ مَعْمُولَةً لِلْفِعْلِ
الْمَنْفِيِّ نَحْوُ : مَا جَاءَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ ، أَوْ مَا جَاءَ كُلُّ الْقَوْمِ ، وَلَمْ آخِذٌ كُلَّ

الماء من السماء وموقع السيل من مطلع سهيل ، ثم إن ما ذكره المصنف هو مغزى
كلام عبد القاهر لا لفظه (نحو ما كل) مثله قول الآخر :

* مَا كُلُّ رَأْيِي الْفَتَى يَدْعُو إِلَى رَشْدٍ *

والبيت للبتني وتمامه :

* تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ *

(أو معمولة للفعل المنفي) الذي يظهر أن ذلك معمول لفعل مقدر معطوف
على أخرت أي أو جعلت معمولة . وهالك عبارة الشيخ عبد القاهر مع تصرف ما :
واعلم أنك إذا أدخلت كلا في حيز النفي بأن تقدم النفي عليه لفظاً أو تقديرًا ،
يعنى كما إذا قدمته على الفعل المنفي العامل فيه فإنه مؤخر تقديرًا لأن مرتبة
المعمول التأخر عن العامل ، فالمعنى على نفي الشمول دون نفي الفعل والوصف
نفسه . والسبب في ذلك أنك إذا قلت أتاني القوم مجتمعين ، فقال قائل لم يأتك
القوم مجتمعين ، كان نفيه ذلك متوجهاً إلى الاجتماع الذي هو تقييد في الإتيان
من أصله كان من سبيله أن يقول إنهم لم يأتوك أصلاً ، فما معنى قولك مجتمعين ،
وإذا كان هذا حكم النفي إذا دخل على كلام فيه تقييد ، فإن التأكيد ضرب من
التقييد فتنفى كلاماً فيه تأكيد فإن نفياً ذلك يتوجه إلى التأكيد خصوصاً .
فإذا قلت لم أر كل القوم كنت عمدت بنفياً إلى معنى كل خاصة ، وإذن يجب
أن يكون قد أتاك بعض القوم . وإذا أخرجت كلا من حيز النفي ولم تدخله فيه
للفظاً ولا تقديرًا كان المعنى على أنك تتبعت الجملة فنفيت الفعل والوصف عنها

الدَّارَاهِمَ ، أَوْ كُلَّ الدَّارَاهِمِ لَمْ آخُذْ ، تَوَجَّهَ النَّفْيُ إِلَى الشُّمُولِ خَاصَّةً وَأَفَادَ ثُبُوتَ الْفِعْلِ أَوْ الْوَصْفِ لِبَعْضٍ ، أَوْ تَعَلُّقَهُ بِهِ ، وَإِلَّا عَمَّ ، كَقَوْلِ

واحدًا واحدًا ، والعلة في أن كان ذلك كذلك أنك إذا بدأت بكل كنت قد بنيت النفي عليه وسلطت الكلية على النفي وأعملتها فيه وإعمال معنى الكلية في النفي يقتضي أن لا يشذ شيء عن النفي فاعرفه (توجه النفي إلى الشمول خاصة) فإن قلت فما تصنع في قوله تعالى : والله لا يحب كل مختال فخور ، والله لا يحب كل كفار أثيم . فإننا نقول قد عرضنا ذلك على شيخنا الإمام الشيخ محمد عبده فأجاب — حفظه الله — بما يشرح الصدر ويملا النفس ارتياحاً ، قال : قد يعدل عما يدل على عموم السلب إلى ما يفيد سلب العموم ، والسلب عام على الحقيقة ، للتعريض بالمخاطب والإيماء إلى أنه شر صنفه ، مثلاً إذا قلت لسفيه ، تعرض بأنه شر السفهاء : أنا لا أحب كل سفيه ، فالمعنى أنه لو فرض أن محبتي تتعاق بسفيه لكنت غير موضع لها ، وكذلك الذي جاء في الآية السكريمة أريد به والله أعلم التعريض بمن نزلت فيهم من أعداء الله وأنهم شر أصنافهم ، فقوله تعالى : والله لا يحب كل مختال فخور ، معناه أن محبة الله لا تعم المختالين الفخوريين حتى تشمل هؤلاء فكأنه سبحانه يقول لو أن محبتنا تعلقت بمختال فخور لما تعلقت بأولئك لأن مختالهم وفخورهم شر مختال وفخور ، وهكذا يقال في سائر الآيات وما يكون ظاهره أنه من سلب العموم وحقيقته أنه من عموم السلب (وأفاد ثبوت الفعل أو الوصف لبعض أو تعلقه به) أما إفادته ثبوت الفعل أو الوصف ففياً إذا كانت كل فاعلاً معنى أو لفظاً للفعل أو الوصف ، وأما إفادته تعلق الفعل أو الوصف ففياً إذا كانت مفعولاً لفظاً أو معنى لها وإطلاق الثبوت على نسبة أحدهما للفاعل والتعلق على نسبته للمفعول اصطلاح شائع (وإلا)

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لَمَّا قَالَ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ : أَقْصَرْتَ الصَّلَاةُ أَمْ نَسِيتَ : كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ :

قَدْ أَصْبَحْتَ أَمْ الْخِيَارِ تَدْعِي * عَلَى ذَنْبًا كُلَّهُ لَمْ أَصْنَعْ
وَأَمَّا تَأْخِيرُهُ فَلَا قِتْضَاءَ الْمَقَامِ تَقْدِيمَ الْمُسْنَدِ . . هَذَا كُلُّهُ مُقْتَضَى

أى وإن لم تكن داخلة في حيز النفي بأن قدمت عليه لفظاً ولم تكن معمولة للفعل المنفى (كل ذلك لم يكن) فالمعنى لا محاولة على نفي الأمرين جميعاً وعلى أنه عليه السلام أراد أنه لم يكن واحد منهما لا القصر ولا النسيان . والدليل على ذلك وجهان : أحدهما أن السؤال بأم عن أحد الأمرين لطلب التعيين بعد ثبوت أحدهما عند المتكلم على الإبهام ، فجوابه إما بالتعيين أو بنفى كل واحد منهما ، وثانيهما ما روى أنه لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل ذلك لم يكن ، قال له ذو اليدين بعض ذلك قد كان ، والإيجاب الجزئى نقيضه السلب الكلى (وعليه قوله) أى قول أبى النجم وقد تقدم ، ومثله قول دعبل :

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي بِأَيِّ سِهَامِيَا رَمَتْنِي وَكُلُّ عِنْدَنَا لَيْسَ بِالْمُسْكَدِي^(١)
أَبِ الْجِيدِ أَمْ مَجْرَى الْوِشَاحِ وَإِنِّي لَأَتُهُمْ عَيْنِيهَا مَعَ النَّاحِمِ الْجَفْدِ
المعنى على نفي أن يكون فى سهامها مكدم على وجه من الوجوه ، ومن البين فى ذلك قوله :

فَكَيْفَ وَكُلُّ لَيْسَ يَمْدُو حِمَامَةً . وَلَا لِامْرِئٍ عَمَّا قَضَى اللَّهُ مَزْحَلُ
(كله لم أصنع) برقع كله على معنى لم أصنع شيئاً مما تدعيه على من الذنوب ولهذا عدل عن النصف (فلا قِتْضَاءَ الْمَقَامِ تَقْدِيمَ الْمُسْنَدِ) وسيأتى بيان ذلك

(١) المسكدى : الذى يحفر ولا يجد الماء ، أى وليس من سهامها ما يخطىء .

الظاهر ، وقد يخرج الكلام على خلافه ، فيوضع المضمون موضع المظهر
كقولهم : نعم رجلاً زيداً ، مكان نعم الرجل ، في أحد القولين :
وقولهم هو أو هي زيداً عالم ، مكان الشأن أو القصة ، لتمكن ما يعقبه
في ذهن السامع ، لأنه إذا لم يفهم منه معنى انتظاره وقد يعكس ،
فإن كان اسم إشارة فيكامل العينية بتمييزه ، لاختصاصه بكم
إدفع كقوله :

إن شاء الله (كقولهم) ابتداء من غير جرى ذكر أو قرينة حال (في أحد القولين)
وهو القول بأن المخصوص خبر مبتدأ محذوف ، وأما من يجعل المخصوص مبتدأ
ونعم رجلاً خبره فيجتمل عنده أن يكون الضمير عائداً إلى المخصوص وهو
متقدم تقديرا (وقولهم هو أو هي زيداً عالم) ويختار تأنيث هذا الضمير إذا
كان في الكلام مؤنث غير فضلة نحو : هي هند مائة ، وقوله جل شأنه : فإنها
لا تعنى الأبصار ، قصداً إلى المطابقة لا أنه راجع إلى ذلك المؤنث ، ولم يسمع
نحو : هي زيد عالم ، وإن كان القياس يقتضى قياسه هذا ، ومن ذلك وإن كان
من غير باب المسند إليه قولهم : ياله رجلاً ، ويألفا قصة ، وربه رجلاً ، وقوله
تعالى : فقضاهن سبع سموات (لتمكن) تعليل لوضع المضمون موضع المظهر
، هذا ، وقد يكون وضع المضمون موضع المظهر لاشتهاره ووضوح أمره مثل
قوله تعالى : إنا أنزلناه أو لادعاء أن الذهن لا يلتفت إلى غيره كقوله في المطلع :

« زَارَتْ عَلَيْهَا لِلظَّلَامِ زَوَاقٍ »

لأن غير ذلك من الأغراض والمقاصد (يعكس) فيوضع المظهر موضع

كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٍ أُعْيتَ مَذَاهِبُهُ وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلَقَّاهُ مَرْزُوقًا
هَذَا الَّذِي تَرَكَ الْأَوْهَامَ حَائِرَةً وَصَيَّرَ الْعَالِمَ النُّحْرِيرَ زَنْدِيقًا

المضمير (كقوله كم عاقل الخ) فقوله في أول البيت الثاني هذا إشارة إلى حكم سابق غير محسوس وهو كون العاقل محروماً والجاهل مرزوقاً ، فكان القياس فيه الإضمار بأن يقال هما مثلاً ، فعدل إلى اسم الإشارة لكمال العناية بتمييزه ليرى السامعين أن هذا الشيء المتميز المتعين هو الذي له الحكم العجيب ، وهو جعل الأوهام حائرة والعالم النحرير زنديقاً ، فالحكم البديع هو الذي أسند للسند إليه المعبر عنه باسم الإشارة ، والبيتان لأحمد بن يحيى بن إسحق الراوندى وعاقل الثانى صفة لعاقل الأول بمعنى كامل العقل متناه فيه ، وأعيت مذاهبه : أعجزته وصعبت عليه طرق معاشه ، والنحرير : الخاذق الماهر المتقن ، كأنه ينحر العلم نحرأ ، والزنديق : الذى لا يؤمن بالربوبية ولا باليوم الآخر . وكلام ابن الراوندى هذا إحدى حماقاته وهو بالجهال أليق ، وما أبدع ما يقول أبو تمام :

بَيْنَ الْفَقْرِ مِنْ دَهْرِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ وَيَكْدِي الْفَقْرَ فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ
وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ تَجْرِي عَلَى الْحِجَابِ هَلَكُنْ إِذَنْ مِنْ جِبَاهِنَ الْبَهَائِمِ
وما أجمل قول الصابي :

إِذَا جَمَعَتْ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ صِنَاعَةٌ فَأُحْبِبْتِ أَنْ تَدْرِي الَّذِي هُوَ أَحْذَقُ
فَلَا تَتَفَقَّدُ مِنْهُمَا غَيْرُ مَا جَرَتْ بِهِ لَهُمَا الْأَرْزَاقُ حِينَ تَفَرَّقُ
خَيْثُ يَكُونُ الْجَهْلُ فَالرِّزْقُ وَاسِعٌ وَخَيْثُ يَكُونُ الْعِلْمُ فَالرِّزْقُ ضَيِّقٌ
وَأنت إذا أردت فلسفة هذا الباب فعليك بكتاب الفلاكة والمفلوكين

أَوِ التَّهَكُّمِ بِالسَّامِعِ ، كما إذا كانَ فَقِدِ الْبَصَرِ ، أَوِ الْبَدَاءِ عَلَى كَمَالِ
بِلَادَتِهِ ، أَوِ فُطَاتَتِهِ ، أَوِ ادِّعَاءِ كَمَالِ ظُهُورِهِ : وَعَدَّتِهِ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْبَابِ
تَعَالَتْ كَيْهَ أَشْجَى وَمَا بِكَ عَائَةٍ تَرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتُ بِذَلِكَ
وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ فَانْزِيَادَةُ التَّمَكُّنِ ، نَحْوُ : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ

(كما إذا كان فافد البصر) ولم يكن ثم مشار إليه أصلاً (والنداء على كمال بلادته)
لأن في اسم الإشارة إيماء إلى أن السامع لا يدرك إلا المحسوس (أَوِ فُطَاتَتِهِ)
ففي استعمال اسم الإشارة الذي أصله المحسوس في المعنى الغامض إيماء إلى أن
السامع لذكائه صارت المعقولات لديه كالمحسوسات (تعالت) أي أظهرت العلة
ومعنى أشجى : أحزن ، فأنت تراه عمداً إلى اسم الإشارة مع أن المشار إليه غير
محسوس ، وذلك لادعاء ظهور القتل وأنه كالمحسوس ، والبيت لعبد الله بن
الدمينة من قصيدة مطلعياً :

قَفِي قَبْلَ وَشَكِّ الْبَيْنِ يَا بِنْتَ مَالِكٍ وَلَا تَحْرِمِي نَظْرَةَ مَنْ جَمَالَكَ
(وإن كان غيره) أي وإن كان المظهر الذي وضع موضع المضمرة غير اسم
الإشارة (فلزبادة التمكن) ومن هنا كان لإعادة اللفظ في مثل قوله :
وَإِنْ طَارَتْ رَأَقَتُكَ فَاظْطَرُّ فَرِيحًا أَمْرًا مَذَاقِ الْعُودِ وَالْعُودُ أَخْضَرُ
وقول المتنبي :

بِمَنْ تَضْرِبُ الْأَمْثَالَ أَمْ مِنْ نَقِيصَةٍ إِلَيْكَ وَأَهْلُ الدَّهْرِ ذَوَاتُكَ وَالْدَّهْرُ
وبيت الحماسة : شِدَّةُ شِدَّةِ اللَّيْتِ غَدَاً وَاللَّيْتُ غَضْبَانٌ
من الحسن والبهجة ومن الفخامة والنبيل ما لا يخفى موضعه ، وكان لو ترك
فيها الإظهار إلى الإضممار لعدم الذي أتت واجده الآن (نحو قل هو الآية)

وَنَظِيرُهُ مِنْ غَيْرِهِ : وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ، أَوْ إِدْخَالَ الرُّوحِ فِي خَمِيرِ السَّبَاسِعِ وَتَرْبِيَةِ الْمَهَابَةِ ، أَوْ تَقْوِيَةَ دَاعِي الْمَأْمُورِ : مِثَالُهُمَا قَوْلُ الْخُلَفَاءِ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا مُرَّكَ بِكَذَا ، وَعَلَيْهِ مِنْ غَيْرِهِ : فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، أَوْ الْإِسْتِعْظَافِ كَقَوْلِهِ : إِنْهُ عَبْدُكَ الْعَاصِي أَنَا كَأَنَّكَ

فلم يقل هو الصمد لزيادة التمكن (الصمد) أى الذى يقصد فى الحوائج ولا يقضى فيها غيره (وبالحق) مثله قول عبد الله بن عتبة :

« إِنْ تَسَالُوا الْحَقَّ نَعُطْ سَائِلُهُ » (داعى المأمور) أى ما يكون داعياً لمن أمرته بشيء إلى الامتثال والإتيان به (أمير المؤمنين يا مراك بكذا) مكان أنا أمرك (وعليه) أى على وضع المظهر موضع المضمرة تقوية داعى المأمور (من غيره) أى من غير اب المسند إليه (فتوكل على الله) فلم يقل فتوكل على لما فى لفظ الجلالة من تقوية الداعى إلى التوكل لدلالته على ذات موصوفة بالأوصاف الكاملة من القدرة وما إليها (كقوله : إِنْهُ عَبْدُكَ الْعَاصِي أَنَا كَأَنَّكَ) فلم يقل أنا العاصي أتيتك ، لأن فى لفظ عبدك من الخضوع الموجب للعظمى والشفقة ما ليس فى لفظ أنا ، وفيه مع ذلك تمكن من وصفه للعاصي ، ونظير هذا قوله تعالى : قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً - إلى قوله - فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ، لم يقل فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَبِى لِيَتِمَّ مِنْ إِجْرَاءِ الصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ عَلَيْهِ ، ويشعر بأن الذى وجب الإيمان به بعد الإيمان بالله هو الرسول الموصوف بتلك الصفات كائناً من كان أنا أو غيرى إظهاراً للنسبة وبعداً عن التعصب لنفسه وتمايم البيت :

مُقِرّاً بِالذُّنُوبِ وَقَدْ دَعَاكَ

السكاكي : هَذَا غَيْرُ مُخْتَصٍّ بِالمُسْنَدِ إِلَيْهِ ، وَلَا بِهَذَا القَدْرِ ، بَلْ كُلُّ مَنْ
التَّكَلَّمَ وَالْحِطَابِ وَالغَيْبَةِ مُطْلَقًا يُنْقَلُ إِلَى الْآخِرِ : وَيُسَمَّى هَذَا النُّقْلُ
التَّفَاتًا كَقَوْلِهِ : تَطْلُو لَيْلِكَ بِالْأَثْمَدِ :

وبعده :

فَإِنْ تَغْفِرَ فَاتَ إِذًا أَهْلُ وَإِنْ تَصْرَفَ فَمَنْ يَرْحَمُ سِوَاكَ
(السكاكي) عبارته : واعلم أن هذا النوع أعنى نقل الكلام عن الحكاية
إلى الغيبة لا يختص بالمسند إليه ولا هذا القدر ، بل الحكاية والخطاب والغيبة
ثلاثها ينقل كل واحد منها إلى الآخر ، ومن هذا النقل التفاتاً عند علماء المعاني
والعرب يستأثرون منه ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل
في القبول عند السامع ، وأحياناً تطرية للشاطه ، وأمثلاً باستدراج إصغائه وهم
أحرىاء بذلك ، أليس قرى الأضياف جيتهم ، ونحو العشار للضيف دأهم
وهجيراهم (١) ، لا مزقت أيدي الأدوار لهم أديماً ، ولا أباحت لهم حرماً ، أفتراهم
يحسنون قرى الأشباح ، فيخالفون فيه بين لون ولون وطعم وطعم ولا يحسنون
قرى الأرواح فلا يخالفون فيه بين أسلوب وأسلوب وإيراد وإيراد (كقوله تطاول)
لامرئ القيس الكندي الصحابي من فصيحة يرثي بها أباه وتماه : ، نام الخلى ولم
يرقد ه الأثم : اسم مكان ، والخطاب في ليلك لنفسه ومقتضى الظاهر ليلي ، فهو
التفات على مذهب السكاكي ، وعند الجمهور تجريد ومثله قول ربيعة بن مقروم :

بَانَ سَعَادُ فَأَمْسَى الْقَلْبُ مَعْمُودًا وَأَخْلَفْتِكَ ابْنَةُ الْحَرْمِ الْمَوَاعِيدَا

(١) عاداتهم .

وَالْمَشْهُورُ أَنَّ الْإِلْتِفَاتَ هُوَ التَّعْيِيرُ عَنْ مَعْنَى بِطَرِيقٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ التَّعْيِيرِ عَنْهُ بِآخِرَةٍ مِنْهَا وَهَذَا أَخْصَرُّ . مِثَالُ الْإِلْتِفَاتِ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْخُطَابِ : وَمَا بِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ؛ وَإِلَى الْغَيْبَةِ : إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . وَمِنْ الْخُطَابِ إِلَى التَّكَلُّمِ :

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَنِ طَرُوبٌ بَعِيدَ الشَّبَابِ عَصْرٌ حَانَ مَشِيبٌ
يُكَلِّفُنِي نَيْلِي وَقَدْ شَطَّ وَلِيَّهَا وَعَادَتْ عَوَادِي بَيْنَا وَخُطُوبُ

فالتفت كما ترى حيث لم يقل وأخلفتني (والمشهور) هذا من كلام المصنف (وهذا أخصر) من تفسير السكاكي ، لأن السكاكي أراد بالنقل أن يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها فشكل التفت عندهم التفتات عنده من غير عكس (ومالي الآية) أي ومالك لا تمهدون الذي فطركم ، تلطف في الإرشاد بإبرازه في معرض المناصحة لنفسه وإحماض النصيح حيث أراد لهم ما أرادوا لها . وإذا عمد إلى التكلم لذلك كان مقتضى الظاهر أن يجري الكلام على طريقه فيقول وإليه أرجع ، فلما قصد إلى الخطاب حيث قال وإليه ترجعون كان التفتاتاً (طحا بك) البيتان لعاقبه بن عمدة الفحل ، طحا بك : ذهب بك كل مذهب ، وطروب : له طرب في طلب الحسان ونشاط في مراودتهن ، وبعيد الشباب : يعني حين ولي وكاد ينصرم ، ومعنى عصر حان مشيب : زمان قرب المشيب واهتمامه بالهجوم ، وفاعل يكلفني : ضمير يعود إلى القلب ، وشط : بعد ، والولي : القرب ، والعوادي : الصوارف ، وعوادي الدهر : عوائقه ، والخطوب : الأمور الشديدة تنزل ، فالتفت كما ترى في قوله يكلفني عن قوله بك ، وبعد ، فقد اشترطوا في الالتفات أن يكون

وَإِلَى الْغَيْبَةِ : حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكَ وَجَرَيْنَ بِهِمْ ، وَمِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى
التَّكَلُّمِ : وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْبَاهُ ، وَإِلَى الْخُطَابِ :
مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ . وَوَجْهُهُ أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا نُقِلَ مِنْ أُسْلُوبٍ
إِلَى أُسْلُوبٍ كَانَ أَحْسَنَ تَطْرِيقًا لِنَشَاطِ السَّمْعِ وَأَكْثَرَ إِيقَاطًا لِلْإِصْغَاءِ
إِلَيْهِ : وَقَدْ تَخَصَّصَ مَوَاقِعُهُ بِطَائِفٍ كَمَا فِي الْفَاتِحَةِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا ذَكَرَ
الْحَقِيقَ بِالْحَمْدِ عَنْ قَدِّ حَاضِرٍ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ نَحْرًا كَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ
وَكَمَا أَجْرَى عَلَيْهِ صِفَةً مِنْ ثَلَاثِ الْتَفَاتِ الْعِظَامِ قَوِي ذَلِكَ الْمَجْرَى ،
إِلَى أَنْ يُوَلِّ الْأَمْرَ إِلَى خَاتَمَتِهِ مُنِيدَةً ، أَنَّهُ مَالِكُ الْأَمْرِ كُلِّهِ

المخاطب بالكلام في الحالين واحداً ومن هنا كان قول جرير :

أَغْنِي يَا فِدَاكَ أُنَى وَأُمَى بِسَيْبِ مِينِكَ إِنَّا ذَوُورٌ بِرَحْمَةٍ
ثَقِي بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالْإِجْحَاحِ

ليس من الالتفات في شيء لأن المخاطب بالبيت الأول امرأته ، والمخاطب
بالبيت الثاني هو الخليفة كما لا يخفى (ووجهه) أى وجه حسن الالتفات (تطرية)
تجديداً (كما في الفاتحة) وكما في قوله تعالى : وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ
فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ، لَمْ يَقُلْ وَاسْتَغْفِرْت لَهُمْ ، وَعَدِلَ عَنْهُ إِلَى
طَرِيقَةِ الْإِلْتِفَاتِ تَفْخِيماً لِشَأْنِ الرَّسُولِ وَتَعْظِيماً لِاسْتِغْفَارِهِ وَتَنْبِيهاً عَلَى أَنْ شَفَاعَةَ
مِنْ اسْمِهِ الرَّسُولِ مِنْ أَنَّهُ بِمَكَانِ (مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ) الدَّالِ أَوْلَاهَا عَلَى أَنَّهُ الْمُتَوَلَّى
تَدْبِيرَ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ ، وَثَانِيهَا عَلَى أَنَّهُ الْمُنْعَمُ بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ جَلَالُهَا وَدِقَائِقُهَا .
(خَاتَمَتِهَا) وَهِيَ قَوْلُهُ مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ ، تَنْكَمَلَةٌ ، قَدْ يُطْلَقُ الْإِلْتِفَاتُ عَلَى مَعْنَيْنِ

فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ : فحينئذ يوجب الإقبال عليه ، وَالْخَطَابَ بِتخصيصه بغاية
الخشوع والاستعانة في المهمات . وَمِنْ خِلَافِ الْمُقْتَضَى تَلَقَّى الْخَاطَبُ بِغَيْرِ
مَا يَتَرَقَّبُ ، بِحَمَلِ كَلَامِهِ عَلَى خِلَافِ مُرَادِهِ تَنْبِيْهًا عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْأَوَّلَى

آخِرِينَ ، فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى ، فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه
يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به قال تعالى : وزهق الباطل إن الباطل
كان زهوقاً ، وقال جل شأنه : ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ، وقال جرير :
حَرَبَ الْحَمَاءُ بِيَذَى الْأَرَاكِ فَشَاقَنِي لَا زِلْتَ فِي عِلَالِي وَأَيْلِكَ نَاضِرِ
وقال :

مَتَى كَانَ الْخِيَمَةُ بِيَذَى طُوحِ شَقِيتِ الْغَيْثِ أَيْتَهَا الْخِيَامُ
أَتَذْكُرُ يَوْمَ تَصْقُلُ عَرِضِيَّ بِفَرْعِ بِشَامَةٍ سَقَى الْبَشَامُ

والثاني أن تذكر معنى فتوهم أن السامع اختلجه شيء فتلفت إلى كلام يزيل
اختلجه ثم ترجع إلى مقصودك كقول ابن ميادة :

فَلَا حَرَمُهُ يَبْدُو وَفِي الْيَمْسِ رَاحَةٌ وَلَا وَصْلُهُ يَصْفُو لَنَا فَنُكَارِمُهُ

(تلقى المخاطب) هذا هو الذي سماه السكاكي الأسلوب الحكيم وقال فيه :
إن هذا الأسلوب لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع ما سلبه حكم
الوقور ، وأبرزه في معرض المسحور وهل الآن شكيمة الحجاج لذلك الخارجى
وسل سخيمة (١) حتى أثر أن يحسن على أن يسمى غير أن سحره بهذا الأسلوب ؟
وسماه الشيخ عبد الفاهر مغالطة : وعن سلوك هذه الطريقة في جواب المخاطب
عن من قال مفتخراً :

بِالْقَصْدِ ، كَقَوْلِ الْقَبْعَثَرِيِّ لِلْحَجَّاجِ - وَقَدْ قَالَ لَهُ مُتَوَعِّدًا لِأَحْمَلَنِكَ عَلَى
الْأَذْهِمِ - مِثْلُ الْأَمِيرِ يَحْمِلُ عَلَى الْأَذْهِمِ وَالْأَشْهَبِ ، أَيْ مَنْ كَانَ مِثْلَ
الْأَمِيرِ فِي السُّلْطَانِ وَبَسْطَةِ الْيَدِ فَجَدِيرٌ بِأَنْ يُصْفَدَ لِأَنْ يُصْفَدَ ، أَوِ السَّائِلِ
بِغَيْرِ مَا يَتَطَلَّبُ بِتَنْزِيلِ سُؤَالِهِ مَنْزِلَةَ غَيْرِهِ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّهُ الْأَوَّلَى بِحَالِهِ
أَوِ الْمُهْمُّ لَهُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ
وَالْحَجِّ ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَاللِّدِينِ

أَتَتْ تَشْتَكِي عِنْدِي مَرْأُوْلَةُ الْقَرَى وَقَدْ رَأَتْ الضَّيْفَانَ يَنْحُونِ مَنْزِلِي
فَقُلْتُ كَأَنِّي مَا سَمِعْتُ كَلَامَهَا هُمُ الضَّيْفُ جَدِّي فِي قِرَاهِمُ وَعَجَلِي
(لأحملتك على الأذهم) والحجاج يريد القيد (مثل الأمير الخ) فأتت ترى
القبعثرى أبرز وعيد الحجاج في معرض الوعد وتلقاه بنير ما يترقب بحمل الأذهم
في كلامه على الفرس الأذهم ، وأكد ذلك بذكر الأشهب تنبيها على أن ذلك هو
الأولى أن يقصد الأمير (يصفد) أي يعطى (لا أن يفصد) يقيد (أو السائل)
أي أو تلقى السائل الخ (يسألونك عن الأهلة الآية) روى أن ثلة من الصحابة
قالوا ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يتراد قليلاً قليلاً حتى يمتلئ
ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ . وهذا سؤال عن السبب فأجيبوا
ببيان الحكمة تنبيهاً على أن الأولى أن يسألوا عن ذلك ، وبعد ، فالمحققون من
المفسرين على أنه سؤال عن الحكمة والكلام آت على مقتضى الظاهر (يسألونك
ماذا ينفقون الآن) سألوا عن بيان ما ينفقون ، فأجيبوا ببيان المصروف قال

وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ؛ وَمِنْهُ التَّعْبِيرُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ
بِلَفْظِ الْمَاضِي تَنْبِيْهًا عَلَى تَحَقُّقِ وَقُوعِهِ نَحْوُ : وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، وَمِثْلُهُ : وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ، وَنَحْوُهُ :
ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ؛ وَمِنْهُ الْقَلْبُ نَحْوُ : عَرَضْتُ النَّاقَةَ عَلَى

في الكشف إن قوله من خير تضمن بيان ما ينفقونه وهو كل خير إلا أنه بنى
الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصروف لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع
موقعها ، قال الشاعر :

إِنَّ الصَّدِيقَةَ لَا تَكُونُ صَدِيقَةً حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ
(نحو ويوم ينفخ في الصور فصعق) ومقتضى الظاهر فيصعق وهذا ، ونظم
القرآن ففرع . وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسمعه زنبور وهو طفل فجاء
إليه يسكى فقال له : يا بني مالك ، قال : لسمعي طوير كأنه ملتف في بردى حبرة
فضمه إلى صدره وقال : يا بني قد قلت الشعر (ومثله) أى ومثل التعبير عن
المستقبل بغير انطباع اسم الفاعل واسم المفعول لأن كلا منهما ليس حقيقة للاستقبال
(لواقع) ومقتضى الظاهر يقع (القاب) هو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان
الآخر والآخر مكانه وهو مما يؤيد إثبات الكلام ملاحظة ولا يشجع عليه إلا كمال
البلاغة (نحو عرضت الخ) ومقتضى الظاهر عرضت ، الخوض على الناقة لأن
المعروض عليه يجب أن يكون ذا شعور حتى يميل المعروض أو يحجم عنه ،
وفد أخذ المصنف هذا من جعل الزمخشري قوله تعالى : ويوم يعرض الذين
كفروا على النار ، من القاب ، والسبب في هذا هو أن الأصل أن يجاء بالمعروض
إلى المعروض عليه ، وهذا حىء بالمعروض عليه وهو الناقة إلى المعروض وهو

الْحَوْضِ ، وَقَبْلَهُ السَّكَاكِيُّ مُطْلَقًا ، وَرَدَّهُ غَيْرُهُ مُطْلَقًا ، وَالْحَقُّ أَنَّهُ إِنْ
تَضَمَّنَ اعْتِبَارًا لَطِيفًا قَبْلَ ، كَقَوْلِهِ
وَمَهْمَةٍ مُغْبِرَةٍ أَرْجَاؤُهُ * كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ
أَي لَوْنُهَا ، وَإِلَّا زَدَّ ، كَقَوْلِهِ * كَأَطْيَنْتَ بِالتَّغْدَنِ السِّيَاعَا *

الحوض فاعتبر ذلك ، فبرز أحدهما منزلة الآخر (ومهمه) البيت لرؤية بن
العجاج . المهمه : المفازة ، ومغبرة . مملوءة بالغبرة ، والأرجاء : الأطراف ، وقوله
كَأَنَّ الخ : أي كأن لون سمانه لغبرتها لون أرضه فهو من القلب والاعتبار اللطيف
هو المبالغة في وصف لون السماء بالغبرة ، ومثله قول أبي تمام يصف قلم الممدوح :
لَعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لَمَابَةٌ وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدِ عَوَاسِلِ
(أي لونها) يريد أن الكلام على حذف مضاف والتقدير كأن لون أرضه
لون سمانه (كاطينت) صدره :

* فَلَمَّا أَنْ جَرَى سَمْنٌ عَلَيْهَا *

وهو للقطامي من قصيدة يمدح بها زفر بن حارث الكلبي وقد أنفذه من
أعدائه وأعطاه مائة ناقة وقبله :

أَكْفَرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ لِمَاةِ الرَّثَاءِ
وبعده :

أَمَرْتُ بِهِ الرِّجَالَ لِيَأْخُذُوهَا وَنَحْنُ نَخْشَى أَنْ لَنْ تُسْتَهْزَأَ

فقد شبه النساء في سمنها بالفدن ، وهو القصر المطين بالسياع ، وهو الطين
بالتين ، وقد عكس فجعل المطين هو للسياع ، والمطير به هو الفدن ، وليس فيه

﴿ أحوال المسند ﴾

أما تركه فلما مرَّ كقولُه * فإني وقيَّارٌ بها لغريب * وقوله :

اعتبار لطيف وفيه نظر لأن القلب هنا يدل على كثرة السباع حتى صار كأنه الأصل وسمي الساقاة مشبه به ، فيدل حينئذ على عظم السمن حتى صار الشحم أكثرته بالنسبة للعظم كأنه الأصل وإنما هو مردود لعدم تضمنه اعتباراً لطيفاً قول حسان :

* يَكُونُ مِنْ أَجْلِهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ *

وقول عروة بن الورد :

* فَذَيْتٌ بِنَفْسِهِ نَفْسِي وَمَالِي *

وقول القطامي :

* وَلَا يَكُ مَوْقِفًا مِنْكَ الْوَدَاعُ *

، حق الاستعمال يكون مزاجها عسلاً وماء . فذيت بنفسه وماله .
ولا يك موقفاً منك الوداع (فلما مر) في حذف المسند إليه ، وإنما يقتضى تركه
تباع الاستعمال كقولهم ضربي زيداً قائماً وأكث شربي السويق ملتوتاً وأخطب
ما يكون الأدير قائماً واولهم كل رجل وضيعته وقولهم لولا زيد لكان كذا
(كقولُه فإني وقيَّار) فإنه حذف المسند إلى قيار كما ترى ، وتقدير الكلام فإني
لغريب وقيَّار كذلك ، وما هذا إلا لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث مع
ضيق المقام بسبب الترجيع والمحافظة على الوزن والسر في تقديم قيار على خبر إن
قصد التسوية بينهم في التحمير على الاغتراب ، كأنه أثر في غير ذوى العقول
أيضاً . ومن هنا قال الزمخشري عند قوله تعالى : إن الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئون الآية ، الصابئون : مبتدأ وهو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ
وَقَوْلِكَ : زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ وَعَمْرُو ، وَقَوْلِكَ : خَرَجْتُ فَإِذَا زَيْدٌ ، وَقَوْلِهِ

جملة إن الذين آمنوا إلى آخره لا محل لها من الإعراب وفائدة تقديم الصابئون
التنبيه على أنهم مع كونهم أبين المذكورين ضلالاً وأشدّهم غيياً يتاب عليهم إن
صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم « هذا » وقد أنشد البيت
صاحب السكامل إني وقياراً بالنصب ثم قال ولو رفع لكان جيداً تقول إن
زيداً منطلقاً وعمراً وعمرو فمن قال عمراً فإنما رده على زيد ومن قال عمرو فله
وجهان : جيد وهو أن تحمل عمراً على الموضع ، وجائز وهو أن يعطف على المضمر
في الخبر ، والبيت لضاني بن الحارث البرهمي من أبيات قالها وهو محبوس في
المدينة أيام الخليفة الثالث وصدوره :

« وَمَنْ يَلِكُ أُنْسِي بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ »

الرحل : المنزل ، وقيار : اسم فرس أو جمل للشاعر ولفظ البيت خبر ومفعله
التوجه من الغربة (بقوله نحن بما عندنا) أي نحن بما عندنا راضون فالمسند إلى
نحن محذوف كما ترى للاختراز عن العبث مع ضيق مقام الوزن قيل وبما حذف
فيه المسند للاختراز عن العبث قوله تعالى : والله ورسوله أحق أن يرضوه . أي
والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ويعجبني أن يكون جملة واحدة وتوحيد التفسير
لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضى واحد . والبيت
لقيس بن الخطيم من فحول شعراء الجاهلية (وقولك زيد منطلق وعمرو) ومن هذا
الباب قوله تعالى : واللاتي يئسن من المحض من نساءكم إن كنتم تعدن ثلاثة أشهر
واللاتي لم يحضن أي واللاتي لم يحضن مثلهن (وقولك خرجت فإذا زيد) محذوف

* إِنَّ مَحَلًّا وَإِنْ مُرْتَحَلًا * أَيْ إِنَّ لَنَا فِي الدُّنْيَا ، وَلَنَا عَنْهَا ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى :
قُلْ لَوْ أَنُّكُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : فَصَبِّرْ جَبِيلًا ،

المسند إلى زيد الاحتراز عن العبت مع اتباع الاستعمال وإنما كان ذكره هنا
عيباً لأن إذا المجازية تدل على مطلق الوجود وقد انضم إليها ما يدل على الخبر
المختص وهو خرجت المشعر باز، المراد ، فإذا ريد بالباب أو موجود مثلاً
(وقوله إن محلاً) إذ التقدير — كما في المصنف — إن لنا في الدنيا محلاً ولنا عنها
إلى الآخرة مرتحلاً ، فالمسند محذوف كما ترى لقصد الاختصار مع اتباع الاستعمال .
ومن هذا قول الرجل للرجل : هل لكم أحد إن الناس ألب علمكم ، فيقول إن
زيداً وإن عمراً أى لنا وقد وضع سيبويه في ذلك باباً فقال : هذا باب ما يحسن
عليه السكوت في هذه الأحرف الخمسة لإضمارك ما يكون مستقراً لها وموضعاً
لو أظهرته وليس هذا المضمر بنفس المظهر ، وذلك إن مالا وإن ولداً وإن
عددأ ، قال عبد القاهر : لو أسقطت إن لم يحسن الحذف أو لم يجوز لأنها الحاضنة
له والمتكفلة بشأته والمترجمة عنه . والبيت للأعشى وتمامه :

* وَإِنَّ فِي السَّفَرِ إِذْ سَوَّوْا مَهَلًا *

في الصحاح : السفر جمع سافر كصحب وصاحب ، وفي القاموس : السافر
المسافر لا فعل له (وقوله تعالى قل لو أنتم تملكون) قال صاحب الكشف
وتقديره لو تملكون تملكون مكرراً لفائدة التأكيد فأضمر تملك الأول إضماراً
على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو
أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ ، فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره
قال وهذا ما يقتضيه علم الإعراب ، فأما ما يقتضيه علم البيان فهو إن أنتم
تملكون ففيه دلالة على الاختصاص ، وأن الناس هم المختصون بالشع البالغ

يَحْتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ ، أَيْ أَجَلُ ، أَوْ فَا مَرَى : وَلَا أَبَدٌ مِنْ قَرِينَةٍ ، كَوُفُوعِ
الْكَلَامِ جَوَابًا لِسُؤَالِ — مُحَقِّقِ نَحْوِ : وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ، أَوْ مُقَدَّرِ نَحْوِ : لَيْبِكَ يَزِيدُ ضَارِعِ إِخْصُومَةٍ .

ونحوه قول حاتم :

* لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي *

وقول المتلبي :

* وَلَوْ غَيْرُ إِخْوَانِي أَرَادُوا تَقْيِصَتِي *

وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ
والخبر (يحتمل الأمرين) يعني حذف المسند إليه وحذف المسند ، والتقدير
فأمرى صبر جميل ، أو فصبر جميل أجل . وما يحتمل الأمرين قوله تعالى :
سورة أنزلناها ، وطاعة معروفة ، أي هذه سورة أو فيما أوحينا إليك سورة ،
والمطلوب منكم طاعة معروفة ، معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخالص
من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم
وقلوبكم على خلافها ، أو طاعتكم طاعة معروفة بأنها بالقول دون الفعل ،
أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة قاله الزمخشري ، ومن
هذا الباب قوله تعالى : وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً . أَيْ وَلَا تَقُولُوا لَنَا آلِهَةٌ ثَلَاثَةٌ
أَوْ وَلَا تَقُولُوا اللَّهُ وَعِيسَى وَمَرْيَمُ آلِهَةٌ ثَلَاثَةٌ ، ففي الحذف تكثير فائدة التوسعة
بالاحتمال . تسكلمة ، قال صاحب المفتاح : وقد يكون حذف المسند بناء على أن
ذكره يخرج إلى ما ليس بمراد كقولك أزيد عندك أم عمرو فإذاك لو قلت
أم عندك عمرو أو أم عمرو عندك لخرج أم عن الاتصال إلى الانقطاع (نحو
ليبيك يزيد) وتماهه . ويختببط بما تطيح الطوائج . فأنت ترى أنه لما قال

وَفَضْلُهُ عَلَى خِلَافِهِ بِتَكَرُّرِ الْإِسْنَادِ إجمالاً ثُمَّ تَفْصِيلاً ، وَبِوُقُوعِ نَحْوِ :
يَزِيدٌ غَيْرَ فَضْلٍ ، وَبِكَوْنِ مَعْرِفَةِ الْفَاعِلِ كَحُصُولِ نِعْمَةٍ غَيْرِ مُتَرَقِّبَةٍ .

ليبك يزيد إكأن سائلا سأل من يبيكه فقال ضارع أى يبيكه ضارع ، وقد روى
البيت بفتح ياء يبك فيكون يزيد مفعولا وضارع فاعلا والضارع المستكن الخاشع
وقوله لخصومة أى لأجل خصومة نالته لأنه كان ملجأ للعائدين ، والمختبط الذى
يطالب المعروف من غير آصرة والطوائع جمع مطيعة وهى القواذف على غير قياس
كلوا قح جمع ملحمة يقال طوحت الطوائع أى نزات به الممالك والبيت لضرار بن
نهميل يرثى أخاه يزيد (وفضله) يعنى هذا التركيب وهو بناء لبيك لله ول على
الرواية المشهورة (على خلافه) يعنى لبيك يزيد ببناء الفعل للفاعل ونصب يزيد
(إجمالا ثم تفصيلا) أى بأن أسند أولا إجمالا أى إسناد إجمال ثم أسند ثانيا
تفصيلا أى إسناد تفصيلى . وبعد ، فقد قال السكاكي إن مثل هذا التركيب متى
وقع موقعه رفع شأن الكلام فى باب البلاغة إلى حيث ينسأطح السماكين
ويبارى الفرقدين وموقعه أن يصل من بليغ عالم بجهات البلاغة بصير بمقتضيات
الأحوال ساحر فى اقتضاب الكلام ماهر فى أفانين السحر إلى بليغ مثله مطلع
من كل تركيب على حاق معناه وفصوص مستبعماته . ومن هذا الأسلوب قوله
تعالى : وجعلوا لله شركاء الجن ، على وجه فإن لله شركاء إن جعلوا مفعولين
لجعلوا فالجن يحتمل وجهين أحدهما ما ذكره الشيخ عبد القاهر أن يكون منصوبا
بمحدوف دل عليه سؤال مقدر كأنه قيل : من جعلوا لله شركاء فقيل الجن فيفيد
الكلام إنكار الشريك مطلقا فيدخل اتخاذ الشريك من غير الجن فى الإنكار
دخول اتخاذ من الجن ، والثانى ما ذكره صاحب الكشف أن ينتصب الجن
بدلا من شركاء فيفيد إنكار الشريك مطلقا أيضا ، قال : وإن جعلت لله لغوا

لأنَّ أوَّلَ الكلامِ غيرُ مُطْمَعٍ في ذِكْرِهِ . وَأَمَّا ذِكْرُهُ فَلَمَّا مَرَّ ، أَوْ أَنْ يَتَّعِينَ كَوْنُهُ اسْمًا أَوْ فِعْلًا . وَأَمَّا إِفْرَادُهُ فَلِكَوْنِهِ غَيْرَ سَبَبِيٍّ مَعَ

كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الأول وفائدة التقديم استعظام أن يتخذ لله شريك من كان ماسكاً أو جنّاً أو غيرهما ، ولذلك قسم اسم الله على الشركاء (فلما مر) في ذكر المسند إليه من أن الذكر هو الأصل ولا مقتضى للعدل عنه ومن الاحتياط لضعف التحويل على القرينة ومن التبريض بغياوة السامع مثل قوله تعالى : بل فعله كبيرهم هذا بعد ، وقوله : أنت فعلت هذا بالهتينا يا إبراهيم وغير ذلك (أَوْ أَنْ يَتَّعِينَ كَوْنُهُ اسْمًا) فيستفاد منه الشبهة (أَوْ فِعْلًا) فيستفاد منه التجدد (فَلِكَوْنِهِ غَيْرَ سَبَبِيٍّ إِلَى آخِرِهِ) إليك عبارة السكاكي مع شيء من التصرف قال : وأما الحالة المقتضية لأفراد الاسم فهي إما أن كان فعلياً ولم يكن المقصود من نفس التركيب تقوى الحكم والمراد بالفعل ما يكون مفهوماً محكوماً به بالثبوت للمسند إليه أو بالانتفاء عنه كقولك أبو زيد منطلق والكفر من البريستين وضرب أخو عمرو ويشكر كعمرو أن تعطه وفي الدار حاله إذ تقديره واستقر أو حصل في الدار على أقوى الاحتمالين لتمام الصلة بالظرف وبما يقتضي أن يكون جملة أن يراد تقوى الحكم بنفس التركيب كقولك (١) أنا من فذا وانت عرفت وهو

(١) بينا لك سبب التقوى في مثل هذه المثل عند الكلام على تقديم المسند إليه على ما ارتآه الشيخ عبد القاهر ، أما على ما ذكره السكاكي فسبب التقوى أن المبتدأ لكونه مبتدأ يستدعي أن يسند إليه شيء . وهذا جاء بعده ما يصاحبه أن يسند إليه صرفه إلى نفسه فينعقد بينهما حكم سواء كان خالياً عن الضمير أو متضمناً له ثم إذا كان متضمناً لضميره حصره ذلك الضمير إلى المبتدأ ثانياً فيكتسب الحكمة قوة .

عَدَمِ إِفَادَةِ تَقْوَى الْحُكْمِ ؛ وَالْمُرَادُ بِالسَّبَبِيِّ نَحْوُ : زَيْدٌ أَبُوهُ مُنْطَلِقٌ ،
وَأَمَّا كَوْنُهُ فِعَالًا فَلِلتَّيْنِيدِ بِأَحَدِ الْأَزْمِنَةِ الثَّلَاثَةِ عَلَى اخْتِصَارِ وَجْهِهِ ، مَعَ
إِفَادَةِ التَّجَدُّدِ كَقَوْلِهِ :

أَوْ كَلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظُ قَبِيلَةٍ * بَعَثُوا إِلَى عَرِيفَتِهِمْ يَتَوَسَّمُ

عرف وزيد عرف أو أن يكون المسند سببياً وهو أن يكون مفهومه مع الحكم
عليه بالثبوت لما هو مبني عليه أو بالانتفاء عنه مطلوب التعليق بغير ما هو مبني
عليه تعليق لإثبات لذلك الغير بنوع ما أو نفي عنه بنوع ما أو يكون المسند فعلاً
يستدعي الاستناد إلى ما بعده بالإثبات أو بالنفي فيطالب تعليقه على ما قبله
بنوع إثبات أو نفي ليكون ما بعده بسبب ما قبله ، فالأول نحو زيد أبوه منطلق
فإن مفهوم منطلق مع الحكم عليه بثبوته لمبتدئه يعنى أبوه قد عاق بزید بالإثبات
له وزيد غير ما بني منطلق عليه ، والثاني نحو عمرو ضرب أبوه ، فإن ضرب فعل
أسند إلى ما بعده وهو أخوه ثم عاق على ما قبله وهو عمرو بالإثبات لأن الأخ
متعلق به ومضاف إلى صميمه (كقوله) أى قول طريف بن تميم العنبري من
أبيات يصف بها نفسه بالشجاعة (أو كلما إلى آخره) فالمعنى على توهم وتأمل
ونظر يتجدد من العريف هناك حالا فخالا ، وتصفح منه لالوجوه واحداً بعد
واحد ، ولو قيل متوسماً لم يفد ذلك حق الإفادة . ومن البين في ذلك قوله
جل شأنه : هل من خالق غير الله يرزقكم ، إذ لو قيل هل من خالق غير الله
رازق لكم لكان المعنى غير ما أريد ، وقول الأعشى :

وَأَمَّا كَوْنُهُ اسْمًا فَلِإِفَادَةِ عَدَمِهِمَا كَقَوْلِهِ :

لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ الْمَضْرُوبُ حُرَّتَنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقٌ
وَأَمَّا تَقْيِيدُ الْفِعْلِ بِمَقْمُولٍ وَنَحْوِهِ فَمِنْ تَرْبِيَةِ الْفَائِدَةِ ، وَالتَّقْيِيدُ فِي نَحْوِ

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عَيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تَحْرُقُ^(١)
تُشَبُّ لِمَقْرُودَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ
المعنى على أن هناك موقداً يتجدد منه الإلهاب والإشعال حالا بخالا ، وإذا
تميل إلى ضوء نار متحركة كان المعنى أن هناك ناراً قد ثبتت لها وفيها هذه الصفة
وجرى ذلك مجرى أن يقال إلى ضوء نار عظيمة في أنه لا يفيد فعلاً يفعل
« هذا » وعكاظ متسوق للعرب يجتمعون فيه فيتناشدون ويتفاخرون . يقول
الشاعر : إن لسكل قبيلة على جناية فنى وردوا عكاظ طالبنى الكافل بأمرهم ،
(فإفادة عدمهما) أى عدم التقييد المذكور وإفادة التجدد ، لأن الاسم وصيغ
لأجل أن ثبت به المعنى للشيء فحسب (كقوله) أى قول النضر بن سبوية يشدح
بالغنى والكرم — فالمعنى أن الانطلاق من الصرة ثابت لادرهم دائماً ، مما هو
ظاهر في ذلك قوله تعالى : وكأبهم باسط ذراعيه بالوصيد ، فإن أحداً لا يشك
في امتناع الفعل ههنا كما لا يخفى (ونحوه) كالحال والتميز (فلتربية الفائدة)
لأن الحكم العارى عن الفيود لا يزيد عن فائدة نسبة المحكوم به للمحكوم
عليه بل ربما كان ذلك الحكم معلوماً عند السامع ، فلا يفيد فإذا زيد قيد كان

(١) لاحت : لمعت ، واليفاع : ما ارتفع من الأرض . وتشب : توفد ،
والمقرور : المصاب بالقر وهو البرد ، والندى : الكرم ، والمحلق : اسم رجل
كريم من ولد أبى بكر بن كلاب من بنى عامر

كان زَيْدٌ مُنْطَلِقًا هُوَ مُنْطَلِقًا لَا كَانَ . وَأَمَّا تَرْكُهُ فَلَمَّا نَعِيَ مِنْهَا . وَأَمَّا تَقْيِيدُهُ بِالشَّرْطِ ، فَلَا عَيْتَابَاتٍ لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ مَا بَيْنَ أَدَوَاتِهِ مِنَ التَّفْصِيلِ ، وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ فِي عِدِّ النَّحْوِ ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ هَهُنَا فِي إِنْ وَإِذَا وَلَوْ . . . فَنُ وَإِذَا لِلشَّرْطِ فِي الْإِسْتِقْبَالِ ، لَكِنْ أَصْلُ إِنْ عَدَمُ الْجُزْمِ بِوُقُوعِ الشَّرْطِ ، وَأَصْلُ إِذَا الْجُزْمُ بِوُقُوعِهِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ النَّادِرُ مَوْقِعًا لِإِنْ ، وَغَابَ لِنَظَرِ الْمَاضِي مَعَ إِذَا لَوْ : فَإِذَا جَاءَتْهُمْ

فِيهِ فَائِدَةٌ غَرِيبَةٌ : وَكَلِمَا كَثُرَتْ فَيُورَدُ كَثُرَتْ فَوَائِدُهُ (هُوَ مُنْطَلِقًا لَا كَانَ) لِأَنَّهُ مُنْطَلِقًا هُوَ الْمُسْنَدُ حَقِيقَةً وَكَانَ قَبْدٌ لَهُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى زَمَانِ النِّسْبَةِ (تَرْكُهُ) أَيْ تَرْكُ تَقْيِيدِ الْمُسْنَدِ (فَلَمَّا نَعِيَ مِنْهَا) أَيْ مِنْ تَرْبِيَةِ الْفَائِدَةِ كَعَدَمِ الْعِلْمِ بِالْمَقْيِدَاتِ أَوْ عَدَمِ الْإِحْتِيَاحِ إِلَيْهَا وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ (تَقْيِيدُهُ) أَيْ الْفِعْلُ (أَدَوَاتُهُ) أَدَوَاتُ الشَّرْطِ (لِلشَّرْطِ فِي الْإِسْتِقْبَالِ) أَيْ التَّعْلِيقِ حَصُولِ الْجُزْمِ بِحَصُولِ الشَّرْطِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ (وَلِذَلِكَ كَانَ النَّادِرُ مَوْقِعًا لِإِنْ) لِأَنَّهُ غَيْرُ مَقْطُوعٍ بِهِ فِي غَايَةِ الْأَمْرِ (١) (وَغَابَ لِنَظَرِ الْمَاضِي مَعَ إِذَا) لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْقَطْعِ بِالْوُقُوعِ نَظَرًا إِلَى الْمَاضِي وَبَعْدُ ، فَلَا بُدَّ لِلْبَلِيغِ مِنَ الْعِلْمِ بِمَوْقِعِ أَنْ وَإِذَا حَتَّى يَكُونَ بِنَجْوَةٍ مِنَ الْخَطَا وَمَعَاذَةِ مِنَ اللَّوْمِ ، أَوْ مَا تَرَى كَيْفَ أَنْحَوُا بِاللَّائِمَةِ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَمَّانٍ إِذَا أَخْطَأَ بِهِمَا الْمَوْمِعُ فِي قَوْلِهِ يَخَاطِبُ بَعْضَ الْوَلَاةِ وَقَدْ سَأَلَهُ سَابِقُهُ فَلَمْ يَقْضِهَا ثُمَّ شَمِعَ لَهُ فِيهَا فَقَضَاهَا :

(١) قَالُوا ذَلِكَ لِأَنَّ النَّادِرَ — وَهُوَ مَا وَقُوعُهُ قَلِيلٌ — قَدْ يَجُزْمُ بِوُقُوعِهِ كَمَا جُزْمَ بِوُقُوعِ الْيَوْمِ الْآخَرِ مَعَ نَدْوَرِ وَقُوعِهِ إِذْ لَا يَحْصُلُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً .

الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ
الْحَسَنَةَ الْمُطْلَقَةَ ، وَلِهَذَا عُرِّفَتْ تَعْرِيفَ الْجِنْسِ ، وَالسَّيِّئَةُ نَادِرَةٌ بِالنِّسْبَةِ
إِلَيْهَا ، وَلِهَذَا نُكِّرَتْ ؛ وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ إِنْ فِي الْجَزْمِ تَجَاهُلًا أَوْ لِعَدَمِ جَزْمِ

ذُمِّتَ وَلَمْ تُحْمَدْ وَأَدْرَكْتَ حَاجَتِي تَوَلَّى سِوَاكُمْ أَجْرَهَا وَاصْطِنَاعَهَا
أَبَى لَكَ كَسْبَ الْحَمْدِ رَأْيِي مُقَصَّرٌ وَنَفْسٌ أَضَاقَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ بِأَعْمَارِهَا
إِذَا هِيَ حَبَّتْهُ تَلَى الْخَيْرَ مَرَّةً عَصَاهَا وَإِنْ هَمَّتْ بِشَرٍّ أَطَاعَهَا

(جاءتهم) قديم موسى (الحسنة) من الخصب والرخاء (لنا هذه) لأجلنا
ونحن مستحقوها (سيئة) جذب وبلاء (لأن المراد إلى آخره) أصل هذا
الكلام لصاحب الكشف غفر الله له وهالك عبارته : فإن قلت كيف قيل فإذا
جاءتهم الحسنة فإذا وتعريف الجنس وإن تصبهم سيئة بأن وتنكير السيئة ، قلت
لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرة واتساعه ، وأما السيئة فلا تقع
إلا في الندرة ولا يقع إلا شيء منها ، انتهى كلامه . أما قوله تعالى : إذا مس
الناس ضر ، بلفظ إذا مع الضر فللنظر إلى لفظ المس وإلى تنكير الضر المفيد
في المقام التوبيخى القصد إلى اليسير من الضر وإلى الناس المستحقين أن يلحقهم
كل ضرر وللتنبية على أن مساس قدر يسير من الضر لأشغال هؤلاء حقه أن
يكون في حكم المقطوع به ، وأما قوله تعالى : وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض ،
بعد قوله عز وجل : وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ، أى أعرض
عن شكر الله وذهب بنفسه وتكبر وتعظم ، فالذى تقتضيه البلاغة أن يكون
الضمير في مسه للمعرض المتكبر ، ويكون لفظ إذا للتنبية على أن مثله يحق أن
يكون ابتلاؤه بالشر مقطوعاً به (تجاهلاً) لاستدعاء المقام إياه كما إذا استطاعت

فَالْمُخَاطَبُ كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُكَذِّبُكَ : إِنْ صَدَقْتُ فَمَاذَا تَفْعَلُ ، أَوْ تَنْزِيلُهُ
مَنْزِلَةَ الْجَاهِلِ لِمُخَالَفَتِهِ مُقْتَضَى الْعِلْمِ أَوِ التَّوْبِيخِ ، وَتَصْوِيرِ أَنَّ الْمَقَامَ لاشْتِمَالِهِ
عَلَى مَا يَقْلَعُ الشَّرْطُ عَنْ أَصْدَائِهِ لَا يَصَاحُحُ إِلَّا لِفَرْضِهِ كَمَا يَفْرَضُ الْمَحَالُ نَحْوُ :
أَفَنْضَرْبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ، فَيَعْنِي قَرَأَ إِنْ
بِالْكَسْرِ ، أَوْ تَغْلِيْبِ غَيْرِ الْمُتَّصِفِ بِهِ عَلَى الْمُتَّصِفِ ؛ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : وَإِنْ كُنْتُمْ

ليأتك فتقول إن يطلع المسبح وينقض الليل أفعل كذا فتجاهل تولها وتضجراً
(أو تنزيله إلى آخره) كما يقول الأب لابن لا يراعى حقه ، أفعل ما شئت إلى
إِنْ لَمْ أَكُنْ لَكَ أَبًا كَيْفَ تَرَاعَى حَقِّي (كما يفرض المحال) متى تعلق بفرضه
غرض من الأغراض نحو إرخاء العنان لإلزام الخصم والتبكيك كما ذكر الزمخشري
في قوله تعالى : فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا ، أَنَّهُ مِنْ بَابِ التَّبَكُّيْكِ
لأن دين الحق واحد لا يوجد له مثل ، فقل فإن آمنوا بكلمة الشك على سبيل
الفرض والتقدير ، أَيْ فَإِنْ حَصَلُوا دِينًا آخَرَ مِثْلَ دِينِكُمْ مَسَاوِيًا لَهُ فِي الصَّحَةِ
وَالسَّادَاتِ فَقَدْ اهْتَدَوْا . وفيه أن دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له
غير مماثل لأنه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ، ونحو هذا قولك للرجل
تشير عليه هذا هو الرأي والصواب فإن كان عندك رأى أصوب منه فاعمل به
وقد علمت أن لا أصوب من رأيك ، وإمكانك تريد تبكيك صاحبك وتوقيفه
على أن ما رأيت لا رأى وراه (نحو أفنضرب الآية) فأنت ترى أن الإسراف
مقطوع به لكن جئ به بالفظ إن لقصد التأنيب والتجهيل في ارتكاب الإسراف ،
وتصوير أن الإسراف من العاقل في هذا المقام — مقام ظهور الآيات ونزول
القرآن — حري أن لا يكون ثبوته له إلا على مجرد الفرض والتقدير (به) أَيْ

فِي رَيْبٍ مَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ، يَحْتَمِلُهُمَا . وَالتَّغْلِيْبُ يُجْرَى فِي فَنُونٍ كَقَوْلِهِ
تَعَالَى : وَكَانَتْ مِنَ الْقَانَتَيْنِ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ، وَمِنْهُ أَيْوَانُ

بالشرط (يَحْتَمِلُهُمَا) أى يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِلتَّوْبِيخِ عَلَى الرِّبَةِ وَتَصْوِيرِ أَنَّ الرِّبَةَ
عَمَّا لَا يَنْبَغِي أَنْ تُثَبَّتَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى الْفَرْضِ لِاشْتِمَالِ الْمَقَامِ عَلَى مَا يَرِيهَا وَهِيَ الْآيَاتُ
وَأَنْ يَكُونَ لِلتَّغْلِيْبِ غَيْرَ الْمَرَاتَبَيْنِ مِنَ الْمُخَاطَبَيْنِ عَلَى الْمَرَاتَبَيْنِ مِنْهُمْ ، فَإِنَّهُ كَانَ فِيهِمْ
مَنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ وَإِنَّمَا يَشْكُرُ عُنَادًا (وَالتَّغْلِيْبُ) وَهُوَ أَنْ يَغْلِبَ عَلَى الشَّيْءِ مَا لَيْسَ بِهِ
لِتَنَاسُبِ بَيْنَهُمَا أَوْ اخْتِلَاطٍ ، وَهُوَ أَمْرٌ يَجْرَى فِي كُلِّ مَتَنَاسِبَيْنِ وَمُخْتَلَطَيْنِ بِحَسَبِ
الْمَقَامَاتِ لَكِنْ غَالِبُ أَمْرِهِ دَائِرُ عَلَى الشَّرَفِ وَالْخَفَةِ (وَكَانَتْ مِنَ الْقَانَتَيْنِ)
فَعَدَّتِ الْإِنْثَى مِنَ الذَّكَورِ بِحَكْمِ التَّغْلِيْبِ ، لِأَنَّ الْقَنُوتَ عَمَّا يُوصَفُ بِهِ الذَّكَورُ
وَالْإِنْثَى ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقِيلَ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانَتَاتِ (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) فَكَانَ
الْقِيَاسُ يَجْهَلُونَ لِأَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ إِلَى قَوْمٍ وَلَفْظُهُ لِنَظَرِ الْغَائِبِ لِكُونِهِ اسْمًا مُظْهِرًا
لِكُنْهِ فِي الْمَعْنَى عِبَارَةً عَنِ الْمُخَاطَبَيْنِ ، فَغَالِبُ جَانِبِ الْخُطَابِ عَلَى جَانِبِ الْغَيْبَةِ ،
(وَمِنْهُ أَيْوَانُ) وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : أَخْرِجْكَ يَا شُعَيْبُ وَالْإِنِّينِ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ
قَرِيْنَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مَالَتِنَا ، أَدْخَلَ شُعَيْبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْيَهُودِ فِي مَالَتِنَا بِحَكْمِ
التَّغْلِيْبِ إِذْ لَمْ يَكُنْ شُعَيْبٌ فِي مَالَتِهِمْ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ، عَسَى
إِبْلِيسُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِحَكْمِ التَّغْلِيْبِ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّوكُمْ فِيهِ ، فَإِنَّ الْخُطَابَ فِيهِ شَامِلٌ لِلْعُقُلَاءِ وَالْأَنْعَامِ فَغَالِبُ
فِيهِ الْمُخَاطَبُونَ عَلَى الْغَائِبِينَ وَالْعُقُلَاءِ عَلَى الْأَنْعَامِ ، وَقَوْلُهُ يَذُرُّوكُمْ فِيهِ : أَيْ يَبْشِكُمْ
وَيَسْكُثِرُكُمْ فِي هَذَا التَّدْبِيرِ ، وَهُوَ أَنْ جَعَلَ لِلنَّاسِ وَالْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا حَتَّى كَانَ بَيْنَ
ذَكَورِهِمْ وَإِنَاثِهِمُ التَّوَالِدُ وَالنَّاسِلُ ، فَعَلَّ هَذَا التَّدْبِيرَ كَالْمَعْدِنِ وَالْمَنْبَعِ لِلْبَيْتِ وَالتَّكْثِيرِ
وَلِذَلِكَ قِيلَ يَذُرُّوكُمْ فِيهِ وَلَمْ يَقُلْ بِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ .

ونحوه ، وَلِكَوْنِهِمَا لِتَعْلِيْقِ أَمْرٍ بغيرِهِ فِي الْاِسْتِقْبَالِ كَانَ كُلٌّ
مِنْ جُمْلَتِي كُلِّ فِعْلِيَّةٍ اِسْتِقْبَالِيَّةٍ ، وَلَا يُخَالَفُ ذَلِكَ لَفْظًا

(ونحوه) كالمشرقين للمشرق والمغرب ، والقمرين ، للشمس والقمر ، والحسينين
للحسن والحسين وما أشبه ذلك بما غالب أحد المتصاحبين أو المتشابهين على الآخر
بأن جعل متفقاً له في الاسم ، ثم أتى ذلك الاسم وقصد إليهما جميعاً (ولكونهما)
إن وإذا (لتعليق أمر) وهو حصول مضمون الجزاء (بغيره) وهو حصول
مضمون الشرط (في الاستقبال) مرتبط بالفظ غيره على معنى جعل حصول
الجزاء مترتباً على حصول الشرط في الاستقبال (كان كل من جملة كل فعلية
استقبالية) ذاك لأن الشرط كما لا يخفى مفروض الحصول في الاستقبال فيمتنع
ثبوته ومضيه ، والجزاء معاق حصوله على حصول الشرط في الاستقبال ، ويمتنع
كما هو ظاهر تعليق حصول الحاصل الثابت على حصول ما يحصل في المستقبل
(لفظاً) وأما معنى فلا يسكن التخالف بحال ، وقوله تعالى : وإن يكذبوك
فقد كذبت رسل من قبلك ، معناه فاصبر ولا تحزن فقد كذبت رسل من قبلك ،
وقوله : إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ، ومعناه ينصره
من نصره قبل ذلك . وقس على هذا بقدر ما يناسب المقام وهذا ، وقد تستعمل (١)
إن في غير الاستقبال قياساً إذا كان الشرط لفظ كان مثل قوله تعالى : وإن كنتم
فريب مما نزلنا على عبدنا الآية ، وفي غير ذلك قايلاً ، كقول أبي العلاء المعري :

(١) يكون ذلك إذا قصد بها تعليق الجزاء على حصول الشرط في الماضي
ولا يقال إن هذا يناه ما قدمناه آنفاً من أن الشرط مفروض الحصول في
الاستقبال لأننا نقول هذا حين استعمال إن للتعليق في المستقبل كما هو غالب أمرها .

إِلَّا لِنُكْتَةٍ ، كإبراز غير الحاصل في معرض الحاصل ، لقوة الأسباب
أو كون ما هو للوقوع كالواقِع أو التَّفَاوُل ، أو إظهار الرَّغْبَةِ في وقوعه

وَإِنْ ذَهَلَتْ عَمَّا أُجِنُّ صُدُورُهَا فَقَدْ أَلْهَبَتْ وَجَدًا نَفُوسَ رِجَالٍ (١)
الظهور أن المعنى على المضى دون الاستقبال ، وقد تستعمل إذا للضى مثل قوله
تعالى : حتى إذا بلغ بين السدين . حتى إذا ساوى بين الصدفين . حتى إذا جعله
ناراً ، وللاستمرار مثل قوله جن شأنه : وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا .
(إلا لنكتة) فإن قلت فأى نكتة في قوله تعالى : إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء
ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ودوا لتكفرون ، وقد ذكر في موضع
جزاء هذا الشرط ثلاث جمل متعاطفة وعدل في الثالثة إلى لفظ الماضى ، فإننا
تقول الغرض من ذلك كما قال الزمخشري الدلالة على أنهم ودوا قبل كل شيء
ككفر المؤمنين وارتدادهم ، يعنى أنهم يريدون أن يباحقوا بكم مضار الدنيا
والدين جميعاً من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض وردكم كفاراً ، وردكم كفاراً
تسبق المضار عندهم وأولها لعدهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم لأنكم بذالون
لها دونه والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه (لقوة الأسباب)
بذلك كما تقول حال انعقاد أسباب الاشتراء إن اشترينا كذا كان كذا (أو كون
ما هو للوقوع كالواقِع) هذا كما هو ظاهر معطوف على قوة الأسباب يعنى أنه يعبر
بالماضى عن المستقبل في جملة الشرط لقصد إبراز غير الحاصل في العرض الحاصل
لكون المعنى شأنه الوقوع فهو كالواقِع في ترتب ثمرة الوقوع في الجملة على كل
منهما وذلك مثل أن تقول إن مت كان كذا وكذا (في وقوعه) أى وقوع الشرط أو

(١) يقول : إن هذه الإبل قد أحرقت بحنينها قلوب رجال ، يعنى
راكبها وإن خلعت صدورها عن اللوجد الذى أضمره .

نَحْوُ : إِنْ ظَفِرْتُ بِحُسْنِ الْعَاقِبَةِ فَهُوَ الْمَرَامُ ، فَإِنَّ الطَّالِبَ إِذَا عَظُمَتْ رَغْبَتُهُ
فِي حُصُولِ أَمْرٍ يَتَكَثَّرُ تَصَوُّرُهُ إِيَّاهُ ، فَرُبَّمَا يُخَيَّلُ إِلَيْهِ حَاصِلًا ، وَعَلَيْهِ :
إِنْ أَرَدَنْ تَحَصُّنًا . الشَّكَاكِيُّ : أَوَّلِ التَّعْرِيفِ نَحْوُ : لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ

غير الحاصل (إن ظفرت إلى آخره) هو مثال للأمرين قبله (فرما يخيّل إليه
حاصلًا) وقد يقوى هذا التخيّل عند الطالب حتى إذا وجد حكم الحس بخلاف
حكمه غلطه تارة واستخرج له محملاً أخرى وعليه قول أبي العلاء المعري :

مَا سِرْتُ إِلَّا وَطَبْتُ مِنْكَ يَصْحَبُنِي سُرِّي أُمَامِي وَتَأْوِيًا عَلَى أَثَرِي .

يقول لكثرة ماناجيت نفسي بك انتقشت في خيالي فأعدك بين يدي مغاطاً
للبصر بعملة الظلام إذا لم يدركك ليلاً أُمَامِي وأعدك خلفي إذا لم يتيسر لي تغليط
حين لا يدركك بين يدي نهراً (وعليه) أي على إظهار الرغبة في الوقوع قوله
تعالى : وَلَا تَكْرَهُوا فِتْيَانَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ، فلم يقل إن يردن
وجيء بلفظ الماضي للدلالة على توفر الرغبة في إرادتهن التحصن ، وإنما قال
وعليه لأن الله منزّه عن الرغبة ، والمراد ههنا لازمها وهو كمال الرضا به .
هـ . وفائدة قوله إن أَرَدْنَ تَحَصُّنًا أن يدشع عند المخاطب الوقوع في الإكراه
لكني يعرف أنه كان ينبغي له أن يأنف من هذه الرذيلة ، وإن لم يكن ثم زاجر
شرعي ، ذلك لأن مضمون الآية النداء عليه بأن أمته خير منه لأنها آثرت
التحصن عن الفاحشة وهو يأبى الإكراه عليها (نحو لئن أشركت) فالخطاب
لمحمد عليه السلام وعدم إشرأكه مقطوع به لكن جيء بلفظ الماضي لإبراز
للإشراك في معرض الحاصل على سبيل الفرض والتقدير تعريضاً لمن صدر عنهم
الإشراك بأنهم قد حبطت أعمالهم ، وبما هو بين في ذلك قوله تعالى : وَلَئِنْ
اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ، قال صاحب الكشف

عَمَّاكَ ، وَنَظِيرُهُ فِي التَّعْرِيضِ : وَمَالِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ؟ أَيْ وَمَا أَسْكُمُ
لَا تَعْبُدُونَ الَّذِي فَطَرَكُمْ ، بِدَلِيلٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ؛ وَوَجْهُ حُسْنِهِ إِسْتِمَاعُ
الْمُخَاطَبِينَ الْحَقَّ عَلَى وَجْهِ لَا يَزِيدُ غَضَبَهُمْ ، وَهُوَ تَرْكُ التَّعْرِيضِ بِنِسْبَتِهِمْ
إِلَى الْبَاطِلِ ، وَيُعِينُ عَلَى قَبُولِهِ لِكَوْنِهِ أَدْخَلَ فِي إِمْحَاضِ النُّصْحِ ، حَيْثُ
لَا يُرِيدُ إِلَّا مَا يُرِيدُ لِنَفْسِهِ . وَلَوْ لِلشَّرْطِ فِي الْمَاضِي مَعَ الْقَطْعِ بِإِنْتِفَاءِ
الشَّرْطِ فَيَلْزَمُ عَدَمُ الثَّبُوتِ وَالْمَضَى فِي جَمَلَتَيْهَا ، فَدُخُولُهَا عَلَى الْمَضَارِعِ

هذا كلام ورد على سبيل الفرض والتقدير ، وفيه لطف للسامعين وزيادة تحذير
واستغظاع لحال من يترك الدليل بعد إثارته ثم يتبع الهوي (ونظيره في التعريض
ومالي لا أعبد الذي فطرنى) ومثل ذلك قوله تعالى : أَلَتُنْجُونَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةٌ إِنْ
يَرْدُنَ الرَّحْمَنُ بَصُرَ لَا تَعْنِ عَنْ شِفَاعَتِهِمْ شَيْئاً وَلَا يَنْقُذُونَ إِنْ إِذَا لَقِيَ ضَلَالٌ مُبِينٌ
إِذِ الْمُرَادُ أَلَتُنْجُونَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةٌ إِنْ يَرْدُنَا الرَّحْمَنُ بَصُرَ لَا تَعْنِ عَنْكُمْ شِفَاعَتِهِمْ
شَيْئاً وَلَا يَنْقُذُونَكُمْ إِنْ لَقِيَ ضَلَالٌ مُبِينٌ وَلِذَلِكَ قِيلَ آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ دُونَ بَرِيٍّ
وَأَتَّبَعَهُ فَاسْمَعُونَ (بدليل وإليه ترجعون) إِذْ لَوْلَا التَّعْرِيضُ لَكَانَ الْمُنَاسِبُ وَإِلَيْهِ
أَرْجِعْ لِأَنَّهُ الْمُوَافِقُ لِلْسِّيَاقِ (حُسْنُهُ) أَيْ التَّعْرِيضُ (الْمُخَاطَبِينَ) الَّذِينَ هُمْ أَعْدَاءُ
الْمُتَكَلِّمِ (وَيُعِينُ) عَنَّفَ عَلَى قَوْلِهِ لَا يَزِيدُ أَيْ أَنَّ ذَلِكَ الْوَجْهَ لَا يَزِيدُ غَضَبَهُمْ وَهُوَ
عَلَى ذَلِكَ يُعِينُ عَلَى قَبُولِ الْحَقِّ (وَلَوْ لِلشَّرْطِ فِي الْمَاضِي إِلَى آخِرِهِ) يَقُولُ أَصْلُ
لَوْ أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْجُزْأَ كَانَ فِيمَا مَضَى بِحَيْثُ يَقَعُ عَلَى تَقْدِيرِ وَقُوعِ الشَّرْطِ
مَعَ الْقَطْعِ بِإِنْتِفَاءِ الشَّرْطِ الْمُقْتَضَى انْتِفَاءُ الْجُزْأِ فَأَنْتَ إِذَا قَالَتْ لَوْ جِئْتَنِي لَا كَرَمَتِكَ
فَهَمَّ أَنَّ الْمَجْئِءَ شَرْطٌ فِي الْإِكْرَامِ وَأَنَّهُ عَلَى تَقْدِيرِ وَقُوعِهِ يَقَعُ وَفَهَمَ مَعَ هَذَا
أَنَّ الْأَوَّلَ لَمْ يَقَعْ فَيَلْزَمُ — حَيْثُ كَانَ الْمَجْئِءُ شَرْطاً وَانْتَفَى — انْتِفَاءُ الْمَشْرُوطِ
الَّذِي هُوَ الْجُزْأُ ، وَمِنْ هُنَا قِيلَ إِنْ لَوْ لَا مَتْنَاعُ الشَّيْءِ لَا مَتْنَاعُ غَيْرِهِ وَتَوْفِيْقُهُ
ذَلِكَ حَقُّهُ مِنَ الْبَيَانِ أَمْسَ بَعْلَمُ اللَّغَةِ (وَالْمَضَى) وَذَهَبَ الْمُرَدُّ إِلَى أَنَّهَا تَسْتَعْمَلُ

فِي نَحْوٍ : لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ، لِقَصْدِ اسْتِمْرَارِ الْفِعْلِ
فِيمَا مَضَى وَقْتًا فَوْقَتًا ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ، وَفِي نَحْوٍ :
وَلَوْ تَرَى إِذْ وَفَّوْا عَلَى النَّارِ ، لَتَنَزَّلَ بِهِ مَنَزِلَةٌ مِّنَ الْمَاضِي لِصُدُورِهِ تَعَمُّنٌ

فِي الْمُسْتَقْبَلِ اسْتِمَالٍ إِنْ وَأَنْشَدَ قَوْلَ الْهَذَلِيِّ :

وَلَوْ تَلْتَقَى أَصْدَاؤُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا

وَمِنْ دُونِ رَمْسَيْنَا مِنَ الْأَرْضِ سَبَسَبُ (١)

أَطْلَعَ صَدَى صَوْتِي وَإِنْ كُنْتُ رِمَّةً لِّصَوْتِ صَدَى لَيْسَ يَهْشُ وَيَطْرَبُ
(لعنتهم) أى لو قمتم فى العنت والهلاك ، يقال فلان يتعنت فلاناً : أى يطلب
ما يؤديه إلى الهلاك ، وقد أعنت الذئب إذا هبض بعد الجبر (لقصد استمرار
الفعل إلى آخره) قال الزمخشري : إنما قيل يطيعكم دون أطاعكم للدلالة على أنه
كان فى إرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه ، وإنه كلما عن لهم رأى
فى أمر كان معسولاً عليه بدليل قوله : فى كثير من الأمر ، كقولك فلان يقرى
الضيف ويحمى الحریم : تريد أنه بما اعتاده ووجد منه مستمراً (كما فى قوله
الله يستهزئ بهم) قال فى الكشف : فإن قلت هلا قيل الله يستهزئ بهم ليكون
طبقاً لقوله إنما نحن مستهزؤن ، قلت لأن يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء
وتجديده وقتاً بعد وقت وهكذا كانت نكبات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم
(وفى نحو ولو ترى إلى آخره) من هذا الباب قوله : ولو ترى إذ الظالمون
موقوفون عند ربهم ، وقوله : ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم . هذا

(١) الأصداء جمع صدى : ظل الصوت يرجع مثله فى الجبل ونحوه ،

والرمس : القبر ، والسببب : المفازة ، ويهش : يرتاح ويهمل .

لا خِلافَ في إخبارِهِ ، كما في : رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ! أَوْ لَا اسْتِحْضَارِ
الصُّورَةِ كما قال تعالى : فَتُشِيرُ سَحَابًا ، اسْتِحْضَارًا لِتِلْكَ الصُّورَةِ الْبَدِيعَةِ
الدَّالَّةِ عَلَى الْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ . وَأَمَّا تَنْكِيرُهُ : فَلِإِرَادَةِ عَدَمِ الْحَضَرِ وَالْعَهْدِ ،
مَكْثُوكَ : زَيْدٌ كَاتِبٌ وَعَمْرُو شَاعِرٌ ، أَوْ لِلتَّنْخِيمِ ، نَحْوُ : هَذِي

ويجوز أن تكون لو في هذه الآيات للتمنى ، كأنه قال وليتك ترى ، وحيث
لا استشهاد لأن التي للتمنى تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي (كما
في ربما يود) قال صاحب الكشف : فإن قلت لم دخلت ربما على المضارع
وقد أبوا دخولها إلا على الماضي ؟ قلت لأن المترقب في إخبار الله تعالى بمنزلة
الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود (أو لاستحضار الصورة)
هو معطوف على قوله لتنزيله يعني صورة رؤية الكافرين موقوفين على النار
قائلين ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ، وكذا صورة رؤية الظالمين موقوفين
عند ربهم والمجرمين ناكسي رؤسهم متقارلين بتلك المقالات وصورة ودادة
الكافرين لو أسلموا (كما في قوله تعالى فتشير سحاباً) وكما في قول تأبط شراً :

أَلَا مَنْ مَبْلَغٌ فِتْيَانٍ فَهَمٌ	بِمَا لَأَقِيتُ عِنْدَ رَحَا بَطَانٍ
بِأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الْغُولَ تَهْوِي	بِسَبَبِ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانٍ
فَقُلْتُ لَهَا كَلَا نَا نِضْوُ أَرْضٍ	أَخُو سَفَرٍ فَخَلَّى لِي مَكَانِي
فَشَدَّتْ شِدَّةً نَحْوِي فَأَهْوَتْ	لَهَا كَفِّي بِتَصْقُولٍ يَمَانِي
فَأَضْرَبَهَا بِأَلٍ دَهْشٍ فَخَرَّتْ	حَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ

إذ قال فأضربها ليصور لقومه للحالة التي تشجع فيها على ضرب الغول كأنه

بِمُتَقِينِ ، أَوْ لِلتَّحْقِيرِ . وَأَمَّا تَخْصِيصُهُ بِالْإِضَافَةِ أَوْ الْوَصْفِ : فَلِتَكُونَ
الْفَائِدَةُ أَتَمَّ كَمَا مَرَّ . وَأَمَّا تَرْكُهُ فَظَاهِرٌ مِمَّا سَبَقَ . وَأَمَّا تَعْرِيفُهُ : فَلِإِفَادَةِ
السَّمْعِ حَكْمًا عَلَى أَمْرٍ مَعْلُومٍ لَهُ بِإِحْدَى طَرِيقِ التَّعْرِيفِ بِآخَرٍ مِثْلِهِ ،

يُبَصِّرُهُمْ إِنَاهَا وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ مَشَاهِدَهَا تَعْجِيلاً مِنْ جَرَاءِ تَهٍ عَلَى كُلِّ هَوْلٍ وَثَبَاتِهِ
عِنْدَ كُلِّ شِدَّةٍ ، تَكْمَلَةٌ ، قَدْ يَكُونُ دُخُولُ لَوْ عَلَى الْمُضَارَعِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْعَمَلَ
مِنَ الْمُنَاطَعَةِ بِحَيْثُ يَحْتَزُّ عَنْ أَنْ يَعْبُرَ عَنْهُ بِلَفْظِ الْمَاضِي لِكُونِهِ بِمَا يَذَلُّ عَلَى
الْوُقُوعِ فِي الْجُمْلَةِ ، كَمَا تَقُولُ : لَقَدْ أَصَابَتْنِي حَوَادِثٌ لَوْ تَبَقَى إِلَى الْآنَ لَمَا بَقِيَ مِنِّي
أَثَرٌ . وَقَدْ يَعْدِلُ عَنْ عَدَمِ الثَّبُوتِ إِلَى جَعْلِ الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ اسْمِيَّةً مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى : وَلَوْ
أَنْهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لِمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ ، دَلَالَةٌ عَلَى ثَبُوتِ الْمَثُوبَةِ وَاسْتِقْرَارِهَا
أَمَّا الْجُمْلَةُ الْأُولَى فَلَا تَقَعُ إِلَّا فِعْلِيَّةً أَلْبَنَةً (نَحْوُ هَدَى لِلْمُتَقِينِ) عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ
مَبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ أَوْ خَبَرٌ ذَلِكَ الْكِتَابُ ، أَيْ هَدَى لَا يَكْتَنُهُ كُنْهَهُ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ
اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ : إِنْ زُلْزِلَتِ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ (أَوْ لِلتَّحْقِيرِ) كَمَا تَقُولُ الْحَاصِلُ لِي
مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ أَيْ حَقِيرٌ (كَمَا سَرَّ) مِنْ أَنْ زِيَادَةُ الْخُصُوصِ تَوْجِبُ أَتَمِّيَّةَ
الْفَائِدَةِ (تَرْكُهُ) أَيْ تَرْكُ تَخْصِيصِ الْمُسْنَدِ بِالْإِضَافَةِ أَوْ الْوَصْفِ (مِمَّا سَبَقَ) فِي تَرْكِ
تَقْيِيدِ الْمُسْنَدِ لِمَانِعٍ مِنْ تَرْبِيَةِ الْفَائِدَةِ (وَإِلِفَادَةِ السَّمْعِ إِلَى آخِرِهِ) قَالَ فِي الْإِيضَاحِ
تَفْسِيرُ هَذَا أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ لِلشَّيْءِ صِفَتَانِ مِنْ صِفَاتِ التَّعْرِيفِ وَيَكُونُ السَّمْعُ عَالِمًا
بِاتِّصَافِهِ بِإِحْدَاهُمَا دُونَ الْآخَرِ ، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُخْبِرَهُ بِأَنَّهُ يَتَّصِفُ بِالْآخَرِ فَإِنَّكَ
تَعْمَدُ إِلَى اللَّفْظِ الدَّالِّ عَلَى الْأُولَى وَتَجْعَلُهُ مَبْتَدَأً وَتَعْمَدُ إِلَى اللَّفْظِ الدَّالِّ عَلَى الثَّانِيَةِ
وَتَجْعَلُهُ حَبْرًا ، فَتَفِيدُ السَّمْعَ مَا كَانَ يَجْهَلُهُ مِنْ اتِّصَافِهِ بِالثَّانِيَةِ ، كَمَا إِذَا كَانَ لِلْسَّمْعِ
أَخٌ يُسَمَّى زَيْدًا وَهُوَ يَعْرِفُهُ بِعَيْنِهِ وَاسْمِهِ ، وَلَكِنْ لَا يَعْرِفُ أَنَّهُ أَخُوهُ ،
وَأَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَهُ أَنَّهُ أَخُوهُ فَتَقُولُ لَهُ : زَيْدُ أَخُوكَ ، سَوَاءٌ عَرَفَ أَنْ لَهُ

أَوْ لَا زِمَ حُكْمٍ كَذَلِكَ ، نَحْوُ : زَيْدٌ أَخُوكَ وَنَحْوُ الْمُنْطَلِقِ ،
بِاعْتِبَارِ تَعْرِيفِ الْعَهْدِ أَوْ الْجِنْسِ وَعَكْسِيهِمَا ، وَالثَّانِي قَدْ يُفِيدُ قَصْرَ

أَخًا ، وَلَمْ يَعْرِفْ أَنْ زَيْدًا أَخُوهُ أَوْ لَمْ يَعْرِفْ أَنْ لَهُ أَخًا أَصْلًا ، وَإِنْ عَرَفَ أَنْ
لَهُ أَخًا فِي الْجُمْلَةِ وَأَرَدَتْ أَنْ تُعَيِّنَهُ عِنْدَهُ قَالَتْ : أَخُوكَ زَيْدٌ ، أَمَّا إِذَا لَمْ يَعْرِفْ أَنْ
لَهُ أَخًا أَصْلًا فَلَا يُقَالُ ذَلِكَ لِامْتِنَاعِ الْحُكْمِ بِالتَّعْيِينِ عَلَى مَنْ لَا يَعْرِفُهُ الْمُخَاطَبُ
أَصْلًا ، فَظَهَرَ الْفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِنَا زَيْدٌ أَخُوكَ وَقَوْلِنَا أَخُوكَ زَيْدٌ ، وَكَذَا إِذَا
عَرَفَ السَّامِعُ إِنْسَانًا يُسَمَّى زَيْدًا بِعَيْنِهِ وَاسْمِهِ ، وَعَرَفَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ إِنْسَانٍ
اِنْطِلَاقٍ وَلَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُ كَانَ مِنْ زَيْدٍ أَوْ غَيْرِهِ ، فَأَرَدَتْ أَنْ تَعْرِفَهُ أَنْ زَيْدًا هُوَ
ذَلِكَ الْمُنْطَلِقُ ، فَتَقُولُ زَيْدُ الْمُنْطَلِقِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَهُ أَنْ ذَلِكَ الْمُنْطَلِقُ هُوَ
زَيْدٌ ، قُلْتَ الْمُنْطَلِقُ زَيْدٌ ، وَكَذَا إِذَا عَرَفَ السَّامِعُ إِنْسَانًا يُسَمَّى زَيْدًا بِعَيْنِهِ
وَاسْمِهِ وَهُوَ يَعْرِفُ مَعْنَى جِنْسِ الْمُنْطَلِقِ ، وَأَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَهُ أَنْ زَيْدًا مُتَصِفًا
بِهِ فَتَقُولُ زَيْدُ الْمُنْطَلِقِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُعَيِّنَ عِنْدَهُ جِنْسَ الْمُنْطَلِقِ ، قَالَتْ
الْمُنْطَلِقُ زَيْدٌ ، انْتَهَى . فَقَوْلُهُ هُنَا بآخر مثله مرتبط بقوله حكما أى لإفادة
السامع حكما على أمر معلوم بأمر آخر ، مثل ذلك الأمر المحكوم عليه فى أنه
معلوم للسامع بإحدى طرق التعريف ، وقوله أو لازم حكم كذلك معطوف
على حكما أى أو لإفادة السامع لازم حكم على أمر معلوم بإحدى طرق التعريف
بأمر آخر مثله ، وفى هذا إشارة إلى أن كون المبتدأ والخبر معلومين لا ينافى
كون الكلام مفيدا للسامع فائدة مجهولة ، لأن ما يستفيد السامع من الكلام هو
انتساب الخبر إلى المبتدأ ، أو كون المتكلم عالما به ، والعلم بنفس المبتدأ والخبر
لا يوجب العلم بانتساب أحدهما إلى الآخر ، وقوله باعتبار متعلق بمحذوف
حال من المنطلق (والثانى) أى اعتبار تعريف الجنس (قد يفيد) وقد لا يفيد
القصر كقول الخنساء .

الجنس عَلَى شَيْءٍ ، تَحْقِيقًا نَحْوُ : زَيْدُ الْأَمِيرِ ، أَوْ مُبَالَغَةً لِكَمَالِهِ فِيهِ ؛ نَحْوُ :
عَمْرُو الشُّجَاعِ ، وَقِيلَ : الْأَسْمُ مُتَعَيِّنٌ لِلْإِبْتِدَاءِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الذَّاتِ وَالصِّفَةِ
لِلخَبَرِيَّةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَمْرِ نِسْبِيٍّ ؛ وَرُدَّ بِأَنَّ الْمَعْنَى الشَّخْصُ الَّذِي

إِذَا قَبَحَ الْبُكَاءَ عَلَى قَتِيلٍ * رَأَيْتُ بُكَاءَكَ الْحَسَنَ الْجَمِيلَ
لم ترد أن ما عدا البكاء عليه فليس بحسن ولا جميل ، ولكنها أرادت أن
تقره في جنس ما حسنه الحسن الظاهر الذي لا ينكره أحد ومثله قول الآخر :
أَسْوَدَ إِذَا مَا أَبْدَتْ الْحَرْبُ نَابَهَا وَفِي سَائِرِ الدَّهْرِ الْغُيُوثُ الْمَوَاطِرُ
وقول حسان :

وَإِنَّ سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بَنُو بَنَاتٍ مَخْزُومٍ وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ
أراد أن يثبت له العبودية ثم يجعله ظاهر الأمر فيها معروفاً بها (نحو
زيد الأمير) إذا لم يكن أمير سواء (لِكَمَالِهِ فِيهِ) أى لِكَمَالِ ذَلِكَ الْجِنْسِ
فِي الْمَقْصُورِ عَلَيْهِ أَوْ لِكَمَالِ الْمَقْصُورِ عَلَيْهِ فِي الْجِنْسِ (نحو عمرو الشجاع)
أى الكمال في الشجاعة ، فتخرج الكلام في صورة توهم أن الشجاعة لم توجد
إلا فيه لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال . . . وبعد ،
فالمقصود قد يكون نفس الجنس مطلقاً ، أى من غير اعتبار تقييده بشيء كما
في الأمثلة المذكورة قبل ، وقد يكون الجنس باعتباره تقييده بظرف أو غيره ،
كقولك هو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيراً ، ومثله قول الأعشى :

هُوَ الْوَاهِبُ الْمِائَةِ الْمُصْطَفَاةِ إِمَّا مَخَاضًا وَإِمَّا عِشَارًا

فإنه قصر عليه هبة المائة من الإبل حال كونها مخاضاً أو عشاراً لا هبة
المائة بأى حال كانت ولا الهبة مطلقاً ، سواء كانت هبة الإبل أو غيرها ، هذا ،

لَهُ الصِّفَةُ صَاحِبُ الْإِسْمِ . وَأَمَّا كَوْنُهُ بُحْمَةً : فَلِتَقَوَّى أَوْ لِكَوْنِهِ سَبَبِيًّا

وقد ذكر الشيخ في دلائل الإعجاز للخبر المعروف باللام معنى غير ما ذكر دقيقاً ، وذلك مثل قولك : هو البطل المحامى ، لا تريد أنه البطل المعهود ولا قصر جنس البطل عليه مبالغة ونحو ذلك ، بل تريد أن تقول لصاحبك هل سمعت بالبطل المحامى ، وهل حصلت معنى هذه الصفة ، وكيف ينبغي أن يكون الرجل حتى يستحق أن يقال ذلك له وفيه ؟ فإن كنت قتله علماً وتصورته حق تصوره فعليك صاحبك واشدد به يدك فهو ضالتك وعنده بغيتك ، وطريقه كطريق قولك ، هل سمعت بالأسد ، وهل تعرف ماهو ؟ فإن كنت تعرفه فزيد هو هو بعينه . ويزداد هذا المعنى ظهوراً بأن تكون الصفة التي تريد الإخبار بها عن المبتدأ مجرأة على موصوف ، وإن أردت أن تسمع في ذلك ما تسكن للنفس إليه سكون الصادى إلى برد الماء فاسمع قول ابن الرومى :

هُوَ الرَّجُلُ الْمَشْرُوكُ فِي جُلٍّ مَالِهِ وَلَكِنَّهُ بِالْمَجْدِ وَالْحَمْدِ مُفْرَدٌ
وليس شيء أغلب على هذا الضرب من الذى ، فإنه يحىء كثيراً على أنك تقدر شيئاً فى وهمك ثم تعبر عنه بالذى ، ومثال ذلك قوله :

أَخُوكَ الَّذِى إِن تَدْعُهُ لِمَلَّةٍ يُجِبْكَ وَإِنْ تَغْضَبْ إِلَى السَّيْفِ يَغْضَبِ
وقول الآخر :

أَخُوكَ الَّذِى إِن رَبَّتْ قَالَ إِنَّمَا أَرَبْتُ وَإِنْ عَاتَبَتْهُ لَانَ جَانِبُهُ
وهذا فن عجيب الشأن ، وله مكان من الفخامة والنبيل ، وهو من سحر البيان الذى تقصر العبارة عن تأدية حقه (وقيل إلى آخره) ذهب الإمام الرازى إلى أن الاسم فى نحو زيد المنطلق والمنطلق زيد ، لما كان دالاً على الذات تعين للابتداء تقدم أو تأخر ، والصفة لما كانت دالة على أمر نسي تعينت

لِما مرَّ ، واسْمِيَّتُها وَفِعْلِيَّتُها وَشَرْطِيَّتُها لِما مرَّ ، وَظَرْفِيَّتُها لِاخْتِصَارِ الْفِعْلِيَّةِ

للخبرية قدمت أو أخرت ، فأجاب المصنف بأن المنطلق لا يجعل مبتدأ إلا بمعنى الشخص الذي له الانطلاق ، وأنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون خبراً ، وزيد لا يجعل خبراً إلا بمعنى صاحب اسم زيد ، وأنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون مبتدأ (فللتقوى) أى تقوى الحكم الذى هو ثبوت المسند للمسند إليه أو سلبه ، كزيد قام وما زيد قام (أو لكونه سلبياً) نحو زيد أبوه قائم (لما مر) أن أفراده يكون لكونه غير سلبى مع عدم إفادة التقوى ، هذا وسبب التقوى فى مثل زيد قام على ما ذكره السكاكى هو أن المبتدأ لكونه مبتدأ يستدعى أن يسند إليه شىء ، فإذا جاء بعده ما يصلح أن يسند إلى ذلك المبتدأ ، صرفه ذلك المبتدأ إلى نفسه سواء كان خالياً عن الضمير أو متضمناً له فينهقد بينهما حكم ، ثم إذا كان متضمناً لضميره المعتد به بأن لا يكون مشابهاً للخالى عن الضمير كما فى زيد قائم . صرفه ذلك الضمير إلى المبتدأ ثانياً فيكتسب الحكم قوة ، فعلى هذا يختص التقوى بما يكون مسنداً إلى ضمير المبتدأ ويخرج عنه نحو : زيد ضربته ، ويجب أن يجعل سلبياً . وأما على ما ذكره عبد القاهر فى دلائل الإعجاز وهو أن الاسم لا يؤتى به معرى عن العوامل إلا لخديث قد نوى إسناده إليه ، فإذا قلت زيد فقد أشعرت قلب السامع بأنك تريد الإخبار عنه ، فهذا توطئة له وتقديم الإعلام به ، فإذا قلت قام دخل فى قلبه دخول المأنوس وهذا أشد للثبوت ، وأمنع من الشبهة والشك . وبالجملة ليس الإعلام بالشىء بغتة مثل الإعلام به بعد التنبيه عليه والتقدمة ، فإن ذلك يجرى بجرى تأكيد الإعلام فى التقوى ، فيدخل فيه نحو زيد ضربته وزيد مررت به (لما مر) فتكون اسمية لإفادة الثبوت وفعلية لإفادة التجدد ، قال السكاكى : وما تسمع من تفاوت الجملتين الفعلية والإسمية تجدداً وثبوتاً هو يطلعك على أنه حين ادعى المناقون الإيمان

إِذْ هِيَ مُقَدَّرَةٌ بِالْفِعْلِ عَلَى الْأَصَحِّ . وَأَمَّا تَأْخِيرُهُ : فَلِأَنَّ ذِكْرَ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ
أَهَمُّ كَمَا مَرَّ . وَأَمَّا تَقْدِيمُهُ : فَلِتَخْصِيصِهِ بِالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ نَحْوُ : لَا فِيهَا غَوْلٌ ،
أَيُّ بِخِلَافِ خُورِ الدُّنْيَا ، وَلِهَذَا لَمْ يُقَدِّمِ الظَّرْفُ فِي نَحْوِ : لَا رَيْبَ فِيهِ ،
لِثَلَا يُفِيدُ ثُبُوتَ الرَّيْبِ فِي سَائِرِ كُتُبِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَوْ لِلتَّنْبِيهِ مِنْ أَوَّلِ
الْأَمْرِ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ لَا نَعْتٌ كَقَوْلِهِ :

بقولهم آمنا بالله وباليوم الآخر جاثين به جملة فعلية ، على معنى أحدثنا الدخول
في الإيمان ، وأعرضنا عن الكفر ليروج ذلك عنهم كيف طبق المفضل في رد
دعواهم الكاذبة قوله تعالى : وما هم بمؤمنين ، حيث جرى به جملة اسمية ومع الباء
وعلى تفاوت كلام المنافقين مع المؤمنين ومع شياطينهم فيما يحكيه جل وعلا عنهم
وهو : وَإِذَا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ،
تفاوتاً إلى جملة فعلية وهي آمنا ، وإلى اسمية ومع إن وهي إنا معكم ، كيف أصاب
شاكلة الرمي ، وعلى أن إبراهيم حين أجاب الملائكة عن قولهم له سلاماً بالنصب
بقوله لهم سلام بالرفع ، كيف كان عاملاً بالذي يتلى عليك في القرآن المجيد : وَإِذَا
حييتهم بتحية فحيوا بأحسن منها . وتكون شرطية للاعتبارات المختلفة الحاصلة
من أدوات الشرط (إذ هي إلى آخره) يعني إنما قلنا إن الظرفية يثبت بها
اختصار الفعلية لأن الظرف في قولنا زيد عندك مقدر بالفعل على الأصح فصار
في تأويل الجملة لا بالاسم حتى يكون الظرف في تأويل المفرد (فلتخصيصه بالمسند
إليه) أي انصرف المسند إليه على المسند (نحو لا فيها غول) مثله قوله عز وعلا :
لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ، وقولك لمن يقول زيد إما قائم وإما قاعد فيرده بين القيام
والقعود من غير أن يخصه بأحدهما قائم هو (أي بخلاف خور الدنيا) فإنها تغتال
العقول (أو للتنبيه إلى آخره) قال السكاكيني وإنما يصار إلى هذا التنبيه لأن الظرف

لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتْهُ الشُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ
أَوْ التَّفَاوُلِ ، أَوْ التَّشْوِيقِ إِلَى ذِكْرِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ :
ثَلَاثَةٌ تَشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا تَشْمُسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
﴿ تشبيه ﴾ كثير مما ذكر في هذا الباب والذي قبله غير مختص
بهما ، كالأدنى ، والحذف وغيرهما ؛ وَالْفَطْنُ إِذَا اتَّقَنَ اعْتِبَارَ ذَلِكَ فِيهِمَا
لَا يَخْفَى عَلَيْهِ اعْتِبَارُهُ فِي غَيْرِهَا .

بتأخره عن المنكر يكون بالحمل على الوصف أولى منه بالحمل على الخبر لأمرين
بمعاضدان في ذلك ، استدعاء المنكر في مقام الابتداء أن يوصف ليتقوى بذلك
فائدة الحكم ، وصلاحيه الظرف أن يكون من صفاته ، ولذلك لا يجب تقديم
الظرف على المنكر إذا كان موصوفاً ، قال الله تعالى : وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ .
(كنوله له همم) وقوله تعالى : وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ،
وقول الشاعر :

نِسْكَالٌ جَدِيدٌ لَذَّةٌ غَيْرَ أَنْتِي وَجَدْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيدٍ
والبيت لحسان بن ثابت في النبي صلى الله عليه وسلم (أَرِ النَّفَاوِلَ) نحو :
﴿ سَمِدَتْ بِغُرَّةٍ وَجْهِكَ الْأَيَّامُ ﴾

(أَوْ التَّشْوِيقِ إِلَى ذِكْرِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ) قال السكاكي : وحق هذا الاعتبار تطويل
الكلام في المسند والإلا لم يحسن ذلك الحسن (كنوله ثلاثة) وقول الآخر :
وَكَلَنَارِ الْحَيَاةِ فَمِنْ رَمَادٍ أَوَاخِرُهَا وَأَوَّلُهَا دُخَانٌ

﴿ أَحْوَالُ مُتَعَلِّقَاتِ الْفِعْلِ ﴾

الْفِعْلُ مَعَ الْمَفْعُولِ كَالْفِعْلِ مَعَ الْفَاعِلِ ، فِي أَنَّ الْغَرَضَ مِنْ ذِكْرِهِ مَعَهُ
إِفَادَةٌ تَلَبُّسِهِ بِهِ ، لَا إِفَادَةٌ وَقُوعِهِ مُطْلَقًا ، فَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ مَعَهُ فَالْغَرَضُ
إِنْ كَانَ إِنْبَاتُهُ لِفَاعِلِهِ ، أَوْ نَهْيُهُ عَنْهُ مُطْلَقًا ، نُزِّلَ مَنْزِلَةَ اللَّازِمِ ، وَلَمْ
يُقَدَّرْ لَهُ مَفْعُولٌ ، لِأَنَّ الْمَقْدَرَكَا كَالْمَذْكُورِ ؛ وَهُوَ ضَرْبَانِ : لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُجْعَلَ
الْفِعْلُ مُطْلَقًا كِنَايَةً عَنْهُ مُتَعَلِّقًا بِمَفْعُولٍ مُخْصُوصٍ دَلَّتْ عَلَيْهِ قَرِينَةٌ
أَوْ لَا ، الثَّانِي كَقَوْلِهِ تَعَالَى : قُلْ هَؤُلَاءِ يَسْتَوُونَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؟

والبيت لمحمد بن وهيب يمدح المصنف بالله (الفعل مع المفعول كالفعل مع الفاعل)
أصل هذا الكلام للشيخ عبد القاهر في دلائل الإعجاز جعله تمهيداً للكلام على
حذف المفعول والعبارة الواضحة أن يقال : إن حال الفعل مع المفعول الذي يتعدى
إليه حاله مع الفاعل . فكما أنك إذا أسندت الفعل إلى الفاعل ، كان غرضك أن
تفيد وقوعه منه ، لأن نفي وجوده في نفسه فقط ، كذلك إذا عديته إلى المفعول
كان غرضك أن تفيد وقوعه عليه ، فقد اجتمع الفاعل والمفعول في أن عمل الفعل
فيهما إنما كان ليعلم التباسه بهما ، فعمل الرفع في الفاعل ليعلم التباسه به من جهة
وقوعه منه ، والنصب في المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه ، أما إذا
أريد الإخبار بوقوعه في نفسه من غير إرادة أن يعلم بمن وقع أو على من وقع
فالعبرة عنه أنه يقال كان ضرب أو وقع ضرب أو وجد أو نحو ذلك من
ألفاظ تفيد الوجود المجرد . . . وإذا قد عرفت هذا فاعلم أن الفعل المنعدي إذا
أسند إلى فاعله ولم يذكر له مفعول ، فإما أن يكون الغرض إنبات المعنى في نفسه

السَّكَاكِي : ثُمَّ إِذَا كَانَ الْمَقَامُ خِطَابِيًّا لَا اسْتِدْلَالِيًّا أَفَادَ ذَلِكَ مَعَ التَّعْمِيمِ ، دَفْعًا لِلتَّحَكُّمِ ، وَالْأَوَّلُ كَقَوْلِ الْبُحْثَرِيِّ فِي الْمُعْتَزِّ بِاللَّهِ :

للفاعل من غير اعتبار عمومته وخصوصه ، ولا اعتبار تعلُّقه بمن وقع عليه . وأما أن لا يكون كذلك ، فإن كان الأول كان المتعدي بمنزلة اللازم فلا يذكر له مفعول ، لأن ذكره ينقض الغرض ، ألا ترى أنك لو قلت هو يعطى الدنانير كان المعنى بيان جنس ما تناوله الإعطاء نفسه ، لا بيان كونه معطياً ، ولا يقدر أيضاً لأن المقدّر في حكم المذكور ، وهذا النوع قسمان : قسم هو مثل قوله تعالى : قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون . المعنى : هل يستوى من له علم ومن لا علم له من غير أن يقصد النص على معلوم ، وقوله تعالى : وأنه هو أغنى وأقنى ، وقوله : وأنه هو أُمات وأحيا ، على معنى أنه الذى منه الإغناء والإقناء والإحياء والإماتة . وهنا قال السكاكي : إذا كان المقام خطابياً يكتفى فيه بمجرد الظن لاستدلالياً يطلب فيه اليقين البرهاني ، أفاد ذلك مع العموم في أفراد الفعل بعلة إبهام أن القصد إلى فرد دون فرد آخر مع تحقق الحقيقة فيهما تحكّم ، ثم جعل قولهم في المبالغة فلان يعطى ويمنع ويصل ويقطع محتملاً لذلك ولتعميم المفعول ، وعنده الشيخ عبد القاهر مما يفيد أصل المعنى على الإطلاق من غير إشعار بشيء من ذلك . وقسم هو أن تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول مخصوص قد علم مكانه ، إما لجرى ذكر ، أو دليل حال ، إلا أنك تنسيه نفسك وتخفيه ، وتوهم إنك لم تذكر ذلك الفعل إلا لأن تثبت نفس معناه من غير أن تعديه إلى شيء ، أو تعرض فيه لمفعول ، وهذا هو ما أراده المصنف بقوله أن يجعل الفعل مطلقاً كناية عنه متوابعاً بمفعول مخصوص دلت عليه قرينة . ومثاله قول السحترى يمدح المعتز بالله ويعرض المستعين بالله :

شَجَوُ حُسَادِهِ وَغَيْظُ عِدَائِهِ * أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعَ وَاعٍ
أَيُّ أَنْ يَكُونَ ذُو رُؤْيَا وَذُو سَمْعٍ ، فَيَذَرِكَ مَحَاسِنَهُ وَأَخْبَارَهُ الظَّاهِرَةَ
الدَّالَّةَ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ الْإِمَامَةَ دُونَ غَيْرِهِ فَلَا يَجِدُوا إِلَى مُنَازَعَتِهِ سَبِيلًا ،
وَالْإِلَّا وَجِبَ التَّقْدِيرُ بِحَسَبِ الْقَرَأَيْنِ . ثُمَّ الحذف إما للبيان بعد

شجو حساده وغيظ عداه أن يرى مبصر ويسمع واع
المعنى لا محالة أن يرى مبصر محاسنه ويسمع واع أخباره ، بيد أنه تغافل
عن ذلك ، لأنه أراد أن يقول محاسن الممدوح وآثاره لم تخف على من له بصيرة
لكثرتها واشهرها ، ويكفي في معرفة أنها سبب لاستحقاقه الإمامة دون
غيره ، أن يقع عليها بصر ويعنيها سمع لظهور دلالتها على ذلك لكل أحد ،
لحساده وأعدائه يتمنون أن لا يكون في الدنيا من له عين يبصر بها وأذن يسمع
بها كي يخفى استحقاقه للإمامة ، فيجدوا بذلك سبيلا إلى منازعته إياها ، ومن
هذا قول طفيل الغنوي ابني جعفر بن كلاب :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَرْزَقْتُ بِنَا نَعْمَنَا فِي الْوَاطِنِ فَرَلَتْ
أَبْوَا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنَّ أَمْنًا تَلَاقَى الَّذِي لَأَقْوَمْنَا مِنَّا لَمَاتَتْ
هُمْ خَلَطُونَا بِالنَّفُوسِ وَأَلْجَبُوا إِلَى حُجُورَاتٍ أَذْفَلَتْ وَأَظْلَمَتْ
فقد حذف المفعول في أربعة مواضع ، لأن الأصل لملئنا والجلونا وأدفأنا
وأظلمنا ، إلا أنه كالماتناسي حتى كأن لا قصد إلى منمعل وكان الفعل أهم أمره
فلم يقصد به شيء يقع عليه ، وإن كان الثاني وهو أن يكون الغرض إفادة
تعلقه بمفعول وجب تقديره بحسب القرائن ، ثم حذفه من اللفظ إما للبيان بعد
الإبهام كما في فعل المشيئة إذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة ، كقولك لو شئت
جئت أو لم أجي . أي لو شئت الجيء أو عدمه الجيء ، فإنك متى قلت لو

الْإِبْهَامِ كَمَا فِي قِتْلِ الْمَشِيتَةِ ، مَا لَمْ يَكُنْ تَعْلُقُهُ بِهِ غَرِيبًا ، نَحْوُ : فَلَوْ شَاءَ
لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ، بِخِلَافِ نَحْوِ : * وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ *
وَأَمَّا قَوْلُهُ :

شِئْتُ عِلْمَ السَّامِعِ أَنَّكَ عَلَقْتَ الْمَشِيتَةَ بِشَيْءٍ فَيَقَعُ فِي نَفْسِهِ أَنْ هُنَاكَ شَيْئًا تَعْلَقْتُ
بِهِ مَشِيتَتَكَ بِأَنْ يَكُونَ أَوْ لَا يَكُونَ ، فَإِذَا قُلْتَ جِئْتُ أَوْ لَمْ أَجِ عَرَفَ ، ذَلِكَ
الشَّيْءَ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : فَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : مَنْ يَشَأْ اللَّهُ
يُضِلَّهُ ، وَقَوْلُ طَرَفَةٍ :

فَإِنْ شِئْتُ لَمْ تَرُقْ قَالَ وَإِنْ شِئْتُ أَرُقَلْتُ
خَجَافَةً تَلْوِيٍّ مِنَ الْقَدِّ مُحْصَدٍ (١)

وقول البهتري :

لَوْ شِئْتُ غَدَّتْ بِلَادُ نَجْدٍ عَوْدَةً . فَحَلَلْتُ بَيْنَ عَقِيقِهِ وَزُرُودِهِ
وقوله أيضاً :

لَوْ شِئْتُ لَمْ تُفْسِدْ سَمَاحَةَ حَاتِمٍ كَرَمًا وَلَمْ تُهْدِمْ مَآثِرَ خَالِدٍ
فَإِنْ كَانَ فِي تَعْلُقِ الْفِعْلِ بِهِ غَرَابَةٌ ، ذَكَرْتُ الْمَفْعُولَ لِتَقَرُّرِهِ فِي نَفْسِ السَّامِعِ
وَتَوَاضُعِهِ ، يَقُولُ الرَّجُلُ يُخْبِرُ عَنْ عِزِّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أَرُدَّ عَلَى الْأَمِيرِ رَدَدْتُ ،
وَلِنْ شِئْتُ أَنْ أَلْقَى الْخَافِيفَةَ كُلَّ يَوْمٍ لَقَيْتُهُ ، وَعَلَيْهِ قَوْلُ الْخَزِيمِيِّ يَرِثِي أَبَا الْهَيْذَامِ :
وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

(١) الإِرْقَالُ : سُرْعَةُ السَّيْرِ ، وَنَاقَةُ مِرْقَالٍ وَمِرْقَلَةٌ : سَرِيعَةٌ ، وَالْقَدُّ :
السُّوْطُ مِنَ الْجُلْدِ ، وَالْمُحْصَدُ : كَالْمَلْوِيِّ الْمَقْتُولِ .

وَلَمْ يَبْقَ مِنِّي الشَّوْقُ غَيْرَ تَفَكُّرِي فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِيَ بِكَيْتِ تَفَكُّرِي
فَلَيْسَ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَوَّلِ الْبُكَاءَ الْحَقِيقِي ، وَإِمَّا لِدَفْعِ تَوَهُّمِ إِرَادَةِ
غَيْرِ الْمُرَادِ ابْتِدَاءً كَقَوْلِهِ :

وَكَمْ ذُدَّتْ عَنِّي مِنْ تَحَامُلِ حَدِيثِ وَسُورَةِ أَيَّامٍ حَزَنَ إِلَى الْعَظَمِ
إِذْ لَوْ ذَكَرَ اللَّحْمُ لَرُبَّمَا تَوَهُّمَ قَبْلَ ذِكْرِ مَا بَعْدَهُ أَنَّ الْحَزْنَ لَمْ يَنْتَهَ

فلما كان أن يشاء الإنسان أن يبكي دماً بدءاً عجيباً ، صرح بذكره ليقرره
في نفس السامع ويؤنسه ، فأما قول أبي الحسين علي بن أحمد الجوهري أحد
شعراء الصاحب بن عباد :

ولم يبق مني الشوق غير تفكّري فلو شئت أن أبكي بكيت تفكّرا
فليس منه لأنه لم يرد أـ يقول فلو شئت أن أبكي تفكّراً بكيت تفكّراً ،
ولكنه أراد أن يقول أفناني النحول فلم يبق مني وفي غير خواطر تجول ، حتى
لو شئت البكاء فريت جفوني وعصرت عيني ليسيل منها دم لم أجده ويخرج
بدل الدمع التفكر ، فالمراد بالبكاء في الأول الحقيقي ، وفي الثاني غير الحقيقي ،
فالثاني لا يصلح لأن يكون تفسيراً للأول ، وإما لدفع أن يتوهم السامع في أول
الامر إرادة شيء غير المزمع . كقول البحتري في قصيدته التي أولها :

هـ أعن سفه يوم الأبيرق أم حلم

وهو يذكر محاسبة الممدوح عليه وصيانته له ، ردفعه نوائب الزمان عنه
وكم ذدت عني من تحامل حادث وسورة أيام حزن إلى العظم
إذ لو قال حزن اللحم لجاز أن يتوهم السامع قبل ذكر ما بعده أن الحزن
كان في بعض اللحم ولم ينته إلى العظم ، فترك ذكر اللحم ليرى السامع من
هذا الوهم ويجعله بحيث يقع المأني منه في أنف النهم ويصور في نفسه من أول

إِلَى الْعَظَمِ . وَإِمَّا لِأَنَّهُ أُريدَ ذِكْرُهُ ثَانِيًا عَلَى وَجْهِ يَتَضَمَّنُ إِبْقَاعَ الْفِعْلِ
عَلَى صَرِيحِ لَفْظِهِ ، إظهاراً لِكَمَالِ الْعِنَايَةِ بِوُقُوعِهِ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ :

قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي السُّورِ دَدٍ وَالْمَجْدِ وَالْمَكَارِمِ مِثْلًا
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ تَرْكُ مُوَاجَهَةِ الْمَدْحِ بِطَلَبِ مِثْلِ لَهُ ؛ وَإِمَّا
الِتَّعَمُّيمَ مَعَ الْإِخْتِصَارِ كَقَوْلِكَ : قَدْ كَانَ مِنْكَ مَا يُؤْلَمُ ، أَيْ كُلُّ أَحَدٍ ،
وَعَلَيْهِ : وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَلِيلِ السَّلَامِ . وَإِمَّا لِمَجَرَّدِ الْإِخْتِصَارِ عِنْدَ قِيَامِ

الْأَمْرُ أَنْ الْحَزْمُ مَضَى فِي اللَّحْمِ حَتَّى لَمْ يَرِدْهُ إِلَّا الْعَظْمُ ، وَإِمَّا لِأَنَّهُ أُريدَ ذِكْرُهُ
ثَانِيًا عَلَى وَجْهِ يَتَضَمَّنُ إِبْقَاعَ الْفِعْلِ عَلَى صَرِيحِ لَفْظِهِ ، إظهاراً لِكَمَالِ الْعِنَايَةِ
بِوُقُوعِهِ عَلَيْهِ ، كَقَوْلِ الْبَحْثِيِّ أَيْضاً :

قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي السُّورِ دَدٍ وَالْمَجْدِ وَالْمَكَارِمِ مِثْلًا
الْمَعْنَى قَدْ طَلَبْنَا لَكَ مِثْلًا ثُمَّ حَذَفَ الْمِثْلَ ، إِذْ كَانَ غَرَضُهُ أَنْ يَوْقَعَ نَفْيُ
الْوُجُودِ عَلَى صَرِيحِ لَفْظِ الْمِثْلِ ، وَلِأَجْلِ هَذَا الْمَعْنَى بَعَيْنُهُ عَكْسُ ذَوَالرَّمَةِ فِي قَوْلِهِ :

وَلَمْ أَمْدَحْ لِأَرْضِيهِ بِشِعْرِي لَثِيمًا أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَا لَا
فَإِنَّهُ أَعْمَلَ الْفِعْلَ الْأَوَّلَ الَّذِي هُوَ أَمْدَحُ فِي صَرِيحِ لَفْظِ اللَّثِيمِ ، وَالثَّانِي الَّذِي
هُوَ أَرْضَى فِي ضَمِيرِهِ ، إِذْ كَانَ غَرَضُهُ إِبْقَاعُ نَفْيِ الْمَدْحِ عَلَى اللَّثِيمِ صَرِيحاً دُونَ
الْإِرْضَاءِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سَبَبُ الْحَذْفِ فِي بَيْتِ الْبَحْثِيِّ قَصْدُ الْمُبَالَغَةِ فِي
التَّأْدِيبِ مَعَ الْمَدْحِ بِتَرْكِ مُوَاجَهَتِهِ بِالتَّصْرِيحِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى تَجْوِيزِ أَنْ يَكُونَ لَهُ
مِثْلٌ ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَطْلُبُ إِلَّا مَا يَحْجُوزُ وَجُودَهُ .

قَرِينَةٍ ، نَحْوُ : أَصَغَيْتُ إِلَيْهِ ، أَيْ أَذُنِي ، وَعَلَيْهِ : أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ، أَيْ ذَاتَكَ ، وَإِمَّا لِلرَّتَابَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ ، نَحْوُ : مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ، وَإِمَّا لِاسْتِهْجَانِ ذِكْرِهِ ، كَقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا . مَا رَأَيْتُ مِنْهُ وَلَا رَأَى مِنِّي ، أَيْ الْعَوْرَةَ ، وَإِمَّا لِنُسْكَتِهِ أُخْرَى . وَتَقْدِيمُ مَفْعُولِهِ وَنَحْوِهِ عَلَيْهِ ، لِرَدِّ الْخَطَأِ فِي التَّعْيِينِ ، كَقَوْلِكَ : زَيْدًا عَرَفْتُ ، لِمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّكَ عَرَفْتَ إِنْسَانًا ، وَأَنَّهُ غَيْرُ زَيْدٍ ، وَتَقُولُ لِنَأْكِيدِهِ لَا غَيْرَهُ . وَلِذَلِكَ لَا يَقَالُ : مَا زَيْدًا

وقد بين المصنف بقية أسباب الحذف بقوله وإما للتعميم إلى آخره (نحو ماودعك ربك وما قلى) أى ما قلاك . وقال صاحب الكشف : حذف المفعول فى مثل هذا اختصار لفظى للعلم به . وقال بعضهم : إن الحذف هنا لترك مواجهته عليه السلام بالإيقاع لفظ القلى على ضميره ولو كان متفياً ولم يفعل ذلك فى ودع لأن لفظ ودع ليس كلفظ قلى (وإما لنسكته أخرى) كالتمكن من إنكاره إن مست الحاجة إليه أو تعينه أو ادعاء تعينه أو نحو ذلك ، قال الله جل شأنه : لينذر بأساً شديداً ، أى لينذر الذين كفروا الحذف لتعينه ، ولأن الغرض هو ذكر المنذر به (ونحوه) من الجار والظرف والحال وغيرها من سائر المعمولات (عليه) أى على الفعل (ارد الخطأ فى التعيين) أى لرد المتكلم خطأ المخاطب فى ظنه وقوع الفعل على مفعول معين . وقد يكون لرد الخطأ فى ظن الاشتراك فى المفعول ، فتقوا زيدا عرفت ، لمن اعتقد أنك عرفت زيدا وعمراً (ولهذا لا يقال ما زيدا ضربت ولا غيره) لاقضه دلالة الأول والثانى . وهذا كما هو ظاهر عند إرادتك أن ترد على المخاطب فى اعتقاده وقوع الضرب منك على زيد ، أما إذا لم ترد ذلك فإنه يجوز لك أن تقول : ما زيدا ضربت ولا غيره .

ضَرَبْتُ وَلَا غَيْرُهُ ، وَلَا مَا زَيْدًا ضَرَبْتُ وَلَكِنْ أَكْرَمْتُهُ ، وَأَمَّا نَحْوُ زَيْدًا
عَرَفْتُهُ فَتَأْكِيدٌ ، إِنْ قُدِّرَ الْمَفْسَرُ قَبْلَ الْمَنْصُوبِ ، وَإِلَّا فَتَخْصِيصٌ . وَأَمَّا
نَحْوُ : وَأَمَّا ثُمُودُ فَيَهْدِينَاهُمْ ، فَلَا يَفِيدُ إِلَّا التَّخْصِيصَ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُكَ يَزِيدُ

(ولا ما زيدا ضربت ولكن اكرمته) لأن مبنى الكلام ليس على أن الخطأ واقع في الفعل بأنه الضرب فترده إلى الصواب بأنه الإكرام وإنما هو على أن الخطأ في المضروب حين اعتقد أنه زيد فردده إلى الصواب أن تقول ولكن عمراً (إن لمدر المفسر قبل المضروب) فكان الأصل عرفت زيدا عرفته (وإلا) أى وإن لم يقدر المفسر قبل المنصوب بل قدر بعده فكان الأصل زيدا عرفت عرفته (فتخصيص) لأن المقدر كالمذكور فكما أن تقدم المفعول على الفعل المذكور يفيد الاختصاص كذلك تقديمه على المقدر . « وبعد » فقد علمت أن نحو زيدا عرفته يحتمل التخصيص بمجرد التأكيدهم والقرينة هي المفعول عليها في إفادة أحدهما ، وإذا دلت على التخصيص كان في هذا التركيب أبلغ منه في نحو : زيدا عرفت . لما فيه من التكرير المفيد للتأكيد . ومعلوم أن ليس التخصيص إلا تأكيدهم على تأكيدهم ، فيتقوى بازدياد التأكيدهم لا محالة ، ومن هنا قال صاحب الكشف في قوله جل شأنه : وإياي فارهبون ، أنه من باب زيدا وديته وهو أؤكد في إفادة الاختصاص من إياك نعبد (فلا يفيد إلا التخصيص) لامتناع تقدير ، أما فهدينا ثمود لا التزامهم وجود فاصل بين ألها والفاء . « وبعد » فالظاهر أن مثل هذا التقديم ليس للتخصيص لأنه ليس الغرض إنا هدينا ثمود دون غيرهم رداً على من زعم الاشتراك أو انفراد الغير بالهداية ، وإنما الغرض إثبات أصل الهداية لهم ثم الإخبار عن سوء صنيعهم (وكذلك قولك يزيد مررت) فإنه يفيد أن سامعك كان يعتقد مرورك

مَرَرْتُ . وَالتَّخْصِصُ لَا زِمَ لِلتَّقْدِيمِ غَالِباً وَهَذَا يُقَالُ فِي : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ، مَعْنَاهُ نَخْفِضُكَ بِالْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ ، وَفِي : لَا إِلَى اللَّهِ تَحْشَرُونَ ،
مَعْنَاهُ إِلَيْهِ تَحْشَرُونَ لَا إِلَى غَيْرِهِ : وَيُفِيدُ فِي الْجَمِيعِ وَرَاءَ التَّخْصِصِ اهْتِمَاماً

يُغَيِّرُ زَيْدَ فَأَزَلَّتْ عَنْهُ الْخَطَأُ مَخْصِصاً مَرُورَكَ بِزَيْدٍ دُونَ غَيْرِهِ (غَالِباً) يُرِيدُ أَنَّ
التَّقْدِيمَ قَدْ لَا يَكُونُ الِاخْتِصَاصُ بِأَنْ يَكُونَ لِمُرَاعَاةِ نَظْمِ الْكَلَامِ مِثْلًا وَذَلِكَ أَنْ
يَكُونَ نَظْمُهُ لَا يَحْسُنُ إِلَّا بِالتَّقْدِيمِ مِثْلَ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا : خَذُوهُ فَعْلُوهُ ثُمَّ الْجَحِيمُ
صَلُوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةِ ذُرْعَيْهَا سَبْعُونَ ذُرْعاً فَاسْلُكُوهُ ، وَقَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ : وَإِنْ
عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ . فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا
بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَا يَحْسُنُ فِيهَا اعْتِبَارُ التَّخْصِصِ
لِنَبِيِّ الْمَقَامِ عَنْهُ ، كَمَا نَبِهَ عَلَى ذَلِكَ صَاحِبُ الْمَثَلِ السَّائِرِ (وَيُفِيدُ فِي الْجَمِيعِ
وَرَاءَ التَّخْصِصِ اهْتِمَاماً بِالْمَقْدَمِ) قَالَ صَاحِبُ الْكِتَابِ وَهُوَ يَذْكُرُ الْفَاعِلَ
وَالْمَفْعُولَ : — كَأَنَّهُمْ يَقْدُمُونَ الَّذِي شَأْنُهُمْ أَهَمُّ وَهُمْ بِبَيَانِهِ أَعْنَى : وَبَعْدَ ، فَقَدْ
قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ فِي دَلَائِلِ الْإِعْجَازِ : أَعْلَمُ أَنَا لَمْ نَجِدْهُمْ اعْتَمَدُوا فِي التَّقْدِيمِ شَيْئاً
يَجْرِي بِجَرَى الْأَصْلِ غَيْرِ الْعَنَاءِ وَالِاهْتِمَامِ ، لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَسَّرَ وَجْهُ الْعَنَاءِ
بِشَيْءٍ وَيَعْرِفَ لَهُ مَعْنَى ، وَقَدْ وَقَعَ فِي ظُنُونِ النَّاسِ أَنَّهُ يَكْفِي أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ قَدِمَ
لِلْعَنَاءِ ، وَلَئِنْ ذَكَرَهُ أَهَمُّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذْكُرَ مِنْ أَيْنَ كَانَتْ تِلْكَ الْعَنَاءُ وَلَمْ كَانَ
أَهَمُّ ، وَمِنَ الْخَطَأِ أَيْضاً أَنْ يُجْعَلَ التَّقْدِيمُ مُفِيداً فِي كَلَامٍ فَائِدَةٌ وَغَيْرُ مُفِيدٍ فِي
آخَرٍ ، وَأَنْ يَعْمَلَ تَارَةً بِالْعَنَاءِ ، وَآخَرَى بِأَنَّهُ تَوْسِيعَةٌ عَلَى الشَّاعِرِ وَالْكَاتِبِ ،
حَتَّى تَطْرُدَ لِهَذَا قَوَافِيهِ ، وَلِذَاكَ سَجَّعَهُ ، ذَاكَ لِأَنَّ مِنَ الْبَعِيدِ أَنْ يَكُونَ فِي جُمْلَةٍ

بالمقدم ، ولهذا يقدر في بسم الله مؤخرًا ، وأورد : اقرأ بسم ربك
وأجيب بأن الأهم فيه القراءة ، وبأنه متعلق بإقرأ الثاني ، ومعنى الأول
أوجد القراءة . وتقديم بعض معمولاته على بعض لأن أصله التقديم
ولا مقتضى للعدول عنه ، كالفاعل في نحو : ضرب زيد عمرًا ، والمفعول
الأول في نحو : أعطيت زيدًا درهما ، أو لأن ذكره أهم كقولك :

النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى (ولهذا يقدر في بسم الله مؤخرًا) ليفيد
مع الاختصاص الاهتمام ، لأن المشركين كانوا يبدون بأسماء آلهتهم فقصد
الموحد تخصيص اسم الله بالابتداء للاهتمام والرد عليهم (وأورد اقرأ باسم)
فإن الفعل فيه مقدم (وأجيب بأن الأهم فيه القراءة) لأنها أول سورة
نزلت ، فكان الأمر بالقراءة أهم من الأمر باختصاص القراءة باسم الله ، إذ
لا يناسب المقام وأصل هذا لصاحب الكشف . (وبأنه إلى آخره) هذا
ما أجاب به السكاكي وإليك عبارته . الوجه عندى أن يحمل اقرأ على معنى
افعل القراءة وأوجدها ، على نحو ما تقدم في قولهم فلا يعطى ويمنع فى أحد
الوجهين غير معدى إلى مقروء به ، وأن يكون باسم ربك مفعول اقرأ الذى
بعده . ولا يذهب عليك أن ما ارتآه الشيخ هو بالبلاغة الصق وبنظم القرآن
أليق (أو لأن ذكره أهم) قال فى الإيضاح : فيقدم المفعول على الفاعل
إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه بمن وقع
منه كما إذا خرج رجل على السلطان وعاث فى البلاد وكثر منه الأذى والقتل ،
وأردت أن تخبر بقتله فتقول قتل الخارجى فلان بتقديم الخارجى ، إذ ليس للناس
فائدة فى أن يعرفوا قاتله ، وإنما الذى يريدون علمه هو وقوع القتل به ليخلصوا
من شره . ويقدم الفاعل على المفعول إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل بمن

قَتَلَ الْخَارِجِيَّ فُلَانٌ ، أَوْ لِأَنَّ فِي التَّأْخِيرِ إِخْلَالًا بِبَيَانِ الْمَعْنَى ، نَحْوُ :
وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ، فَإِنَّهُ لَوْ أَخَّرَ مِنْ آلِ
فِرْعَوْنَ عَنْ قَوْلِهِ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ لَتَوَهَّمُ أَنَّهُ مِنْ صِلَةِ يَكْتُمُ ، فَلَمْ يُفْهِمُ
أَنَّهُ مِنْهُمْ ، أَوْ بِالتَّنَاسُبِ كَرِيعَاةِ الْفَاصِلَةِ نَحْوُ : فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ
خِيفَةً مُوسَى .

وقع منه لا وقوعه بمن وقع عليه ، كما إذا كان رجل ليس له بأس ولا يقدر
فيه أن يقتل فقتل رجلاً وأردت أن تخبر بذلك فتقول قتل فلان رجلاً بتقديم
القاتل ، لأن النى يعنى الناس من شأن هذا القتل ندوره وبعده من الظن ،
ومعلوم أنه لم يكن نادراً ولا بعيداً من حيث كان واقعاً على من وقع عليه ، بل
من حيث كان واقعاً بمن وقع منه ، وعليه قوله تعالى : ولا تقتلوا أولادكم من
إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، وقوله جل شأنه : ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق
نحن نرزقهم وإياكم . قدم المخاطبين في الأولى دون الثانية لأن الخطاب في الأولى
للفقراء بدليل قوله تعالى : من إملاق ، فكان رزقهم أهم عندهم من رزق
أولادهم ، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم ، والخطاب في الثانية
للأغنياء بدليل قوله خشية إملاق ، فإن الخشية إنما تكون بما لم يقع فكان
رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم ، لأنه حاصل فكان أهم ، فقدم الوعد
برزق أولادهم على الوعد برزقهم (أو بالتناسب) أى أو لأن في التأخير
إخلالاً بالتناسب (نحو فأوجس) الآية ، فقدم خيفة على موسى مع أنه فاعل
لرعاية ما بعده وما قبله من الفواصل المختومة بالآلف إذ لو أخر خيفة لقات ذلك

﴿ الْقَصْر ﴾

الْقَصْرُ حَقِيقٌ ، وَغَيْرُ حَقِيقٍ ، وَكُلُّ مَنِهْمَا نَوْعَانِ : قَصْرُ الْمَوْصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ ، وَقَصْرُ الصِّفَةِ عَلَى الْمَوْصُوفِ ؛ وَالْمُرَادُ الْمَعْنَوِيَّةُ لَا النَّعْتُ ؛ وَالْأَوَّلُ مِنَ الْحَقِيقِيِّ نَحْوُ : مَا زَيْدٌ إِلَّا كَاتِبٌ إِذَا أُريدَ أَنَّهُ لَا يَتَّصِفُ بِغَيْرِهَا وَهُوَ لَا يَكَادُ يُوْجَدُ لِتَعَزُّرِ الْإِحَاطَةِ بِصِفَاتِ الشَّيْءِ ، وَالثَّانِي كَثِيرٌ نَحْوُ : مَا فِي الدَّارِ إِلَّا زَيْدٌ ، وَقَدْ يُقْصَدُ بِهِ الْمُبَالَغَةُ ، لِعَدَمِ الْإِعْتِدَاءِ بِغَيْرِ الْمَذْكُورِ ، وَالْأَوَّلُ مِنَ غَيْرِ الْحَقِيقِيِّ تَخْصِيصُ أَمْرٍ بِصِفَةٍ دُونَ أُخْرَى أَوْ مَكَانَهَا ، وَالثَّانِي تَخْصِيصُ صِفَةٍ بِأَمْرٍ دُونَ آخَرَ أَوْ مَكَانَهُ ؛ فَكُلُّ مَنِهْمَا

(القصر) في اصطلاح البيانين تخصيص شيء بشيء بطريق معهود (حقيقي) بأن يكون تخصيص الشيء بالشيء بحسب الحقيقة وفي نفس الأمر بأن لا يتجاوزه أصلاً (وغير حقيقي) وهو الإضافي بأن يكون بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر (والمراد المعنوية) يقول : إن الصفة هنا يراد بها المعنى القائم بالذات لا النعت النحوي وهو التابع الذي يدل على معنى في متبوعه غير الشمول (بغيرها) أي بغير الكتابة (لتعذر الإحاطة بصفات الشيء) وإذن فلا يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها (وقد يقصد به المبالغة) كما يقصد بقولنا ما في الدار إلا زيد ، أن جميع من في الدار من عدا زيدا في حكم المعدوم (فكل منهما) أي كل قسم من قسمي الإضافي وهما قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة

خَرَبَانِ ، وَالْمُخَاطَبُ بِالْأَوَّلِ مِنْ ضَرْبَيْ كُلِّ مَنْ يَعْتَقِدُ الشَّرِكَةَ
وَيُسَمَّى قَصْرَ إِفْرَادٍ لِقَطْعِ الشَّرِكَةِ ، وَبِالثَّانِي مَنْ يَعْتَقِدُ الْعَكْسَ وَيُسَمَّى
قَصْرَ قَلْبٍ ، لِقَلْبِ حُكْمِ الْمُخَاطَبِ ، أَوْ تَسَاوِيَا عِنْدَهُ وَيُسَمَّى قَصْرَ تَعْيِينِ

على الموصوف (ضربان) الأول تخصيص أمر بصفة دون أخرى وتخصيص
صفة بأمر دون آخر والثاني تخصيص أمر بصفة مكان أخرى وتخصيص صفة
بأمر مكان آخر (من يعتقد الشركة) أى اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة
وغيرها جميعاً فى الأول واتصاف ذلك الأمر وغيره جميعاً بتلك الصفة فى الثانى
فالمخاطب بقولنا ما زيد إلا كاتب من يعتقد أن زيدا كاتب وشاعر وبقولنا ما
شاعر إلا زيد من يعتقد أن زيدا شاعر لكن يدعى أن عمراً أيضاً شاعر (من
يعتقد العكس) أى عكس الحكم الذى أثبتته المتكلم . فالمخاطب بقولنا ما زيد إلا
قائم من اعتقد اتصافه بالقعود دون القيام ، وبقولنا ما شاعر إلا زيد من اعتقد
أن الشاعر عمرو ولا زيد (أو تساويا عنده) هو معتلوف على قوله يعتقد العكس
يقول : إن المخاطب بالثانى إما من يعتقد العكس أو من تساوى عنده الأمران
أى اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة ، واتصافه بغيرها فى الأمر واتصافه بها
واتصاف غيره بها فى الثانى ، فالمخاطب بقولنا ما زيد إلا قائم من يعتقد اتصافه
بالقيام أو القعود من غير علم بالتعيين ، وبقولنا ما شاعر إلا زيد من يعتقد أن
الشاعر زيد أو عمرو من غير أن يعلمه على التعيين . والحاصل ، أن تخصيص
شئ بشئ دون آخر قصر أفراد وتخصيص شئ بشئ مكان آخر إن اعتقد
المخاطب فيه العكس قصر قلب ، وإن تساويا عنده قصر تعيين ، والذى يشعر به
عبارة السكاكى أن القسمة ثنائية وأما جعله المصنف قسماً ثالثاً وسماه قصر
تعيين منظوم فى سلك قصر الأفراد ، ونوع منه وهاك عبارة : حاصل معنى

وَشَرَطُ قَصْرِ الْمَوْصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ إِفْرَادًا عَدَمُ تَنَافِي الْوَصْفَيْنِ ، وَقَلْبًا
تَحَقُّقُ تَنَافِيهِمَا ، وَقَصْرُ التَّعْيِينِ أَعْمُ ؛ وَلِلْقَصْرِ طَرُقٌ : مِنْهَا الْعَطْفُ ، كَقَوْلِكَ
فِي قَصْرِهِ إِفْرَادًا : زَيْدٌ شَاعِرٌ لَا كَاتِبٌ ، أَوْ مَا زَيْدٌ كَاتِبًا بَلْ شَاعِرٌ ،
وَقَلْبًا : زَيْدٌ قَائِمٌ لَا قَاعِدٌ ، وَمَا زَيْدٌ قَاعِدًا بَلْ قَائِمٌ ، وَفِي قَصْرِهَا : زَيْدٌ شَاعِرٌ
لَا عَمْرُو ، أَوْ مَا عَمْرُو شَاعِرًا بَلْ زَيْدٌ . وَمِنْهَا النَّفْيُ وَالِاسْتِثْنَاءُ ، كَقَوْلِكَ

القصر راجع إلى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان كقولك
زيد شاعر لا منجم لمن يعتقد شاعراً ومنجماً ، أو قولك زيد قائم لا قاعد لمن
يتوهم زيدا على أحد الوصفين من غير ترجيح ويسمى هذا قصر إفراد أو بوصف
مكان آخر كقولك لمن يعتقد زيدا منجماً لا شاعراً ما زيد منجم بل شاعر ،
أو زيد شاعر لا منجم ويسمى هذا قصر قلب ، أو إلى تخصيص الوصف بموصوف
قصر إفراد أو قصر قلب والمثل ظاهره وهو كلام متين وتقسيم قريب (عدم
تنافي الوصفين) لیتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما ، فتكون المنفية في قولنا
ما زيد شاعر كونه كاتباً أو منجماً أو نحو ذلك لا كونه مفحماً لا يقول الشعر
(وقلباً تحقق تنافيهما) ليكون إثبات الصفة مشعراً بانتفاء غيرها فتكون المنفية
في قولنا : ما زيد إلا قائم كونه قاعداً أو جالساً أو نحو ذلك لا كونه أسود
أو أبيض (وقصر التعيين أعم) وإذن فكل ما يصلح أن يكون مثالا لقصر
الإفراد أو قصر القلب يصلح أن يكون مثالا لقصر التعيين من غير عكس .
وبعد ، فقصده أهمل السكاكي القصر الحقيقي وأدخل قصر التعيين في قصر
الأفراد كما علمت ، فلم يشترط في قصر الموصوف إفراداً عدم تنافي الصفتين ،
ولا في قصره قلباً تحقق تنافيهما وحيداً صليغاً ، وكان أمس بالمصنف أن يحدد
حدوده في ذلك كما لا يخفى على طبع الذكي وقلب الفطن (كقولك في قصره

في قصره : مَا زَيْدٌ إِلَّا شَاعِرٌ ، وَمَا زَيْدٌ إِلَّا قَائِمٌ ، وَفِي قَصْرِهَا : مَا شَاعِرٌ إِلَّا زَيْدٌ ، وَمِنْهَا إِنَّمَا كَقَوْلِكَ فِي قَصْرِه : إِنَّمَا زَيْدٌ كَاتِبٌ وَإِنَّمَا زَيْدٌ قَائِمٌ ، وَفِي قَصْرِهَا : إِنَّمَا قَائِمٌ زَيْدٌ ، لِتَضْمِنِهَا مَعْنَى مَا وَإِلَّا ، لِقَوْلِ الْمُفَسِّرِينَ : إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ، بِالنَّصِّ ، مَعْنَاهُ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ إِلَّا الْمَيْتَةَ وَهُوَ الْمَطَابِقُ

ما زيد إلا شاعر إلى آخره) قال الساكبي : وتحقيق وجه القصر في الأول أنه متى قيل ما زيد توجه النفي إلى صفته لاداته . لأن أنفس الذوات يمتنع نفيها وإنما تنفي صفاتها كما بين ذلك في غير هذا العلم وحيث لا نزاع في طوله وقصره وما شاكل ذلك وإنما النزاع في كونه شاعراً أو كاتباً تناولها النفي . فإذا قيل إلا شاعر جاء القصر ، وفي الثاني أنه متى قيل ما شاعر فأدخل النفي على الوصف المسلم ثبوته ، أعنى الشعر الغير من الكلام فيهما كزيد وعمرو مثلاً توجه النفي إليهما ، فإذا قيل إلا زيد جاء القصر (لتضمنها معنى ما وإلا) يقول : إن السبب في إقادة إنما معنى القصر هو تضمنها معنى ما وإلا . والدليل على ذلك ثلاثة أوجه : أولها قول المفسرين في قوله تعالى : إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ، بنصب الميته إن المعنى ما حرم عليكم إلا الميته . وهذا المعنى هو المطابق لقراءة رفع الميته المقتضية لانحصار التحريم على الميته ، بسبب أن ما في قراءة الرفع يكون موصولا صلته حرم عليكم واقعاً اسماً لأن ويكون المعنى إن المحرم عليكم الميته وقد سبق أن المنطوق زيد وزيد المنطوق ، كلاهما يقتضي انحصار الانطلاق على زيد : الثاني أنك ترى أئمة النحو يقولون إنما تأتي لإثباتاً لما يذكر بعدها ونقياً لمساواة . الثالث صحة انفصال الضمير معها كقولك إنما يضرب أنا مثله في ما يضرب إلا أنا . قال الفرزدق : أنا الزائد . . البيت ، كما قال عمرو بن معد يكرب

لِقِرَاءَةِ الرَّفْعِ ، لِمَا مَرَّ ، وَلِقَوْلِ النَّحَاةِ : إِنَّمَا لِإِثْبَاتِ مَا يُذَكَّرُ بَعْدَهَا ،
وَنَفْيِ مَا سِوَاهُ ، وَاصِحَّةِ انفِصَالِ الضَّمِيرِ مَعَهَا ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

أَنَا الدَّائِدُ الْحَامِي الدَّمَارَ وَإِنَّمَا يَدْفَعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي
وَمِنْهَا التَّقْدِيمُ ، كَقَوْلِكَ فِي قَصْرِهِ : تَمِيحِي أَنَا ، وَفِي قَصْرِهَا : أَنَا كَفَيْتُ

قَدْ بَلَغَتْ سَامَى وَجَارَاتِهَا مَا قَطَرَ الْفَارِسَ إِلَّا أَنَا

قال الشيخ عبد القاهر : اعلم أن الذي صنعه الفرزدق شيء لو لم يصنعه لم
يصح له المعنى ، ذلك لأن غرضه أن يخص المدافع لا المدافع عنه ، وأنه يزعم
أن المدافعة منه تكون عن أحسابهم لا عن أحساب غيرهم كما يكون إذا قال
وما أَدافع إلا عن أحسابهم ، وليس ذلك معناه ، إنما معناه أن يزعم أن المدافع
هو لا غيره ، قال : ولا يجوز أن ينسب فيه إلى الضرورة فيجعل مثلاً نظير
قول الآخر :

كُنَّا يَوْمَ قُرَيْشٍ إِنَّمَا نَقْتُلُ إِيَّانَا

لأنه ليس به ضرورة إلى ذلك من حيث أن أَدافع ويدافع واحد في
الوزن . وهذا ، وقد نقل في تضمينها معنى ما وإلا مناسبة عن علي بن عيسى
الرُبْعِي وهي أنه لما كانت كلمة إن لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه ثم اتصلت
بها ما المؤكدة لا النافية كما يظنه من لا وقوف له على علم النحو ، ناسب أن
تضمن معنى القصر ، لأن القصر ليس إلا تأكيداً على تأكيد ، فإن قولك زيد
جاء لا عمرو لمن يردد المجيء الواقع بينهما يفيد إثباته لزيد في الابتداء صريحاً
وفي الآخر ضمناً (أنا كفيت مهمك) بمعنى وحدي إذا كنت تخاطب به من
يعتقد أنك وغيرك كفتيماً مهمه ، وبمعنى لا غيري إذا كان المخاطب يعتقد

مُهِمَّكَ وَهَذِهِ الطَّرِيقُ تَخْتَلِفُ مِنْ وَجْهِ فِدَالَةِ الرَّابِعِ بِالْفَحْوَى ، وَالْبَاقِيَةِ
بِالْوَضْعِ وَالْأَصْلِ فِي الْأَوَّلِ النَّصُّ عَلَى الْمُثَبَّتِ وَالْمُنْفَى كَمَا مَرَّ ، فَلَا يُتْرَكُ
إِلَّا كَرَاهَةً الْإِطْنَابِ ، كَمَا إِذَا قِيلَ : زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ وَالتَّصْرِيفَ وَالْعَرُوضَ ،
أَوْ زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ وَعَمَرُو وَبَكْرٌ ، فَتَقُولُ فِيهِمَا زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ لِأَخِيرِ
أَوْ نَحْوَهُ ، وَفِي الثَّلَاثَةِ الْبَاقِيَةِ النَّصُّ عَلَى الْمُثَبَّتِ فَقَطْ ، وَالنَّفْيُ لَا يُجَامِعُ

أن غيرك كفى مهمه دونك (الرابع) وهو التقديم (بالفحوى) أى بمفهوم
الكلام ، بمعنى أنه إذا تأمل من له الذوق السليم فى مفهوم الكلام الذى فيه
التقديم فهم منه القصر وإن لم يعرف أنه فى اصطلاح البلغاء كذلك (والأصل
إلى آخره) هذا هو الوجه الثانى من وجوه الاختلاف (فى الأول) وهو
طريق العطف (كما مر) من الأمثلة ، فإن المعطوف عليه فى لا هو المثبت
والمعطوف هو المنفى وفى بل بالعكس (زيد يعلم النحو لا غير) أما فى الأول
فعناه لا غير النحو وهو قائم مقام لا التصريف ولا العروض ، وأما فى
الثانى فعناه لا غير زيد وهو قائم مقام لا عمرو ولا بكر (أو نحوه) أى
أو نحو لا غير مثل ليس إلا (والنفى إلى آخره) يقول الوجه الثالث من
وجوه الاختلاف أن النفى بلا العاطفة لا يجامع النفى والاستثناء ، فلا يصح
ما زيد إلا قائم لا قاعد ، لأن شرط جواز النفى بلا ، أن لا يكون ما قبلها
منفياً بغيرها من أدوات النفى ، لأنها موضوعة لأن ينفى بها ما أوجبه للمتبع ،
لا لأن تنفياً بها شيئاً قد نفى أولاً أو تنفى بها نفياً فنعود إيجاباً ، وإذا كان
ذلك كذلك تعذر أن ينفى بها بعد النفى والاستثناء . لأنك إذا قلت ما زيد
إلا قائم ، فالغرض نفى كل صفة وقع فيها التنازع والصفة التى تنفياً بلا بعد
هذا يجب أن تسكن مما رقع فيها النزاع ، وإلا خرجت عما يراعى فى خطاب

الثاني ، لأنَّ شرطَ المنفى بلا أن لا يكون منفيًا قبلها بغيرها ، ويُجامعُ
الأخيرين ، فيقال : إنما أنا تميمي لا قيسي ، وهو يأتيني لا عمرو ، لأنَّ
المنفى فيهما غير مُصرَّح به ، كما يقال امتنع زيد عن المجيء لا عمرو .
السكاكي : شرطُ مجامعته للثالث أن لا يكون الوصف مختصًا

العطف بها من إفادة الحصر أو تأكيد ، فإذا قلت مثلاً لقاعد فقد نفيت بها شيئاً
هو منفي قبلها بما النافية فلا يصح الإتيان بها بعد النفي والاستثناء ، ويصح الإتيان
بها مع إنما والتقديم ، فتقول إنما زيد كاتب لاشاعر وهو يأتيني لا عمرو لأن النفي
فيهما غير مُصرَّح به وإنما صرح فيهما بالإثبات فلم يقبح تأكيد ما تضمناه والنفي
بلا بخلاف ما ، وإلا فقد صرح فيهما بالنفي وحينئذ فالنفي الصريح ليس كالضمني
يدل على ذلك أنه يقال امتنع زيد عن المجيء لا عمرو فيعطف على فاعل امتنع بلا ،
فيفيد الكلام حصر الامتناع في زيد بواسطة العطف بلا ، وصح ذلك لأن
صريح امتنع زيد لإثبات الامتناع ، فلفظ لا يفيد نفي ذلك الإثبات ، وأما نفي
المجيء فهو ضمنى لجواز العطف بلا لكون النفي في امتنع ضمنياً ولو صرح به
وقيل لم يجيء زيد لم يصح أن يقال لا عمرو لأنه نفي للنفي فيكون إثباتاً ووضع
لا للنفي لا للإثبات (السكاكي إلى آخره) وإليك عبارته : إذا جامع
لا العاطفة إنما جامعها بشرط وهو أن لا يكون الوصف بعد إنما يستجيب الذين
يسمعون ، فإن كل ما قل يعلم أنه لا تكون استجابة لإلّا ممن يسمع ويعقل وقوله :
إنما أنت منذر من يخشاها ، فلا يخفى على أحد ممن به مسكة أن الإنذار إنما
يكون إنداراً ويكون له تأثير إذا كان مع من يؤمن بالله وبالبعث والقيامة
وأهوالها ويخشى عقابها ، وقولهم : إنما يعجل من يخشى القوت ، فركوز في العقول

بالمَوْصُوفِ ، نَحْوُ : إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ . عَبْدُ الْقَاهِرِ . لَا تُحْسِنُ
فِي الْمُخْتَصِّ كَمَا تُحْسِنُ فِي غَيْرِهِ وَهَذَا أَقْرَبُ . وَأَصْلُ الثَّانِي أَنَّ يَكُونَ
مَا اسْتُعْمِلَ مِمَّا يَجْهَلُهُ الْمُخَاطَبُ وَيُنْكِرُهُ ، بِخِلَافِ الثَّالِثِ ، كَقَوْلِكَ
لِصَاحِبِكَ وَقَدْ رَأَيْتَ شَبَحًا مِنْ بَعِيدٍ : مَا هُوَ إِلَّا زَيْدٌ ، إِذَا اعْتَقَدَهُ غَيْرُهُ

أَنْ مَنْ لَمْ يَخْشِ الْقَوْتَ لَمْ يَعِجِلْ ، وَإِذَا كَانَ لَهُ اخْتِصَاصٌ لَمْ يَصَحَّ فِيهِ اسْتِعْمَالُ
لَا الْعَاطِفَةِ ، فَلَا تَقُلْ إِنَّمَا يَعِجِلُ مَنْ يَخْشَى الْقَوْتَ لَا مَنْ يَأْمَنُهُ (وَهَذَا أَقْرَبُ)
يَقُولُ إِنْ كَلَامُ عَبْدِ الْقَاهِرِ أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ مِنْ عِبَارَةِ السَّكَانِيِّ . وَبَعْدُ ،
فَإِنْ مِنَ الظَّاهِرِ أَنَّ السَّكَانِيَّ إِنَّمَا جَعَلَ ذَلِكَ شَرْطًا فِي الْحَسَنِ فَهُوَ فِي الْوَاقِعِ لَمْ
يَقُلْ شَيْئًا غَيْرَ مَا قَالَهُ عَبْدُ الْقَاهِرِ وَغَرِيبُ ذَهُولِ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ مِثْلِ هَذَا
(وَأَصْلُ الثَّانِي إِلَى آخِرِهِ) يَقُولُ الْوَجْهَ الرَّابِعُ مِنْ وَجُوهِ الْاِخْتِلَافِ أَنَّ
أَصْلَ النِّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ أَنْ يَكُونَ الْحُكْمُ الَّذِي اسْتُعْمِلَ هُوَ فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي
يَجْهَلُهَا الْمُخَاطَبُ وَيُنْكِرُهَا ، بِخِلَافِ إِنَّمَا ، فَإِنْ أَصْلُهُ أَنْ يَكُونَ الْحُكْمُ الْمُسْتَعْمَلُ هُوَ
فِيهِ مِمَّا يَعْلَمُهُ الْمُخَاطَبُ وَلَا يَنْكِرُهُ . وَأَصْلُ هَذَا الْكَلَامِ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْقَاهِرِ رَحِمَهُ
اللَّهُ . وَإِلَيْكَ عِبَارَتُهُ مَعَ شَيْءٍ مِنَ التَّنْصِيفِ : إِنْ مَوْضُوعٌ مَا وَإِلَّا عَلَى أَنْ يَكُونَ
لِلْأَمْرِ يَنْكِرُهُ الْمُخَاطَبُ وَيَشْكُ فِيهِ ، أَوْ مَا يَنْزِلُ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ فَلَا يَصِحُّ اسْتِعْمَالُهَا
فِي الْأَمْرِ الظَّاهِرِ ، فَلَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ تَرْفِقْهُ عَلَى أَخِيهِ وَتَذَنِّبْهُ . الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ
صَلَةِ الرَّجَمِ : مَا هُوَ إِلَّا أَخُوكَ مِثَالُ الْأَوَّلِ قَوْلُكَ لِصَاحِبِكَ وَقَدْ رَأَيْتَ شَبَحًا
مِنْ بَعِيدٍ : مَا هُوَ إِلَّا زَيْدٌ إِذَا وَجَدْتَهُ يَعْتَقِدُهُ غَيْرُ زَيْدٍ وَيَصْرُ عَلَى الْإِنْكَارِ ، وَمِنْهُ
قَوْلُهُ تَعَالَى : وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ، وَمِثَالُ الثَّانِي قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا
رَسُولٌ ، أَيْ إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَتَعَدَّى الرِّسَالَةَ إِلَى التَّبَرُّكِ مِنَ الْهَلَاكِ ، نَزَلَ
اسْتِعْظَامُهُمْ هَلَاكَهُ مِنْزِلَةً لِنِكَارِهِمْ إِيَّاهُ ، وَمِثْلُهُ : وَمَا أَنْتَ بِمَسْمُوعٍ مِنْ فِي الْقُبُورِ إِنْ

مُصِرًّا ، وَقَدْ يُنَزَّلُ الْمَعْلُومُ مَنَزِلَةً الْجَهُولِ ، لِاعْتِبَارِ مُنَاسِبٍ ، فَيُسْتَعْمَلُ لَهُ
الثَّانِي إِفْرَادًا ، نَحْوُ : وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ : أَيْ مَقْصُورٌ عَلَى الرِّسَالَةِ لَا يَتَعَدَّاهَا
إِلَى التَّبَرُّيِّ مِنَ الْهَلَاكِ ، نُزِّلَ اسْتِعْظَامُهُمْ هَلَاكَهُ مَنَزِلَةً إِنْكَارِهِمْ
إِيَّاهُ ، أَوْ قَلْبًا ، نَحْوُ : إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ، لِاعْتِقَادِ الْقَائِدِينَ أَنَّ
الرَّسُولَ لَا يَكُونُ بَشَرًا ، مَعَ إِصْرَارِ الْمُخَاطَبِينَ عَلَى دَعْوَى الرِّسَالَةِ

أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ، فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ لَشِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى هِدَايَةِ النَّاسِ يَكْرُرُ دَعْوَةَ
الْمُمْتَنِعِينَ عَنِ الْإِيمَانِ وَلَا يَرْجِعُ عَنْهَا ، فَمَكَانٌ فِي مَعْرُضٍ مِنْ ظَنِّ أَنَّهُ يَمْلِكُ
مَعَ صِفَةِ الْإِنذَارِ إِيجَادَ الشَّيْءِ فِيهَا يَمْتَنِعُ قَبُولُهُ إِيَّاهُ ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : إِنْ
أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ، لِأَنَّ الْكُفَّارَ جَعَلُوا الرِّسَالَ كَأَنَّهُمْ بِادْعَائِهِمُ النَّبِيَّةَ قَدْ أَخْرَجُوا
أَنْفُسَهُمْ عَنْ أَنْ يَكُونُوا بَشَرًا مِثْلَهُمْ ، وَلَمَّا كَانَ كَذَلِكَ أَخْرَجَ اللَّفْظَ مَخْرَجَهُ
حَيْثُ يَرَادُ إِثْبَاتُ أَمْرٍ يَدْفَعُهُ الْمُخَاطَبُ وَيَدْعَى خِلَافَهُ ، ثُمَّ جَاءَ الْجَوَابُ مِنْ
الرِّسَالِ الَّذِي هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، كَذَلِكَ بَيَّنَّ وَإِلَّا
لَأَنَّ مَنْ حَكَمَ مَنْ ادَّعَى عَلَيْهِ خِصْمُهُ الْخِلَافَ فِي أَمْرٍ هُوَ لَا يَخَالِفُ فِيهِ أَنْ
يَعِيدَ كَلَامَ الْخِصْمِ عَلَى وَجْهِهِ وَيَجْعَلَهُ بِهِ عَلَى هَيْئَتِهِ وَيَحْكِيهِ كَمَا هُوَ ، فَإِذَا قَالَتِ الرَّجُلُ
أَنْتَ مِنْ شَأْنِكَ كَيْتُ وَكَيْتُ ، قَالَ نَعَمْ أَنَا مِنْ شَأْنِي كَيْتُ وَكَيْتُ ، وَلَسَكُنْ
لَا ضَيْرَ عَلَى وَلَا يُلْزِمُنِي مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَا ظَنَنْتَ أَنَّهُ يُلْزِمُ ، فَالرِّسَالُ كَأَنَّهُمْ قَالُوا
إِنْ مَا فُلَانٌ مِنْ أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ كَمَا قَاتِمٌ لَنَا نَنْسُكِرُ ذَلِكَ وَلَا نَجْهَلُهُ ، وَلَسَكُنْ ذَلِكَ
لَا يَمْنَعُنَا مِنْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ مِنْ عَلَيْنَا رَأَا كَرَمَنَا بِالرِّسَالَةِ . . . وَأَمَّا إِنَّمَا
فِي مَوْضُوعِهَا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ لَخْبَرِ لَا يَجْهَلُهُ الْمُخَاطَبُ وَلَا يَدْفَعُ صَوْتَهُ ، أَوْ لَمَّا يَنْزِلُ

وَقَوْلُهُمْ : إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، مِنْ بَابِ مُجَارَاةِ انْتِظَامِ لِيَعْتَرِ
حَيْثُ يُرَادُ تَبَكُّيَّتُهُ ، لَا لِتَسْلِيمِ انْتِفَاءِ الرِّسَالَةِ ، وَكَقَوْلِكَ إِنَّمَا
هُوَ أَخُوكَ ، لِمَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ وَيُقَرُّ بِهِ ، وَأَنْتَ تَرِيدُ أَنْ تُرَقِّقَهُ
عَلَيْهِ وَقَدْ يَنْزِلُ الْمَجْهُونُ مَنْزِلَةَ الْمَعْلُومِ ، لِادِّعَاءِ ظُهُورِهِ ، فَيُسْتَعْمَلُ
لَهُ الثَّالِثُ ، نَحْوُ : إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، وَإِذَلِكَ جَاءَ : أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
الْمُفْسِدُونَ ، لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ مَوْكِدًا تَرَى ، وَمَزِيَّةً إِنَّمَا عَلَى الْعُصْفِ

هذه المنزلة ، مثال الأول قولك للرجل : إنما هو أخوك ، وإنما هو صاحبك
القديم ، لا تقوله لمن يجمل ذلك ويدفع صحته ، ولكن لمن يعلمه ويقربه إلا أنك
تنبيه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب ، ومثله قول المتنبي :

إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالْأَبُ الْقَائِلُ طِعْ أُخْتِي مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ
لم يرد أن يعلم كافوراً أنه والد ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه إلى الإعلام ،
ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم لينبئ عليه استدعاء ما بوجبه كونه
بمنزلة الوالد ، ومثاله من التنزيل قوله تعالى : إِنَّمَا تَنْذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ
الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ ، وقوله عز وجل : إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا ، كل ذلك تذكير
بأمر ثابت معلوم ، ومثال الثاني قول قيس الرقيات :

إِنَّمَا مُصْغَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
ادعى في كون الممدوح بهذه الصفة أنه أمر معلوم للجميع على عادة الشعراء
إذا مدحوا أن يدعوا في الأوصاف التي يذكرون بها الممدوحين أنها ثابتة لهم ،
وأنهم قد شهروا بها ، وأنهم لم يصفوا إلا بالمعلوم الظاهر الذي لا يدفعه أحد
كما قال الخطيب :

أَنَّهُ يُعْقَلُ مِنْهَا الْحُكْمَانِ مَعًا ، وَأَحْسَنُ مَوَاقِعِهَا التَّعْرِيضُ ، نَحْوُ :

وَتَعَذُّلُنِي أَفْنَاءُ سَعْدٍ عَلَيْهِمْ وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَامَتُ سَعْدٌ^(١)

وكما قال البحتري :

لَا أَدَّعِي لِأَبِي الْعَلَاءِ فَضِيلَةً حَتَّى يُسَلِّمَهَا إِلَيْهِ عِدَاهُ

ومثل البيت قوله تعالى حكاية عن اليهود : وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، المعنى أنهم يدعون أن كونهم مصلحين أمر ظاهر معلوم ، ولذلك أكد الأمر في تكذيبهم والرد عليهم لجمع بين إلا التي للتنبيه وإن التي هي للتأكيد ، فقال ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (الحكمان) أى الإثبات للذكور والنفي عما سواه (وأحسن مواقعها التعريض) قال الشيبخ عبد القاهر : اعلم أنك إذا استقررت وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ماترى بالقلب إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه ، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه نحو إنا نعلم أن ليس الغرض من قوله تعالى : إنما يتذكر أولوا الألباب ، أن يعلم السامعون ظاهر معناه ولكن أن يذم الكفار ، وأن يقال إنهم من فرط العناد ومن غلبة الجهوى عليهم في حكم من ليس بذى عقل . وأنكم إذا طمعتم منهم في أن ينظروا ويتذكروا كنتم كن طمع في ذلك من غير أولى الألباب ، ومثال ذلك من الشعر قوله :

أَنَا لَمْ أَرْزُقْ حَقَّهَا إِنَّمَا لِلْعَبْدِ مَا رَزَقَا

الغرض أن يفهمك من طريق التعريض أنه قد صار ينصح نفسه ، ويعلم أنه ينبغي له أن يقطع الطمع من وصلها ، وييأس من أن يكون منها إسعاف ، ومن ذلك قوله :

(١) الإفناء : الغوغاء والسقاط من الناس .

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ، فَإِنَّهُ تَعْرِيفٌ بِأَنَّ الْكُفَّارَ مِنْ فَرْطِ جَهْلِهِمْ
كَالْبَهَائِمِ ، فَطَمَعُ النَّظَرِ مِنْهُمْ كَطَمَعِهِ مِنْهَا . ثُمَّ الْقَصْرُ كَمَا يَقَعُ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ
وَالْخَبَرِ عَلَى مَا مَرَّ ، يَقَعُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ وَغَيْرِهِمَا . فَبِالِاسْتِثْنَاءِ يُؤَخَّرُ
الْمَقْصُورُ عَلَيْهِ مَعَ أَدَاةِ الْاسْتِثْنَاءِ وَقَدْ تَقَدَّمَ هُمَا نَحْلُهُمَا ، نَحْوُ : مَا ضَرَبَ إِلَّا

* وَإِنَّمَا يَعْذِرُ الْعُشَّاقُ مَنْ عَشِقَا *

يقول إنه ليس ينبغي للعاشق أن يلوم من يلومه في عشقه ، وأنه ينبغي أن
لا ينكر ذلك منه ، فإنه لا يعلم كنه البلوى في العشق ولو كان ابتلى به لعرف ما هو
فيه فعذره (وغيرهما) كالفاعل والمفعول وكالمفعولين وكذا الحال
والحال تقول في قصر الفاعل على المفعول لإفراداً أو قلباً بحسب المقام : ما
ضرب زيد إلا عمرأ ، ومن الوارد على قصر القاب قوله تعالى حكاية عن السيد
المسيح عليه السلام : ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله له لأنه قاله في
مقام اشتمل على معنى أنك يا عيسى لم تقل للناس ما أمرتك لأنى أمرتك أن
تدعوا الناس إلى أن يعبدوني ، ثم إنك دعوتهم إلى أن يعبدوا من هو دوني
ألا ترى إلى ما قبله : وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني
وأمي إلهين من دون الله وفي قصر المفعول على الفاعل ما ضرب عمرأ إلا
زيد وفي قصر المفعول الأول على الثاني في نحو كسوت وظننت ما كسوت زيدا
إلا جبة وما ظننت زيدا إلا منطلقاً وفي قصر الثاني على الأول ما كسوت جبة
إلا زيدا وما ظننت منطلقاً إلا زيدا ، وفي قصر ذي الحال على الحال ما جاء
زيد إلا راكباً ، وفي قصر الحال على ذي الحال ما جاء راكباً إلا زيد (وقل
تقديمهما محالهما) أي جاز على قلة تقديم المقصور عليه وأداة الاستثناء بحالهما
على المقصور ، ومن ذلك قول الشاعر :

عَمْرًا زَيْدًا ، وَمَا ضَرَبَ إِلَّا زَيْدًا عَمْرًا ، لَا سِتْرَ لِمَا قَصَرَ الصِّفَةُ قَبْلَ تَمَامِهَا ؛
وَوَجْهُ الْجَمِيعِ أَنَّ النَّفْيَ فِي الِاسْتِثْنَاءِ الْمَفْرَغِ يَتَوَجَّهُ إِلَى مُقَدَّرٍ هُوَ
مُسْتَثْنَى مِنْهُ عَامٌ مُنَاسِبٌ لِلْمُسْتَثْنَى فِي جِنْسِهِ وَصِفَتِهِ ، فَإِذَا أُوجِبَ

لَا أَشْتَهِي يَا قَوْمُ إِلَّا كَارِهَا بَابُ الْأَمِيرِ وَإِلَادِفَاعِ الْحَاجِبِ
وقول الآخر :

كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَتَّى تَسْوَكَ وَلَمْ يَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَنَيْكَ النَّوَائِحُ
وَأَنشُدْ سَيَبَوِيهَ :

النَّاسُ أَلْبَسَ عَلَيْنَا فَيْكَ لَيْسَ لَنَا إِلَّا الشُّيُوفُ وَأَطْرَافُ الْقَنَا وَرُدَّ

وقوله بحالهما ، احتراز من إزالة حرف الاستثناء عن مكانه بتأخيرها عن
المقصود عليه ، كقولك في ما ضرب زيد إلا عمراً ما ضرب عمراً إلا زيد ، فإنه
يختل المعنى (لاستلزامه قصر الصفة قبل تمامها) كالضرب الصادر من زيد
في ما ضرب زيد إلا عمراً والضرب الواقع على عمرو في ما ضرب عمراً إلا زيد
(ووجه الجميع) أي وجه إفادة النفي والاستثناء الحصر في جميع ما ذكر بما بين
المبتدأ والخبر والفاعل والمفعول والحال وصاحبها والمفعول الأول والثاني
وغير ذلك (يتوجه إلى مقدر إلى آخره) أما توجهه إلى مقدر هو مستثنى منه
فلا يكون إلا للإخراج واستدعاء الإخراج مخرجا منه ، وأما عمومها فليست تحقق
الإخراج ولئلا يلزم التخصيص من غير مخصص . قال صاحب المفتاح ولذلك
ترانا في علم النحو نقول : أن يثبت الضمير في كانت في قراءة أبي جعفر : إن كانت
إلا صريحة ، بالرفع وفي ترى المبني للمفعول في قراءة الحسن : فأصبحوا لا ترى
إلا مساكنهم ، برفع مساكنهم ، وفي بقيت في بيت ذي الرمة :

مِنْهُ شَيْءٌ ، بِإِلَّا جَاءَ الْقَصْرُ ، وَفِي إِنَّمَا يُؤَخَّرُ الْمُقْصُورُ عَلَيْهِ ، تَقُولُ :
إِنَّمَا ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا ، وَلَا يَجُوزُ تَقْدِيمُهُ عَلَى غَيْرِهِ لِلْإِلْبَاسِ . وَغَيْرُ

﴿ وَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الضَّلُوعُ الْجَرَاشِعُ ﴾

لنظر إلى ظاهر اللفظ ، والأصل التذكير لاقتضاء المقام معنى شيء من
الاشياء ، وأما مناسبتة في جنسه وصفته فظاهرة ، لأن المراد بجنسه أن يكون
في نحو : ما ضرب زيد إلا عمراً أحداً ، وفي نحو قولك : ما كسوت زيدا إلا جبة
لباساً ، وفي نحو : ما جاء زيد إلا راكباً ، كائناً على حال من الأحوال . وفي
نحو : ما اخترت رفيقاً إلا منكم من جماعة من الجماعات . ومنه قول السيد الحميري :

لَوْ خَيْرَ الْمُنْبَرِّ فُرْسَانَهُ مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسًا

لأن أصله ما اختار فارساً إلا منكم . والمراد بصفته كونه فاعلاً أو مفعولاً
أو ذا حال أو حالاً بر على هذا القياس (وفي إنما) هو معطوف على قوله
ففي الاستثناء (وفي إنما يؤخر المقصود عليه) حيث يستفاد القصر منها فقط ،
فخرج مثل قول أبي الطيب :

أَسَامِيًّا لَمْ تَرِدْهُ مَعْرِفَةً وَإِنَّمَا لَذَّةٌ ذَكَرْنَاهَا

إذ المفيد للقصر فيه هو التقديم (ولا يجوز تقديمه على غيره) بخلاف
إلا لعدم إفضائه إلى الإلباس ، وههنا مفضل إلى الإلباس كما قال ، لأنك لو
قلت إنما ضرب زيد عمراً لكان في المعنى عكس قولك إنما ضرب عمراً زيد .
قال السكاكي : وإنما ذكر تعمر على الفرق بين : إنما يخشى الله من عباده
العلماء ، وبين إنما يخشى العلماء من عباده الله ، بتقديم المرفوع على المنصوب ،
فالأول يقتضي انحصار خشية الله على العلماء ، والثاني يقتضي انحصار خشية

كَيْ لَا فِي إِفَادَةِ الْقَصْرَيْنِ ، وَامْتِنَاعِ مُجَامَعَةٍ لَا .

﴿ الْإِنْشَاء ﴾

الْإِنْشَاءُ إِنْ كَانَ طَلِبًا اسْتَدْعَى مَطْلُوبًا غَيْرَ حَاصِلٍ وَقَدْ طَلَبَ ؛
وَأَنْوَاعُهُ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا : التَّمَنِّي ، وَاللَّفْظُ الْمَوْضُوعُ لَهُ لَيْتَ ، وَلَا يُشْتَرَطُ
إِمْكَانُ التَّمَنِّي تَقُولُ : لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ ، وَقَدْ يَتَمَنَّى سَهْلٌ نَحْوُ : هَلْ لِي

العلماء على الله (في إفادة القصرين) قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة
على الموصوف ، تقول في قصره : ما زيد غير شاعر . أفراداً . وما زيد غير
قائم . قلباً . وفي قصرها : ما شاعر غير زيد ، بالاعتبارين بحسب المقام
(وامتناع مجامعة لا) . فلا تقول : ما زيد غير شاعر لا كاتب ، ولا ما شاعر
غير زيد لا عمرو (الإنشاء) هو كما يطلق على الكلام الذي ليس لنسبته خارج
تطابقه أو لا ، كذلك يطلق على فعل المتكلم أعني إلقاء الكلام الإنشائي
كالإخبار ، والمراد هنا هو الثاني ، ثم هو نوعان : طلب وغيره ، والمنصف لم
يتعرض لغير الطلب لقلة المباحث البيانية المتعلقة به ، وذلك كبعض أفعال
المقاربة ، وأفعال المدح والذم . وصيغ العقود ، والقسم ، ولعل . على أن كثيراً
منها نقل من الخبر إلى الإنشاء فيستغنى بأبحاثه الخبرية عن الإنشائية (استدعى
مطلوباً غير حاصل) لامتناع تحصيل الحاصل . قال التفتازاني : فإذا وردت
صيغة الطلب في الحاصل حملت على ما يناسب المقام كما في قول الله جل شأنه :
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ، المعنى دم على التقوى (التمني) هو طلب حصول الشيء
بشرط المحبة ونفي الطماعة (ولا يشترط إمكان التمني) لأن الإنسان
كثيراً ما يحب المحال ويطلبه . لكن إذا كان التمني ممكناً يجب ألا يكون

مِنْ شَفِيعٍ ، حَيْثُ يَعْلَمُ أَنَّ لَا شَفِيعَ ، وَ بَلَوْ نَحْوُ : لَوْ تَأْتِيَنِي فَتُحَدِّثْنِي ،
بِالنَّصْبِ ، السَّكَاتِي : كَانَ حُرُوفَ التَّنْدِيمِ وَالتَّحْضِيضِ - وَهِيَ هَلَا وَآلَا
بِقَلْبِ الْهَاءِ هَمْزَةً ، وَلَوْ لَا وَلَوْ مَا - مَأْخُوذَةٌ مِنْهُمَا مُرَكَّبَتَيْنِ مَعَ لَا وَمَا
الْمَزِيدَتَيْنِ لِتَضْمِينِهِمَا مَعْنَى التَّمَنَّى لِيَتَوَلَّدَ مِنْهُ فِي الْمَاضِي التَّنْدِيمُ ، نَحْوُ : هَلَا
أَكْرَمْتَ زَيْدًا ، فِي الْمَضَارِعِ التَّحْضِيضُ ، نَحْوُ : هَلَا تَقُومُ : وَقَدْ يُتَمَنَّى

لك توقع وطماعية في وقوعه ، وإلا لصار ترجياً يستعمل فيه لعل أو عسى ،
(حيث يعلم أن لا شفيع) لأنه إذ ذاك يمتنع حمله على حقيقة الاستفهام لحصول
الجزم بانتفاء هذا الحكم ، واستدعاء الاستفهام الجهل بثبوته وانتفائه هذا .
والسر في العدول عن ليت والتمنى بهل ، هو إبراز المتمنى لكمال العناية به
في صورة الممكن انتهى لا جزم بانتفائه (وبلو) ولعل السر في ذلك هو
الإشعار بعزة متمناه حيث أبرزه في صورة مالا يوجد ، لأن لو بحسب أصلها
حرف امتناع لا امتناع (منهما) أى من هل ولو المنقولتين للتمنى (لتضمينهما
إلى آخره) يقول إن الغرض من هذا التركيب والتزامه جعل هل ولو
متضمنتين معنى التمنى ، وذلك ليتولد منه مع الماضى التنديم ومع المستقبل
التحضيض ، فتقول : هَلَا أَكْرَمْتَ زَيْدًا ، وَلَوْ لَا أَكْرَمْتَ زَيْدًا ، وَلَوْ مَا
أَكْرَمْتَهُ . على معنى لَيْتَكَ أَكْرَمْتَهُ قَصْداً إِلَى جَعْلِهِ نَادِماً عَلَى تَرْكِ الْإِكْرَامِ ،
وَتَقُولُ : هَلَا تَقُومُ ، وَلَوْ مَا تَقُومُ ، على معنى لَيْتَكَ تَقُومُ قَصْداً إِلَى حَثِّهِ
عَلَى الْقِيَامِ . ومع هذا فلا يخلو من ضرب من التوبييح واللوم على ما كان

يُباع ، فتعطي حكم آيت ، نحو : آتلى أحمج فأزورك ، بالنصب ، لبعْد
المرجوع عن الحصول . ومنها الاستفهام ، وألفاظه الموضوعة له الهمزة ،
وهل ، وما ، ومن ، وأي ، وكيف ، وأين ، وأنى ، ومتى ، وأيان ، فالهمزة

يجب أن يفعله المخاطب قبل أن يطلب منه (فتعطي حكم ليت) فينصب المضارع
بعدها على تقدير أن (لبعْد المرجوع عن الحصول) فتسار يشبه المحالات التي
لا طمع فيها ، فاستعملت فيه لعل كاستعمال ليت لمشابهة هذا المعنى لمعناها
(ومنها الاستفهام) وحقيقته طلب الفهم بالفاظ معروفة . والمطلوب فهمه
إن كان حكماً بشيء على شيء إثباتاً أو نفياً فهو التصديق إلا فهو التصور (وأيان)
قال السكاكي بفتح الهمزة وبكسر ها ، وهذه اللفظة أعنى كسر همزتها تقوى
أباه أن يكون أصلها أى وإن (فالهمزة لطلب التصديق إلى آخره) اعلم أن
هذه الكلمات ثلاثة أنواع : أحدها يختص طلب التصديق وهو هل ، وثانيها
يختص طلب التصور وهو سائر الأسماء الاستفهامية ، وثالثها مشترك بينهما
وهو الهمزة فإنها تجيء لطلب التصور والتصديق لاعتراكها في الاستفهام ، ولهذا
يجوز أن يقع بعد أم سائر كلمات الاستفهام سوى الهمزة ، قال الله جل شأنه :
أم هل تستوى الظلمات والنور ، وقال : أم من هذا الذي هو جند لكم .
وقال : أم ماذا كنتم تعملون . وقال التغلبي :

أَيَّ جَزَؤَا عَابِرَا سُورَا يَفْعَلِيهِم

أم كيف يجزوي الشواي من الحسن

أم كيف ينفع ما أعطى العذوق به رِثْمَانِ أَنْبِ إِذَا مَا ضُنَّ بِاللَّيْنِ (١)

(١) العلون بفتح العين المهملة : الناقة تعطف على غير ولدها ولا ترأه
وإنما تشمه بأنفها وتمنعه لبنها . والبيت ينشد لمن يعد بالجميل ولا يفعله لانتواء
قلبه على ضده .

لِطَلْبِ التَّصْدِيقِ كَقَوْلِكَ : أَقَامَ زَيْدٌ ، وَ : أَزِيدُ قَائِمٌ ، أَوِ التَّصَوُّرِ كَقَوْلِكَ :
أَدْبَسُ فِي الْإِنَاءِ أُمٌ عَسَلٌ ، وَ : أَفَى الْخَابِيَةِ دِبْسُكَ أُمٌ فِي الزَّقِّ ، وَلِهَذَا لَمْ

وَأَمْ ههنا بمعنى بل التي تكون للانتقال من كلام إلى آخر من غير اعتبار
استفهام هذا ، والفرق بين الاستفهام عن التصديق والاستفهام عن التصور
يسكاد يكون ظاهراً ، ذاك لأن الاستفهام عن التصديق يكون عن نسبة تردد
الذهن فيها بين ثبوتها ونفيها ، والاستفهام عن التصور يكون عند التردد في تعيين
الشيئين (كقولك أقام زيد) في طلب التصديق بمضمون الجملة الفعلية (وأزيد
قائم) في طلب التصديق بمضمون الجملة الاسمية ، فقد تصورت القيام وزيداً
والنسبة بينهما ، وسألت عن وقوع تلك النسبة هل هو محقق خارجاً أو لا ، فإذا
فيل قام أو هو قائم حصل التصديق . والحاصل أن السائل عالم بأن بينهما نسبة
ملتبسة بالوقوع أو اللاوقوع ويطلب تعيين ذلك (كقولك) في طلب تصور
المسند إليه (أدبس في الإناء أم عسل) فأنت تعلم أن في الإناء شيئاً والمطلوب
هو تعيينه (وأفى الخابية إلى آخره) أي وكقولك في طلب تصور المسند
أفَى الخابية دبسك أم في الزق ، فأنت تعلم أن الدبس محكوم عليه بأنه في أحدهما
والمطلوب هو التعيين . . . هذا ، وإنا إذا أنعمنا النظر وألطننا الفكر
وجدنا الهمزة لا تكون إلا لطلب التصديق في سائر أحوالها لأنه إذا قصد
تعيين المسند إليه ، فالمطلوب هو العلم بتعيين النسبة ، فإذا قلت أزيد قام أم عمرو
فإنما تسأل عن تعيين النسبة في أحدهما ، أما زيد وعمرو فكلاهما معلوم وكذلك
استناد القيام لأحدهما فاعرف هذا ولا تكن رهين التقليد (ولهذا إلى آخره)
يقول لما كانت الهمزة تكون لطلب التصور وهل مختصة بالتصديق لا تتجاوزه
كان قولك : أزيد قام وأعمراً عرفت حسناً بليغاً ، وقولك : هل زيد قام وهل

يَقْبَحُ أَزِيدٌ قَامَ ، وَأَعْمَرُ عَرَفَتْ ، وَالْمَسْئُولُ عَنْهُ مَا يَلِيهَا كَالْفِعْلِ
فِي أَضْرَبْتَ زَيْدًا ، وَالْفَاعِلِ فِي : أَنْتَ ضَرَبْتَ ، وَالْمَفْعُولِ فِي : أَزِيدًا ضَرَبْتَ
وَهَلْ لَطَلَبِ التَّصْدِيقِ فَحَسْبُ نَحْوُ : هَلْ قَامَ زَيْدٌ ، وَهَلْ عَمَرُ وَقَاعِدٌ ، وَلِهَذَا
امْتَنَعَ هَلْ زَيْدٌ قَامَ أَمْ عَمَرُو ، وَقَبَحَ هَلْ زَيْدًا ضَرَبْتَ ، لِأَنَّ التَّقْدِيمَ

عمرًا عرفت قبيحاً مردولاً ، ذاك لأن التقديم كما علمت يستدعي حصول
التصديق بنفس الفعل فتكون هل لطلب حصول الحاصل وهو محال ، بخلاف
الهمزة فإنها تكون لطلب التصور وتعيين الفاعل أو المفعول (والمسئول عنه
سواء إلى آخره) يقول إن المسئول عنه بالهمزة هو ما يليها فنقول : أضربت زيدا ،
إذا كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده
وتقول : أنت ضربت إذا كان الشك في الفاعل من هو مع العلم بوقوع الفعل
وتقول : أزيداً ضربت إذا كان الشك في المفعول من هو مع الجزم بوقوع
ضرب من المخاطب . قال الشيخ عبد القاهر : وما يؤيد ذلك أنك تقول : أفلت
شعرا قط ، رأيت اليوم إنساناً ، فيكون كلاماً مستقيماً ، ولو قلت : أنت قلت شعراً
قط ، أنت رأيت إنساناً أحلت ، وذلك أنه لا معنى للسؤال عن الفاعل من
هو في مثل هذا ، لأن ذلك إنما يتصور إذا كانت الإشارة إلى فعل مخصوص
نحو أن تقول : من قال هذا الشعراً ، ومن بنى هذه الدار : وما أشبه ذلك بما يمكن
أن ينص فيه على مدين ، فأما قيل شعر على الجملة وروية إنسان على الإطلاق
فمحال ذلك فيه لأنه ليس مما يختص بهذا دون ذاك حتى يسأل عن عين فاعله
(ولهذا امتنع هل زيد قام أم عمرو) لأن وقوع المفرد بعد أم دليل على
أنها متصلة وأم المتصلة لطلب تعيين الأمرين مع العلم بثبوت أصل الحكم فهي
لا تكون إلا لطلب التصور بعد حصول التصديق بنفس الحكم وهو ليس

يَسْتَدْعِي حُصُولَ التَّصْدِيقِ بِنَفْسِ الْفِعْلِ ، دُونَ : هَلْ زَيْدًا ضَرَبْتَهُ ، اِيْجَوَازِ
تَقْدِيرِ الْمَفْسَرِ قَبْلَ زَيْدًا ، وَجَعَلَ الشَّكَاكِي قُبْحَ : هَلْ رَجُلٌ عَرَفَ لِدَلِكْ ،
وَيَلْزَمُهُ أَنْ لَا يَقْبَحَ هَلْ زَيْدٌ عَرَفَ ، وَعَلَّاهُ غَيْرُهُ قُبْحُهُمَا بِأَنَّ هَلْ بِمَعْنَى
قَدْ فِي الْأَصْلِ ، وَتَرَكَ الهمزة قَبْلَهَا لِكَثْرَةِ وَقُوعِهَا فِي الْإِسْتِفْهَامِ ،

إِلَّا لَطَابِ التَّصْدِيقِ فَبَيْنَهُمَا تَدَافَعٌ فَيَتَمَنَعُ ، بِخِلَافِ مَا إِذَا لَمْ يَذْكُرْ أَمْ عَمْرُو ،
وَقِيلَ هَلْ زَيْدٌ قَامَ فَإِنَّهُ يَقْبَحُ وَلَا يَمْتَنَعُ لِمَا سَيَجِيءُ ، وَبَعْدَ ، فَإِذَا عَلِمْتَ هَذَا
عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُ أَمْ بَعْدَ هَلْ إِلَّا أَنْ تَرِيدَ الْمُنْقَطِعَةَ كَقَوْلِهِ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَنَفَّرَتِ الرَّحَى * رَحَى الْحَرْبِ أَمْ أَثْنَعْتُ بِفُلْجٍ كَاهِيَا
ولذلك قال سيديونية هو على كلامين (لجواز تقدير المفسر قبل زيدا) بل هذا
أرجح لأن الأصل تقدم العامل على المعمول وحينئذ فلا يستدعي حصول التصديق
بنفس الفعل فتكون هل اطلب التصديق فيحسن (لذلك) أى لما قبح له هل زيدا
ضربت وهو أن التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل ، وإلّا جعله لذلك
لأن مذهبه كما تقدم أن الأصل عرف رجل على أن رجل بدل من الضمير
في عرف قدم للتخصيص . وإلّا لم يجعله متممّا لاحتمال أن يكون رجل فاعل
فعل محذوف (ويلزمه أن لا يقبح هل زيد عرف) لأن تقديم المظهر
المعروف ليس للتخصيص حتى يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل على
ما سبق . مع أن هذا التركيب قبيح بالإجماع ، وما ذكره الزنجشيري في الفصل
من أن نحو : هل زيد خرج ، على تقدير الفعل فتصحيح الوجه القبيح لا أنه
شائع حسن (غيره) أى غير السكاكي (قبحهما) أى قبح هل رجل عرف
وهل زيد عرف (بأن هل بمعنى قد في الأصل) يعنى وقد من لوازم الأفعال

وَهِيَ تُخَصِّصُ الْمَضَارِعَ بِالِاسْتِقْبَالِ ، فَلَا يَصِحُّ : هَلْ تَضْرِبُ زَيْدًا

فكذا ما هي بمعناها . وأصل كلام المصنف هذا ما زعمه الزحشرى أن هل بمعنى قد أبداً ، وأن الاستفهام إنما هو مستفاد من همزة مقدرة معها . قال في المفصل : وعند سيديويه أن هل بمعنى قد إلا أنهم تركوا الألف قبلها لأنها لا تقع إلا في استفهام ، وقد جاء دخولها عليها في قول زيد الخيل :

سَائِلُ فَوَارِسَ يَرْبُوعٍ بِسِدَّتِنَا أَهْلُ رَأْوَنَابِسْفَحِ الْقَاعِ ذِي الْأَكْمِ (١)

وقال الراجز :

أَهْلُ عَرَفَتِ الدَّارَ بِالْغَرِيَّتَيْنِ (٢)

قال التمامزاني : فإن قلت هذا يقتضى أن لا يصح أو يقبح دخولها على الجملة الاسمية التي طرفاها اسمان نحو هل عمرو قاعد ، وإلا فما الفرق بينه وبين ما إذا كان الخبر فعلاً ، قلت : الفرق أنها إذا رأيت الفعل في حيزها تذكرت عهوداً بالحمى وحنث إلى الإلف المألوف وعانقته ، ولم ترض بافتراق الاسم بينهما ، بخلاف ما لو إذا تراه في حيزها فإنها تسلت عنه ذاهلة (. هي تخصص المضارع بالاستقبال) لما كانت هل ليست أصلاً في الاستفهام تقاصرت عن الهمزة فاختص المضارع بعدها بالاستقبال . فلا يصح استعمالها في التوبيخ على الفعل الواقع في الحال كما يصح استعمال الهمزة فيه ، فلا تقول هل تضرب

(١) ربوع : أبو حى من تميم ، والأكم جمع أكمة : وهي الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله .

(٢) الغريان : هما بنا آن طويلان ، يقال هما قبرا مالك وعقيل نديمي الأبرش ، وسميا غريين لأن النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله إذا خرج في يوم مؤسسه .

وَهُوَ أَخُوكَ ، وَلِاخْتِصَاصِ التَّصْدِيقِ بِهَا وَتَخْصِصِهَا الْمَضَارِعَ بِالِاسْتِقْبَالِ
كَانَ لَهَا مَزِيدُ اخْتِصَاصٍ بِمَا كَوْنُهُ زَمَانِيًّا أَظْهَرَ كَالْفِعْلِ ، وَلِهَذَا كَانَ :
فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ، أَدَلَّ عَلَى طَلَبِ الشُّكْرِ مِنْ : فَهَلْ تَشْكُرُونَ ،
و : فَهَلْ أَنْتُمْ تَشْكُرُونَ ، لِأَنَّ إِبْرَازَ مَا سَيَتَجَدَّدُ فِي مَعْرِضِ الثَّابِتِ أَدَلَّ
عَلَى كَمَالِ الْعِنَايَةِ بِمَحْصُولِهِ ، وَمِنْ : أَفَأَنْتُمْ شَاكِرُونَ ، وَإِنْ كَانَ لِلثَّبُوتِ ،
لِأَنَّ هَا أَدْعَى لِلْفِعْلِ مِنَ الْهَمْزَةِ ، فَتَرْكُهُ مَعَهَا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ وَلِهَذَا

زيداً وهو أخوك ، على نحو أنضرب زيداً وهو أخوك في أن يكون الضرب
واقعاً في الحال (ولاختصاص التصديق بها الخ) إليك قول السكاكي في ذلك
فإنه أوضح وأنهم قال : ولو كان هل لطلب الحكم بالثبوت أو الانتفاء
وقد نهت على أن الإثبات والنفي لا يتوجهان إلى الذوات وإنما يتوجهان
إلى الصفات ولاستدعائه التخصيص بالاستقبال لما يحتمل ذلك ، وأنت تعلم
أن احتمال الاستقبال إنما يكون لصفات الذوات لا لأنفس الذوات ، لأن
الذوات من حيث هي ذوات فيما مضى وفي الحال وفي الاستقبال استلزم
ذلك مزيد اختصاص هل دون الهمزة بما يكون كونه زمانياً أظهر كالأفعال
(أدل على كمال العناية بمحصوله) من إبقائه على أصله في فهل تشكرون .
لأنها داخلية على الفعل حقيقة ، وفي فهل أنتم تشكرون لأنها داخلية على الفعل
تقديراً ، لأن أنتم فاعل فعل محذوف يفسره الظاهر (على ذلك) أي على
كمال العناية بمحصول ما سبتحدد (ولهذا) أي لكون هل أدعى للفعل من

لَا يَحْسُنُ : زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ إِلَّا مِنَ الْبَلِيغِ ، وَهِيَ قِسْمَانِ ، بَسِيطَةٌ وَهِيَ
الَّتِي يُطْلَبُ بِهَا وُجُودُ الشَّيْءِ ، كَقَوْلِنَا : هَلِ الْحَرَكَةُ مَوْجُودَةٌ وَمُرَكَّبَةٌ
وَهِيَ الَّتِي يُطْلَبُ بِهَا وُجُودُ شَيْءٍ لِشَيْءٍ ، كَقَوْلِنَا : هَلِ الْحَرَكَةُ دَائِمَةٌ .
وَالْبَاقِيَةُ لَطَلَبِ التَّصَوُّرِ فَقَطْ ، قِيلَ : فَيُطْلَبُ بِمَا شَرَحَ الْإِسْمَ كَقَوْلِنَا :
مَا الْعُنُقَاءُ ، أَوْ مَا هَيْئَةِ الْمُسَمَّى . كَقَوْلِنَا : مَا الْحَرَكَةُ ، وَتَقَعُ هَلِ

الهمزة (لا يحسن هل زيد منطلق إلا من البليغ) لأنه الذي يقصد به الدلالة
على الثبوت وإبراز ما سيتجدد في معرض الوجود . قال السكاكي : كما لا يحسن
نظير قوله :

لِيُبَيِّنَكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ *

من كل أحد (بسيطة الخ) والبساطة والتركيب كما لا يخفى بالنظر لما تدخل
عليه ، فمطلوب هل البسيطة هو التصديق بوجود الشيء فحسب ، ومطلوب المركبة
هو التصديق بوجود الشيء ووجود شيء له . هو بعده فلا يذهب عليك أن مثل
هذا التقسيم قليل الجداء إذا لبس البلاغة (والبالغة) أي من ألفاظ الاستفهام
(شرح الاسم) أي بيان مدلول الاسم لغة ، فتقول يا عنقاء ، وأنت تطلب
مدلوله ، والمعنى الذي وضع له في اللغة (أو ماهية المسمى) قال التفنيزاني :
والفرق بين المفهوم من اللفظ بالجملة ، وبين الماهية التي تفهم من الحد بالتفصيل
غير قليل . فإن كل من خوطب باسم فهم فهماً ما ، ووقف على الشيء الذي يدل
عليه الاسم إذا كان عالماً باللغة ، وأما الحد فلا يفهم عليه إلا المرتاض بصناعة
المنطق ، فالوجودات لما كان لها مفهومات وحقائق كان لها حدود بحسب الاسم

الْبَسِيْطَةُ فِي التَّرْتِيْبِ بَيْنَهُمَا . وَبَيْنَ الْعَارِضِ الْمَشَخَّصِ لِذِي الْعِلْمِ
كَقَوْلِنَا : مَنْ فِي الدَّارِ ؛ وَقَالَ السَّكَكِيُّ : يُسْتَأْذَنُ بِمَا عَنِ الْجِنْسِ تَقُولُ :
مَا عِنْدَكَ ، أَيْ أَيْ أَجْنَاسِ الْأَشْيَاءِ ، وَجَوَابُهُ : كِتَابٌ وَنَحْوُهُ ، أَوْ عَنْ

وبحسب الحقيقة ، وأما المعلومات فلما لم يكن لها إلا المفهومات لم يكن لها حدود
إلا بحسب الاسم لأن الحد بحسب الذات لا يكون إلا بعد أن يعرف أن الذات
موجودة ، حتى أن ما يوضع في أول التعاليم من حدود الأشياء التي يبرهن على
وجودها في أثناء العلم إنما هي حدود بحسب شرح الاسم . ثم لما أثبت وجودها
وبرهن عليه صارت تلك الحدود بعينها حدوداً بحسب الذات والحقيقة ، ثم قال :
فعلم أن الجواب الواحد جاز أن يكون حداً بحسب الاسم وبحسب الذات بالقياس
إلى شخصين . وبالقياس إلى شخص واحد في وقتين (وتقع هل البسيطة في الترتيب
بينهما) يعني أن مقتضى الترتيب الطبيعي أن يطلب أولاً شرح الاسم ثم وجود
المفهوم في نفسه ثم ماهيته وحقيقته ، لأن من لا يعرف مفهوم اللفظ استحالة
منه طلب وجود ذلك المفهوم ، ومن لا يعرف أنه موجود استحالة منه
طلب ماهيته وحقيقته ، إذ لا حقيقة للعدم ولا ماهية له (وبمن الخ)
أي يطلب بمن الأمر الذي يعرض لذي العلم فيفيد تشخيصه وتعيينه ، فإذا قلت
من في الدار قيل لك زيد ونحوه بما يفيد تشخيصه . قال التفتازاني : وأما الجواب
بنحو رجل فاضل من قبيلة كذا ، ونحو : ابن فلان وأخو فلان ، وما أشبه
ذلك ، فإنما يصح من جهة أن المخاطب يفهم منه التشخيص بحسب انحصار
الأوصاف في الخارج في شخص ، وإن كانت تلك الأوصاف نظراً إلى مفهوماتها
كليات (تقول ما عندك) قال السكاكي . وكذلك تقول ما الكلمة وما الكلام

الْوَصْفِ نَقَرًا : مَا زَيْدٌ ؟ وَجَوَابُهُ : الْكَرِيمُ ، وَمَحْوُهُ : وَبَيْنَ عَنِ الْجِنْسِ

وفي التنزيل : فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّ أَيِّ أَجْناسِ الْخُطُوبِ خُطْبُكُمْ ، وفيه : مَا تَعْبُدُونَ
من بعدى ، أَيُّ أَيٍّ من في الوجود تؤثرونه في العبادة . قال : وأما سؤال فرعون :
وما رب العالمين ، فهو إما : ١- الجانسي لاعتقاده لجهله بالله تعالى أن لا موجود
مستقلاً بنفسه سوى الأجسام اعتمد على جاهل لا نظر له ، كأنه قال : أَيِّ أَجْناسِ
الأجسام هو ، وعلى هذا جواب موسى عليه السلام بالوصف تنبيهاً على
النظر المؤدى إلى معرفته ، لكن لما لم يطابق السؤال عند فرعون عجب من حوله
من جماعة الجهلة فقال لهم : أَلَا تَسْتَمْعُونَ ، ثم لما وجدته مصرأً على الجواب بالوصف
إذ قال في المرة الثانية : رَبِّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ، استهزأ به وجننه بقوله :
إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لِمُجْنُونٍ ، وحين رآهم موسى عليه السلام لم يقنطوا
لذلك في المرتين غاظ عليهم في الثالثة فقال : إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ . وإما عن الوصف
طمعاً في أن يسلك موسى عليه السلام في الجواب معه مسلك الحاضرين لو
كانوا هم المسئولين مكانه لشهرته بينهم رب العالمين إلى درجة دعت السحرة إذ
عرفوا الحق أن عقبوا قولهم : آمنا برب العالمين ، بقولهم : رب موسى وهرون ،
نفياً لانتهاهم أنهم عنوه وجهله بحال موسى وعلو شأنه إذ لم يكن جمعهم ما قبل
ذلك مجلس بدليل ما جرى في ذلك الوقت من قوله : أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ
قال فأت به إن كنت من الصادقين ، حين سمع الجواب تعداه عجب واستهزأ
وجنن وتفهق بما تفهق من قوله . اثن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين .
مغال الزمخشري : والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله

مِنْ ذَوِي الْعِلْمِ ، تَقُولُ : مَنْ جِبْرِيلُ ؟ أَيُّ أَبَشَرٍ هُوَ أَمْ مَلَكٌ أَمْ جِنٌّ . وَفِيهِ
نَظَرٌ ؛ وَ يُسْئَلُ بِأَيِّ عَمَّا يُمَيِّزُ أَحَدَ الْمُتَشَارِكِينَ فِي أَمْرِ يَعْصِيهِمَا ، نَحْوُ : أَيُّ
الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا ؟ أَيُّ أَنْحَنُ أَمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ . وَبِكُمْ عَنِ الْعَدَدِ .

هذا إنكاراً لأن يكون للعالمين رب سواه لادعائه الإلهية (تقول من جبريل
إلى آخره) قال السكاكي : ومن هذا الباب قوله تعالى حكاية عن فرعون : فمن
ربكما يا موسى . أي أملك هو أم بشر أم جنى منكرآ لأن يكون لهما رب سواه
لادعائه الربوبية لنفسه ذاهباً في سؤاله هذا إلى معنى ألما رب سواي ، فأجاب
موسى عليه السلام بقوله : ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، كأنه قال
نعم لنا رب سواك هو الصانع الذي إذا سلكك الطريق الذي بين بإيجاده
لما أوجده ، وتقديره إياه على ما قدر ، واتبعت فيه الخريت الماهر ، وهو العقل
الهادي من الضلال لزمك الاعتراف بكونه رباً وأن لا رب سواه ، وأن العبادة
له مني ومنك ومن الخلق أجمع حق لا مدفع له (وفيه نظر) قال في الإيضاح :
لأنه إذا قيل من فلان يجاب بزيد ونحوه ، بما يفيد التشخيص ، ولا يصح الجواب
بنحو بشر أو جنى ، وبعد ، فمن الظاهر أن مثل هذا يرجع فيه إلى السماع وربما
يؤيد رأي السكاكي بيت الكتاب وهو :

أَتَوْا نَارِي فَقُلْتُ مَنُونٌ أَنتُمْ فَقَالُوا الْجِنُّ قُلْتُ عَمُوا ظَلَامًا

فقد سئلوا بمن وأجابوا بالجنس (ويسئل بأي الخ) قال السكاكي وأما
أي فلا سؤال عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعصيهما ، يقول القائل عندي ثياب ،
فتقول أي الثياب هي ، فتطالب منه وصفاً يميزها عندك عما يشاركها في الثوبية
قال تعالى حكاية عن سليمان : أيكم يأتيني بعرشها ؟ أي الإنسي أم الجنى ، وقال
حكاية عن الكفار : أي الفريقين خير مقاماً ، أي أنحن أم أصحاب محمد (عن العدد)

نَحْوُ : سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ . وَبِكَيْفَ عَنِ الْحَالِ ،
وَبِأَيِّنَ عَنِ الْمَكَانِ . وَبِمَتَى عَنِ الزَّمَانِ ، وَبِأَيَّانَ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ . قِيلَ :
وَتُسَبِّعُكُمْ فِي مَوَاضِعِ التَّفْخِيمِ ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ .
وَأَنِّي تَسْتَعْمَلُ تَارَةً يَتَعَنَّى كَيْفَ ، نَحْوُ : فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنِّي شِئْتُمْ ، وَآخَرَى

قال في المفتاح : فإذا قلت كم درهما لك وكم رجلا رأيت فكأنك قلت أعشرون
أم ثلاثون أم كذا أم كذا ، وتقول كم درهمك وكم مالك أي كم دانقا وكم ديناراً
وكم ثوبك أي كم شبراً وكم ذراعاً وكم زيد ما كث أي كم يوماً أو كم شهراً وكم
رأيتك أي كم مرة وكم سرت أي كم فرسخاً أو كم يوماً ، قال الفرزدق :

كَمْ عَمَّةٌ لَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَاتٌ فِدَاءً قَدْ حَلَبَتْ عَلَى عِشَارِي

فيم (١) روى بنصب المميز (عن الحال) فإذا قيل كيف زيد فجوابه
صحيح أو سقيم أو شج أو جزلان وما أشبه ذلك (عن المكان) فإذا قيل
أين زيد ، فالجواب في الدار أو السوق مثلاً (عن الزمان) ماصياً كان أو
مستقبلاً ، فتقول متى جئت ، والجواب سحراً مثلاً ، وتقول متى تأتى ، والجواب
بعد شهر (عن المستقبل) فتقول أيان يشمر هذا الغرس ، والجواب بعد سنة
مثلاً (قيل) القائل هو علي بن عيسى الربعي إمام أئمة بغداد في علم النحو
(نحو فأتوا حرثكم أنى شئتم) أي من أى شق أردتم بعد أن يكون المأتى

(١) ويكون الاستفهام على هذا لأنهم ، أى أخبرني بعدد عماتك وخالاتك
اللاتى كن يخدمتنى فمقد نسيتنه . والذي يظهر أن المراد الخبرية ، وهى قد
كنصب المميز .

يَمَعْنَى مِنْ أَيْنَ ، نَحْوُ : أُنِّي لَكَ هَذَا . ثُمَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ كَثِيرًا مَا تُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ الْاسْتِفْهَامِ ، كَالِاسْتِبْطَاءِ نَحْوُ : كَمْ دَعَوْتُكَ ، وَالتَّعَجُّبِ نَحْوُ : مَا لِي لَا أَرَى الْهَيْدُ هَذَا ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى الضَّلَالِ ، نَحْوُ : فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ، وَالْوَعْدِ كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُسِيءُ الْأَدَبَ : أَلَمْ أَأَدِّبْ فَلَانَا ، إِذَا عَلِمَ ذَلِكَ ، وَالتَّقْرِيرِ

موضع الحرث ، قال النفثازاني : ولم يحىء أنى زيد بمعنى كيف هو (كثير) ما تستعمل في غير الاستفهام) على سبيل المجاز . قال النفثازاني وتحقيق كيفية هذا المجاز وبيان أنه من أى نوع من أنواعه مما لم يحىء حوله أحد (نحو كم دعوتك) ومنه بيت السقط :

إِلَى مَ وَفِيمَ تَنْقَلُبُنَا رِكَابَ رَوَاهُ لِي أَنْ يَكُونَ لَنَا أَوَانُ

(والتقرير) أى حمل المخاطب على الإفراز بما يعرفه وإجاءه إليه (بإيلا . إلى آخره) أى يشترط أن يكون المقرر به تالياً للهمزة (١) كما مر أن المستفهم عنه هو ما يلي الهمزة فتقول : أفعلت ، إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه : وتقول : أنت فعلت ، إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل ، وتقول : أزيداً ضربت إذا أردت أن تقرره بأن مضروبه زيد وما جعلت الهمزة فيه للتقرير بالفاعل قوله تعالى حكاية عن قول عمروذ : أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ، قال الشيخ في دلائل الإعجاز : لاشبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام

(١) أى إذا كان التقرير بالهمزة فإنها هى التى تجىء للتقرير بالفعل والفاعل والمفعول بخلاف البواقي فإن هل تكون للتقرير بنفس الحكم نحو : هل ثوب لكفار ما كانوا يفعلون ، والأسماء الاستفهامية للتقرير بما يسأل بها عنه نحو : كم آتيناهم من آية بينة ، ومن الذى ضربته وهكذا .

بِإِبْلَاءِ الْمُقَرَّرِ بِهِ الْهَمْزَةُ ، كَمَا مَرَّ : وَالْإِنْكَارِ كَذَلِكَ ، نَحْوُ : أَغْيَرَ اللَّهُ

وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان ، ولكن أن يقر بأنه منه كان كيف ، وقد أشاروا إلى الفعل في قولهم : أنت فعلت هذا ، وقال هو عليه السلام في جوابهم بل فعله كبيرهم هذا ، ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب : فعلت أو لم أفعل (والإنكار كذلك) فيشترط أن يلي المنكر الهمزة (١) قال امرؤ القيس :

* أَيْقَنْتُنِي وَالْمَشْرِفُ مُضَاجِعِي *

فهذا لإنكار الفعل ، لأنه قال والمشرفي مضاجعي ، فذكر ما يكون مانعاً من الفعل ، والمانع إنما يحتاج إليه مع من يتصور صدور الفعل منه دون من يكون في نفسه عاجزاً عنه ، وقال الله جل شأنه : أُمُّ يَاقُوتَ بْنَ رَاحَةَ رَبِّكَ ، فهذا لإنكار الفاعل ، أي ليسوا هم المتخيرين للنبوة من يصلح لها المتولين لقسم رحمة الله التي لا يتولاها إلا هو بظاهر قدرته وبالحكمة ، وعد الزمخشري قوله : فأنت تسكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، وقوله : فأنت تسمع الصم أو تهذي العمى ، من هذا تضرب ، على أن المعنى فأنت تقدر على إكراههم على الإيمان ، وأفأنت تقدر على هدايتهم على سبيل القسر والإلجام ، أي إنما يقدر على ذلك الله لا أنت ، وحمل السكاكي تقديم الاسم في هذه الآيات على البناء

(١) يعني إذا كان الإنكار بالهمزة ، وأما غيرها وإن صح بجيئه للإنكار لكن لا يجري فيه هذا التفضيل ، وهو مثل قولك : فإذا يضرك لو فعلت كذا ، وكيف تؤذي أباك وقوله :

* مِنْ أَيْنَ تَدْرِي مَا الْعَرَارُ مِنَ الرَّندِ *

العرار : نبت طيب الرائحة ، والرند : شجر كذلك .

تَدْعُونَ ، وَمِنْهُ : أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ، أَيُّ اللَّهِ كَافٍ عَبْدَهُ ، لِأَنَّ إِنْسَارَ
النَّفْيِ نَفْيٌ لَهُ ، وَنَفْيُ النَّفْيِ إِثْبَاتٌ ؛ وَهَذَا مُرَادُ مَنْ قَالَ إِنَّ الهمزة فِيهِ لِلتَّقْرِيرِ ،
أَيُّ بِمَا دَخَلَهُ النَّفْيُ لَا بِالنَّفْيِ ، وَلِإِنْسَارِ النِّعَالِ سُورَةُ أُخْرَى ، وَهِيَ نَحْوُ :
أَزِيدًا ضَرَبْتَ أَمْ عَمْرًا ، لِمَنْ يُرَدُّ الضَّرْبُ بَيْنَهُمَا . وَالْإِنْكَارُ إِمَّا لِلتَّوْبِيخِ

على الابتداء دون تقدير التقديم والتأخير كما مر في نحو : أنا ضربت ، فلا يفيد
إلا تقوى الإنكار . وقال تعالى : أغير الله اتخذ ولياً ، فهذا لإنكار المفعول ،
فإن المنكر هو اتخاذ غير الله ولياً ، وأما قوله عز وجل : أأخذ أصناماً آلهة ،
فالمنكر هو نفس اتخاذ الآلهة فلهذا ولي الفعل (ومنه) أى من بجىء الهمزة
للإنكار (أليس الله بكاف عبده) ومثله قوله تعالى : ألم نشرح لك صدرك ،
وَألم يحدك يوماً فأوى ، وقول جرير في عبد الملك :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ لَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ يُطُون رَاحَ

ولهذا كان مدحاً بل قيل إنه أمدح بيت قالته العرب (من قال) هو
الزحشرى (أى بما دخله النفي) وحينئذ يحسن أن يقال إن الهمزة للتقرير
كما يحسن أنه يقال إنها للإنكار (لمن يردد الضرب بينهما) أى لمن يدعى أنه
ضرب إما زيدا وإما عمراً دون غيرهما ، لأنه إذا لم يتعلق الفعل بأحدهما
والتقدير أنه لم يتعلق بغيرهما فقد انتفى من أصله لا محالة . ومن هذا الباب
قوله تعالى : قل الذكركم حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ،
أخرج اللفظ مخرجه إذا كان قد ثبت تحريم في أحد الأشياء ، ثم أريد
معرفة عين المحرم ، مع أن المراد بإنكار التحريم من أصله ، وكذا قوله :
آله أخذن لكم ، إذ معلوم أن المعنى على إنكار أن يكون قد كان من الله تعالى

أَيُّ مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نَحْوُ : أَعْصَيْتَ رَبَّكَ ، أَوْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
نَحْوُ : أَتَعْصِي رَبَّكَ ؛ أَوْ لِلتَّكْذِيبِ ، أَيُّ لَمْ يَكُنْ ، نَحْوُ : أَفَأَصْنَعُكُمْ
رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِينَ ، أَوْ لَا يَكُونُ نَحْوُ : أَنْزَلْنَاهُكُمْ هَا ، وَالتَّهْكُمِ نَحْوُ :
أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، وَالتَّحْقِيرِ نَحْوُ : مَنْ هَذَا ، وَالتَّهْوِيلِ
كَقِرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ : وَاقْدُ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ

إِذْنٌ فِيمَا قَالُوهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْإِذْنُ قَدْ كَانَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ ، فَأَضَافُوهُ إِلَى
اللَّهِ ، إِلَّا أَنْ اللَّفْظَ أَخْرَجَ مَخْرَجَهُ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لَيْسَ كَوْنُ أَشَدَّ لِنَفْيِ ذَلِكَ
وَلِإِبْطَالِهِ ، فَإِنَّهُ إِذَا نَفَى الْفِعْلَ عَمَّا جَعَلَ فَاعِلًا لَهُ فِي الْكَلَامِ وَلَا فَاعِلَ لَهُ غَيْرَهُ
لَزِمَ نَفْيُهُ مِنْ أَصْلِهِ (نَحْوُ أَعْصَيْتَ رَبَّكَ) أَيُّ لَمْ كَانَ الْعَصِيَانِ وَمَا كَانَ يَنْبَغِي
أَنْ يَقَعَ (نَحْوُ أَتَعْصِي رَبَّكَ) مِثْلُهُ قَوْلُكَ لِلرَّجُلِ يَضِيعُ الْحَقُّ : أَتَنْسَى قَسْدِي
لِحَسَانِ فُلَانٍ ، أَتَتْرَكَ صَحْبَتَهُ وَتَتَغَيَّرُ عَنْ حَالِكَ مَعَهُ ، لِأَنْ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ . وَقَوْلُكَ
لِلرَّجُلِ يَرْكَبُ الْخَطَرَ : أَتَخْرُجُ فِي هَذَا الْوَقْتُ ، أَتَذْهَبُ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ ، أَتَغْرُرُ
بِنَفْسِكَ (نَحْوُ أَنْزَلْنَاهُكُمْ هَا) أَيُّ أَنْكَرْهُمْ عَلَى قَبُولِ الْبَيِّنَةِ وَنَقْصَرُكُمْ عَلَى الْإِهْتِدَامِ
بِهَا وَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَهَا لَا يَكُونُ ذَلِكَ ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

أَتَتْرُكُ أَنْ قُلْتُ دَرَاهِمُ خَالِدٍ زِيَارَتَهُ إِنِّي إِذَا لَلْتِّمُ

« هَذَا ، وَقَدْ يَكُونُ اسْتِفْهَامُ الْإِنْكَارِ الَّذِي بِمَعْنَى النَّفْيِ لِلتَّوْبِيخِ أَيْضًا مِثْلُ
قَوْلِهِ تَعَالَى : وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ ، الْمَعْنَى أَيُّ تَبِعُوا عَلَيْهِمْ فِي الْإِيمَانِ
وَتَرَكَ الْوَفَاقَ ، وَهَذَا اللَّذَمُّ وَالتَّوْبِيخُ وَإِلَّا فَلِكُلِّ مَصْلَحَةٍ فِيهِ (وَالتَّهْكُمِ)
مَعْطُوفٌ عَلَى الْاسْتِطْطَامِ (كَقِرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ) فَإِنَّ الْمَعْنَى عَلَيْهَا أَنَّهُ لَمَّا وَصَفَ
اللَّهُ تَعَالَى الْعَذَابَ بِأَنَّهُ مُهِينٌ لَشِدَّتِهِ وَفُظَاعَتِهِ شَأْنُهُ ، أَرَادَ أَنْ يَصُورَ كُنْهَهُ فَقَالَ :

مَنْ فِرْعَوْنُ ، بِإِفْظِ الْإِسْتِفْهَامِ وَرَفَعَ فِرْعَوْنُ ، وَهَذَا قَالَ : إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا
مِنَ الْمُسْرِفِينَ ، وَالْإِسْتِبْعَادِ نَحْوُ : أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ
مُّبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ . وَمِنْهَا الْأَمْرُ ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ صِيغَتَهُ مِنَ الْمُفْتَرَنَةِ
بِالْإِلَامِ ، نَحْوُ : لِيَحْضُرَ زَيْدٌ ، وَغَيْرَهَا ، نَحْوُ : أَكْرِمْ عَمْرًا ، وَرَوَيْدَ بَكْرًا

من فرعون ، أتعرفون من هو في فرط عتوه وتكبره وتجبده ، ما ظنكم بعذاب
يكون هو المعذب به ، ثم عرف حاله بقوله : إنه كان عالياً من المسرفين « تكلمة »
قد يراد بالاستفهام التوبيخ والتعجيب جميعاً مثل قوله تعالى : كيف تكفرون
بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم الآية ، أى كيف تكفرون والحال أنكم عالمون
بهذه القصة . أما التوبيخ فلأن الكفر مع هذه الحال ينجم عن الانهماك في
الغفلة أو الجهل ، وأما التعجيب فلأن هذه الحال تأبى أن لا يكون للعاقل علم
بالصانع وعلمه به يأبى أن يكفر وصدور الفعل مع الصارف القوى مظنة تعجب ،
ونظيره : أتأمرون الناس بالبر وتذنون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب .
والحاصل أن كلمة الاستفهام إذا امتنع حملها على حقيقة تولد منه بمعونة
القرائن ما يناسب المقام ، ولا تنحصر المتولدات فيما ذكره المصنف ، ولا
ينحصر أيضاً شيء منها في أداة دون أداة بل الحاكم في ذلك هو سلامة الذوق
وتدقيق التراكيب ، فلا ينبغي أن تقتصر في ذلك على معنى سمعته أو مثال وجدته
من غير أن تنخطاه ، بل عليك بالتصرف واستعمال الروية والله الهادي (ومنها
الأمس) وهو في اللغة استعمال صيغة دالة على طلب من المخاطب على طريق
الاستعلاء (من المفتزنة باللام إلى آخره) في هذا إشارة إلى أن أقسام صيغة
الأمس ثلاثة : الأول : المفتزنة باللام الجازمة ويختص بما ليس للفاعل المخاطب ،

مَوْضُوعَةُ لَطَابِ الْفِعْلِ اسْتِعْلَاءً، لِتَبَادُرِ الْفَهْمِ عِنْدَ سَمَاعِهَا إِلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى ،
وَقَدْ تَشْتَعِلُ لِغَيْرِهِ كَالْإِبَاحَةِ نَحْوُ : جَالِسِ الْحَسَنَ أَوْ ابْنَ سِيرِينَ ، وَالتَّهْدِيدِ
نَحْوُ : اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، وَالتَّعْجِيزِ نَحْوُ : فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَالتَّخْذِيرِ
نَحْوُ : كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ، وَالْإِهَانَةِ نَحْوُ : كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ،
وَالتَّسْوِيَةِ نَحْوُ : اصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ، وَالتَّعْنِي نَحْوُ * أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ

والثاني : ما يصلح أن يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب بحذف حرف
المضارعة ، والثالث : اسم دال على طلب الفعل ، وهو عند النحاة من أسماء
الأفعال ، والأولان لغاية استعمالهما في حقيقة الأمر ، أعنى طلب الفعل على
سبيل الاستعلاء ، ساهما التحريون أمراً ، سواء استعملوا في حقيقة الأمر
أو في غيرها ، حتى إن لفظ اغفر في قولنا : اللهم اغفر لنا ، أمر عندهم .
وأما الثالث : فلما كان اسماً لم يسموه أمراً تمييزاً بين البابين (رويد بكرة) رويد
اسم فعل بمعنى امهل (وقد تستعمل لغيره) بما يناسب المقام بحسب القرائن
نحو : (جالس الحسن أو ابن سيرين) قال السكاكي : ومن أحسن ما جاء
فيه قول كثير :

أَسَى ، بِنَاوُ أَحْسَنِي لَا مَلُومَةً لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِبَةً إِنْ تَقَلَّتْ (١)

أى لا أنت ملومة ولا مقامية ، ووجه حسنه لإظهار الرضا بوقوع الداخل
تحت لفظ الأمر حتى كأنه مطلوب ، أى مهما اخترت في حق من الإساءة
والإحسان ، فأنا راض به غاية الرضا فعاملينى بهما ، وانظري هل تتفاوت حالى
معلك فى الحالين (نحو ألا أيها الليل) وتماه :

أَلَا أَنْجَلِي * وَالذَّعَاءُ نَحْوُ : رَبِّ اغْفِرْ لِي ، وَالِالْتِمَاسِ كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُسَاوِيكَ
رُتْبَةً : أَفْعَلْ ، بِدُونِ الِاسْتِعْلَاءِ ثُمَّ الْأَمْرُ ؛ قَالَ السَّكَانِيُّ : حَقُّهُ الْفَوْرُ ،
لِأَنَّهُ الظَّاهِرُ مِنَ الطَّائِبِ ، وَلِتَبَادُرِ الْفَهْمِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِشَيْءٍ بَعْدَ الْأَمْرِ
بِخِلَافِهِ إِلَى تَغْيِيرِ الْأَمْرِ الْأَوَّلِ دُونَ الْجَمْعِ وَإِرَادَةِ التَّرَاخِي ، وَفِيهِ نَظَرٌ .
وَمِنْهَا النَّهْيُ ، وَلَهُ حَرْفٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ لَا الْجَارِمَةُ فِي نَحْوِ قَوْلِكَ : لَا تَفْعَلْ ،
وَهُوَ كَالْأَمْرِ فِي الِاسْتِعْلَاءِ ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ طَائِبِ السَّكْفِ أَوِ التَّرَكِّ
كَالتَّهْدِيدِ ، كَقَوْلِكَ لِعَبْدٍ لَا يَمْتَنِّئُ أَمْرَكَ : لَا تَمْتَنِّئُ أَمْرِي : وَهَذِهِ

§ يَصْبِحُ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ §

وهو لا مرمى القيس . الانجلاء : الانكشاف ، والامثل : الأفضل . يقول
ليزل ظلامك بضياء من الصبح ثم قال : وليس الصبح بأفضل منك عندي لأنني
أقاسي الهموم نهاراً كما أعانيها ليلاً ، أو لأن نهارى أظلم في عيني لازدحام
الهموم على حتى حكي الليل . فلما كان الليل لا يصح أن يطلب منه الانجلاء
كانت هذه الصيغة للمتنى ولم تجعل للترجي ، لأن التمني لما بعد ، ومن شأن
المحب أن يستبعد انجلاء الليل (إلى تغيير الأمر الأول الخ) قال السكاكي :
فإن المولى إذا قال لعبده قم ، ثم قال له قبل أن يقوم اضطجع حتى المساء ،
يتبادر الفهم إلى أنه غير الأمر بالقيام إلى الأمر بالاضطجاع ، لا أنه أراد
الجمع بين القيام والاضطجاع مع تراخي أحدهما (وفيه نظر) لأن ذلك غير
مسلم عند خلو المقام عن القرائن ، فليس مفهوماً الأمر إلا الطلب استعلاء ،
والفور والتراخي مفوض إلى القرينة (ومنها النهي) وهو طلب السكف
عن الفعل استعلاء (طاب السكف أو الترك) يشير بذلك إلى الخلاف الذي

الأربعة يجوز تقدير الشرط بعدها ، كقولك : لبيت لي مالا أنفقته ، أي
إن أزدقته أنفقته ، وأين بيتك أزدك ، أي إن تعرفني أزدك ، وأكرمني
أكرمك ، أي إن تكرمني أكرمك ، ولا تشتمني يكن خيرا لك ،
أي إن لا تشتمني يكن خيرا لك . وأما العرض كقولك : ألا تنزل تصيب
خيرا ، فمؤلف من الاستفهام ، ويجوز تقدير الشرط في غيرها لقريظة نحو :

قام بين الأشاعرة والمعتزلة ، فإن الأشاعرة يزعمون أن مقتضى النهي كف
النفس عن الفعل بالاشتغال بأحد أضداده ، والآخرون ذهبوا إلى أنه ترك
الفعل . وتحقيق هذا البحث مما تكفل به علم الأصول (الأربعة) يعني
التمنى والاستفهام والأمر والنهي (يجوز تقدير الشرط بعدها) قال التفتازاني :
ووجه ذلك أن كل كلام لابد فيه من حامل المتكلم عليه ، والحامل على
الكلام الخبري لإفادة المخاطب بمضمونه ، وعلى الطالب كون المطلوب مقصود
المتكلم إما لذاته أو لغيره يعني يتوقف ذلك النير على حصوله وتوقف غيره
على حصوله هو معنى الشرط . فإذا ذكرت الطلب ولم تذكر بعده ما يصلح
توقفه على المطلوب ، جوز المخاطب كون ذلك المطلوب مقصودا لنفسه ولغيره
وإن ذكرت بعده ذلك غلب على ظنه كون المطلوب مقصودا لذلك المذكور
لا لنفسه ، فيكون إذن معنى الشرط في الطلب مع ذكر ذلك الشيء ظاهرا
(فولد من الاستفهام) وليس به ، لأن التقدير أنه لا ينزل فالاستفهام عن
عدم النزول طلب للحصول وهو محال (النداء) هو طلب لإقبال المدعو على
الداعي بأحد حروف مخصوصة كأي وأصله لنداء البعيد وقد ينزل غير البعيد
منزلة البعيد لكونه نائما أو ساهيا حقيقة ، أو بالنسبة إلى الأمر الذي تناديه

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ ، أَيْ إِنْ أَرَادُوا أَوْلِيَاءَ بِحَقِّ .
وَمِنْهَا النَّدَاءُ ، وَقَدْ تَشْتَعَلُ صَيَغَتُهُ فِي غَيْرِ مَعْنَاهُ ، كَالْإِغْرَاءِ فِي قَوْلِكَ لِمَنْ

له يعنى أنه بلغ من علو الشأن إلى حيث أن المخاطب لا يبقى بما هو حقه من
السعى فيه وإن بذل وسعه واستفرغ جهده ، فكأنه غافل عنه بعيد منه ، وأى
والهمزة ، وأصاها للقريب ، وقد يستعملان في البعيد تنبيهاً على أنه حاضر في
القلب لا يغيب عنه أصلاً كقول الشاعر :

أُسْبَكَانَ نِعْمَانِ الْأَرَاكِ تَيَقَّنُوا بِأَنَّاكُمْ فِي رُبْعِ قَائِي سُكَّانِ

وأما يا فقال ابن الحاجب إنها حقيقة في القريب والبعيد ، لأنها لطلب
الإقبال مطلقاً ، وقال الزمخشري إنها لا بعيد ، واستعمالها في القريب إما لاستبعاد
الداعى نفسه عن مرتبة المدعو نحو يا الله ، وإما للتنبيه على معظم الأمر وعلو
شأنه وأن المخاطب مع شدة حرصه على الامتثال كأنه غافل عنه نحو : يا أيها
الرسول بلغ ما أنزل إليك ، وإما للحرص على إقباله كأنه أمر بعيد نحو :
يا موسى أقبل ، وإما لغير ذلك من الأغراض والمقاصد (كالإغراء) والاستغاثة
كعورك : يا الله من ألم الفراق ، والتعجب نحو : يا للماء والعشب والتدله والتحير
والتضجر كما في نداء الأطلال والمنازل والمطايا كقوله :

« يَا مَنَازِلَ سَلَامَى أَيْنَ سَلَامِكِ »

، قوله :

بَانَاقَ جِدِّى فَقَدْ أَفْنَتْ أَنَاثَكَ بِي صَبْرِي وَنَعْمَرِي وَأَحْلَاسِي وَأُنْسَاعِي (١)

(١) الأناة : الثأنى والأحلاس جميع حلس : وهو كسواء يطرح على ظهر
البعير ، والأنساع جمع نسع : وهو ما ينسج للتصدير أى للحزام فى صدر البعير .

أَقْبَلَ يَتَظَلَّمُ : يَا مَظْلُومٌ ، وَالِاخْتِصَاصُ فِي قَوْلِهِمْ : أَنَا أَفْعَلُ كَذَا أَيُّهَا

والتوجع والتحسر كقوله :

فَيَا قَبْرَ مَعْنَى كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبِرُّ وَالْبَحْرُ مُتَرَعًا
وأمثال هذه المعاني كثيرة في الكلام (والاختصاص) وهو إما في معرض
التفاخر نحو : أنا أكرم الضيف أيها الرجل ، أو التصاغر نحو : أنا
المسكين أيها الرجل ، أو مجرد بيان المقصود بذلك الضمير ، فكل هذا صورته
صورة النداء وليس به ، لأن أيا وما جعل وصفاً له لم يرد به المخاطب بل هو
عبارة عما دل عليه ضمير المتكلم السابق ولا يجوز فيه إظهار حرف النداء لأنه
لم يبق فيه معنى النداء أصلاً فذكره التصريح بأدائه ، فقوله أيها الرجل : فأى
مضموم والرجل مرفوع كما في النداء لكن مجموعهما في محل نصب على الحال ،
ولذلك قال المصنف أى مختصاً من بين الرجال . وقد يقوم مقام أى اسم
منصوب إما معرف باللام نحو : نحن العرب أقرى الناس للضيف ، أو مضاف
نحو إنا معاشر الأنبياء لا نورث ، وربما يكون علماً كقولك :

بِنَا نَسِيماً يُكْشَفُ الضُّبَابُ

قال ابن الحاجب المعروف ليس منقولاً عن النداء ، ونحو : أيها الرجل
منقول عنه قطعاً ، والمضاف يحتمل الأمرين النقل فيكون منصوباً بياء مقدزة ،
وكونه مثل المعرف فيكون منصوباً بتقدير أعنى أو أخص ، قال الإمام
المرزوقي في قول الجاهلي :

إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لَا نُدْعَى لِأَبٍ

الفرق بين أن ينصب بنى نهشل على الاختصاص ، وبين أن يرفع على

الرَّجُلُ ، أَيْ مُتَخَصِّصًا مِنْ بَيْنِ الرِّجَالِ . ثُمَّ الْخَبَرُ فَدُ يَتَّعُ مَوْقِعَ الْإِنْشَاءِ
إِمَّا لِلتَّنَاقُلِ ، أَوْ لِإِظْهَارِ الْحَرْصِ فِي وَقْعِهِ ، كَمَا مَرَّ ، وَالْدُّعَاءُ بِصِيفَةِ الْمَاضِي
مِنَ الْبَلِيغِ يَحْتَمِلُهُمَا ، أَوْ لِلإِحْتِرَازِ عَنْ صُورَةِ الْأَمْرِ ، أَوْ لِجَمَلِ الْمُخَاطَبِ
عَلَى الْمَطْلُوبِ ، بَأَن يَكُونَ يَمْنٌ لَا يَحِبُّ أَنْ يُكَذَّبَ الطَّالِبُ .

﴿ تَنْبِيهُ ﴾ الْإِنْشَاءُ كَالْخَبَرِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا ذَكَرَ فِي الْأَبْوَابِ الْخَمْسَةِ
السَّابِقَةِ ، فَلْيَعْتَبِرْهُ النَّاطِرُ .

الخبرية هو أنه لو جعله خبراً لكان قصده إلى تعريف نفسه عند المخاطب وكان
فعله لذلك لا يخلو عن خمول فيهم وجهل من المخاطب بشأنهم ، وإذا نصب
من من ذلك (قد يقع موقع الإنشاء) مجازاً (للتناؤل) كما إذا قيل لك في
مقام الدعاء : أعاذك الله من الشبهة ، وعصمك من الحيرة ، وحجب إليك التثبت
ورين في عنك الإنصاف ، وأذاقك حلاوة التقوى ، وأودع صدرك برد اليقين
ليتفاهل بلفظ المضي على عدما من الأمور الحاصلة التي حقهما الإخبار عنها
بأفعال ماضية (أو لإظهار الحرص في وقوعه) لما تقدم من أن الطالب إذا
عظمت رغبته في شيء كثرت تصوره إياه ، فربما يخيل إليه حاصلاً فيورد باللفظ
الماضي (يحتملها) أي التناؤل وإظهار الحرص (أو للاحتراز عن صورة الأمر)
كقول العبد للولي إذا حول عنه الوجه ينظر الولي إلى ساعة (أو لجل
المخاطب الخ) فتقول لصاحبك الذي لا يحب أن تنسب إلى الكذب : تأتيني
غداً ، تحمله أبلغ حمل بالطف وجه على الإتيان

﴿ الفصل والوصل ﴾

الوصل عطف بعض الجمل على بعض ، والفصل تركه ، فإذا أتت جملة بعد جملة ، فالأولى إما أن يكون لها محل من الإعراب ، أو لا ، وعلى الأول ، إن قصد تشريك الثانية لها في حكمه عطفت عليها كالمفرد ، فشرط كونه مقبولا بالواو ونحوه ^(١) أن يكون بينهما جهة جامعة ،

﴿ الفصل والوصل ﴾ قال الشيخ الإمام في دلائل الإعجاز : اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجىء بها مثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ، وما لا يأتي بتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخاص ، والاقوام طبعوا على البلاغة وأوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد ، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة ، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال : معرفة الفصل من الوصل ، ذاك لغموضه ودقة مسلكه ، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كل لهائر معاني البلاغة .

وأما بعد : فإن من سفتنا في هذا الشرح أننا عند الكلام على المبحث الذي تلحقه أجزاءه وتشترك كلماته ، نعود إلى نظم شرحه في سبط واحد ، حتى يكون على ظهر العيس وطرف الثمام فنقول :

بما يكاد يكون معروفاً أن فائدة العطف هو التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه ، وإن من الحروف العاطفة ما يفيد هذا القدر لحسب وهو

(١) قول المصنف ، ونحوه : أي نحو الواو ، حشو فاسد ، لأن هذا الحكم يختص بالواو كما ستقف عليه .

نحو : زَيْدٌ يَكْتُبُ وَيَشْعُرُ ، أَوْ يُعْطَى وَيَمْنَعُ ، وَلِهَذَا عَيَّبَ عَلَى
أَبِي تَمَّامٍ قَوْلَهُ :

الواو ومنها ما يفيد مع ذلك معاني مثل إن الفاء توجب الترتيب من غير تراخ
وتم توجيهه مع تراخ ، وأو تردد الفعل بين شيئين وتجمعه لأحدهما لابعينه .
ثم العطف إما في المفردات وإما في الجمل . فالذي في المفردات يقتضي تشريك
الثاني في إعراب الأول وأنه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك .
الإعراب ، نحو إن المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله ، والمعطوف على
المنصوب أنه مفعول به أو فيه أو له شريك له في ذلك . والذي في الجمل ،
فالجل على ضربين : أحدهما أن يكون المعطوف عليها موضع من الإعراب
وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد ، إذ لا يكون للجملة موضع من
الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد ، وإذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع
المفرد كان عطف الثانية عليها جارياً مجرى عطف المفرد ، فإذا قلت : مررت
برجل خلقه حسن وخلقه قبيح ، كنت قد أشركت الثانية في حكم الأولى وذلك
الحكم كونها في موضع جر بأنها صفة للنكرة . قال الشيخ الإمام : ونظائر ذلك
تكثر ، والأمثلة فيها يسهل . الثاني : أن تكون الجملة المعطوف عليها عارية
الموضع من الإعراب نحو : زيد قائم وعمرو قاعد ، وهذا الضرب هو الذي
يدق مذهبه ويغمض أمره ، وإنما تكون الدقة في الواو دون غيرها من حروف
العطف لأن تلك تفيد مع الإشراك معاني كما علمت ، فإذا عطفت بواحد منها
ظهرت العائدة ، فإذا قلت : أعطاني فشكرته ، ظهر بالفاء أن الشكر كان معقبا
على العطاء ومسببا عنه ، وإذا قلت أخرجت ثم خرج زيد ، أفادت ثم إن خروجه
كان بعد خروجه وأن مهلة وقعت بينهما ، وإذا قلت : يعطيك أو يكسوك

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى صَبْرٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ^(١)
وَالَا فَصِلَتْ عَنْهَا ، نَحْوُ : وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ
إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ، لَمْ يُعْطَفَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ
عَلَى إِنَّا مَعَكُمْ لِأَنَّهُ كَسَنَ مِنْ مَقُولِهِمْ ، وَعَلَى الثَّانِي إِنْ قَصِدَ رَابِطُهَا بِهَا

دلت أو على أنه يفعل واحداً منهما لا بعينه . أما الواو فليس لها معنى سوى
الإشراك ، فإذا قلت : جاءني زيد وعمرو . لم تفد بالواو شيئاً أكثر من اشتراك
عمرو في المجرى الذي أثبتته لزيد ولا يتصور اشتراك بين شيئين حتى يكون هناك
معنى يقع ذلك الاشتراك فيه . وإذا كان كذلك ولم يكن معنا في قولنا
زيد قائم وعمرو قاعد معنى تزعم أن الواو أشركت بين هاتين الجملتين فيه كانت
الدقة وثبت أن النموذج . فنقول :

هذا الضرب .. وهو ما تكون الجملة الأولى فيه عارية الموضع من الإعراب ..
لا يخلو إما أن تكون الثانية متصلة من ذات نفسها بالأولى ومستغنية بربط
معناها لها عن حرف عطف يربطها بأن كانت مؤكدة لها ومبينة ، وكانت إذا
حصلت لم تكن شيئاً سواها ، وهذا لا يجوز إدخال العاطف عليه .. وإما أن
لا تكون كذلك ، فإما أن يكون بين الثانية وبين الأولى مناسبة . وهنا يجب

(١) قبله :

رَعِمَتْ هَوَاكَ عَفَا الْغَدَاةَ كَمَا عَفَا عَنْهَا طَالِدٌ بِاللَّوَى وَرُشُومٌ
وبعده :

مَا حَاتَتْ عَنْ سَنَنِ الْوِدَادِ وَلَا غَدَتْ تَشِي عَلَى إِلْفِ سِوَاكَ تَحُومٌ

عَلَى مَعْنَى عَاطِفٍ سِوَى الْوَاوِ عُطِفَتْ بِهِ نَحْوُ : دَخَلَ زَيْدٌ فَنُجِرَ عَمْرُو ،
 أَوْ : ثُمَّ خَرَجَ عَمْرُو ، إِذَا قُصِدَ التَّعْقِيبُ أَوْ الْمُهْلَةُ ، وَإِلَّا فَإِنْ كَانَ لِلْأَوَّلَى
 حُكْمٌ لَمْ يُقْصَدِ إعْطَاؤُهُ لِلثَّانِيَةِ فَالْفَصْلُ ، نَحْوُ : وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ،
 الْآيَةُ ، لَمْ يُعْطَفْ اللَّهُ بِسِتْرٍ بِهِمْ عَلَى مَا قَالُوا لِئَلَّا^(١) يُشَارِكُهُ
 فِي الْإِخْتِصَاصِ بِالظَّرْفِ ، لِمَا^(٢) مَرَّ ، وَإِلَّا^(٣) فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا كَمَالُ
 الْإِنْقِطَاعِ بِلَا إِبْهَامٍ ، أَوْ كَمَالُ الْإِتِّصَالِ أَوْ شِبْهُ أَحَدِهِمَا ، فَكَذَلِكَ

ذكر العاطف ، أولاً يكون بينهما مناسبة رأساً ، وهنا لا يجوز ذكر العاطف .
 تقرير لهذا المعنى بعبارة أخرى : إن كان بين الجملتين كمال الاتصال أو كمال
 الانقطاع أو كانت الثانية بمنزلة المتصلة بالأولى أو بمنزلة المنقطعة عنها تعين
 الفصل ، وإن كان بينهما توسط بين الاتصال والانقطاع تعين الوصل . . أما
 كمال الانقطاع فيكون لا مَرِجِعَ إِلَى الْإِسْنَادِ أَوْ إِلَى طَرَفِهِ الْأَوَّلِ أَنْ تَخْتَفِ
 الْجُمْلَتَانِ خَبَرًا وَإِنْشَاءً لَفْظًا وَمَعْنَى كَقَوْلِهِمْ : لَا تَدْنُ مِنَ الْأَسَدِ يَا كَلْبُ بِالرَّفْعِ
 وَقَوْلِ الْأَخْطَلِ .

(١) فيلزم أن يكون استهزاء الله بهم وهو أن خذلهم وخلاهم وما سولت
 لهم أنفسهم مستدرجاً إياهم من حيث لا يشعرون مختصاً بحال خلوعهم إلى شياطينهم
 وليس كذلك بل هو متصل لا انقطاع له بحال (٢) من كون تقديم الظرف
 يفيد الاختصاص (٣) أى إن لم يكن الأولى حكماً لم يقصد إعطاؤه للثانية
 وذلك بأن لا يكون لها حكم زائد على مفهوم الجملة أو يكون ذلك ولكن
 قصد إعطاؤه للثانية أيضاً .

وَالْأَوَّلُ مُتَعَيْنٌ . أَمَّا كَالُ الْإِنْقِطَاعِ فَلَا خِتْلَافَ فِيهِمَا خَبَرًا وَإِنْشَاءً
لَفْظًا وَمَعْنَى ، نَحْوُ :

وَقَالَ رَأَيْدُهُمْ أَرْسُوا نِزَاوِلَهَا * فَكُلُّ حَتْفٍ أَمْرٍ يَجْرَى بِمَقْدَارٍ

وقال رأيدهم أرسوا نزاولها فكل حتف امرىء يجرى بمقدار (١)
لما كان أرسوا لإنشاء لفظاً ومعنى ، ونزاولها خبراً لفظاً ومعنى ، لم يعطف
عليه ، ولم يجعل أيضاً مجزوماً جواباً للأمر ، لأن الغرض تعليل الأمر بالإرساء
بالمزاولة والحال في الجزم بالعكس . أعني يصير الإرساء علة للمزاولة . . أو
معنى فقط ، كقولك مات فلان رحمه الله . وقد جعل السكاكى مما نحن فيه
قول الزيدى :

مَلَكَتْهُ حَبْلِي وَلَاكِتْهُ أَقْهَاهُ مِنْ زُهْدٍ عَلَى غَارِبِي
وَقَالَ إِنِّي فِي الْهَوَى كَاذِبٌ انتَقَمَ اللَّهُ مِنَ الْكَاذِبِ

وحمله الإمام عبد القاهر على الاستئناف ، قال لأنه جعل نفسه كأنه يحجب
سائلاً قال له : فما تقول فيما اتهمك به من أنك كاذب ، فقال أقول : انتقم الله
من الكاذب ، وهو ظاهر . . . واعلم ، أن الفصل إنما يحجب في مثل هذا ما لم
يكن موهماً بخلاف المقصود ، وإلا وجب الوصل لتعارض المانع ، والمقتضى

(١) الرائد : الذى يتقدم القوم لطلب الماء والكلاء ، وأرسو : من رست
السفينة إذا وقفت على المرساة ، أو من رست أقدامهم في الحرب : أى ثبتت ،
ونزاولها من المزاولة : وهى المحاولة والمعالجة فى تحصيل الشئ ، والضمير للحرب
وقيل للسفينة . أما جعله للخمر فلا يناسب قوله بعد :

إِمَّا نَمُوتُ كِرَامًا أَوْ نَفُوزُ بِهِمَا فَوَاحِدُ الدَّهْرِ مِنْ كَدٍّ وَأُسْفَارٍ

أَوْ مَعْنَى فَقَطْ ؛ نَحْوُ : مَاتَ فُلَانٌ رَحِمَهُ اللهُ ، أَوْ لِأَنَّهُ لَا جَامِعَ بَيْنَهُمَا
كَمَا سَيَأْتِي . وَأَمَّا كَمَالُ الْإِتِّصَالِ فَلْيَكُونِ الثَّانِيَّةُ مُؤَكَّدَةً لِلأُولَى لِدَفْعِ
تَوَهُّمِ تَجَوُّزِ أَوْ غَلَطٍ ، نَحْوُ : لَا رَيْبَ فِيهِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا بُوْلِغَ فِي وَصْفِهِ
بِبُلُوغِهِ الدَّرَجَةَ الْقُصْوَى فِي الْكَمَالِ بِجَعْلِ الْمُبْتَدَأِ ذَلِكَ وَتَعْرِيفِ

إِذْنِ وَلَيْسَ وَرَاءَ الْفَصْلِ إِلَّا الْوَصْلُ . يَحْكِي أَنَّ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ
بِأَعْرَابِي فِي يَدِهِ ثَوْبٌ ، فَقَالَ لَهُ الصَّدِيقُ : أَتَبِيعُ هَذَا . فَقَالَ لَا يَرْحَمُكَ اللهُ . فَقَالَ
لَهُ الصَّدِيقُ : قَدْ قَوْمَتِ أَلْسِنَتُكُمْ لَوْ تَسْتَقِيمُونَ ، لَا تَقُلْ هَكَذَا ، قُلْ لَا وَيَرْحَمُكَ
اللهُ . وَيَحْكِي أَنَّ الصَّاحِبَ بْنَ عَمِيَادَ قَالَ حِينَ سَمِعَ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ : لَا وَأَيْدِكَ
اللهُ ، هَذِهِ الْوَاوُ أَحْسَنُ مِنْ وَاوَاتِ الْأَصْدَاغِ عَلَى خُدُودِ الْمَلَاكِ . الثَّانِي أَنَّ
لَا يَكُونُ بَيْنَ الْجَمْعَيْنِ جَامِعٌ ، وَمِنْ هُنَا عَابُوا أَبَا تَمَامٍ فِي قَوْلِهِ (١) :

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى صَبْرٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ

وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا مَنَاسِبَةَ بَيْنَ كَرَمِ أَبِي الْحُسَيْنِ وَمَرَارَةِ النَّوَى وَلَا تَعْلَاقَ لِأَحَدِهِمَا
بِالْآخَرِ ، وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى الْجَامِعِ . وَأَمَّا كَمَالُ الْإِتِّصَالِ فَيَكُونُ لِأَحَدِ أُمُورِ
ثَلَاثَةً : الأولُ : أَنَّ تَكُونِ الثَّانِيَّةُ مُؤَكَّدَةً لِلأُولَى وَالْمَقْتَضَى لِلتَّأَكِيدِ دَفْعُ تَوَهُّمِ
التَّجَوُّزِ أَوْ الْغَلَطِ ، وَهُوَ قَسَمَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ تَنْزِلَ الثَّانِيَّةُ مِنَ الْأُولَى مَنزِلَةَ التَّأَكِيدِ

(١) وَقَدْ تَمَحَّلَ النَّاسُ لِتَصْحِيحِ الْوَصْلِ فِي الْبَيْتِ بِأُمُورٍ : مِنْهَا أَنَّ مَرَارَةَ
النَّوَى سَبَبٌ يَمْتَقِضُ انْتِجَاعَ أَبِي الْحُسَيْنِ لِمَكَارِمِهِ الَّتِي تَزِيلُ شُظُفَ النَّوَى ، وَقَدْ
بَالِغُ الطَّبِيعِي فِي اسْتِحْسَانِهِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ جَمْعٌ بَيْنَ مُتَضَادَّيْنِ ، هُمَا مَرَارَةُ النَّوَى
وَحِلَاوَةُ كَرَمِ أَبِي الْحُسَيْنِ ، فَأَبْرَزَهُمَا فِي مَعْرِضِ التَّوَخُّي .

الْخَبَرِ بِاللَّامِ ، جَارِ أَنْ يَتَوَهَّمِ السَّامِعُ قَبْلَ التَّأَمُّلِ أَنَّهُ مِمَّا يُرْمَى بِهِ

المعنوى من متبوعه في إفادة التقرير مع الاختلاف في المعنى مثل قوله تعالى (١) :
ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه ، فإنه لما بولغ في وصف الكتاب بأنه بلغ
الدرجة القصوى من الكمال حيث (١) جعل المبتدأ لفظة ذلك وأدخل على الخبر
حرف التعريف كان عند السامع قبل أن يتأمله مظنة أن ينظمه في سلك ما قد
يرمى به على سبيل الجراف من غير تحقق وإيقان ، فأتبعه لا ريب فيه نفياً
لذلك ، وقد أصيب به المحزن ، فوزانه وزان نفسه في قولك : جاءني زيد نفسه ،
ومثل هذا قوله جل شأنه : كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرأ . الثاني : مقرر لما أفاده
الأول ، من اللطيف في ذلك قوله تعالى : ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ، فصل

(١) ذلك على تقدير أن يكون ألم جملة مستقلة ، وذلك الكتاب جملة ثانية ،
ولا ريب فيه جملة ثالثة ، وهناك وجوه آخر ذكرها المفسرون . هذا والذي ذكره
الشيخ في دلائل الإعجاز أن قوله لا ريب فيه بيان وتوكيد وتحقيق لقوله ذلك
الكتاب وزيادة تثبت له وبمنزلة أن تقول هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب
فتعيده مرة ثانية تثبته ، وإذن يكون التوكيد لفظياً .

(٢) وأنت قد علمت أن تعريف المسند إليه بالإشارة يدل على كمال العناية
بتمييزه وأنه ربما يجعل ذريعة إلى تعظيمه وبعده درجته ، وأن تعريف المسند إليه
باللام يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة ؛ فعنى ذلك الكتاب : أنه الكتاب الكامل
كأن ما غداه من الكتب في مقابله ناقص ، وأنه يستحق أن يسمى كتاباً كما تقول
هذا هو الرجل أى الكامل في الرجولية ، الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات
الخصال ، وكما قال : هم القوم كل القوم بأمر خالد .

جَزَافًا فَاتَّبِعَهُ^(١) نَفِيًّا لِذَلِكَ التَّوَهُّمِ ، فَوِزَانُهُ وَزَانُ نَفْسِهِ فِي : تَجَاءَنِي زَيْدُ
نَفْسُهُ ، وَنَحْنُو : هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ، فَإِنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهُ فِي الْهِدَايَةِ بِالْبَلَّغِ دَرَجَةٌ لَا يُدْرِكُ
كُنْهَهَا حَتَّى كَأَنَّهُ هِدَايَةٌ مُحَضَّةٌ ، وَهَذَا مَعْنَى ذَلِكَ الْكِتَابِ ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ -
كَمَا مَرَّ - الْكِتَابُ الْكَامِلُ ، وَالْمُرَادُ بِكَمَالِهِ كَمَالُهُ فِي الْهِدَايَةِ ، لِأَنَّ
الْكَتُبَ السَّمَاوِيَّةَ بِحَسَبِهَا تَتَفَاوَتُ فِي دَرَجَاتِ الْكَمَالِ ؛ فَوِزَانُهُ وَزَانُ

إِنْ هَذَا لِكُونِهِ مُؤَكَّدًا لِلأَوَّلِ نَفِيٌّ أَنْ يَكُونَ بَشَرًا ، وَلَكِ^(١) أَنْ تَقُولَ الَّذِي
عَلَيْهِ الْعَرَفُ مَتَى قِيلَ فِي حَقِّ إِنْسَانٍ مَا هَذَا بَشَرًا ، مَا هُوَ بَادِي فِي حَالِ الْعَظِيمِ
لَهُ وَالتَّعَجُّبُ مِمَّا يَشَاهِدُ مِنْهُ مِنْ حَسَنِ الْخَلْقِ ، وَالْخَلْقُ هُوَ أَنْ يَفْهَمَ مِنْهُ أَنَّهُ مُلْكٌ
فَوْقَ قَوْلِهِ إِنْ هَذَا إِلَّا مُلْكٌ تَأْكِيدًا لِلْمَلَائِكَةِ ففَصَلَ ، وَثَانِيهَا أَنْ تَنْزِلَ الثَّانِيَّةُ
مِنَ الْأُولَى مِنْزِلَةً التَّأْكِيدِ اللفظي من متبوعه في اتحاد المعنى ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى :
هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ، فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي الْهِدَايَةِ بِالْبَلَّغِ دَرَجَةٌ لَا يُدْرِكُ كُنْهَهَا حَتَّى كَأَنَّهُ
هِدَايَةٌ مُحَضَّةٌ ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ : ذَلِكَ الْكِتَابُ ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ كَمَا تَقْدُمُ الْكِتَابُ
الْكَامِلُ ، وَالْمُرَادُ بِكَمَالِهِ كَمَالُهُ فِي الْهِدَايَةِ ، لِأَنَّ الْكَتُبَ السَّمَاوِيَّةَ بِحَسَبِهَا يَتَفَاوَتُ
شَأْنُهَا فِي دَرَجَاتِ الْكَمَالِ . الثَّانِي أَنْ تَكُونَ الثَّانِيَّةُ بَدَلًا مِنَ الْأُولَى وَالْمَقْتَضَى
لِلْإِبْدَالِ أَنْ تَكُونَ الْأُولَى غَيْرَ وَافِيَةٍ بِتِمَامِ الْمُرَادِ وَإِيرَادِهِ ، أَوْ كَغَيْرِ الْوَافِيَةِ

(١) وَلَكِ أَنْ تَخْرُجَهُ مِنَ التَّأْكِيدِ وَتَجْعَلَهُ مِنْ بَابِ الْبَيِّنِ قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ
لَأَنَّهُ إِذَا نَفَى أَنْ يَكُونَ بَشَرًا فَقَدْ أَثْبَتَ لَهُ جَنْسًا سِوَاهُ ، إِذْ مِنْ الْحِمَالِ أَنْ يَخْرُجَ
مِنْ جَنْسِ الْبَشَرِ ثُمَّ لَا يَدْخُلُ فِي جَنْسٍ آخَرَ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ إِثْبَاتُهُ مُلْكًا
تَبْيِينًا لِذَلِكَ الْجَنْسِ وَتَعْيِينًا لَهُ

(٢) قَوْلُ الْمُصَنِّفِ فَاتَّبِعَهُ : أَيِ اتَّبَعَ لَا رَيْبَ فِيهِ ذَلِكَ الْكِتَابُ ، أَيْ جَعَلَ
لَا رَيْبَ فِيهِ تَابِعًا لِذَلِكَ الْكِتَابِ .

زَيْدُ الثَّانِي فِي جَاءَنِي زَيْدُ زَيْدًا ، أَوْ بَدَلًا مِنْهَا ، لِأَنَّهَا غَيْرُ وَافِيَةٍ بِتَمَامِ
الْمُرَادِ أَوْ كَغَيْرِ الْوَافِيَةِ ، بِخِلَافِ الثَّانِيَةِ وَالْمَقَامُ يَقْتَضِي اعْتِنَاءَ بِشَأْنِهِ
لِلْكَتَةِ ، كَلَوْنِهِ مَطْلُوبًا فِي نَفْسِهِ أَوْ فَظِيْعًا أَوْ عَجِيْبًا أَوْ لَطِيْفًا ، نَحْوُ :
أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، فَإِنَّ الْمُرَادَ
الْتِزِيمَ عَلَى نَعَمِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالثَّانِي أَوْفَى بِتَأْدِيَتِهِ لِذِلَالَتِهِ عَلَيْهَا بِالتَّفْصِيلِ
مِنْ غَيْرِ إِحَالَةٍ عَلَى عِلْمِ الْمُخَاطَبِينَ الْمُعَانِدِينَ ، فَوِزَانُهُ وَزَانُ وَجْهِهِ فِي :
أَعْجَبَنِي زَيْدٌ وَجْهِهِ لِدُخُولِ الثَّانِي فِي الْأَوَّلِ ، وَنَحْوُ قَوْلِهِ :

والمقام مقام اعتناء بشأنه ، إما لكونه مطلوباً في نفسه ، أو لكونه فظيماً أو
عجيباً أو لطيفاً أو غير ذلك مما له وجهة استدعاء للاعتناء بشأنه ، فيعبيده
المتكلم بنظم أوفى منه على نية استئناس القصد إلى المراد ، ليظهر بمجموع
القصدين إليه في الأول ، والثاني أعنى المبدل منه والبديل مرید الاعتناء بالشأن
وهذا ضربان أحدهما أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل البعض من متبوعه
مثل قوله تعالى : أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون ، فإنه مسوق
للتنبيه على نعم الله تعالى عند المخاطبين ، وقوله أمدكم بأنعام وبنين ، أوفى بتأديته
مما قبله لدلالته عليها بالتفصيل من غير إحالة على علمهم مع كونهم معاندين ،
والأمداد بما ذكر من الأنعام وغيرها بعض الأمداد بما يعلمون فوزانه وزان
وجهه في قولك أعجبني زيد وجهه . قال السكاكي : ويحتمل الاستئناس . وثانيهما :
أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتمال من متبوعه ، مثل قوله تعالى :
اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ، فإن المراد به حمل
المخاطبين على اتباع الرسل وقوله تعالى : اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ،

أَقُولُ لَهُ ارْحَلْ لَا تَقِيمَنَّ عِنْدَنَا ۖ وَإِلَّا فَسَكَنَ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ مُسْلِمًا
فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهِ كَمَالُ إِظْهَارِ الْكَرَاهَةِ لِإِقَامَتِهِ ، وَقَوْلُهُ لَا تَقِيمَنَّ عِنْدَنَا
أَوْفَى بِتَأْدِيَتِهِ لِذِلَالَتِهِ عَلَيْهِ بِالمطابقة مع التأكيد ، فوزانهُ وَزَانُ
حُسْنُهَا فِي : أَعْجَبَنِي الدَّارُ حُسْنُهَا ، لِأَنَّ عَدَمَ الإِقَامَةِ مُغَايِرَ الإِرْتِمَالِ

أَوْفَى بِتَأْدِيَةِ ذَلِكَ ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ اتَّبَعُوا مَنْ لَا تَخْسِرُونَ مَعَهُمْ شَيْئًا مِنْ دُنْيَاكُمْ
وَتَرْجَحُونَ صِحَّةَ دِينِكُمْ ، فَيَنْتَظِمُ لَكُمْ خَيْرُ الدُّنْيَا وَخَيْرُ الْآخِرَةِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ
الْقَائِلِ :

أَقُولُ لَهُ ارْحَلْ لَا تَقِيمَنَّ عِنْدَنَا ۖ وَإِلَّا فَسَكَنَ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ مُسْلِمًا
فَإِنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ كَلَامِهِ هَذَا إِظْهَارَ الْكَرَاهَةِ لِإِقَامَتِهِ بِسَبَبِ خِلَافِ سِرِّ
الْعَلَنِ ؛ وَقَوْلُهُ لَا تَقِيمَنَّ عِنْدَنَا أَوْفَى بِتَأْدِيَةِ هَذَا الْمَقْصُودِ مِنْ قَوْلِهِ ارْحَلْ لِذِلَالَةِ
ذَلِكَ عَلَيْهِ بِالتَّضَمُّنِ مَعَ التَّجَرُّدِ عَنِ التَّأَكِيدِ ، وَذِلَالَةُ هَذَا عَلَيْهِ بِالمطابقة مع
التأكيد ، وَوَزَانُ الثَّانِيَةِ فِي الْآيَةِ وَالْبَيْتِ وَزَانُ حُسْنُهَا فِي قَوْلِكَ : أَعْجَبَنِي الدَّارُ
حُسْنُهَا ، لِأَنَّ مَعْنَاهَا مُغَايِرَ لِمَعْنَى مَا قَبْلَهَا وَغَيْرِ دَاخِلٍ فِيهِ مَعَ مَا يَتَّبِعُهَا مِنَ الْمَلَابِسَةِ .
الثَّالِثُ : أَنَّ تَكُونَ الثَّانِيَةِ (١) بَيَانًا لِلأُولَى ، وَذَلِكَ بِأَنَّ تَنْزِلَ مِنْهَا مَنْزِلَةً عَطَفَ

(١) وَقَدْ تَعَطَفَ الْجُمْلَةُ الَّتِي تَصْلُحُ بَيَانًا لِلأُولَى عَلَيْهَا تَنْجِيهَا عَلَى اسْتِقْلَالِهَا
وَمُغَايِرَتِهَا لَهَا ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ : يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْعَذَابِ
الَّذِي يُنْذَرُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا قُلْ هُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، وَقَدْ قَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ يَذْبَحُونَ مِنْ غَيْرِ وَادٍ فَمِنْ
طَرَحِ الْوَادِ جَعَلَ التَّنْذِيرَ تَفْسِيرًا لِلْعَذَابِ وَبَيَانًا لَهُ ، حَيْثُ أَثْبَتَ جَعْلَ التَّنْذِيرِ
لِأَنَّهُ أَوْفَى عَلَى جَنْسِ الْعَذَابِ ، وَزَادَ عَلَيْهِ زِيَادَةً ظَاهِرَةً كَأَنَّهُ جَنْسُ آخِرٍ .

وغير داخل فيه مع ما بينهما من الملازمة ، أو بياناً لها ، لِحَفَائِهَا ، نُحَوُّ :
فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملاك
لا يبلى ، فإن وزانه وزان عمر في قوله :

« أقسم بالله أبو حفص عمر »

وأما كونها كالمنقطعة عنها فلا يكون عطفها عليها موهباً لعطفها
على غيرها ، ويسمى الفصل لذلك قطعاً ، مثاله :

وتظن سلمى أنني أبغى بها « بدلاً أراها في الضلال تهيم

البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح ، والمقتضى للتبيين أن يكون في الأولى
نوع خفاء مع اقتضاء المقام إزالته مثل قوله تعالى : فوسوس إليه الشيطان قال
يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملاك لا يبلى ، فصل جملة قال عما قبلها لكونها
تفسيراً له وتبييناً ، فوزانه وزان عمر في قول الأعرابي : أقسم بالله أبو حفص
عمر ، أما كون الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى ، فلا يكون عطفها عليه موهباً
لعطفها على غيرها ، ويسمى الفصل لذلك قطعاً ، مثاله قول الشاعر :

وتظن سلمى أنني أبغى بها بدلاً أراها في الضلال تهيم

لم يعطف أراها كي لا يحسب السامع العطف على أبغى ، وبعد أراها
في الضلال تهيم من مضافات سلمى في حق الشاعر ، وليس هو بمراد ،
بل المراد أنه حكم للشاعر عاياً بذلك ، وليس بمستبعد أن يكون قد
قطع أراها ليقع جواباً لسؤال مقدر على سبيل الاستئناف ، وإياك أن
نرى الفصل لأجل الوزن فما هو هناك . . . وأما كونها بمنزلة المتصلة بها
فلاكونها جواباً عن سؤال اقتضاه الأولى ، فتزول منزلته ، فتفصل الثانية

وَيَحْتَمِلُ الِاسْتِثْنَاءَ . وَأَمَّا كَوْنُهَا كَالْمُتَّصِلَةِ بِهَا فَلَا كَوْنُهَا جَوَابًا
لِسُؤَالٍ اقْتَضَتْهُ الْأُولَى ، فَتُنَزَّلُ مَنْزِلَتُهُ ، فَتُفْصَلُ عَنْهَا ، كَمَا يُفْصَلُ الْجَوَابُ
عَنِ السُّؤَالِ . السَّكَائِيُّ : فَيُنَزَّلُ ذَلِكَ مَنْزِلَةَ الْوَاقِعِ ، لِتُسَكِّتَهُ كِإِغْنَاءِ
السَّامِعِ عَنْ أَنْ يَسْأَلَ أَوْ أَنْ لَا يَسْمَعَ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَيُسَمَّى الْفَصْلُ لِذَلِكَ
اسْتِثْنَاءً ، وَكَذَا الثَّانِيَةُ ، وَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَضْرِبُ ، لِأَنَّ السُّؤَالَ إِمَّا عَنْ سَبَبِ
الْحُكْمِ مُطْلَقًا ، نَحْوُ :

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتَ عَلِيلٌ « سَهْرٌ دَائِمٌ » وَحُزْنٌ طَوِيلٌ

عنها كما يفصل الجواب عن السؤال . قال السكاكي : النوع الثاني من الحالة المفتضية
للقطع أن يكون الكلام السابق بفحواه كالمراد للسؤال ، فينزل ذلك منزلة
الواقع ، ويطلب بهذا الثاني وقوعه جواباً له فيقطع عن الجواب السابق لذلك
وتنزل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصر إليه إلا الجهات لطيفة ، إما لتفبيحه
السامع على موقعه ، أو لإغناؤه أن يسأل : أو لئلا يسمع منه شيء ، أو لئلا ينقطع
كلامك بكلامه ، أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال
وترك العاطف ، أو لغير ذلك مما ينخرط في هذا السلك ، ويسمى الفصل لذلك
استثناءً ، وكذا الجملة الثانية أيضاً تسمى استثناءً ، والاستثناء ثلثة أضرب
لأن السؤال الذي تضمنته الجملة الأولى إما عن سبب الحكم فيها مطلقاً كقوله :

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتَ عَلِيلٌ سَهْرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ

لما كان في العادة إذا قيل فلان عليل ، أن يسأل عن سبب علته وموجب
مرضه ، فيقال ما به وما بعلة قدر كأنه قيل له ذلك فأتى بقوله سهر دائم جواباً
عن هذا السؤال المفهوم من فحوى الحال ، وكذلك قول المعري :

أَيُّ مَا بِالكَ عَايِلًا أَوْ مَا سَبَبُ عَائِلَتِكَ ، وَإِمَّا عَنْ سَبَبٍ خَاصٍّ ، نَحْوُ :
 وَمَا أَبْرَىءُ نَفْسِي إِنَّ لِلنَّفْسِ لَأَمَارَةً بِالسُّوءِ ، كَأَنَّهُ قِيلَ هَلِ النَّفْسُ أَمَارَةٌ
 بِالسُّوءِ ؟ فَقِيلَ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ ؛ وَهَذَا الضَّرْبُ يَقْتَضِي تَأْكِيدَ
 الْحُكْمِ كَمَا مَرَّ ، وَإِمَّا عَنْ غَيْرِهَا ، نَحْوُ : قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ، أَيُّ فَمَاذَا
 قَالَ ، وَقَوْلُهُ :

زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنِّي فِي غَمْرَةٍ * صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمَرَتْنِي لَا تَنْجَلِي

وَقَدْ غَرَضْتُ مِنَ الدُّنْيَا فَهَلْ زَمَنِي مُعْطٍ حَيَاتِي لِغَيْرٍ بَعْدُ مَا غَرَضًا (١)
 جَرَبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتُ لِي التَّجَارِبُ فِي وَدِّ امْرِئٍ غَرَضًا
 لَمْ يَصِلْ جَرَبَتِ بِالْعَطْفِ عَلَى غَرَضْتُ بِنَاءً عَلَى سُؤَالِ يَنْسَاقُ لِأَيِّهِ مَعْنَى الْبَيْتِ
 الْأَوَّلِ وَهُوَ : لَمْ تَقُولِ وَيَحْكُ هَذَا ، وَمَا الَّذِي اقْتَضَاكَ أَنْ تَطْوِي كَشْحَكَ عَنْ
 الْحَيَاةِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ ، وَإِمَّا عَنْ سَبَبٍ خَاصٍّ لَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَمَا أَبْرَىءُ نَفْسِي
 إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ ، كَأَنَّهُ قِيلَ هَلِ النَّفْسُ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ ، فَقِيلَ نَعَمْ
 إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ ، وَهَذَا الضَّرْبُ يَقْتَضِي تَأْكِيدَ الْحُكْمِ كَمَا مَرَّ فِي بَابِ
 أَحْوَالِ الْإِنْسَانِ أَنْ لِلْمُخَاطَبِ إِنْ كَانَ مُتَرَدِّدًا فِي الْحُكْمِ طَالِبًا لَهُ حَسَنَ تَقْوِيَتِهِ
 بِمُؤَكَّدٍ . . . وَإِمَّا عَنْ غَيْرِهِمَا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنِّي فِي غَمْرَةٍ * صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمَرَتْنِي لَا تَنْجَلِي
 فَإِنَّهُ لَمَّا أَبْدَى الشُّكَايَةَ مِنْ جَمَاعَاتِ الْعَذَالِ ، كَانَ ذَلِكَ بِمَا يَحْرُكُ السَّمَاعَ
 لِيَسْأَلَ أَصْدَقُوا فِي ذَلِكَ أَمْ كَذَبُوا ، فَأَخْرَجَ الْكَلَامَ مُخْرِجَهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ قَدْ قِيلَ

وَأَيْضًا مِنْهُ مَا يَأْتِي بِإِعَادَةِ اسْمٍ مَا اسْتَوْفَيْتَ عَنْهُ ، نَحْوُ : أَحْسَنْتَ إِلَى

له ففصل وطبق بذلك المفصل ، ومثله قول جندب بن عمار :

زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنَّ نَاقَةَ جُنْدَبٍ بِجَهْوَبٍ خَبَتْ عُرِّيَتْ وَأَجَمَّتْ
كَذَبَ الْعَوَازِلُ لَوْ رَأَيْنَا مُنَاخِنَا بِالْقَادِسِيَّةِ قُلْنَ لَحَجَّ وَذَلَّتْ
وقد زاد هنا أمر الاستئناف وتقدير الجواب تأكيداً بأن وضع الظاهر موضع المضمر ، فقال كذب العواذل ولم يقل كذب ، وذلك أنه لما أعاد ذكر العواذل ظاهراً كان ذلك أبين وأقوى لكونه كلاماً مستأنفاً من حيث وضعه وضعاً لا يحتاج فيه إلى ما قبله ، ، أتى به ما أتى ما ليس قبله كلام ، ومن الحسن البين في هذا الباب قول الوايد بن يزيد :

عَرَفْتُ الْمَنْزِلَ الْخَالِي عَفَا مِنْ بَعْدِ أَحْوَالِ
عَفَاهُ كُلَّ حَنَابٍ عَسُوفِ الْوَبْلِ هَطَّالِ

لما قال عفا من بعد أحوال ، قدر كأنه قيل له فاعفاه ، فقال عفاه كل حنان ، ومثله قول المتنبي :

وَمَا عَفَّتِ الرِّيحُ لَهُ مَحَلًّا عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمْ وَسَاقَا

فإنه لما نفى أن يكون الذي يرى به من الدروس والعفاء من الرياح ، وأن تكون التي فعلت ذلك ، كان مظنة أن يسأل عن الفاعل . قال الشيخ الإمام : واعلم أن الذي تراه في التنزيل من لفظ قال مفصلاً غير معطوف ، هذا هو التقدير فيه والله أعلم ، أعني مثل قوله تعالى : هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرهين ، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً ، قال سلام قوم منكرون ، فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ، فقربه إليهم قال ألا تأكلون ، فأوجس منهم خيفة قالوا

زَيْدٌ زَيْدٌ حَقِيقٌ بِالْإِحْسَانِ ؛ وَمِنْهُ مَا يُبْنَى عَلَى صِفَتِهِ ، نَحْوُ : أَحْسَنْتَ
إِلَى زَيْدٍ صَدِيقُكَ الْقَدِيمُ أَهْلٌ لِذَلِكَ ، وَهَذَا أَبَاحُ ، وَقَدْ يُحْذَفُ صَدْرُ
الِاسْتِثْنَاءِ ، نَحْوُ : يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ ، فَيَمْنُ قَرَأَهَا
مُخْتَوِجَةَ الْبَاءِ ، وَعَلَيْهِ : نَعَمْ الرَّجُلُ زَيْدٌ ، عَلَى قَوْلٍ ، وَقَدْ يُحْذَفُ كُلُّهُ ،
إِنَّمَا مَعَ قِيَامِ شَيْءٍ مَقَامُهُ ، نَحْوُ قَوْلِ الْحَمَاسِيِّ :

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَافٌ

لاتخف ، لما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم دخل قوم على
فلان فقالوا كذا أن يقولوا فما قال هو ، ويقول المجيب قال كذا أخرج الكلام
ذلك المخرج لأن الناس خوطبوا بما يتعارفونه وسلك باللفظ معهم المسلك الذي
يسلكونه ، وكذلك قوله : قال ألا تأكلون ، وقوله : قالوا لاتخف ، تقسيم آخر
للاستثناء ، الاستثناء منه ما يأتي بإعادة اسم ما استؤنف عنه كقولك : أحسنت
إلى زيد زيد حقيق بالإحسان ، ومنه ما يبنى على صفة كقولك : أحسنت إلى
زيد صديقك القديم أهل لذلك . وهذا أباح لانطوائه على بيان السبب
« تقسيم ثالث » الاستثناء قد يحذف صدره لقيام قرينة كقوله تعالى : يسبح له
فيها بالغدو والآصال رجال ، فيمن قرأ يسبح مبتدأ للمفعول ومنه قولهم : نعم
الرجل أو رجلا زيد ، وبدئ الرجل أو رجلا عمرو على القول بأن المخصوص خبر
مبتدأ محذوف أي هو زيد كأنه لما قيل ذلك فأبهم الفاعل بجعله معهوداً ذهنياً
مظهراً أو مضمراً ، سئل عن تفسيره : فقيل هو زيد ثم حذف المبتدأ . . . وقد
يحذف كله ويقام ما يدل عليه مقامه كقول مساور بن هند يهجو بني أسد :

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَافٌ

أَوْ يَدُونِ ذَلِكَ ، نَحْوُ : فَنَعِمَ الْمَاهِدُونَ ، أَيْ نَحْنُ ، عَلَى قَوْلٍ . وَأَمَّا
الْوَصْلُ لِدَفْعِ الْإِبْهَامِ فَكَقَوْلِهِمْ : لَا وَائِدَكَ اللَّهُ . وَأَمَّا لِلتَّوَسُّطِ فَإِذَا
اتَّفَقْنَا خَبَرًا أَوْ إِنْشَاءً لَفْظًا وَمَعْنَى أَوْ مَعْنَى فَقَطْ بِجَامِعٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ
الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى :
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

أُولَئِكَ أَوْ مَنُومًا جُوعًا وَخَوْفًا * وَقَدْ جَاءَتْ بَنُو أَسَدٍ وَخَافُوا
التَّقديرُ أَصْدَقْنَا أَمْ كَذَبْنَا ، فَقَالَ تَقْدِيرًا كَذِبْتُمْ والدليل على ذلك قوله
لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلْفٌ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَقْدَرَ لَهُمْ إِلْفٌ جَوَابُ سُؤَالِ اقْتِضَاءِ
الْجَوَابِ الْمَحْذُوفِ كَأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ قَالَ كَذِبْتُمْ ، فَقَالُوا لَمْ كَذَبْنَا ، فَقَالَ لَهُمْ إِلْفٌ ،
وَقَدْ يَحْذِفُ وَلَا يَقَامُ شَيْءٌ مَقَامَهُ (١) كَقَوْلِهِ تَعَالَى : فَنَعِمَ الْمَاهِدُونَ ، أَيْ نَحْنُ
عَلَى قَوْلٍ مَنْ يَجْهَلُ الْمُخْصُوصَ خَبَرَ الْمُبْتَدَأِ أَيْ هُمْ نَحْنُ ، وَأَمَّا ، الْوَصْلُ لِلتَّوَسُّطِ
بَيْنَ حَالَتَيْنِ كَالِ الْإِنْشَاءِ وَكَالِ الْإِنْشَاءِ ، فَإِذَا اتَّفَقَ الْجُمْلَتَانِ خَبَرًا أَوْ طَلِبًا لَفْظًا
وَمَعْنَى أَوْ مَعْنَى فَقَطْ مَعَ جَامِعٍ بَيْنَهُمَا ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ
الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ، وَقَوْلِهِ : يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَقَوْلِهِ :
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ، هَذَا فِي الْمُتَّفَقَتَيْنِ خَبَرًا لَفْظًا وَمَعْنَى ، وَقَوْلِهِ : كُلُوا
وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ، وَهَذَا فِي الْمُتَّفَقَتَيْنِ إِنْشَاءً لَفْظًا وَمَعْنَى وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَإِذْ

(١) لك أن تقول الفصل لا يعقل إلا بين كلامين منطوق بهما ، فإذا كانت
الجملة المستأنفة محذوفة فكيف يسمى ذلك فصلاً ، إلا أن يقال إن المصنف
استطرد إلى أنواع الجملة المستأنفة ولم يسمه فصلاً فليس من هذا الباب .

وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ، أَيْ لَا تَعْبُدُوا
وَتُحْسِنُونَ ؛ بِمَعْنَى أَحْسِنُوا أَوْ وَأَحْسِنُوا . وَالْجَامِعُ بَيْنَهُمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ
بِاعْتِبَارِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِمَا وَالْمُسْنَدَيْنِ جَمِيعًا ، نَحْوُ : يَشْعُرُ زَيْدٌ وَيَكْتُبُ وَيُعْطَى
وَيَمْنَعُ ، وَزَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ ، وَزَيْدٌ طَوِيلٌ وَعَمْرٌو قَصِيرٌ لِمُنَاسَبَةِ
بَيْنَهُمَا ، بِخِلَافِ زَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ ، بِدُونِهَا ، وَزَيْدٌ شَاعِرٌ

أَخَذْنَا مِثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا عَلَىٰ قَوْلِهِ لَا تَعْبُدُونَ ، لِأَنَّهُ
بِمَعْنَى لَا تَعْبُدُوا ، وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا فَتَقْدِيرُهُ إِمَّا ، وَتُحْسِنُونَ بِمَعْنَى
وَأَحْسِنُوا ، وَإِمَّا وَأَحْسِنُوا ، وَهَذَا أَبْلَغُ مِنْ صَرِيحِ الْأَمْرِ وَالنَهْيِ لِأَنَّهُ كَانَ
سُورِعَ إِلَى الْأَمْتِثَالِ وَالْإِنْتِهَاءِ فَهُوَ يُخْبِرُ عَنْهُ ، وَالْجَامِعُ ، بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ يَجِبُ
أَنْ يَكُونَ بِاعْتِبَارِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ وَالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ وَبِاعْتِبَارِ الْمُسْنَدِ فِي
هَذِهِ وَالْمُسْنَدِ فِي هَذِهِ جَمِيعًا كَقَوْلِنَا : يَشْعُرُ زَيْدٌ وَيَكْتُبُ وَيُعْطَى وَيَمْنَعُ ، وَقَوْلُكَ :
زَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ وَزَيْدٌ طَوِيلٌ وَعَمْرٌو قَصِيرٌ ، إِذَا كَانَ عَمْرٌو بِسَبَبِ
مِنْ زَيْدٍ وَكَانَا كَالنَّظِيرَيْنِ وَالشَّرِيكَيْنِ ، وَبِحَيْثُ إِذَا عَرَفَ السَّامِعُ حَالِ الْأَوَّلِ
عَنْهُ أَنْ يَعْرِفَ حَالِ الثَّانِي ، بِخِلَافِ قَوْلِنَا : زَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ إِذَا لَمْ
يَكُونَا كَذَلِكَ ، بِخِلَافِ قَوْلِنَا زَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو طَوِيلٌ ، كَانَ كَذَلِكَ أَوْ لَا . قَالَ
الْشَّيْخُ فِي دَلَائِلِ الْإِعْجَازِ : أَعْلَمُ أَنَّهُ كَمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمَحْدُثُ عَنْهُ فِي أَحَدِ
الْجُمْلَتَيْنِ بِسَبَبِ مِنَ الْمَحْدُثِ عَنْهُ فِي الْآخَرَى ، كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ عَنِ
الثَّانِي مِمَّا يَجْرِي بِجَرَى الشَّبِيهِ وَالنَّظِيرِ أَوْ النَّقِيضِ لِلْخَبَرِ عَنِ الْأَوَّلِ ، فَلَوْ قُلْتُ

وَعَمْرُو طَوِيلٌ مُطْلَقًا . « السَّكَاكِيُّ » الْجَامِعُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ : إِمَّا عَقْلِيٌّ
بَأَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا اتِّحَادٌ فِي التَّصَوُّرِ أَوْ تَمَاثُلٌ ، فَإِنَّ الْعَقْلَ يَتَجَرَّيْدُهُ الْمِثْلَيْنِ
عَنِ التَّشْخِصِ فِي الْخَارِجِ يَرْفَعُ التَّمَدُّدَ ، أَوْ تَضَايُفُ كَمَا بَيْنَ الْعِلَّةِ وَالْمَعْلُولِ
أَوِ الْأَقْلِّ وَالْأَكْثَرِ ، أَوْ وَهْمِيٌّ بِأَنْ يَكُونَ بَيْنَ تَصَوُّرَيْهِمَا شِبْهُ تَمَاثُلٍ
كَلَوْنِي بَيَاضٍ وَصُفْرَةٍ ، فَإِنَّ الْوَهْمَ يُبْرِزُهُمَا فِي مَعْرِضِ الْمِثَالَيْنِ ، وَلِذَلِكَ
حَسَنَ الْجَمْعُ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ :

زيد طويل القامة وعمر وشاعر كان خلفا . ه هذا ، وقد قال السكاكي الجامع
بين الجملتين : إما عقلي أو وهمي أو خيالي . فالعقلي أن يكون بينهما اتحاد في
تصور مثل الاتحاد في الخبر عنه أوفى الخبر أوفى قيد من قيودهما ، أو تماثل ،
فإن العقل يتجريد المثلين عن التشخيص في الخارج يرفع التعدد عن البين ،
أو تضاييف كالذي بين العلة والمعلول ، والسبب والمسبب ، أو السفلى والعلو ،
والأقل والأكثر ، فالعقل يأبى أن لا يجتمعا في الذهن وأن العقل ساطع
مطاع . والوهمي هو أن يكون بين تصوريهما شبه تماثل ، نحو أن يكون الخبر
عنه في أحدهما لون بياض ، وفي الثانية لون صفرة ، فإن الوهم يحتمل في أن
يبرزهما في معرض المثلين ، وكما للوهم من حيل وإلا فعمليك بقوله :

(١) ربما تقول إن هذا يشعر بأنه يكفي للوصل أن يكون الجامع بين
الخبر عنها فقط أو الخبر بها فقط ، وأنت قد قلت آنفاً خلاف ذلك ، فإن
نقول كلام السكاكي هذا ليس إلا في بيان الجامع بين الجملتين ، وأما إن أي
قدر من الجامع يجب لصحة الوصل فنقفوض إلى مكان آخر .

ثَلَاثَةٌ تَشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا * شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
أَوْ تَضَادُّ ، كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَالْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ ، وَمَا يَتَّصِفُ بِهَا ،
كَالْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ وَالْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ ، أَوْ شَبْهُ تَضَادِّ ، كَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَالْأَوَّلِ وَالثَّانِي ، فَإِنَّهُ يُنَزِّلُهُمَا مَنَزِلَةَ التَّضَايُفِ ، وَلِذَلِكَ تَجِدُ الضِّدَّ
أَقْرَبَ خُطُورًا بِالْبَالِ مَعَ الضِّدِّ ، أَوْ خَيَالِيٍّ ، بَأَنَّهُ يَكُونُ بَيْنَ تَصَوُّرَيْهِمَا
تَقَارُنٌ فِي الْخَيَالِ سَابِقٌ ، وَأَسْبَابُهُ مُخْتَلِفَةٌ ، وَلِذَلِكَ اخْتَلَفَتِ الصُّوَرُ

ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر
وقل لي : ما الذي حسن الجمع بين الشمس وأبي إسحاق والقمر هذا التحسين
سواه أو بقوله :

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْعَرَّةِ فِي الْخَلْقِ مَطْمَعٌ فَذُو النَّجَّاسِ وَالسَّقَاءِ وَالذَّرُّ وَاحِدٌ
أو تضاد كالسواد والبياض والهمس والجهارة والطيب والنتن ، وكالتحرك
والسكون ، والقيام والقعود ، والإيمان والكفر ، وكالمتصفات بذلك في نحو :
الأسود والأبيض ، والمؤمن والكافر ، أو شبه تضاد كالذي بين نحو : السماء
والأرض ، والسهل والجبل ، والأول والثاني ، فإن الوهم ينزل المتضادين
والشبهين بهما منزلة المتضايدين فيجتهد في الجمع بينهما في الذهن ، ولذلك تجد
الضد أقرب خطورا بالبال مع الضد ، والخيال هو أن يكون بين تصوريهما
تقارن في الخيال سابق لأسباب مؤدية إلى ذلك ، فإن جميع ما ثبت في الخيال
يصل إليه من الخارج يثبت فيه على نحو ما يتأدى إليه ويتكرر لديه ،
ولذلك لما لم تكن الأسباب على وتيرة واحدة فيما بين البشر ، اختلفت الحال

الشَّابِتَةُ فِي الْخَيَالِ تَرْتَبًا وَوُضُوحًا ، وَلِصَاحِبِ عِلْمِ الْمَعَانِي فَضْلُ احْتِجَاجٍ
إِلَى مَعْرِفَةِ الْجَامِعِ ، لَا سِيَّمَا الْخَيَالِي ، فَإِنَّ جَمْعَهُ عَلَى تَجَرِّي الْإِلْفِ وَالْعَادَةِ

فِي ثُبُوتِ الصُّورِ فِي الْخَيَالَاتِ تَرْتَبًا وَوُضُوحًا فَكَمْ مِنْ صُورٍ تَتَعَانَقُ فِي الْخَيَالِ
وَهِيَ فِي آخِرِ لَيْسَتْ تَتَرَامَى ، وَكَمْ مِنْ صُورٍ لَا تَتَكَادُ تَلُوحُ فِي الْخَيَالِ وَهِيَ فِي
غَيْرِهِ نَارٌ عَلَى عِلْمٍ . يَحْكِي أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ ذَوِي الْحَرْفِ الْمُخْتَلَفَةِ وَصَفُوا الْكَلَامَ .
فَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا ثَقَبَتْهُ الْفِكْرَةُ وَنَظَّمَتْهُ الْفُطْنَةُ ، وَفَصَّلَ جَوْهَرُ
مَعَانِيهِ فِي سَمَطِ أَلْفَاظِهِ فُجَمَاتِهِ نَحْوُ الرِّوَاةِ . وَقَالَ الصِّيرَفِيُّ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا
نَقَدَتْهُ يَدُ الْبَصِيرَةِ ، وَجَلَّتْهُ عَيْنُ الرُّوِيَةِ ، وَوَزَنَهُ مَعْيَارُ الْفَصَاحَةِ ، فَلَا يَنْطِقُ فِيهِ
بِزَائِفٍ ، وَلَا يَسْمَعُ فِيهِ بِهَرَجٍ . وَقَالَ الصَّائِغُ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا أَحْمَيْتَهُ بِكَبِيرِ الْفِكْرِ
وَسَبَكْتَهُ بِمِشَاعِلِ النَّظَرِ وَخَلَصْتَهُ مِنْ خَبَثِ الْإِطْنَابِ ، فَبَرَزَ بَرُوزُ الْإِبْرَازِ مُرَكَّبًا
فِي مَعْنَى وَجِيزٍ . وَقَالَ الْحِدَادِيُّ : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا نَصَبْتَ عَلَيْهِ مَنَافِخَ الرُّوِيَةِ
وَأَشْعَلْتَ فِيهِ نَارَ الْبَصِيرَةِ ، ثُمَّ أَخْرَجْتَهُ مِنْ خَمِّ الْإِخَامِ ، وَرَقَقْتَهُ بَغْطِيسِ الْأَفْهَامِ .
وَقَالَ الْخَمَّارُ : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا طَبَخْتَهُ مَرَاجِلَ الْعِلْمِ ، وَضَمَنْتَهُ دَنَانِ الْحِكْمَةِ
وَصَفَّاهُ رَاوُوقَ الْفَهْمِ ، فَتَمَشَّتْ فِي الْمَفَاصِلِ عَذُوبَتُهُ وَفِي الْأَفْكَارِ رَفَّتُهُ ، وَسَرَتْ
فِي تَجَاوِيفِ الْعَقْلِ سُورَتُهُ وَحَدَّتُهُ . وَقَالَ الْبِرَازِيُّ : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا صَدَقَ رَقْمُ
أَلْفَاظِهِ وَحَسُنَ رِسْمُ مَعَانِيهِ ، فَلَمْ يَسْتَعْجِمْ عِنْدَ نُشْرِ ، وَلَمْ يَسْتَبْهَمْ عِنْدَ طَيِّ . وَقَالَ
الْكَحَالِيُّ : أَصَحُّ الْكَلَامِ مَا سَحَقْتَهُ فِي مَنَاجِرِ الذِّكَاةِ ، وَنَخَلْتَهُ بِحَرِيرِ التَّمْيِيزِ ، وَكَأَنَّ
أَنَّ الرَّمْدَ قَنْدِي الْعَيْنِ ، كَذَا الشَّهْبَةَ قَنْدِي الْبَصَائِرِ ، فَالْحُلُّ عَيْنِ اللَّكْنَةِ بِمِيلِ
الْبَلَاغَةِ ، وَأَجَلُ رَمْدِ الْغَفْلَةِ بِرُودِ الْيَقِظَةِ . وَلِصَاحِبِ عِلْمِ الْمَعَانِي فَضْلُ احْتِجَاجٍ
فِي هَذَا الْفَنِّ إِلَى التَّنْبِيهِ لِأَنْوَاعِ هَذَا الْجَامِعِ وَالتَّيَقُّظِ لَهَا ، لَا سِيَّمَا النَّوْعَ الْخَيَالِي ،
فَإِنَّ جَمْعَهُ عَلَى تَجَرِّي الْإِلْفِ وَالْعَادَةِ ، بِحَسَبِ مَا تَتَعَقَّدُ الْأَسْبَابُ فِي اسْتِدْعَاغِ

وَمِنْ مُحَسِّنَاتِ الْوَصْلِ تَنَاسُبُ الْجُمْلَتَيْنِ فِي الْأَسْمِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ ، وَالْفِعْلِيَّتَيْنِ

الصور خزانة الخيال ، فقل لي إذ لم يوفه حقه من التيقظ وأنه من أهل المدر ، أنى يستحلى كلام رب العزة مع أهل الوبر ، حيث يبصرهم الدلائل ناسقاً كذلك النسق : أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت ، لبعد البعير عن خياله في مقام النظر ثم لبعده في خياله عن السماء وبعد خلقه عن رفعها ، وكذا البواقي لكن إذا وقاه حقه بتيقظه لما عليه تقليبهم في حاجاتهم جاء الاستحلام ، وذلك إذا نظر أن أهل الوبر إذا كان مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشى كانت عنايتهم مصروفة لا محالة إلى أكثرها نفعاً وهي الإبل ، ثم إذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل إلا بأن ترعى وتشرب كان جل مرمى غرضهم نزول المطر ، وأهم مسارح النظر عندهم السماء ثم إذا كانوا مضطرين إلى مأوى يأويهم وإلى حصن يتحصنون فيه ، ولا مأوى ولا حصن إلا الجبال .

لَنَا جَبَلٌ يَحْتَمِلُهُ مِنْ نَجِيرِهِ مَنِيْعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَالِإِبِلِ

فما ظنك بالتمتات خاطرهم إليها ، ثم إذا تعذر طول مكثهم في منزل — ومن لأصحاب مواش بذلك — كان عقد الهمة عندهم بالتنقل من أرض إلى سواها من عزم الأمور ، فعند نظره هذا يرى البدوى إذا أخذ يفتش عما في خزانة الصور له لا يجد صورة الإبل حاضرة هناك ، أو لا يجد صورة السماء لها مقارنة أو تعوزه صورة الجبال بعدهما أو لا تنصاع إليه صورة الأرض بعدهن ؟ لا — وإنما الحضري حيث لم تتأخذ عنده تلك الأمور ، وما جمع خياله تلك الصور على ذلك الوجه إذا تلا الآية قبل أن يقف على ما ذكرت ظن النسق بحمله جميعاً . . هذا أذاقك الله حلاوة العلم وأشعر قلبك برد للميقين هو لباب ما قالوه

في المضي والمضارعة ، إلا لمانع .

﴿ تَذْنِيبٌ ﴾

أَصْلُ الْحَالِ الْمُنْتَقِلَةِ أَنْ تَكُونَ بِغَيْرِ وَאוٍ ، لِأَنَّهَا فِي الْمَعْنَى حُكْمٌ

في باب الفصل والوصل ، استخرجناه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين (إلا لمانع) كما إذا أريد بإحدهما التجدد ، وبالأخرى الثبوت كما إذا كان زيد وعمرو قاعدين ، ثم قام زيد دون عمرو ، فإنك تقول قام زيد وعمرو قاعد . قال السكاكي : وعلى هذا قوله تعالى : سواء عليكم ادعوتهم أم أنتم صامتون ، المعنى سواء عليكم أحدثتم الدعوة لهم أم استمر عليكم صمتكم عن دعائهم لأنهم كانوا إذا حزبهم أمر دعوا الله دون أصنامهم ، قال تعالى : وإذا مس الناس ضر الآية ، فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا عن دعوتهم صامتين ﴿ تَذْنِيبٌ ﴾ لما كانت الحال الواقعة جملة تارة تدخلها الواو ، وأخرى لا تدخل ، صار لها في الصورة حالتا فصل ووصل ، فناسب أن يذكر ذلك عقب الكلام على الفصل والوصل . وبعد ، فقد علمت أن من سنتنا في شرح هذا الكتاب أننا عند الكلام على المبحث الذي تلتحم أجزاؤه وتشترك كلماته ، نمرد إلى نظم شرحه في سمط واحد حتى يكون حين المتناول سهل المأخذ ، فنقول : الغرض الآن هو بيان أن الحال إذا وقعت جملة تجيء تارة مع الواو وأخرى بغير واو ، والكلام في ذلك مستدع تمهيد قاعدة ، وهي أن الحال نوعان : حال بالإطلاق (١) وحال تسمى مؤكدة ، وكل واحد من النوعين أصل في الكلام ، ولهما معاً نهج في الاستعمال واحد ، فأصل الثاني أن يكون وصفاً ثابتاً نحو : هو الحق بئناً ، وزيد أبوك شقيفاً ، وفي التنزيل :

(١) وهي التي تسمى المنقلة .

عَلَى صَاحِبِهَا كَالْخَبَرِ ، وَوَصَفَ لَهُ كَالنَّعْتِ ، لَكِنْ خُولِفَ هَذَا إِذَا

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ، وَأَصْلُ الْأَوَّلِ أَنْ يَكُونَ وَصْفًا غَيْرَ ثَابِتٍ مِنَ الصِّفَاتِ
الْجَارِيَةِ كَاسْمِ الْفَاعِلِ وَاسْمِ الْمَفْعُولِ نَحْوُ جَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا ، وَضَرَبْتُ اللَّصَّ مَكْتُوفًا ،
وَيَمْتَنِعُ أَنْ يُقَالَ : جَاءَ زَيْدٌ طَوِيلًا أَوْ قَصِيرًا ، أَوْ أَسْوَدًا أَوْ أَبْيَضَ ، اللَّهُمَّ إِلَّا
بِتَأْوِيلٍ ، وَنَهَجَهُمَا فِي الِاسْتِعْمَالِ أَنْ يَأْتِيَا عَارِيَيْنِ عَنْ حَرْفِ النَّفْيِ كَمَا يُقَالَ
هُوَ الْحَقُّ بَيْنَا دُونَ لَا خَفِيَا ، وَجَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا دُونَ لَا مَاشِيًا . وَالْأَصْلُ (١)
فِي النَّوْعَيْنِ أَنْ يَكُونَا بَغِيرَ الْوَائِ لَوْ جَوَّهُ : الْأَوَّلُ : أَنْ إِعْرَابُ الْحَالِ أَصْلٌ
لَيْسَ يَتَّبَعُ وَلَا بِجِالٍ لِلْوَائِ فِي الْمَعْرَبِ بِالْإِصَالَةِ لِأَنَّ الْإِعْرَابَ ذَالٌ عَلَى تَعْلُقِ
مَعْنَوِي هُنَاكَ ، فَذَلِكَ التَّعْلُقُ يَكُونُ مَغْنِيًا عَنْ تَكْلُفِ تَعْلُقِ آخَرٍ . الثَّانِي : إِنْ
حُكِمَ الْحَالُ مَعَ ذِي الْحَالِ أَبَدًا نَظِيرَ حُكْمِ الْخَبَرِ مَعَ الْخَبَرِ عَنْهُ ، أَلَا تَرَكَ إِذَا
الْفِعْلُ هُوَ ، فِي قَوْلِكَ هُوَ الْحَقُّ بَيْنَا ، بَقِيَ الْحَقُّ ، وَجَاءَ فِي قَوْلِكَ : جَاءَ زَيْدٌ
رَاكِبًا ، بَقِيَ زَيْدٌ رَاكِبًا ، وَضَرَبْتُ فِي قَوْلِكَ : ضَرَبْتُ اللَّصَّ مَكْتُوفًا ، اللَّصَّ
مَكْتُوفٌ ، فَتَنَجَّدَ الْحَالُ وَذَا الْحَالِ خَبَرًا وَخَبَرًا وَالْخَبَرُ لَيْسَ (٢) مَوْضِعًا لِدُخُولِ

(١) يُؤْخَذُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا وَجْهَ لِلصَّنْفِ فِي أَنْ يَقْبِدَ الْحَالُ بِالْمُنْتَقِلَةِ لِأَنَّ
أَصْلَ الْحَالِ مُطْلَقًا ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ وَجِبَ هَذَا الْأَصْلُ فِي الْمَوْكِدَةِ ، لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى
مَاقِبِلِهَا ، وَالْوَائِ تَوْذُنٌ بِالْمَغَايِرَةِ .

(٢) قَدْ يَخْدُشُ فِي هَذَا أَنْ الْأَخْفَشَ فِي طَائِفَةِ جَوْزِ دُخُولِ الْوَائِ فِي خَبَرٍ
كَانَ وَأَخْوَاتِهَا وَأَنْشَدُوا :

لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا وَفِيهِ إِذَا مَا قَابَلَتْهُ عَيْنُ الْبَصِيرِ اعْتِبَارُ
وَقَوْلُ الْهَامِئِ :

فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهُوَ غُرِيَابُ
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ وَكُنْتُ وَقَلْبِي يَدْسُ مِنْ الدُّخُولِ

كَانَتْ جُمْلَةً ، فَإِنَّهَا مِنْ حَيْثُ هِيَ جُمْلَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ بِالْإِفَادَةِ ، فَتَحْتَاجُ إِلَى مَا يَرْبُطُهَا بِصَاحِبِهَا ، وَكُلُّ مِنَ الضَّمِيرِ وَالْوَاوِ صَالِحٌ لِلرَّبْطِ ، وَالْأَصْلُ هُوَ الضَّمِيرُ ، بِدَلِيلِ الْمَفْرَدَةِ وَالْخَبَرِ وَالنَّعْتِ . فَالْجُمْلَةُ إِنْ خَلَتْ عَنْ ضَمِيرٍ صَاحِبِهَا وَجَبَ فِيهَا الْوَاوُ ، وَكُلُّ جُمْلَةٍ خَالِيَةٍ مِنْ ضَمِيرٍ مَا يَجُوزُ أَنْ يَنْتَضِبَ عَنْهُ حَالٌ يَصِحُّ أَنْ تَقَعَ حَالًا عَنْهُ بِالْوَاوِ إِلَّا الْمَصْدَرَةُ بِالمُضَارِعِ

وقد يجاب بأن أمثال ذلك مما ورد في على خلاف الأصل تشبيهاً بالحال . الثالث : أنها في الحقيقة وصف لذي الحال فلا يدخلها الواو كالنعت ، فظهر لك أن الأصل في الجملة إذا وقعت موقع الحال أن لا يدخلها الواو ، ولكن النظر إليها من حيث كونها جملة مفيدة مستقلة بفائدة غير متحدة بالأولى وغير منقطعة عنها لجهات جامعة بينهما يبدط العذر في أن يدخلهما ما يربطها بالأولى وكل واحد من الضمير والواو صالح للربط والأصل الضمير بدليل الاختصار عليه في الحال المفردة والخبر والنعت . وإذا تمدد هذا فاعلم أن الجملة التي تقع حالا ضربان : خالية عن ضمير ما تقع حالا عنه ، وغير خالية . أما الأولى فيجب أن تكون بالواو لأنها تصير منقطعة عنه غير مرتبطة به ، وكل جملة خالية عن ضمير ما يجوز (١) أن ينتصب عنه حال يصح أن تقع حالا عنه إذا كانت مع الواو إلا المصدرة بالمضارع المثبت كقولك : جاء زيد ويتكلم عمرو ، على أن يكون ويتكلم عمرو حالا عن زيد ، لما سيأتى أن ارتباط مثلها يجب أن يكون بالضمير وحده . وأما الثانية : فتارة يجب أن تكون بالواو وتارة

(١) بأن تكون فاعلاً أو مفعولاً ، معرفاً أو منكرأ مخصصاً . لا مبتدأ وخبراً ، ولا إنكرة محضة .

المُثَبَّتِ نَحْوُ : حَاءَ زَيْدٌ وَيَتَّبَعُكُمْ عَمْرُوٌ لِمَا سَيَأْتِي ، وَإِلَّا فَإِنْ كَانَتْ فِعْلِيَّةً
وَالْفِعْلُ مُضَارِعٌ مُثَبَّتٌ أُمْتَنَعَ دُخُولُهَا ، نَحْوُ : وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ، لِأَنَّ
الأَصْلَ الْمَفْرَدَةَ ، وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى حُصُولِ صِفَةٍ غَيْرِ ثَابِتَةٍ مُقَارِنٍ لِمَا

يُمْتَنَعُ ذَلِكَ ، وَتَارَةً يَتَرَجَّحُ أَحَدُهُمَا ، وَتَارَةً يَسْتَوِي الْأَمْرَانِ وَالْوَاوُ غَيْرُ مُنَافٍ
لِلضَّمِيرِ فِي إِفَادَةِ الرِّبْطِ ، فَتَعِينُ التَّنْبِيهُ عَلَى أَسْبَابِ الْاِخْتِلَافِ ، فَتَقُولُ الْجُمْلَةُ
إِمَّا أَنْ تَكُونَ فِعَالِيَّةً وَالْفِعْلُ مُضَارِعٌ مُثَبَّتٌ غَيْرُ مُنْفِي ، وَحِينَئِذٍ تُمْتَنَعُ الْوَاوُ بِلِ
تَرَى الْكَلَامَ عَلَى بَيِّنَتِهَا عَارِيَةً مِنَ الْوَاوِ كَقَوْلِهِ :
وقوله :

وَقَدْ غَلَوْتَ قَتُودَ الرَّحْلِ يَسْتَفْعِي يَوْمٌ تَجِيءُ بِهِ الْجُوزَاءُ مَسْمُومٌ (١)
وقوله :

وَأَتَمَدَّ أَغْتَدِي يَدَافِعُ رُكْنِي أَحْوَذِي ذُو مَيْعَةٍ إِضْرِيحُ (٢)
وَفِي التَّنْزِيلِ : وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ — وَسَيَجْنِبُهَا الْآتِقُ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ
يَتَزَكَّى — وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . قَالَ الْمُصَنِّفُ : وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ هُوَ أَنَّ
أَصْلَ الْحَالِ الْمَفْرَدَةَ أَنْ تَدُلَّ عَلَى حُصُولِ صِفَةٍ غَيْرِ ثَابِتَةٍ مُقَارِنٍ ذَلِكَ الْحُصُولِ
لِمَا جَعَلَتْ قِيداً لَهُ وَهُوَ الْعَامِلُ فِيهَا وَالْمُضَارِعُ الْمَثَبَتُ كَذَلِكَ ، أَمَّا دَلَالَتُهُ عَلَى
حُصُولِ صِفَةٍ غَيْرِ ثَابِتَةٍ فَلِأَنَّهُ فَعْلٌ مَثَبَتٌ وَالْفِعْلُ الْمَثَبَتُ يَدُلُّ عَلَى التَّجَدُّدِ وَعَدَمِ

(١) الْقَتُودُ جَمْعُ قَتَدٍ : وَهُوَ خَشَبُ الرَّحْلِ الْمَعْمُودِ ، وَيُسْفَعُهُ الْيَوْمُ : يَأْخُذُهُ
بَحْرُهُ فَيُغَيِّرُ لَوْنَهُ ، وَأَصْلُهُ تَأْثِيرُ النَّارِ وَتَعْلِيمُهَا مَا تُصِيبُهُ ، وَالْجُوزَاءُ : بَرَجُ تَنْزِلِهِ
الشَّمْسِ فِي آخِرِ الرَّبِيعِ ، وَحِينَئِذٍ تَهْبِ الرِّيَّاحُ الْحَارَّةُ وَالْيَوْمُ مَسْمُومٌ رِيحُهُ حَارَّةٌ .
(٢) الْأَحْوَذِي : الْحَاذِقُ ، وَمَيْعَةُ الْفَرَسِ : أَوَّلُ جَرِيهِ وَأَنْشَطُهُ ،
وَالْإِضْرِيحُ : الْفَرَسُ الشَّدِيدُ الْعَدُو .

جُعِلَتْ قَيْدًا لَهُ ، وَهُوَ كَذَلِكَ ، أَمَّا الْحُصُولُ فَلْيَكُونِ فِعْلاً مُثْبِتًا ،
وَأَمَّا الْمُقَارَنَةُ فَلْيَكُونِ مَضَارِعًا ، وَأَمَّا مَا جَاءَ مِنْ نَحْوِ : قُمْتُ وَأَصُكُ
وَجِبَهُ ، وَقَوْلُهُ :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظْلَافِيَرَهُمْ نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِيكََا
فَقِيلَ عَلَى حَذْفِ الْمَبْتَدَأِ ، أَيْ : وَأَنَا أَصُكُ وَأَنَا أَرْهَنْتُهُمْ ، وَقِيلَ
الْأَوَّلُ شَاذٌ وَالثَّانِي ضَرُورَةٌ ، وَقَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : هِيَ فِيهِمَا لِلْعَطْفِ وَالْأَصْلِ

الثبوت ، وأما دلالة على المقارنة فليكونه مضارعاً وهو يصلح للحال . وأما
قول ابن همام السلولى :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظْلَافِيَرَهُمْ نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِيكََا
« فى رواية من رواه وأرهنهم ، وما شبهوه به من قولهم . قمت وأصك
وجهه ، فقيل على حذف المبتدأ ، أى وأنا أرهنهم وأنا أصك ، فتكون الجملة
اسمية ، وقيل الأول ضرورة والثانى شاذ . وقال الشيخ الإمام : ليست الواو
فيهما للحال بل هى للعطف ، وأرهن وأصك بمعنى رهننت وصككت ، وعدل
إلى صيغة المضارع لحكاية الحال كما فى قوله :

وَلَقَدْ أَمَرْتُ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي فَمَضَيْتُ ثُمَّ قُلْتُ لَا يَعْزِينِي
يبين ذلك أنك ترى الفاء تجيء مكان الواو فى مثل هذا ، وذلك كنهجو ما فى
الخبر فى حديث عبد الله بن عتيك حين دخل على أبى رافع اليهودى حصنه قال :
فانتهيت إليه فإذا هو فى بيت مظلم لا أدرى أنى هو من البيت ، فقلت
أبا رافع ، فقال من هذا ، فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف ، وأنا دهش ،
فكما أن أضربه مضارع قد عطفه بالفاء على ماض لأنه فى المعنى ماض ،

وَصَكَّكَتْ وَرَهَنْتُ ، عَدِلَ عَنْ لَفْظِ الْمَاضِي إِلَى الْمُضَارِعِ لِحِكَايَةِ الْحَالِ
وَإِنْ كَانَ مَنفِيًّا فَالْأَمْرَانِ ، كَقِرَاءَةِ ابْنِ ذَكْوَانَ : فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ
بِالتَّخْفِيفِ وَنَحْوِ : وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ لِدَلَالَتِهِ عَلَى الْمُقَارَنَةِ لِكَوْنِهِ مُضَارِعًا

كذلك يكون أمرهم معطوفاً على الماضي قبله ، وكما لا يشك في أن المعنى في
الخبر فأهويت فضربت ، كذلك يكون المعنى في البيت نجوت ورهنت . قلنا
إن الجملة إن كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع الواو ، أما إن دخل
حرف تنى على المضارع فإنه يجوز فيه الأمران ، وذلك مثل قراءة ابن ذكوان :
فاستقيما ولا تتبعان ، بتخفيف النون (١) ، وقولهم : كنت ولا أخشى بالذنب ،
وقول مسكين الدارمي :

أَكْسَبَتْهُ الْوَرِقُ الْبَيْضُ أَبَاً وَلَقَدْ كَانَ وَلَا يُدْعَى لِأَبٍ

وقول مالك بن ربيع وكان جنى جناية فطابه مصعب بن الزبير :

أَتَانِي مُصْعَبٌ وَبَنُو أَبِيهِ فَأَيْنَ أَحِيدُ عَنْهُمْ لَا أَحِيدُ

أَقَادُوا مِنِّي دَمِي وَتَوَعَّدُونِي وَكُنْتُ وَمَا يَنْهَنِي الْوَعِيدُ

كان في هذا كله نامة ، والجملة الداخل عليها الواو في موضع الحال ولا معنى
لجعلها ناقصة ، وجعل الواو مزيدة وليس بجى المضارع حالا على هذا الوجه
بمعزى في الكلام ألا تراك تقول : جعلت أمشى ولا أدري أين أضع رجلي ،
وجعل يقول ولا يدري ، وقال أبو الأسود :

يُصِيبُ مَا يَدْرِي وَيُخْطِئُ وَمَا دَرَى وَكَيْفَ يَكُونُ النَّوْكَ إِلَّا كَذَلِكَ

(١) فإنها تكون حينئذ نون رفع وتكون لا للنفي دون النهى والواو للحال .

ذَوْنَ الْحُصُولِ لِكَوْنِهِ مَنفِيًّا . وَكَذَا إِنْ كَانَ مَاضِيًّا لَفْظًا أَوْ مَعْنَى
كَقَوْلِهِ تَعَالَى : أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ، وَقَوْلُهُ : أَوْجَاؤُكُمْ

وهو شائع كثير . ومثال مجيء المضارع منفيًا حالًا من غير واو قوله :
مَضُوءًا لَا يُرِيدُونَ الرِّيحَ وَغَالَهُمْ مِنْ الدَّهْرِ أَسْبَابُ جَرِينٍ عَلَى قَدَرٍ
وقول أُرطاة بن سمية وهو لطيف جدًا :

إِنْ تَلَقَّنِي لَا تَرَى غَيْرِي بِنَظَرَةٍ تَنْسَى السِّلَاحَ وَتَعْرِفُ جَبْهَةَ الْأَسَدِ
فقوله لا ترى في موضع حال ، ومثله في اللطف قول أعشى همدان وصحب
عباد بن ورقاء إلى أصبهان فلم يحمدوه فقال :

أَتَيْنَا إِصْبَهَانَ فَهَزَلْتَنَا وَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ فِي نَعِيمٍ
وَكَانَ سَفَاهَةً مِنِّي وَجَهْلًا مَسِيرِي الْأَسِيرُ إِلَى حِمِيمٍ

وقال خالد بن يزيد بن معاوية :

لَوْ أَنِّي قَوْمًا لَا ارْتِفَاعَ قَبِيلَةٍ دَخَلُوا السَّمَاءَ دَخَلْتُهَا لَا أَحْجَبُ

وهو كثير إلا أنه لا يهتدى إلى وضعه بالموضع المرضي إلا من كان
صحيح الطبع ، قال المصنف : والسبب في جواز الأمرين هو دلالة المضارع على
المقارنة لكونه مضارعاً دون الحصول لكونه منفيًا ، أي والمقارنة يناسبها
ترك الواو وعدم الحصول يناسبه وجودها . وأما ، إِنْ كَانَ الْفِعْلُ مَاضِيًّا لَفْظًا
أَوْ مَعْنَى ، فكذلك مجيء بالواو وبغير الواو ، أما بجيشه بالواو فالكثير الشائع
كقولك : أَنَانِي وَقَدْ جَهَدَ السَّيْرَ ، وقال تعالى : أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ
الْكِبَرُ ، وقال امرؤ القيس :

أَتَقْتُلْنِي وَقَدْ شَفَعْتُ فُؤَادَهَا كَمَا شَفَعَ الْمَهْنُوءَةُ الرَّجُلَ الطَّالِي

حَصَرْتُ صُدُورَهُمْ، وَقَوْلِهِ : أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ، وَقَوْلِهِ :
فَانْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ أَمْ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ ، وَقَوْلِهِ : أَمْ حَسِبْتُمْ أَن

وقال :

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضْتُ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا لَدَى السُّتْرِ إِلَّا لِبَسَةَ الْمُتَفَضِّلِ
هذا في الماضي لفظاً ، وأما الماضي (١) معنى فمثاله قوله تعالى : أو قال أوحى
إلى ولم يوح إليه شيء ، وقوله : أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ، وقول كعب :
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أَذِيبْ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ
وقوله تعالى : أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن
قَبْلِكُم وَقَوْلِ الشَّاعِر :

بِأَنْتَ قَطَامٌ وَأَمَّا يَحْظُ ذُو مِقَّةٍ مِنْهَا بِوَصْلِ وَلَا إِنْجَازٍ مِّمَّعَادٍ
وأما بغير الواو فكقوله تعالى : أو جاؤكم حصرت صدورهم وقول الشاعر :
يَتَشُونُ قَدْ كَسَرُوا الْجُفُونَ إِلَى الْوَعَى مُتَبَسِّمِينَ وَفِيهِمْ اسْتِبْشَارُ
وقوله :

فَأَبُوا بِالرَّمَاكِ مَكْسَرَاتٍ وَأَبْنَا بِالسُّيُوفِ قَدْ انْحَنَيْنَا
وقول الآخر :

مَتَى أَرَى الصُّبْحَ قَدْ لَاحَتْ نَحَائِلُهُ وَاللَّيْلَ قَدْ مَزَّقَتْ عَنْهُ السَّرَابِيلُ
وكقوله تعالى : فَانْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ ، وقوله : ورد
الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً له ، وقول امرئ القيس :

(١) المراد به المضارع المنفى ولم .

تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ؛ أَمَّا الْمَثَبَتُ
فَلِدَلَالَتِهِ عَلَى الْحُصُولِ ، لِكَوْنِهِ فِعْلاً مُثَبَّتًا ، دُونَ الْمُقَارَنَةِ ، لِكَوْنِهِ مَاضِيًا
وَلِهَذَا اشْتَرَطَ أَنْ يَكُونَ مَعَ قَدْ ظَاهِرَةً أَوْ مُقَدَّرَةً ، وَأَمَّا الْمُنْفَى فَلِدَلَالَتِهِ
عَلَى الْمُقَارَنَةِ دُونَ الْحُصُولِ ؛ أَمَّا الْأَوَّلُ فَلِأَنَّ لَمَّا لِلِاسْتِغْرَاقِ ، وَغَيْرُهَا
لِانْتِفَاءٍ مُتَقَدِّمٍ مَعَ أَنَّ الْأَصْلَ اسْتِمْرَارُهُ ، فَتَحْصُلُ بِهِ الدَّلَالَةُ عَلَيْهَا

* فَأَذْرَكَ لَمْ يَجْهَدْ وَلَمْ يَشْنِ شَأْوُهُ *

وقول زهير :

كَأَنَّ فِتَاةَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَّانٍ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحْطَمِ

وقول الآخر :

فَقَالَتْ لَهُ الْعَيْنَانِ سَمْعًا وَطَاعَةً وَحَدَّرَتَا كَالدَّرِّ لَمَّا يُشَقَّبُ

قال المصنف : والسبب في أن جاز الأسران فيه إذا كان مثبتاً دلالة على
حصول صفة غير ثابتة لِكَوْنِهِ فِعْلاً ، وعدم دلالة على المقارنة لِكَوْنِهِ مَاضِيًا ،
ولهذا اشترط أن يكون مَعَ قَدْ ظَاهِرَةً أَوْ مُقَدَّرَةً حتى تقربه إلى الحال فيصح
وقوعه حالا ، وظاهر هذا يقتضى وجوب الواو في المنفى لانتفاء المعنيين ،
لكنه لم يجب فيه بل كان مثله ، أما المنفى بلداً فلأنها للاستغراق ، وأما المنفى
بغيرها فلأنه لما دل على انتفاء متقدم وكان الأصل استمرار ذلك حصلت

(١) يقول كأن قطع الصوف المصبوغ الذي زيات به الموادج في كل

منزل نزله هؤلاء النسوة حب غيب الثعلب في حال كونه غير محطم لأنه إذا
حطم زابله لونه .

عِنْدَ الْإِطْلَاقِ ، بِخِلَافِ الْمُثَبَّتِ ، فَإِنَّ وَضْعَ الْفِعْلِ عَلَى إِفَادَةِ التَّجَدُّدِ وَتَحْقِيقُهُ أَنَّ اسْتِمْرَارَ الْعَدَمِ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى سَبَبٍ ؛ بِخِلَافِ اسْتِمْرَارِ الْوُجُودِ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَلِكَوْنِهِ مَنْفِيًّا . وَإِنْ كَانَتْ اِسْمِيَّةً فَلَمَشْهُورُ جَوَازُ تَرْكِهَا لِعَكْسِ مَا مَرَّ فِي الْمَاضِي الْمُثَبَّتِ ، نَحْوُ : كَلَّمَتْهُ فَوْهُ إِلَى فِيَّ

الدلالة على المقارنة عند إطلاقه بخلاف المثبت ، فإن وضع الفعل على إفادة التجدد ، وتحقيق هذا أن استمرار العدم لا يفتقر إلى سبب ، بخلاف استمرار الوجود كما بين في غير هذا العلم ، وأما ، إن كانت الجملة اسمية فالمشهور جواز الأمرين ، وأن يجيء الواو أولى ، مثال وجود الواو قوله تعالى : فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ مُتَدَادًا ، وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ، وقول الشاعر :

لِيَالِي بَدَعُونِي الْهَوَى وَأَجِيْبُهُ وَأَعَيْنُ مَنْ أَهْوَى إِلَى رَوَانٍ

ومثال تركها ما رواه سيبويه كلمته فوه إلى في ورجع عوده على بدئه ، في قول من رفع وبيت الإصلاح :

فَصَفَّ النَّهَارُ الْمَاءَ غَامِرَةً وَرَفِيقَهُ بِالْغَيْبِ لَا يَدْرِي^(١)

وما أنشده أبو علي في الإغفال :

وَلَوْ لَا خِنَارُ اللَّيْلِ مَا آتَى غَامِرَةً إِلَى جَعْفَرٍ سِرْبَالُهُ لَمْ يُمَزَّقْ

وقول الآخر :

* مَا بَالُ عَيْنِكَ دَمْعُهَا لَا يَرَقَا *

(١) يصف غائماً على الدر : يقول إنه بقي غائماً تحت الماء من الصباح

إلى الظهر ورفيقه الممسك بالحبل على البر لا يدري .

وَأَنَّ دُخُولَهَا أَوَّلَى ، لِعَدَمِ دَلَالَتِهَا عَلَى عَدَمِ الثَّبُوتِ ، مَعَ ظَهْوَرِ الاسْتِثْنَاءِ فِيهَا ، فَحَسُنَ زِيَادَةُ رَابِطٍ ، نَحْوُ : فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؛ وَقَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : إِنْ كَانَ الْمُبْتَدَأُ ضَمِيرَ ذِي الْحَالِ وَجَبَتْ ، نَحْوُ : تَجَاءَ زَيْدٌ وَهُوَ

قال المصنف : أما جواز الأمرين فلنعكس مامر في الماضي المثبت يعنى دلالة الاسم على المقارنة لكونها مستمرة لا على حصول صفة غير ثابتة لدالاتها على الدوام والثبوت ، وأما أن يجيء الواو أولى فلعدم دلالة الاسم على عدم الثبوت مع ظهور الاستثناء فيها لاستقلالها بالفائدة فتحسن زيادة رابطة ليتأكد الربط ، وقال ، الشيخ الإمام : إِنْ كَانَ الْمُبْتَدَأُ ضَمِيرَ ذِي الْحَالِ وَجَبَ الْوَائِي . كَقَوْلِكَ جَاءَ زَيْدٌ وَهُوَ يَسْرَعُ أَوْ وَهُوَ مَسْرَعٌ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْجُمْلَةَ لَا تَتْرَكُ فِيهَا الْوَائِي حَتَّى تَدْخُلَ فِي صِلَةِ الْعَامِلِ وَتَنْضُمَ إِلَيْهِ فِي الْإِثْبَاتِ ، وَتَقْدِرُ تَقْدِيرَ الْمَفْرُودِ فِي أَنْ لَا يَسْتَأْنَفُ لَهَا الْإِثْبَاتُ وَهَذَا يَمْتَنِعُ فِي نَحْوِ جَاءَ زَيْدٌ وَهُوَ يَسْرَعُ أَوْ وَهُوَ مَسْرَعٌ ، لِأَنَّكَ إِذَا أَعْدَدْتَ ذَكَرَ زَيْدٍ وَجِئْتَ بِضَمِّهِ الْمُنْفَصِلِ الْمَرْفُوعِ كَانَ مَمْنُوعًا لِإِعَادَةِ اسْمِهِ صَرِيحًا فِي أَنَّكَ لَا تَجِدُ سَبِيلًا إِلَى أَنْ تَدْخُلَ يَسْرَعُ فِي صِلَةِ الْجَمْعِ وَتَضُمَّهُ إِلَيْهِ فِي الْإِثْبَاتِ لِأَنَّ إِعَادَةَ ذِكْرِهِ لَا تَكُونُ حَتَّى تَقْصِدَ اسْتِثْنَاءَ الْخَبَرِ عَنْهُ بِأَنَّهُ يَسْرَعُ وَإِلَّا اسْكَنْتَ تَرَكْتَ الْمُبْتَدَأَ بِمَضْيَعَةٍ وَجَعَلْتَهُ لَفْظًا فِي الْبَيِّنِ ، وَجَرَى مَجْرَى أَنْ تَقُولَ : جَاءَ زَيْدٌ وَعَمْرٌو يَسْرَعُ أَمَامَهُ ، ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَمْ تَسْتَأْنَفْ كَلَامًا وَلَمْ تَبْتَدِئْ بِالسَّرْعَةِ إِثْبَاتًا ، وَعَلَى هَذَا فَالْأَصْلُ وَالْقِيَاسُ أَنْ لَا تَجِيءَ الْجُمْلَةُ الْأَسْمِيَّةُ إِلَّا مَعَ الْوَائِي وَمَا جَاءَ بِدُونِهِ فَسَبِيلُهُ سَبِيلُ الشَّيْءِ الْخَارِجِ عَنِ قِيَاسِهِ وَأَصْلُهُ بِضَرْبٍ مِنَ التَّأْوِيلِ وَنَوْعٍ مِنَ التَّشْبِيهِ فَقَوْلُهُمْ : فَوَّهَ إِلَى فِي ، مَعْنَاهُ مَشَافَهًا ، وَقَوْلُهُمْ : عَوْدَهُ عَلَى بَدَنِهِ ، مَعْنَاهُ ذَاهِبًا فِي طَرِيقِهِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ :

يسرع أو وهو مسرع ، وإن جعل نحو : على كتفه سيفٌ حالاً كثر

إذا أتيت أبا مروان تسأله وجده حاضر الجود والكرم

فلأنه بسبب تقديم الخبر قرب في المعنى من قولك وجده حاضر عنده الجود والكرم ، وتنزيل الشيء منزلة غيره ليس بعزيز في كلامهم ، ويجوز أن يكون جميع ذلك على إرادة الواو كما جاء الماضي على إرادة قد . (وبعد) فقد وجب علينا الآن أن نتحفظ أيها القارئ بما قاله ذلك الإمام في بيان العلل والأسباب التي اقتضت أن يختلف الأمر بالجل الواقعة حالا هذا الاختلاف وأن يكون ههنا جملة لا تصلح إلا مع الواو ، وأخرى لا تصلح فيها الواو ، وثالثة تصلح أن تجيء فيها بالواو وأن تدعها . (قال) ما فواه إن كل جملة وقعت حالا ثم امتنعت من الواو فذاك لأجل أنك عمدت إلى الفعل الواقع في صدرها فضممته إلى الفعل الأول في إثبات واحد ، وكل جملة جاءت حالا ثم اقتضت الواو فذاك لأنك مستأنف بها خبراً ، فإذا قلت جاءني زيد يسرع ، كان بمنزلة جاءني مسرعاً في أنك تثبت له مجيئاً فيه إسراع وتصل أحد المعنيين بالآخر ، وتكمل الكلام خبراً واحداً ، كأنك قلت جاءني بهذه الهيئة ، وإذا قلت جاءني زيد وهو مسرع أو وغلامه يسعى بين يديه أو وسيفه على كتفه كان المنى على أنك بدأت فأثبت المجيء ثم استأنفت خبراً وابتدأت لإثباتاً ثانياً لما هو مضمون الحال ولهذا احتيج إلى ما يربط الجملة الثانية بالأولى فجاء بالواو كما جرى بهما في قولك العلم حسن والجهل فبيع ، وتسميتنا لها واو حال لا تخرجها عن كونها مجتلية لضم جملة إلى جملة كالفاء في جواب الشرط ، فإنها بمنزلة العاطفة في أنها جاءت لربط جملة ليس من شأنها أن ترتبط بنفسها ، فالجملة في نحو : جاءني زيد يسرع ، بمنزلة الجزاء المستغنى عن الفاء ، لأن من شأنه أن يرتبط بنفسه ، والجملة في نحو جاءني زيد وهو مسرع أو وغلامه

فِيهَا تَرَاهُ كَمَا ، نَحْوُ * خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِي عَلَى سَوَادٍ * وَيَحْسُنُ التَّرْكُ تَارَةً .
لِدُخُولِ حَرْفٍ عَلَى الْمُبْتَدَأِ كَقَوْلِهِ :

فَقُلْتُ عَسَى أَنْ تُبْصِرَ بَنِي حَوَالِي الْأَسْوَدُ الْخَوَارِدُ

يسعى بين يديه أو رسيفه على كتفه بمنزلة الجزاء الذي ليس من شأنه أن يرتبط
بنفسه (ثم) قال الشيخ : وإن جعل نحو على كتفه سيف بتقديم الظرف حالا عن
شيء كافٍ قولنا جاءني زيد على كتفه سيف كثر فيها أن تجيء بغير واو كقول بشار :
إِذَا أَنْكَرْتَنِي بَلَدَةً أَوْ نَكْرَتَهَا خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِي عَلَى سَوَادٍ
يعنى على بقية من الليل ، وقول أمية :

فَاشْرَبْ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مَرْتَفَعًا فِي رَأْسِ نَمْدَانَ دَارًا مِنْكَ مَحَلًّا
وقول الآخر :

لَقَدْ صَبِرْتُ لِلْأَمْرِ أَغْوَادَ مَنَازِلَ تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ قَضِيبُ

ثم قال : والوجه أن يقدر الاسم في الأمثلة مرتفعاً بالظرف فإنه جاز
باتفاق من صاحب الكتاب ، وأن الحسن لا يعتمد على ما قبله . ثم ينبغي أن
يقدر همنا خصوصاً أن الظرف في تقدير اسم الفاعل دون الفعل ، اللهم إلا
أن يقدر فعلاً ماضياً مع قد (ومن) كلام الشيخ قوله : وما ينبغي أن يراعى
في هذا الباب أنك ترى الجملة قد جاءت حالا بغير واو ويحسن ذلك ، ثم تنظر
فترى أنك إنما حسن من أجل حرف دخل عليها مثاله قول الفرزدق :

فَقُلْتُ عَسَى أَنْ تُبْصِرَ بَنِي حَوَالِي الْأَسْوَدُ الْخَوَارِدُ (١)

فإنه لولا دخول كأن عليه ، لم يحسن الكلام إلا بالواو ، كقولك عسى

(١) الخوارد : جمع حورد ، وهو المجتمع الخاق المهيّب المانظر يرى لغزته
كالغضبان .

وَأُخْرَى لِرُفُوعِ الْجُمْلَةِ الْأَسْمِيَّةِ بِعَقَبِ مُفْرَدٍ ، كَقَوْلِهِ :
وَاللَّهُ يُبْقِيكَ لَنَا سَالِمًا * بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمٌ

﴿ الْإِيحَازُ وَالْإِطْنَابُ وَالْمَسَاوَاةُ ﴾

السكاكي : أما الإيحازُ والإطنابُ فليكونيهما نِسْبَتَيْنِ لَا يَتَيَسَّرُ
الْكَلَامُ فِيهِمَا إِلَّا بِتَرْكِ التَّحْقِيقِ وَالتَّعْيِينِ ، وَالْبِنَاءِ عَلَى أَمْرِ عُرْفِيٍّ ،
وَهُوَ مُتَعَارَفُ الْأَوْسَاطِ ، أَيْ كَلَامُهُمْ فِي مَجْرَى عُرْفِهِمْ فِي تَأْدِيَةِ
الْمَعَانِي ، وَهُوَ لَا يُحْمَدُ فِي بَابِ الْبَلَاغَةِ وَلَا يَذَمُّ ؛ فَالْإِيحَازُ أَدَاةُ الْمَقْصُودِ

أن تبصريني وبني حوالى الأسود . وشديه بهذا أن تقع حالا بعقب مفرد حال
فيلطف مكانها ، بخلاف مالوا أفردت ، كقول ابن الرومي :

وَاللَّهُ يُبْقِيكَ لَنَا سَالِمًا * بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمٌ

فإنه لو قال : والله يبقيك لنا برداك تبجيل لم يكن شيئاً ﴿ الإيحاز والإطناب ﴾
هو باب رفيع المنزلة شامخ في الشرف بل هو أنف البلاغة الذي تعطس منه وناهاها
الذي تفرغ عنه وقديماً تكلم العلماء فيه وأفردوه بالقول والإيضاح واقتدأت المصنف
رحمه الله منه بجملة صالحة سنظم إليها ما تسكن إليه النفس وينتاج منه الصدر إن
شاء الله (نسبيين) لأن الموجز إنما يكون موجزاً بالنسبة إلى كلام أزيد منه ،
وكذا المطنب إنما يكون مطنباً بالنسبة إلى ما هو أنقص منه (الأوساط) أي
الذين لم يرتقوا إلى ذروة البلاغة ولم يتدلوا إلى حضيض العي والفهامة (وهو)

بِأَقَلِّ مِنْ عِبَارَةِ الْمُتَعَارَفِ ، وَالْإِطْنَابُ أَدَاوُهُ بِأَكْثَرِ مِنْهَا ، ثُمَّ قَالَ :
 الْإِخْتِصَارُ لِكَوْنِهِ نِسْبِيًّا يُرْجَعُ فِيهِ نَازِعَةٌ إِلَى مَا سَبَقَ ، وَأُخْرَى إِلَى كَوْنِ
 الْمَقَامِ خَلِيقًا بِأَبْسَطِ مِمَّا ذَكَرَ ؛ وَفِيهِ نَظَرٌ ، لِأَنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ نِسْبِيًّا
 لَا يَقْتَضِي تَعَسَّرَ تَحْقِيقِ مَعْنَاهُ ، ثُمَّ الْبِنَاءُ عَلَى الْمُتَعَارَفِ وَالْبَسْطُ الْمُوصُوفِ
 رَدٌّ إِلَى الْجِهَالَةِ ، وَالْأَقْرَبُ أَنْ يُقَالَ : الْمَقْبُولُ مِنْ طَرُقِ التَّعْبِيرِ عَنِ الْمُرَادِ
 تَأْدِيَةُ أَصْلِهِ بِلَفْظٍ مُسَاوٍ لَهُ أَوْ نَاقِصٍ عَنْهُ وَاقِفٍ ، أَوْ زَائِدٍ عَلَيْهِ لِفَائِدَةٍ ؛
 وَاحْتِرَازَ يَوَافٍ عَنِ الْإِخْلَالِ ، كَقَوْلِهِ :

وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلَالِ لِي النُّوْكِ مِمَّنْ عَاشَ كَدًّا

أَيُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي هُوَ مُتَعَارَفُ الْأَوْسَاطِ (إِلَى مَا سَبَقَ) أَيُّ إِلَى اعْتِبَارِ
 مُتَعَارَفِ الْأَوْسَاطِ (عِنْدَ ذِكْرِ) أَيُّ عِنْدَ ذِكْرِ فِي الْمَقَامِ (ثُمَّ الْبِنَاءُ عَلَى الْمُتَعَارَفِ
 وَالْبَسْطُ الْمُوصُوفِ) بَأَنَّ يُقَالُ الْإِيجَازُ قَدْ يَكُونُ لِكَوْنِهِ أَقَلُّ مِنَ الْمُتَعَارَفِ
 وَقَدْ يَكُونُ لِكَوْنِهِ لِمَقَامِ خَلِيقًا بِكَلَامٍ أَبْسَطَ مِنْ الْكَلَامِ الْمَذْكُورِ ، هَذَا ،
 وَقَدْ نَصَرَ الْقَوْمُ صَاحِبَ الْمِفْتَاحِ عَلَى الْمُصَنِّفِ بِمَا لَا يَسَعُهُ شَرْحُنَا وَلَيْسَ بِطَالِبِ
 الْبَلَاغَةِ حَاجَةً وَحِيدًا صَدِيعَ الْمُصَنِّفِ لَوْ كَانَ كَفَى نَفْسَهُ مَوْثِقَةُ الْإِعْتِرَاضِ بَعْدَ
 وَلَهُ عَنِ كَلَامِ السَّكَكِيِّ ، وَقَصْدُهُ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ إِلَى مَا هُوَ بِالْبَلَاغَةِ أَمْسَ وَبِمُصَنَّفِهِ
 أَلِيقَ (عَنِ الْإِخْلَالِ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ قَاصِرًا عَنْ أَدَاءِ الْمَعْنَى ، كَقَوْلِ
 الْحَرِثِ بْنِ حِلْزَةَ الْبِشْكَرِيِّ :

وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلَالِ لِي النُّوْكِ مِمَّنْ عَاشَ كَدًّا

أَرَادَ وَالْعَيْشُ النَّاعِمُ خَيْرٌ فِي ظِلَالِ النُّوْكِ — بَعْضُ النُّونِ وَفَتْحُهَا الْحَقُّ —

أَيِّ النَّاعِمِ فِي ظِلَالِ الْعَقْلِ ، وَبِفَائِدَةٍ عَنِ التَّطْوِيلِ ، نَحْوُ :
 * وَأَلْفِي قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنًا * وَعَنِ الْخُشْوِ الْمُسَدِّ كَالْنَدَى فِي قَوْلِهِ :
 وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى * وَصَبْرِ الْفَتَى لَوْلَا لِقَاءُ شُعُوبِ

من العيش الشاق في ظلال العقل . وليس يدل لحن كلامه على هذا ، فهو من الإيجاز المقصر ، ومن ذلك قول الآخر :

أَتَأْذِلُّ عَاجِلُ مَا أَشْتَهَى أَحَبُّ مِنَ الْأَكْثَرِ الرَّائِثِ
 يريد عاجل ما أشتهى مع الفلة ، أحب إليه من رائثه مع الكثرة ، ومثله قول عروة بن الورد

تَجِبْتُ لَهُمْ إِذْ يَقْتُلُونَ نَفْسَهُمْ وَمَقْتُلُهُمْ عِنْدَ الْوَعَى كَانَ أَعْذَرًا
 يعني إذ يقتلون نفوسهم في السلم (عن التطويل) وهو أن لا يتعين الزائد في الكلام كقول عدى بن زيد العبادي من قصيدته التي أولها :
 أَبَدَّاتِ الْمَنَازِلُ أُمَّ عَيْنِنَا بِقَادِمِ عَهْدِهِنَّ فَقَدْ بَلَيْنَا
 وهو يذكر غدر الزباء بجذيمة الأبرش :

وَقَدَّدَتِ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ وَأَلْفِي قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنًا

فإن الكذب والمين واحد . ولا يتعين أحدهما للزيادة ، والتقدير : التقطيع ، والأديم : الجلد ، والرهشان : العرقان في باطن الذراع (في قوله) أي قول أبي الطيب المتنبي (ولا فضل فيها) يقول : لا فضل في الدنيا للشجاعة والصبر والندي لولا الموت . وهذا الحكم صحيح في الشجاعة والصبر دون الندي ، لأن الشجاع إذا علم علماً ليس بالظن أنه يخلد في الدنيا ، هان عليه اقتحام الحروب والمعارك لأمنه من الهلاك إذ ذاك فلم يكن هنا فضل ، وكذا الصابر

وغير المفسد ، كقوله : * وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ *

إذ أيقن بزول المسكروه وبقاء العمر هان عليه صبره لو ثوقه بالخلاص ، وأما
الندى فعلى العكس من ذلك ، لأن الباذل إذا علم أنه يموت هان عليه بذله .
ولهذا يقول إذا عوتب فيه كيف لا أبذل مالا أبقى له أنى أبقى بالتمتع بهذا
المال . وعليه قول طرفة بن العبد :

فَإِنْ كُنْتُ لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي فَدَعْنِي أَبَادِرَهَا بِمَا مَسَكْتُ يَدِي
وقول ميار الديلمي :

فَكُلْ إِنْ أَكَلْتَ وَأَطْعِمْ أَخَاكَ فَلَا الزَّادُ يَبْقَى وَلَا الْآكِلُ
فلو علم أنه يموت ثم جاد بماله كان جوده أفضل وعلى كرم الطبع أدل ، وقد
تمحل بعضهم بأن المراد بالندى فى البيت ، بذل النفس لا بذل المال ، كما قال
مسلم بن الوليد :

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الْجُودَ أَذْيَهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ
ورد بأن لفظ الندى لا يكاد يستعمل فى بذل النفس ، وإن استعمل فعلى
وجه الإضافة ، فأما مطلقاً فلا يفيد إلا بذل المال ، نعم قال ابن جنى إن فى
الخلود وتنقل الأحوال فيه من عسر إلى يسر ، ومن شدة إلى رخاء ، ما يسكن
النهرس ويسهل البوس فلا يظهر لبذل المال كثير فائدة ، وهو قريب (كقوله)
القائل هو زهير بن أبى سلمى (وأعلم) وتامه :

* وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا لِي غَدٍ عَمِي *

فأنت ترى أن قوله قبله مستغنى عنه إلا أنه غير مفسد ، فإن قلت قد يقال
أبصرته بعيني وسمعته بأذنى وضررته بيدي ، ولا يجعل مثل هذا من الجشوة

﴿المساواة﴾ نحو : وَلَا يَحْقِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ، وَقَوْلُهُ :

لوقوعه في التزويل مثل : فويل لهم مما كسبت أيديهم ، فإننا أمثال ذلك إنما يقال في مقام يفتقر إلى التوكيد ، كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا لقد كتبت بيمينك هذه ، وأما قوله تعالى : ذلك قولهم بأفواههم . فعناه أنه قول لا يعضده برهان فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالألفاظ المهمة التي هي أجراس ونغم لا تدل على معان ، وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مفعول بالفهم ومعناه مؤثر في القلب ، وما لا معنى له مقول بالفهم لا غير (نحو : ولا يحق) ومن المساواة هذه الآيات المشهورة :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِّنِّي كُلَّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْضِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
وَشَدَّتْ عَلَى دُفْمِ الطَّيَّارِ رِحَالُنَا وَلَمْ يَنْظُرِ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَاحٌ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ
ومنها تلك الآيات التي قال فيها الجاحظ ، لا أعرف شعراً يفضل هذه
الآيات التي لأبي نواس :

وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلُوهَا وَأَذَلَّجُوا بِهَا أَثَرُ مِنْهُمْ جَمِيدٌ وَدَارِسُ
مَسَاحِبُ مِنْ جَرِّ الرِّقَاقِ عَلَى الثَّرَى وَأَضْعَافُ رِيحَانٍ جَنِيٍّ وَيَابِسُ
حَبَسَتْ بِهَا صَعْبِي فَجَدَّدْتُ عَهْدَهُمْ وَإِنِّي رَأَيْتُ أَمْثَالَ تِلْكَ لِحَابِسُ
نَدَارُ عَالَمِ الرِّيحِ فِي عَسَجْدِيَّةٍ حَبَّتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ
قَرَارُهَا كَيْسَرِي وَفِي جَنَابَاتِهَا مَبْهَأٌ تَدْرِيهَا بِالْقِسِيِّ النُّوَارِسُ

فَإِنَّكَ كَالَّذِيلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي ۖ وَإِنْ خِثَّ أَنْ أَلْتَمَأَى عَنْكَ قَاسِعٌ
وَالْإِيْجَازُ ضَرْبَانِ : إِيْجَازُ الْقَصْرِ وَهُوَ مَا لَيْسَ بِمَحْذُوفٍ ، وَنَحْوُ :
وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ، فَإِنَّ مَعْنَاهُ كَثِيرٌ وَأَلْفُظُهُ يَسِيرٌ ، وَلَا حَذْفَ فِيهِ

فَلَرَّاحٍ مَا زَرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا ۖ وَالْمَاءُ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ

(فَإِنَّكَ كَالَّذِيلِ) البيت للناطقة الذي يأتي من قصيدة يمدح بها أبا قابوس وهو
النعمان بن المنذر ملك الحيرة . يقول : إنه لا يفوت الممدوح وإن أبعد في الحرب
وسار إلى أقصى الأرض لسعة ماسكه وطول يده ، ولأن له في جميع الآفاق
مطيعاً لا أمره يرد الهارب إليه . وقد انتقد الأصمعي الناطقة ، فقال : أما تشبيهه
الإدراك بالليل فقد تساوى الليل والنهار فيما يدركانه ، وإنما كان سبيله أن يأتي
بما لا قسم له حتى يأتي بمعنى منفرد ، فلو قال قائل إن قول النيرى في ذلك
أحسن منه ، لوجد مساعاً إلى ذلك حيث يقول :

فَلَوْ كُنْتُ كَالْعَنْقَاءِ أَوْ كَسَمُورِهَا ۖ أَخِلْتُكَ إِلَّا أَنْ تَصُدَّ تَرَانِي

(نحو ولستم في القصاص حياة) مثله قول الله جل شأنه فيما يخاطب
به نبيه صلى الله عليه وسلم : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين .
فجمع مكارم الأخلاق بأسرها ، لأن قوله خذ العفو فالعفو ضد الجهد ،
أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم ، وتسهل من غير
كافة ، ولا تداقمهم ، ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا .
والعرف : المعروف والجميل من الأفعال . وأعرض عن الجاهلين : لا تكفىء
السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم وأغضض على ما يسوءك منهم . ومن

وَفَضَّلَهُ عَلَى مَا كَانَتْ عِنْدَهُمْ أَوْجَزَ كَلَامٍ فِي هَذَا الْكُتْبِ ، وَهُوَ : الْقَتْلُ
أَنْفَى لِلْقَتْلِ ، بِقِيَّةِ حُرُوفٍ مَا يَنْبَازُهُ مِنْهُ ، وَالنَّصُّ عَلَى الْمَطْلُوبِ وَمَا يُنْفِيهِ
تَنْكِيرُ حَيَاةِ بَيْنِ التَّعْظِيمِ ، لِمَنْعِهِ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ جَمَاعَةٍ بِوَاحِدٍ .

هذا الضرب من الإيجاز قوله تعالى : فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا (١) ، الآية ،
حار في فصاحتها جميع الباء . ومثل هذا في القرآن كثير . ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم : إياكم وخضراء الدمن (٢) ، وقول الشريف الرضي :

مَالُوا إِلَى شُعْبِ الرَّحَالِ وَأَسْنَدُوا أَيْدِي الطَّعَانِ إِلَى قُلُوبٍ تَخْفِقُ

فإنه لما أراد أن يصف هؤلاء القوم بالشجاعة في أثناء وصفهم بالغرام ،
عبر عن ذلك بقوله : أيدى الطعان (فإن معناه كثير) لأن المراد به أن
الإنسان إذا علم أنه متى قتل كان ذلك داعياً له قوياً إلى أن لا يقدم على
القتل فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض ،
فيكون ارتفاع القتل حياة لهم (وفضله الخ) يقول إن قوله تعالى : ولكم
في القصاص حياة ، يفضل ما كان عند العرب أوجز كلام في هذا المعنى وهو
قولهم القتل أنفى للقتل من وجوه ، أحدها : أن عدة حروف ما يباظره منه وهو
في القصاص حياة عشرة في التامظ وعدة حروفه أربعة عشر ، وثانيها : ما فيها
من التصريح بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها ، فيكون أجز عن القتل
بغير حق ، لكونه أدعى إلى الاقتصاص ، وثالثها : ما يفيد تنكير حياة
من التعظيم ، وذلك لمنعهم عما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد أو النوعية وهي

(١) المعنى لما يئسوا من يوسف وإجابته إياهم ، اعتزلوا الناس خالصين

لا يخالطهم أحد يتناجون في تدبير أمرهم وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيم .

(٢) تمام الحديث : قيل وماذا ، قال المرأة الحسناء في المنبت السوء .

أَوْ النَّوْعِيَّةِ الْخَاصَّةِ لِلْمَقْتُولِ وَالْقَاتِلِ بِالْإِثْنَاءِ ، وَأَطْرَادِهِ وَخَلْقِهِ عَنْ
التَّكْرَارِ وَاسْتِغْنَائِهِ عَنْ تَقْدِيرِ مَحْذُوفٍ ، وَالْمُطَابَقَةِ ؛ وَإِيجَازِ الْخُذْفِ ،
وَالْمَحْذُوفِ إِمَّا جُزْءُ جُمْلَةٍ مَضَافٌ لِنَحْوٍ : وَأَسْأَلِ الْقَرِيَّةِ ، أَوْ مَوْضُوفٌ لِنَحْوٍ :
أَنَا ابْنُ جَلَا . أَيْ رَجُلٍ جَلَا ، أَوْ صِفَةٌ لِنَحْوٍ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ بِأَخْذِ

الحياة الحاصلة للقاتل بالكفاية ، والمقتول بالكف عنه ، ورابعها : أطراده
بخلاف قولهم فإن القتل الذي ينفي القتل هو ما كان على وجه القصاص لا
غيره ، وخامسها : سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام بخلاف
قولهم ، وسادسها : استغناؤه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم ، فإن تقديره
القتل أنفي للقتل من تركه ، وسابعها : أن القصاص ضد الحياة فالجمع بينهما
أطباق ، وزاد في الإيضاح وجهاً آخر وهو جعل القصاص كالمنبغ والمعدن
للحياة بإدخال في عليه وهناك وجوه آخر قد تبحها الناس (وإيجاز الخذف)
عطف على إيجاز النقص (نحو وأسأل القرية) مثله قوله تعالى : وأشربوا في
قلوبهم العجل . أي حبه ، وقوله عز وجل : الحج أشهر معلومات . أي وقت
الحج ، وقول الحماسي :

إِذَا لَاقَيْتَ قَوْمِي فَاسْأَلِيهِمْ كَفَى قَوْمًا بِصَاحِبِهِمْ خَبِيرًا

هَلْ اغْنَمَوْا عَنْ أَصُولِ الْحَقِّ فِيهِمْ إِذَا عَسَرَتْ وَاقْتَطَعَ الصَّدُورَا

أراد أنه يقتطع ما في الصدور من الضغائن والإحن ، أي يزيل ذلك
بإحسانه وكريم خصاله . وهذا باب شائع في كلام العرب وإن كان أبو الحسن
الأخفش لا يرى القياس عليه (نحو أنا ابن جلا) هو بعض بيت للمرجي ولفظه :

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا مَتَى أَضَعَ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

فالمحذوف جزء جملة موصوف (أي رجل جلا) قال بعضهم فيه نظر

كَلَّ سَفِينَةً غَضِبًا ، أَيْ صَحِيحَةً وَنَحْوَهَا ؛ بِدَلِيلِ مَا قَبْلَهُ أَوْ شَرْطٍ ، كَمَا مَرَّ ،
أَوْ جَوَابُ شَرْطٍ ، إِمَّا لِجَرْدِ الْإِخْتِصَارِ نَحْوُ : وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ

لأن رجل ليس جزء جملة بل فضلة ، على أنه قيل إن جلا اسم علم فلا حذف
حينئذ ، وهو مستند عيسى بن عمر في أن فعل عنده وزن يمنع من الصرف فلذا
لم ينون جلا ، وقال سيبويه : كأنه قال أنا ابن الذي جلا ، فعلى هذا الوجه
يسكون حذف الموصول . ومن حذف الموصوف قول البحترى من أبيات
يصف بها إيوان كسرى :

وَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا كِيَّةَ ارْتَعَتْ بَيْنَ رُومٍ وَفُرْسٍ

وَالنَّسَايَا مَوَائِلُ وَأَنْوُ شِرْ وَأَنْ يُرْجَى الصُّفُوفُ تَحْتَ الدَّرَفْسِ

فِي الْخَفِيرَارِ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى أَصْفَرٍ يَحْتَالُ فِي صَبِغَةٍ وَرْسِ

فقوله على أصفر : أى على فرس أصفر ، وهذا مفهوم من قرينة الحال
(ونحوها) كسليمة أو صالحة (بدليل ما قبله) وهو قوله تعالى : فَأَرَدْتُ
أَنْ أَعْيِبَهَا ، فإنه يدل على أن الملك كان إنما يأخذ الصحيحة . ومن حذف
الصفة قول الحماني :

كَلَّ أَمْرِي سَتَتِيمٌ مِنْهُ الْعُرْسُ أَوْ مِنْهَا يَتِيمٌ ^(١)

أراد كل امرئ متزوج ، إذ المعنى لا يصح إلا بهذا . وبعد ، فهذا
الضرب من الحذف وهو حذف الصفة قليل الوجود ، ولا يكاد يقع في
الكلام إلا نادراً لمكان استهامة (كما مر) عند قوله في باب الإنشاء

(١) أى إما أن يموت الرجل فتبقى امرأته أيتما ، وتموت امرأته فيبقى
الرجل أيتما ، وفي المثل : كل ذات بعل ستيم .

أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلَقَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، أَيْ أَعْرَضُوا بِدَلِيلٍ مَا بَعْدَهُ .
 أَوْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ شَيْءٌ لَا يُحِيطُ بِهِ الْوَصْفُ ، أَوْ لِنَزْهِبِ نَفْسِ السَّامِعِ
 كُلَّ مَذْهَبٍ مُمَكِّنٍ ، مِثْلَهُمَا : وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ ، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ
 نَحْوُ : لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ، أَيْ وَمَنْ أَنْفَقَ
 مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ بِدَلِيلٍ مَا بَعْدَهُ . وَإِنَّمَا جُمِلَتْ مُسَبَّحَةٌ عَنْ مَذْكُورٍ ،

وهذه الأربعة يجوز تقدير الشرط بعدها . ومن حذف الشرط قولهم الناس
 مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر (بدليل ما بعده) وهو
 قوله تعالى : وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ، ومن
 هذا الباب قوله تعالى : ولو أن قرآناً سیرت به الجبال أو قطعت به الأرض
 أو كلم به الموتى ، أى لكان هذا القرآن وقوله تعالى : قل أرايتم إن كان من
 عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم
 أى ألسن ظالمين بدلائل قوله تعالى بعد : إن الله لا يهدي القوم الظالمين .
 (أو لتذهب نفس السامع كل مذهب) فلا يتصور مطلوباً أو مكروهاً
 إلا وهو يجوز أن يكون الأمر أعظم منه ، بخلاف ما لو ذكر فإنه يتعين
 وربما يسهل أمره عنده ، ألا ترى أن المولى إذا قال لعبده والله إن قتلت إليك
 وسكت تراحمته عليه من الظنون المعترضة للوعيد ما لا يتزاحم لو نص من
 مؤاخذته على ضرب من العذاب ، وكذلك إذا قال المتجسس لو رأيتني شاباً
 وسكت جالت الأفكار به عالم تجل به لو أتى بالجواب (أو غير ذلك)
 كالمسند إليه والمسند والمفعول كما مر وكالمضاف إليه كقوله تعالى : وكل في فلك
 سمحون ، وكذلك كل ما قطع عن الإضافة معنى لا لفظاً . وكالصلة مثل
 قولهم : جاء بعد اللتيا والى ، وجواب القسم مثل قوله تعالى : والفجر وليال عشر

نحو : لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ ، أَيْ فَعَلَ مَا فَعَلَ ، أَوْ سَبَبٌ لِمَذْكُورِ
نحو : فَانْفَجَرَتْ ، إِنْ قُدِّرَ فَضَرَبَهُ بِهَا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَقْدَرَ فَإِنْ ضَرَبَتْ بِهَا

الآية ، التقدير ليعذب أو نحوه ، ويدل على ذلك قوله بعد : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ
بعد — إلى قوله — سوط عذاب ، وجواب لما كقولاه تعالى : فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ
للجهنم الآية ، التقدير كان ما كان بما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من
استبشارهما واغتيالهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع
البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين النفس عليه من الثواب ،
ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب ، وبما يتصل بهذا ما يجيء بعد أفعل .
كقولنا : الله أكبر ، أى من كل شيء وعليه قول البحترى :

اللَّهُ أَعْظَمُكَ الْمَحَبَّةَ فِي الْوَرَى وَحَبَّكَ بِالْفَضْلِ الَّذِي لَا يُنْكَرُ

وَلَا تُنْكَرُ أَمَلًا فِي الْعُيُونِ لَدَيْهِمْ وَأَجَلَ قَدْرًا فِي الصُّدُورِ وَأَكْبَرُ

(نحو ليحقق الحق) ومنه قول أبي الطيب المتنبي :

أَتَى الرِّمَّانَ بِنُوءٍ فِي شِدِيدَتِهِ فَسَرَّيْنِ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الْهَرَمِ

أى فساءنا (نحو فانفجرت) الآية فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت ف
ومثله : كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين ، أى فاختلفوا ، بدليل قوله :
لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فَبِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ (ويجوز أن يقدر الخ) فيكون المحذوف
جمله جملة هي شرط كقوله تعالى : فإله هو الولي ، أى إن أرادوا ولياً بحق ،
بالإضافة إلى قوله فانفجرت تسمى فاء فصيحة . وظاهر كلام الزمخشري أن
استدلالها فصيحة إنما هي على التقدير الثاني ، وظاهر كلام السكاكي على العكس ،
وقيل إنها فصيحة على التقديرين ، والمشهور في تمثيلها قوله :

فَالْوَاخِرُ اسْمَانِ أَتَقَضِي مَا يَزِيدُ بِنَا نَحْمُ الْقُقُولَ فَقَدْ جِئْنَا خَرَّاسَانَا

فَقَدْ انْفَجَرَتْ ، أَوْ غَيْرُهَا نَحْوُ : فَنَعِمَ الْمَاهِدُونَ عَلَى مَا مَرَّ ، وَإِنَّمَا أَكْثَرُ
مِنْ جُمْلَةِ نَحْوُ : أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ ، أَيْ إِلَى يُوسُفَ
لِاسْتَعْبَرِهِ الرُّؤْيَا فَفَعَلُوا فَأَتَاهُ وَقَالَ لَهُ يَا يُوسُفُ : وَالْحَذْفُ عَلَى وَجْهَيْنِ ،
أَنْ لَا يَقَامَ شَيْءٌ بِمَقَامِ الْمَحْذُوفِ كَمَا مَرَّ وَأَنْ يَقَامَ ، نَحْوُ : وَإِنْ يُكْذَّبُوكَ
فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ، أَيْ فَلَا تَحْزَنْ وَاصْبِرْ ؛ وَأَدِلَّتُهُ كَثِيرَةٌ ،
مِنْهَا أَنَّ يَدَلَّ الْعَقْلُ عَلَيْهِ وَالْمَقْصُودُ الْأَظْهَرُ عَلَى تَعْيِينِ الْمَحْذُوفِ نَحْوُ :
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ ؛ وَمِنْهَا أَنَّ يَدَلَّ الْعَقْلُ عَلَيْهِمَا نَحْوُ : وَجَاءَ رَبُّكَ ،
أَيْ أَمْرُهُ أَوْ عَذَابُهُ ؛ وَمِنْهَا أَنَّ يَدَلَّ الْعَقْلُ وَالْعَادَةُ عَلَى التَّعْيِينِ نَحْوُ :

(على ما مر) في مبحث الاستئناف من أنه على حذف، المبتدأ والخبر ،
في قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف (نحو : أنا أنبئكم الخ) مثله
فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى فاضربوه بها فحي
فحذف ذلك لدلالة قوله : كذلك يحيى الله الموتى ، وقواه : اذهب بكتابي هذا
فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ ، التقدير
ففعل ذلك فأخذت الكتاب فقرأته ، ثم كأن سائلا سأل فماذا قالت فقيل :
قالت يا أيها الملأ . ومثال هذا النوع من الإيجاز لا يسكاد يوجد إلا في كلام
الله الذي تقطعت على بلاغته أعناق العتاق السبق ، وونت عنها خطى الجياد
الفرح (نحو حرمت عليكم الميتة) فإن العقل يدل على الحذف إذ الأحكام إنما
تتعلق بالأفعال دون الأعيان ، والمقصود الأظهر من هذه الأشياء المذكورة
في الآية تناولها الشامل للأكل وشرب الألبان ، فدل على تعيين المحذوف
(عليهما) أي على الحذف والتعيين (نحو وجاء ربك) ما أحسن ما

فَذَلِكَ الَّذِي أَمْتَنَنِي فِيهِ ، فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ فِي حُبِّهِ ، لِقَوْلِهِ : قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ،
وَفِي مَرَاوِدِهِ لِقَوْلِهِ : تَرَاوَدَ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ، وَفِي شَأْنِهِ حَتَّى يَشْمَلَهُمَا ،
وَالْعَادَةُ دَلَّتْ عَلَى الثَّانِي لِأَنَّ الْحُبَّ الْمَفْرُطَ لَا يَلَامُ صَاحِبَهُ عَلَيْهِ فِي الْعَادَةِ ،
لِقَهْرِهِ إِيَّاهُ ، وَمِنْهُ الشُّرُوعُ فِي الْفِعْلِ نَحْوُ : بِسْمِ اللَّهِ ، فَيُقَدَّرُ مَا جُعِلَتْ
التَّسْمِيَةُ مَبْدَأًا لَهُ ، وَمِنْهَا الْإِقْتِرَانُ كَقَوْلِهِمُ لِلْمُعْرَسِ : بِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ ،
أَيْ أَعْرَسَتْ . وَالْإِطْنَابُ إِمَّا بِالْإِيضَاحِ بَعْدَ الْإِيهَامِ ، لِيَرَى الْمَعْنَى
فِي صَوْرَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ ، أَوْ لِيَتِمَّ كُنْ فِي النَّفْسِ فَضْلًا تَمَكُّنُ ،

ارْتَأَاهُ صَاحِبُ الْكَشَافِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ، وَمَا أَلِيقَهُ بِالْأَسْلُوبِ الْبَلِیْغِ
قَالَ إِنَّ هَذَا تَمَثُّلٌ لظُهُورِ آيَاتِ اقْتِدَارِهِ وَتَبَيُّنِ آثَارِ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ مِثْلَتْ حَالِهِ
فِي ذَلِكَ بِحَالِ الْمَلِكِ إِذَا حَضَرَ بِنَفْسِهِ ظَهَرَ بِحُضُورِهِ مِنْ آثَارِ الْهَيْبَةِ وَالسِّيَاسَةِ
مَا لَا يَظْهَرُ بِحُضُورِ عَسَاكِرِهِ كَمَا وَزَرَائِهِ وَخَوَاصِهِ عَنْ بَكْرَةِ أَيْهَمِ (لَا يَلَامُ
صَاحِبَهُ عَلَيْهِ) وَإِنَّمَا يَلَامُ عَلَى الْمَرَاوِدَةِ الدَّخَالَةِ تَحْتَ كَسْبِهِ الَّتِي يَقْدِرُ أَنْ يَدْفَعَهَا
عَنْ نَفْسِهِ (وَمِنْهَا) أَيْ مِنْ أَدَلَّةِ تَعْيِينِ الْمُخَذَّوْفِ (الْإِقْتِرَانِ) أَيْ اقْتِرَانِ الْكَلَامِ
بِالْفِعْلِ (بِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ) فَاقْتِرَانُ هَذَا الْكَلَامِ لِإِعْرَاسِ الْمُخَاطَبِ دَلٌّ عَلَى أَنَّ
التَّقْدِيرَ بِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ أَعْرَسَتْ . وَالرِّفَاءُ : الْإِلْتِسَامُ وَالْإِتْفَاقُ ، تَقُولُ رِفَأتُ
النُّوبِ أَرْفُزُهُ : إِذَا أَصْلَحْتَ مَا وَهَنَ مِنْهُ (لِيَرَى الْمَعْنَى فِي صَوْرَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ)
فَيَسْكُونُ كَعَرَضِ الْحُسْنَاءِ فِي لِبَاسَيْنِ (أَوْ لِيَتِمَّ كُنْ فِي النَّفْسِ) فَإِنَّ الْمَعْنَى
إِذَا أُلْقِيَ مَبْهَمًا تَأَقَّتْ نَفْسُ السَّامِعِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ مَبِينًا ، فَتَتَوَجَّهُ إِلَى مَا يَرِدُ
بَعْدَ ذَلِكَ ، فَإِذَا أُلْقِيَ كَمَا تَشْتَهِي تَمَكُّنُ فِيهَا فَضْلًا تَمَكُّنُ ، وَكَانَ شَعُورُهَا بِهِ أَتَمَّ

أَوْ اكْتَمَلَ لَذَّةُ الْعِلْمِ بِهِ ، نَحْوُ : رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ، فَإِنَّ اشْرَحَ لِي
يُفِيدُ طَلَبَ شَرْحِ شَيْءٍ مَالَهُ ، وَصَدْرِي يُفِيدُ تَفْسِيرَهُ ، وَمِنْهُ بَابُ نَعَمْ
عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ ، إِذْ لَوْ أُريدَ الْإِخْتِصَارُ لَكَفَى نَعَمْ زَيْدٌ ، وَوَجْهُ
حُسْنِهِ سِوَى مَا ذَكَرَ بِإِثْرِ الْكَلَامِ فِي مَعْرِضِ الْإِعْتِدَالِ وَإِيْهَامِ الْجَمْعِ
بَيْنَ الْمُتَنَافِيَيْنِ : وَمِنْهُ التَّوَشُّيعُ : وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى فِي عَجْزِ الْكَلَامِ

(أَوْ اكْتَمَلَ لَذَّةُ الْعِلْمِ بِهِ) فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا حَصَلَ كَمَالَ الْعِلْمِ بِهِ دَفْعَةً لَمْ يَتَقَدَّمْ
حَصُولُ اللَّذَّةِ بِهِ أَلَمْ ، وَإِذَا حَصَلَ الشُّعُورُ بِهِ مِنْ وَجْهِ دَرَنٍ وَجْهٍ تَشَوَّقَتْ النَفْسُ
إِلَى الْعِلْمِ بِالْمَجْهُولِ فَيَحْصُلُ لَهَا بِسَبَبِ الْمَعْلُومِ لَذَّةٌ ، وَبِسَبَبِ حَرَمَانِهَا عَنِ الْبَاقِي
أَلَمْ ، ثُمَّ إِذَا حَصَلَ لَهَا الْعِلْمُ بِهِ حَصَلَتْ لَهَا لَذَّةٌ أُخْرَى ، وَاللَّذَّةُ عَقِيبُ الْأَلَمِ أَقْوَى
مِنَ اللَّذَّةِ الَّتِي لَمْ يَتَقَدَّمْهَا أَلَمْ . وَمِمَّا يُوَاضِحُ ذَلِكَ مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : هَلْ يَنْظُرُونَ
إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ . قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ : السَّبَبُ فِي أَنْ
الْعَذَابَ يَأْتِيَهُمْ مِنَ الْغَمَامِ ، أَنَّ الْغَمَامَ مَظَنَّةُ الرَّحْمَةِ فَإِذَا نَزَلَ مِنْهُ الْعَذَابُ كَانَ الْأَمْرُ
أَفْظَعَ وَأَهْوَلَ ، لِأَنَّ الشَّرَّ إِذَا جَاءَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ كَانَ أَعْمَ ، كَمَا
أَنْ الْخَيْرَ إِذَا جَاءَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ كَانَ أَمْرًا ، فَكَيْفَ إِذَا جَاءَ الشَّرُّ مِنْ
حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ الْخَيْرَ ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ السَّاعِقَةُ مِنَ الْعَذَابِ الْمُسْتَنْظَعِ لِحُجَّتِهَا مِنْ
حَيْثُ يَتَوَقَّعُ الْغَيْثُ ، وَمِنْ ثَمَّةِ اشْتِدَادِ عَلَى الْمُتَفَكِّرِينَ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَوْلُهُ : وَبَدَأَ
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (وَمِنْهُ) أَيْ مِنَ الْإِيضَاحِ بَعْدَ الْإِيْهَامِ
(حُسْنُهُ) أَيْ حُسْنُ بَابِ نَعَمْ (فِي مَعْرِضِ الْإِعْتِدَالِ) نَظَرًا إِلَى الْإِطْنَابِ
مِنْ وَجْهِ حَيْثُ لَمْ يَقْلُ نَعَمْ زَيْدٌ ، وَإِلَى الْإِيْجَازِ مِنْ وَجْهِ حَيْثُ حُذِفَ الْمُبْتَدَأُ
الَّذِي هُوَ صَدْرُ الِاسْتِدْنَابِ (وَإِيْهَامِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمُتَنَافِيَيْنِ) الْإِيْجَازُ وَالْإِطْنَابُ
وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْمُتَنَافِيَيْنِ مِنَ الْأُمُورِ الْغَرِيبَةِ الْمُسْتَطَرَفَةِ الَّتِي يَظْهَرُ فِي النَّفْسِ عِنْدَ

بِمَثْنَى مَفْسَّرٍ بِاسْمَيْنِ ، ثَانِيَهُمَا مَعْطُوفٌ عَلَى الْأَوَّلِ نَحْوُ : يَشِيبُ
ابْنُ آدَمَ وَيَشِيبُ مَعَهُ خَصْلَتَانِ : الْحِرْصُ وَطُولُ الْأَمَلِ . وَإِنَّمَا بَذَرَ
الْخَاصَّ بَعْدَ الْعَامِّ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ ،
تَنْزِيلاً لِلتَّغَايُرِ فِي الْوَصْفِ مَنَزَلَةَ التَّغَايُرِ فِي الذَّاتِ نَحْوُ : حَافِظُوا
عَلَى الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى . وَإِنَّمَا بِالتَّكْرِيرِ لِنُكْتَةٍ

وجدانها تأثر عجيب (ويشب معه خصلتان) فلو أريد الاختصار لقل ويشب
معه الحرص وطول الأمل لكنه أبهم أولاً ثم أوضح لما سبق ويسمى هذا
توشيحاً . لأن التوشيع في اللغة لف القطن المندوف ، فكأنه جعل التعبير
عن المعنى الواحد بالمثنى المفسر باسمين ، بمنزلة لف القطن بعد الندف . ومن هذا
قول الشاعر :

سَقَّتْنِي فِي لَيْلٍ شَدِيدَةٍ بِشَعْرِهَا شَدِيدَةً خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبٍ
فَمَا زِلْتُ فِي كَيْأَيْنِ شَعْرٍ وَظَلَمَةٍ وَشَمْسَيْنِ مِنْ خَمَرٍ وَوَجْهِ حَبِيبٍ
وقول البحري :

لَمَّا مَشَيْنَ بَذَى الْأَرَاكِ تَشَابَهَتْ أَعْطَافُ قُضْبَابٍ بِهِ وَقْدُودُ
فِي حُلَّتِي حَبَرٍ وَرَوْضٍ فَالْتَقَى وَشَيَانٍ وَشَى رَبِّي وَوَشَى بُرُودُ
وَسَفَرُنَ فَاثْتَلَأَتْ عُيُونُ رَاقِبِيَا وَرَدَانٍ وَرَدُ جَنِّي وَوَرْدُ خُدُودِ
نحو (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى) (١) ، ومن هذا الباب

(١) أتذكرون أن شيخنا الإمام رحمه الله قرر عند تفسير هذه الآية الكريمة

كُتِبَ كَيْدُ الْإِنذَارِ فِي : كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ

قوله تعالى : من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ، أفرد جبريل وميكال بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر (كُتِبَ كَيْدُ الْإِنذَارِ) وكزيادة التنبيه على ما ينبغي النهمة ليكمل تاقى الكلام بالقبول كما في قوله تعالى : وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ، يا قوم إنما هذه الدنيا متاع . وزيادة التوجع والتحسر كما في قوله :

فَيَا قَبْرُ مَعْنَى أَنْتَ أَوَّلُ خُزْنَةٍ مِنَ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلسَّمَاءِ مَضْجَعًا
وَيَا قَبْرُ مَعْنَى كَيْفَ وَارَيْتَ جِرَادَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مُثْرَعًا
وقد يكرر ما قد بعد بسبب طول في الكلام كما في قوله تعالى : ثم إن ربك
الذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور
رحيم ، وقوله : لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا
فلا تحسبنهم بمنازة من العذاب ، وقول الشاعر :

أن المعنى ليس كما يقول المفسرون من أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر أو غيرها ، وإنما المعنى أن الله جل شأنه لما أمر بحفظ السلوات والمثابرة عليها كان للناس أن يتوهموا أن تأدية الصلاة على أى وجه وأية حال كافية عند الله . فبين لنا سبحانه أن الصلاة لا تكفى إلا إذا كانت وسطى — فضلى — وذلك بأن نكون مستصحبة بالفراغ من شواغل الدنيا ، والتوجه لله والخشوع له ، واستحضار عظمته ، واستشعار هيئته . وعلى ذلك لا تكون بما نحن فيه كما هو ظاهر .

وَفِي ثَمِّ دَلَالَةٍ عَلَى أَنَّ الْإِنذَارَ الثَّانِي أَبْلَغُ . وَإِنَّمَا بِالْإِغْفَالِ ، فَقِيلَ هُوَ خَتَمٌ

لَقَدْ عَلِمَ الْحَيُّ الْيَمَانُونَ أَنِّي إِذَا قُلْتُ أَمَّا بَعْدُ أَنِّي خَطِيبُهَا
وقول الحماسي :

أَسِجْنًا وَقَيْدًا وَاشْتِيَاذًا وَغُرْبَةً وَنَأَى حَبِيبٍ إِنَّ ذَاكَ عَظِيمٌ
وَإِنَّ أَمْرًا دَامَتْ مَوَاقِفُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا إِنَّهُ لَكَرِيمٌ

وقد يكرر اللفظ لتعدد المتعاق كالذي جاء في سورة الرحمن من قول الله سبحانه : فَبَأَى آلاءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ ، لأنه تعالى ذكر نعمة بعد نعمة وعقب كل نعمة بهذا القول ، ومعلوم أن الغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى (وفي ثم دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ) كما تقول المنصوح أقول لك ثم أقول لك ، والمر في ذلك أن أصل ثم الدلالة على تراخي الزمان ، لكنها قد تجيء لمجرد التدرج في درج الارتقاء من غير اعتبار التراخي والبعد بين تلك الدرج ، وإن الثاني بعد الأول في الزمان وذلك إذا تكرر الأول بلفظه نحو : والله ثم والله (وإما بالإغفال) وأصله من قولهم أوغل في الأمر : إذا أبعده الذهاب فيه . سئل الأصمعي من أشعر الناس : فقال من يعضى كلامه قبل انقضاء القافية ، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى قيل نحو من : قال ذو الرمة حيث يقول

فَبِالْعَيْسِ فِي أَظْلَالٍ مَيِّةٍ فَاسْأَلِ رُسُومًا كَأَخْلَاقِ الرِّدَاءِ الْمَسْأَلِ

فتم كلامه بالرداء ، ثم قال المسائل فزاد به شيئاً ثم قال :

أَطْلُ الْبَدَى نَجْدِي غَنِيكَ زَمُّهَا . ذَمُّوعًا كَتَبْدِيرِ الْجَمَانِ الْمُفْصَلِ

فتم كلامه بالجمان . ثم قال انفصل فزاد شيئاً . قيل ونحو من قول الأعشى :

(م - ١٥)

الْبَيْتِ بِمَا يُفِيدُ نُكْتَةً يَتِمُّ الْمَعْنَى بِدُونِهَا ، كَزِيَادَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي قَوْلِهَا :
وَإِنْ صَخْرًا لَتَأْتِمُّ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ
وَتَحْقِيقُ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ :
كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحِلْنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يَنْقَبْ

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَفْلَقَهَا فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْفَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ
فَتَمَّ كَلَامُهُ بِيَضْرُهَا ، فَلَمَّا احْتَاجَ إِلَى الْقَافِيَةِ قَالَ : وَأَوْفَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ ، فزاد
معنى ، قَالَ السَّائِلُ وَكَيْفَ صَارَ الْوَعْلُ مَفْضُلًا عَلَى كُلِّ مَا يَنْطَحُ ، قَالَ لِأَنَّهُ يَنْحَطُّ
مِنْ قَلَةِ الْجَبَلِ عَلَى قَرْنِهِ فَلَا يَضُرُّهُ (فِي قَوْلِهَا) أَيْ قَوْلِ الْخُنُصَاءِ فِي مَرْتَبَةِ
أَخِيهَا صَخْرٍ . وَلَمْ تَرْضَ أَنْ تَشْبِهُهُ بِالْعِلْمِ الَّذِي هُوَ الْجَبَلُ الْمُرْتَفِعُ الْمَعْرُوفُ
بِالْهَدَايَةِ حَتَّى جَعَلْتِ فِي رَأْسِهِ نَارًا (فِي قَوْلِهِ) أَيْ قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ . فَإِنَّهُ لَمَّا
أَتَى عَلَى التَّشْبِيهِ قَبْلَ ذِكْرِ الْقَافِيَةِ وَاحْتَاجَ إِلَيْهَا جَاءَ بِزِيَادَةِ حُسْنِهِ فِي قَوْلِهِ لَمْ يَنْقَبْ
لَأَنَّ الْجَزْعَ إِذَا كَانَ غَيْرَ مَشْقُوبٍ كَانَ أَشْبَهَ بِالْعَيُونِ (كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ) الْجَزْعُ
الْحَرْزُ الْيَمَانِيُّ الَّذِي فِيهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ يَشْبَهُ بِهِ عَيُونَ الْوَحْشِ قَالَ الْأَصِمِيُّ : الظُّبْيُ
وَالْبَهْرَةُ إِذَا كَانَا حَيَيْنَ فَعَيُونُهُمَا كَالْأَسْوَدِ فَإِذَا مَاتَا بَدَا بَيَاضُهَا وَإِنَّمَا شَبَّهَهَا بِالْجَزْعِ
وَفِيهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ بَعْدَ مَمُوتَاتٍ ، وَالْمُرَادُ كَثْرَةُ الصَّيْدِ يَعْنِي مِمَّا أَكَلْنَا كَثُرَتْ
الْعَيُونُ عِنْدَنَا وَمِنْ هَذَا النُّوعِ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

كَأَنَّ فَتَاةَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَا بِهِ حَبَّ الْقَنَا لَمْ يُحْطَمْ
فَإِنْ حَبَّ الْقَنَا أَحْمَرُ الظَّاهِرِ أَبْيَضُ الْبَاطِنِ ، فَهُوَ لَا تَشْبِهُهُ الصُّوفُ الْأَحْمَرُ
إِلَّا مَا لَمْ يُحْطَمْ ، وَقَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ :

إِذَا مَا جَرَى شَأْوَيْنِ وَابْتَلَّ عِطْفُهُ نَقُولُ هَزِيرُ الرِّيحِ مَرَّةً بِأَنْثَابِ
التَّشْبِيهِ تَمَّ عِنْدَ قَوْلِهِ هَزِيرُ الرِّيحِ ، وَزَادَ بِقَوْلِهِ مَرَّةً بِأَنْثَابِ ، لِأَنَّهُ أَخْبَرَ بِهِ

وقيل لا يختص بالشعر ومثل لقوله تعالى : اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ
أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ . وإما بالتدليل ، وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى
تستعمل على معناها للتأكيدي ، وهو ضربان : ضرب لم يخرج مخرج
المثل نحو : ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلا الكفور ، على وجه

عن شدة حفيف الفرس وللريح في أغصان الأتاب حفيف شديد ، والأتاب :
شجر . وكان الرشيد يعجب بقول مسلم بن الوليد :

إِذَا مَا عَاتَ مِنَّا ذُوَابَةَ شَارِبٍ تَمَشَّتْ بِهِ مَشَى الْمُقَيَّدِ فِي الْوَحْلِ

وكان يقول قائله الله أما كماه أن يجعله مقيداً حتى جعله في وحل (ومثل
بقوله تعالى الخ) فإن قوله : وهم مهتدون ، بما يتم المعنى بدونه لأن الرسول مهتد
لا محالة ، لكن فيه زيادة حث على الانبعاث وترغيب في الرسل . وكتب بعض
الكتاب : نبو الطرف من الوزير دليل على تغيير الحال عنده ، ولا صبر على
الجناء من عود الله منه البر ، وقد استدلت بإزالة الوزير إياي عن المحل الذي
كان يحل فيه بطوله على ما سوت له ظناً بنفسى ، وما أخاف عتياً لأنى لم أجن
ذنبا ، فإن رأى الوزير أن يقومى بنفسى ويدانى على ما يراه منى فعلى أن
يكرمه بقوله يقومى وزاد بالمقطع وهو قوله لنفسى معنى (وأما بالتدليل)
والتدليل في الكلام موقع جليل ومكان شريف خطير لأن المعنى يزداد به
التشراح والمقصد التصاحا ، وينبغي أن يستعمل في المواطن الجامعة والمواقف
الحافظة . لأن تلك المواطن تجميع البطىء الفهم والبعيد الذهن والثاقب القريحة
والجيد الحاصل ، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد تأكد عند الذهن
اللقن وسهّل للتكليل البعيد (لم يخرج مخرج المثل) لعدم استتماله بإفادة
المراد وتوقفه على ما قبله (على وجه) وهو أن يراد وهل يجازى ذلك

وَضَرَبَ أَخْرَجَ مُخْرَجَ الْمَثَلِ ، نَحْوُ : وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ
الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا . وَهُوَ أَيْضًا إِمَّا إِتْنَا كَيْدٍ مَنطُوقٍ كَهَذِهِ الْآيَةِ ، وَإِمَّا
إِتْنَا كَيْدٍ مَفْهُومٍ ، كَقَوْلِهِ :

وَلَسْتُ بِسُتَبْقِ أَخَا لَا تَدْلُهُ عَلَى شَعْبٍ أَيْ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ

الجزاء ، قال الزمخشرى وفيه وجه آخر وهو أن الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل
تارة في معنى المرافقة ، وأخرى في معنى الإثابة ، فلما استعمل في معنى المعاقبة في
قوله : جزبناهم بما كانوا ، بمعنى عاقبناهم بكفرهم ، قيل : وهل يجازى إلا الكفور
بمعنى وهل يعاقب فعلى هذا يكون من الضرب الثاني ومن الأول قول الحماسي :

فَدَعَوْا نَزَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ
وقول أبي الطيب :

وَمَا حَاجَةُ الْأُظْمَانِ حَوْلَكَ فِي الدُّجَى إِلَى قَعَرٍ مَا وَاجِدٌ لَكَ عَادِمُهُ
وقوله أيضاً :

تَمْسِي الْأُمَانِي صَرَعِي دُونَ مَبْلَغِهِ فَمَا يَقُولُ إِشْيَاءَ لَيْتَ ذَلِكَ لِي
وقول ابن نباتة السعدي :

لَمْ يَبْقِ خُودَكَ لِي شَيْئًا أَوْمَلُهُ تَرَكَتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا مِلًّا أَمَلِي
قيل نظر فيه إلى قول أبي الطيب وقد أرى عليه في المدح والادب مع
الممدوح حيث لم يحمله في خير من تمنى شيئاً (نحو وقل جاء الحق الآية) ومن
هذا قول الخطيب :

نَزَرُ فَنِي يُعْطَى عَلَى الْحَمْدِ مَا لَهُ . وَسَنُ نَعْطَى الْأَمَانَ الْمَكَارِمِ مُحَمَّدٍ

وَإِنَّمَا بِالتَّكْوِيلِ ، وَيُسَمَّى الْإِحْتِرَاسَ أَيْضًا ، وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى فِي كَلَامٍ
بُوهِيمٍ خِلَافَ الْمَقْصُودِ بِمَا يَدْفَعُهُ ، كَقَوْلِهِ :

(كقوله) أى قول النابغة الذبياني من قصيدة يخاطب بها الملك النعمان
ابن المنذر . فأنت ترى أن صدر البيت دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال
لحقق ذلك وقرره بعجزه . ومعنى البيت ظاهر : وبما ينظر إليه قول بعضهم :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ أَخَاكَ وَزَلَّةً أَرَادَ لَهَا أَوْشَكْتُمَا أَنْ تَفَرَّقَا

وهو معنى طرده الشعراء كثيراً (بما يدفعه) وهذا الدافع قد يكون في وسط
الكلام ، وقد يكون في آخره فالأول كقول طرفة بن العبد من قصيدة يمدح بها
قتادة بن مسلمة الحنفي وكان قد أصاب قومه سنة فأتوه فبذل لهم :

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي^(١)

لما كان المطر قد يفضى بالديار إلى الفساد تحرز عن ذلك بقوله غير مفسدها
ولم يقع فيما وقع فيه ذو الرمة في قوله :

أَلَا يَا سَلَمِي يَا دَارَ مَيٍّ عَلَى الْبِلَاءِ وَلَا زَالَ مُنْهَالًا بِجَرِّ عَائِكَ الْقَطْرِ

فهذا بالدعاء عليها أشبه منه بالداء لها . ومن هذا الضرب قول الرمادي
في وصف فرس :

قَامَتْ قَوَائِمُهُ لَنَا بِطَعَامِنَا غَضًا وَقَامَ الْعُرْفُ بِالْمِنْدِيلِ

فقوله غضاً احتراس عجيب ، إذ لو لم يذكر لنوهم أنهم ينقلون عليه
أزوادهم ، وقول نافع بن خليفة الغنوي :

رِجَالٌ إِذَا لَمْ تَقْبَلِ الْحَقَّ مِنْهُمْ وَيُعْطَوُهُ عَادُوا بِالشُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ

(١) الديمة : المطر يدوم ، وتهمي : تسيل .

فَسَقَى دِيرَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا : صَوَّبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةُ سَهْمِي
وَنَحْوُ : أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ . وَإِنَّمَا بِالتَّشْمِيرِ

وقول الآخر :

لَوْ أَنَّ عِزَّةً خَاطَمَتْ شَمْسَ الضُّحَى فِي الْحُسْنِ عِنْدَ مُوَفَّقٍ لَقَضَى لَهَا
فَقُولُهُ عِنْدَ مُوَفَّقٍ : تَكْمِيلٌ لَطِيفٌ ، وَالثَّانِي كَقَوْلِهِ تَعَالَى : فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ
بِقَوْمٍ يَحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ . فَإِنَّهُ لَوْ اقْتَصَرَ عَلَى
وَصْفِهِمُ بِالذِّلَّةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لَتَوَهَّمُ أَنْ ذَلَّتْهُمْ لَضَعْفِهِمْ ، فَلَمَّا قِيلَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ
عَلِمَ أَنَّهَا مِنْهُمْ تَوَاضَعُ لَهُمْ ، وَلِهَذَا عَدَى الذِّلُّ بَعْلَى لَتَضَمُّنُهُ مَعْنَى الْعَطْفِ كَأَنَّهُ قِيلَ
عَاطِفِينَ عَلَيْهِمْ عَلَى وَجْهِ التَّذَلُّلِ وَالتَّوَاضُعِ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ التَّعْدِيَّةُ بَعْلَى ، لِأَنَّ
الْمَعْنَى أَنَّهُمْ مَعَ شَرَفِهِمْ وَعُلُوِّ طَبَقَتِهِمْ وَفَضْلِهِمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ خَافِضُونَ لَهُمْ أَجْنَحَتِهِمْ .
وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ الرَّوْمِيِّ فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ : إِنِّي وَلِيكَ الَّذِي لَا يَزَالُ تَنْقَادُ
لِإِيكَ مَوَدَّتُهُ عَنْ غَيْرِ طَمَعٍ وَلَا جُزَعٍ ، وَإِنْ كُنْتَ لَذِي الرِّغْبَةِ مُطْلَباً وَلَذِي الرِّهْبَةِ
مَهْرَباً ، وَمِثْلُهُ خَمَاسِي :

رَهَنْتُ يَدَيَّ بِالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ بَرٍّ وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشُّكْرِ مَزِيدٌ
وَكَذَا قَوْلُ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْغَنَوِيِّ :

حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيْنَ أَهْلِهِ مَعَ الْحِلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهْيَبٌ

فَإِنَّهُ لَوْ اقْتَصَرَ عَلَى وَصْفِهِ بِالْحِلْمِ لَأَوْهَمُ أَنْ ذَلِكَ عَنْ ضَعْفٍ وَخُورٍ ، فَأَزَالَ ذَلِكَ
بِقَوْلِهِ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيْنَ أَهْلِهِ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحِلْمَ لَا يَزِينُ أَهْلَهُ إِلَّا عِنْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ .
وَلَمَّا كَانَ كَوْنُهُ حَلِيمًا فِي حَالٍ يَحْسُنُ فِيهَا الْحِلْمُ يَوْهَمُ أَنَّهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ لَيْسَ مَهْبِياً لَمَّا بِهِ
مِنَ الْبُشْرِ وَطَلَاقَةُ الْوُجْهِ وَعَدَمُ آثَارِ الْغَضَبِ وَالْوَقَارُ نَفَى ذَلِكَ يَقُولُهُ : مَعَ الْحِلْمِ
فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهْيَبٌ فَهُوَ تَكْمِيلٌ آخَرٌ . وَمِنْ هَذَا أَيْضاً قَوْلُ السَّمَوِيِّ :

وَهُوَ : أَنْ يُؤْتَى فِي كَلَامٍ لَا يُؤْمَرُ خِلَافَ الْمَقْصُودِ بِفَضْلَةٍ ، لِنُكْتَةٍ كَالْمُبَالَغَةِ ،
نَحْوُ : وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ، فِي وَجْهِهِ ، أَيْ مَعَ حُبِّهِ . وَإِنَّمَا
بِالِإِعْتِرَاضِ ، وَهُوَ : أَنْ يُؤْتَى فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ أَوْ بَيْنَ كَلَامَيْنِ مُتَّصَيْنِ
مَعْنَى بَجُمْلَةٍ أَوْ أَكْثَرَ لَا تَحُلُّ لَهَا بَيْنَ الْإِعْرَابِ لِنُكْتَةٍ سِوَى دَفْعِ
الِإِبْهَامِ ، كَالْتَنْزِيهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَآيُهُمُ

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ
فَإِنَّهُ لَوْ اقْتَصَرَ عَلَى وَصْفِ قَوْمِهِ بِشُمُولِ الْقَتْلِ لِإِبْهَامِهِ ، لِأَوْهَمِ أَنْ ذَلِكَ
لِضَعْفِهِمْ وَقَاتِهِمْ ، فَأُزِيلَ هَذَا الْوَهْمُ بِوَصْفِهِمْ بِالِانْتِصَارِ مِنْ قَاتِلِهِمْ (كَالْمُبَالَغَةِ)
وَكَالِدَلَالَةِ عَلَى تَقَايُلِ الْمُدَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ، ذَكَرَ
لَيْلًا وَالْإِسْرَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللَّيْلِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَقْلِيلِ مُدَّةِ الْإِسْرَاءِ ، وَأَنَّهُ أُسْرِيَ
بِهِ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ ، لِأَنَّ التَّنْكِيرَ فِيهِ قَدْ دَلَّ عَلَى مَعْنَى الْبَعْضِيَّةِ (فِي وَجْهِهِ أَيْ مَعَ
حُبِّهِ) أَيْ مَعَ اشْتِهَاءِ الطَّعَامِ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِ . أَمَّا إِذَا جَعَلَ الضَّمِيرُ لِلَّهِ أَيْ عَلَى حَبِّ
اللَّهِ كَمَا قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ ، فَلَا يَكُونُ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ ، لِأَنَّهُ لِنَأْدِيَةِ أَصْلِ الْمُرَادِ
وَهَذَا الْوَجْهِ بَعِيدٌ كَمَا لَا يَخْفَى . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

مَنْ يَأْتِي يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا يَهْلِقُ السَّاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خِلَقًا
فَقَوْلُهُ عَلَى عِلَاتِهِ : تَتِمُّ جَمِيلٌ . وَقَوْلُ الْآخَرِ :

إِنِّي عَلَى مَا تَرَيْتُ مِنْ كِبَرِي أَغْرِفُ مِنْ أَيِّ ثَوٍّ كَأَلِ الْكَثِيفِ
قَوْلُهُ عَلَى مَا تَرَيْتُ مِنْ كِبَرِي : تَتِمُّ أَصْحَابُ الْحَزَنِ (سِوَى دَفْعِ الْإِبْهَامِ) أَيْ الَّذِي
ذَكَرَ فِي التَّكْمِيلِ (كَالْتَنْزِيهِ) وَكَتَبْتُ أَحَدَ الْمَذْكُورِينَ بِزِيَاةِ التَّوَكِيدِ فِي
أَمْرِ عَاقِبِهِمَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حِمْلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَا عَلَى وَهْنٍ
وَفَصَالَهُ فِي غَمٍّ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْ أَلَيْكَ ، فَقَوْلُهُ أَنْ أَشْكُرَ لِي : تَفْسِيرٌ

مَا يَشْتَهُونَ ، وَالِدُعَاءِ فِي قَوْلِهِ :
 إِنَّ الشَّمَانِينَ وَبُلْغَتْهَا * قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجَمَانِ
 وَالتَّنْبِيهِ فِي قَوْلِهِ :
 وَأَعْلَمَ فَعِلْمُ الْمَرْءِ يَنْفَعُ * إِنْ سَوْفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قُدِرَا

لوصينا ، وقوله جملة اعتراض بينهما إيجاباً للتوصية بالوالدة خصوصاً وتذكيراً
 لحقها العظيم مفرداً ، وكالمطابقة مع الاستعطاف في قول أبي الطيب :
 وَخُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتَ لَهَيْبَتَهُ * يَا جَنَّتِي لَرَأَيْتَ فِيهِ جَهَنَّمَ
 فقوله يا جنتي : اعتراض للمطابقة مع جهنم والاستعطاف ، وبيان السبب
 لآمر فيه غرابة كما في قوله بن ميادة :

فَلَا هَجْرُهُ يَبْدُو وَفِي الْيَأْسِ رَاحَةٌ * وَلَا وَصْلُهُ يَبْدُو لَنَا فَنُكَارِمُهُ
 فإن قوله فلا هجره يبدو يشعر بأن هجر الحبيب أحد مطلوبيه وغريب أن
 يكون هجر الحبيب مطلوباً للحب فقال وفي اليأس راحة ليعين سببه (ويجعلون
 لله البنات الخ) فقوله سبحانه جملة لسكونه بتقدير الفعل وقعت في أثناء الكلام
 لأن قوله ولهم ما يشتهون معطوف على قوله لله البنات . والنكتة فيه تنزيه الله سبحانه
 وتقديسه عما ينسبون إليه (في قوله) أي قول عوف بن محم الشيباني يشكو كبره
 وضدده . فقوله وبلغتها : جملة معترضة بين اسم إن وخبرها لقصد الدعاء والواو
 في مثله اعتراضية ليست عاطفة ولا حالية ، ومثل هذا قول أبي الطيب :

وَتَحْتَ قَرُ الدُّنْيَا احْتِقَارُ مُجَرَّبٍ * يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا
 فقوله وحاشاك دعاء حسن في موضعه (وأعلم الخ) فقوله فعلم المرء ينفعه
 اعتراض بين اعلم ومفعوله ، والمعنى أن المقدورات لا محالة وإن وقع فيه
 تأخير ، وفي هذا تسليية وتسهيل للأمر ، وهذا البيت أنشده أبو علي الفارسي

وَمِمَّا جَاءَ بَيْنَ كَلَامَيْنِ وَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ جُمْلَةٍ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى :
فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ
نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ، فَإِنَّ قَوْلَهُ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ بَيَانٌ لِقَوْلِهِ
فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ، وَقَالَ قَوْمٌ : قَدْ تَكُونُ النُّكْتَةُ فِيهِ غَيْرَ
مَا ذُكِرَ ، ثُمَّ جَوَّزَ بَعْضُهُمْ وَقَوَّعَهُ آخِرَ جُمْلَةٍ لَا تَلِيهَا جُمْلَةٌ مُتَّصِلَةٌ بِهَا
فَيَشْمَلُ التَّذْيِيلَ ، وَبَعْضُ صُورِ التَّكْمِيلِ ، وَبَعْضُهُمْ كَوَّنَهُ غَيْرَ جُمْلَةٍ

ولم يعزه على أحد (وهو) أى والاعتراض نفسه الواقع بين الكلامين
أكثر من جملة (أيضاً) كما أن الكلام الذى يقع الاعتراض فى أثناءه
أكثر من جملة (بيان لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله) لأن الغرض
الأصل من الإتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة ، فلا تأتوهن إلا من
حيث يأتى فيه هذا الغرض . فالنكته فى هذا الاعتراض الترغيب فيما أمروا
به والتنفير عما نهوا عنه (وقال قوم الخ) يقول غفر الله له : إن قوماً ذهبوا
إلى أن الاعتراض لا تقيد فائدته بما ذكر ، بل يجوز أن تكون دفع توم
ما يخالف المقصود وهؤلاء اختلفوا فرقتين فرقة لا تشترط فيه أن يكون واقعاً
فى أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنى ، بل يجوز أن يقع فى آخر كلام
لا يليه كلام أو يليه كلام غير متصل به معنى وبهذا يشعر كلام الزمخشري فى
مواضع من الكشف ، فالاعتراض عند هؤلاء يشمل التذييل ويشمل من
التكميل ما لا محل له من الإعراب جملة كان أو أكثر من جملة . وفرقة تشترط
فيه ذلك لكن لا تشترط أن يكون جملة أو أكثر من جملة ، فالاعتراض
عند هؤلاء يشمل من التتميم ما كان واقعاً فى أحد الموقعين ، ومن التكميل
ما كان واقعاً فى أحدهما ولا محل له من الإعراب جملة كان أو أقل أو

فَيَشْمَلُ بَعْضَ سُورِ التَّثْمِيمِ وَالتَّكْمِيلِ . وَإِنَّمَا بَغَيْرِ ذَلِكَ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :
الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ،
فَإِنَّهُ لَوْ اخْتَصِرَ لَمْ يَذْكُرْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، لِأَنَّ إِيمَانَهُمْ لَا يُنْكِرُهُ مَنْ
يُنْفِتُهُمْ ، وَحَسَنَ ذِكْرُهُ إِظْهَارُ شَرَفِ الْإِيمَانِ تَرْغِيْبًا فِيهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ
يُوصَفُ الْكَلَامُ بِالْإِيجَازِ وَالْإِطْنَابِ بِاعْتِبَارِ كَثَرَةِ حُرُوفِهِ وَقِلَّتِهَا بِالنِّسْبَةِ
إِلَى كَلَامٍ آخَرَ مُسَاوِيَةً فِي أَصْلِ الْمَعْنَى كَقَوْلِهِ :

❖ يَصُدُّ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا عَنَّ سَوَدَدٌ ❖ وَقَوْلِهِ :

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الْغِنَى إِذَا كَانَتْ الْعَالِيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ

أَكْثَرُ (وَإِنَّمَا بَغَيْرِ ذَلِكَ) مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ إِنَّمَا بِالْإِيضَاحِ بَعْدَ الْإِبْهَامِ
(كَقَوْلِهِ) أَيْ نَوَّلَ أَبِي تَمَامٍ مِنْ آيَاتِ يَرْثِي أَبَا الْحُسَيْنِ مُحَمَّدَ بْنَ الْهَيْثَمِ .
وَتَمَامُ الْبَيْتِ :

❖ وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيٍّ عَذْرَاءٌ نَاهِدٍ ❖

وَأَنْتَ تَرَى أَنَّ هَذَا الْمَصْرَاعَ إِيجَازٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَيْتِ الْمَعْدِلِ بْنِ غِيلَانَ :
وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الْغِنَى إِذَا كَانَتْ الْعَالِيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ
لِمَسَاوَاتِهِ لَهُ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى وَقِلَّةِ حُرُوفِهِ ، وَالْبَيْتُ إِطْنَابٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ .
وَكَذَا بَيْتُ الشَّيْخِ :

إِذَا مَا رَأَيْتُ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

فَإِنَّهُ إِيجَازٌ بِالنِّسْبَةِ لِقَوْلِ بَشَرَ بْنِ أَبِي خَازِمٍ :

إِذَا مَا الْمُسْكِرَاتُ رُفِعْنَ يَوْمًا وَقَعَّرَ مُبْتَغُوها عَنْ مَدَاهَا

وَيَقْرُبُ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ،
وَقَوْلُ الْحَمَاسِيِّ :

وَنُنْكَرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ * وَلَا يُنْكَرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

حاشي الفن الثاني علم البيان

وَهُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ إِرَادُ الْمَعْنَى الْوَاحِدِ بِطَرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي وُضُوحِ

وَضَاقَتْ أَذْرُعُ الْمُثْرَيْنِ عَنْهَا سَمَاءُ أَوْسٍ إِلَيْهَا فَاحْتَوَاهَا

وشعر بشر إطناب بالنسبة إليه ، قال ، ويقرب من هذا الباب قوله تعالى :
لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ وقول السموأل :

وَتُنْكَرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُنْكَرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

(وهو علم الخ) قد مهد السكاكي لهذا النوع من علوم البلاغة بمقدمات
هي بالعلوم النظرية أليق وللبايغ بغيرها عنها غنية ولكن لا يحصى أيها القارىء
عن شرحها بما ينظر للأسلوب العربى فنقول : ابيان علم يعرف به إبراز المعنى
الواحد فى صور مختلفة وترا كيب متفاوتة بالزيادة والنقصان فى وضوح الدلالة
عليه ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ فى مطابقة الكلام لتسام المراد منه
ثم بما يكاد يكون معروفاً أن إبراز المعنى الواحد فى صور مختلفة غير ممكن
بالدلالة اللغوية . وهى التى يسمونها الدلالة الوضعية . لأن من المحال أن يتطرق
الكمال والنقصان إليها ، فإن السامع للفظ إما أن يكون عالماً بكونه موضوعاً
لمسماه أولاً يكون ، فإن كان عالماً به عرف مفهومه بتمامه وإن لم يكن عالماً
به لم يعرف منه شيئاً البته . فالألفاظ فى دلالاتها اللغوية إما أن تفيد مسمياتها
بالكمال أو لا تفيد شيئاً منها ، فأما أن تفيد إفادة ناقصة فذلك غير معقول ، مثاله

الدَّلَالَةُ عَلَيْهِ ، وَدَلَالَةُ اللَّفْظِ إِنَّمَا عَلَى تَمَامِ مَا وَضِعَ لَهُ ، أَوْ عَلَى جُزْئِهِ ،
أَوْ عَلَى خَارِجٍ عَنْهُ ، يُتَسَمَّى الْأُولَى وَضْعِيَّةً ، وَكُلٌّ مِنَ الْأَخِيرَتَيْنِ عَقْلِيَّةً

إذا أردت تشبيه زبد بالأسد في الشجاعة ، فإن أفدت هذا بالدلالة اللغوية وقلت
زيد يشبه الأسد في الشجاعة ، فقد أفدت مقصودك بالفاظ دالة عليه دلالة
لغوية ، وهذه الإفادة تمتنع من طرق الزيادة والنقصان إليها ، لأنك إذا نقصت
في هذه الالفاظ شيئاً فقد نقصت من المعنى لا محالة . وإن زدت فيها فقد
زدت في المعنى لا محالة ، وإن أقمت مقام كل لفظ منها ما يرادفه امتنع أن
تزداد تلك الإفادة قوة بسبب ذلك ، لأن السامع إذا عرف كونها موضوعة
بإزاء مفهومات الالفاظ الأول كان فهمه منها كفهمة من تلك الالفاظ الأول
وإن لم يعرف ذلك لم يعرف منها ذلك المعنى . وأما الدلالة العقلية فلاجل أن
حاصها عائد إلى انتقال الذهن من مفهوم اللفظ إلى ما يلزمه من اللوازم ، ثم
اللوازم كثيرة ، وهي تارة تكون قريبة وأخرى تكون بعيدة ، لا جرم صح
إبراز المعنى الواحد في صور كثيرة ، وصح في تلك الصور أن يكون بعضها
أكمل من بعض في إفادة ذلك المعنى وتأديته وبعضها أنقص وأضف ...
إذا عرفت هذا فنقول : دلالة اللفظ على المعنى إما أن تكون وضعية أو عقلية .
فالوضعية كدلالة الالفاظ على المعاني التي هي موضوعة بإزائها وذلك كدلالة
السماء والأرض والجدار والحائط على مسمياتها ، ولا شك في كونها وضعية ،
وإلا لامتنع اختلاف دلالتها باختلاف الأوضاع وأما العقلية فإما على ما يكون
داخلاً في مفهوم اللفظ كدلالة لفظ البيت على السقف الذي هو جزء مفهوم
البيت ولا شك في كونها عقلية لامتناع وضع اللفظ بإزاء حقيقة مركبة ولا
يكون متناولاً لأجزائها ، وإما على ما يكون خارجاً عنه كدلالة لفظ السقف
على الحائط ، فإنه لما امتنع انفكاك السقف عن الحائط عادة كان اللفظ المقيم

وَتَحْتَصُّ الْأُولَى بِالمُطَابَقَةِ ، وَالثَّانِيَةُ بِالتَّضَمُّنِ ، وَالثَّالِثَةُ بِالِالْتِزَامِ وَشَرْطُهُ
اللزوم الذهني ، وَلَوْ لَا عَمْتِقَادِ الْمُخَاطَبِ بِعُرْفٍ أَوْ غَيْرِهِ ، وَالْإِيرَادِ الْمَذْكُورُ
لَا يَتَنَاقَى بِالْوَضْعِيَّةِ ، لِأَنَّ السَّامِعَ إِذَا كَانَ عَالِمًا بِوَضْعِ الْأَلْفَافِ
لَمْ يَكُنْ بَعْضُهَا أَوْضَحَ ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ دَالًّا عَلَيْهِ وَيَتَنَاقَى
بِالعَقْلِيَّةِ ، لِجَوَازِ أَنْ تَخْتَلِفَ رَوَاتِبُ اللزومِ فِي الوُضُوحِ ، ثُمَّ اللَّفْظُ
المراد بِهِ لِأَزْمَ مَا وَضِعَ لَهُ إِنْ قَامَتْ قَرِينَةٌ عَلَى عَدَمِ إِرَادَتِهِ فَمَجَازٌ ،

لحقيقة السقف مفيداً للحائظ بواسطة دلالة الأول ، فتكون هذه الدلالة عقالية ،
والقوم قد اصطاحوا على تسمية الأولى بدلالة المطابقة والثانية بدلالة التضمن
والثالثة بدلالة الالتزام ، قال المصنف : وشرط الالتزام اللزوم الذهني بين
الموضوع له والخارج عنه يعني أن يكون حصول ما وضع اللفظ له في الذهن
ملزوماً لحصول الخارج فيه لئلا يلزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر لكون
نسبة الخارج إليه حينئذ كنسبة سائر المعاني الخارجة ، ولا يشترط في هذا
اللزوم أن يكون مما يشبه العقل بل يكفي أن يكون مما يشبه اعتقاد المخاطب ، إما
لعرف عام أو لغيره ، لإمكان الانتقال حينئذ من المفهوم الأصلي إلى الآخر .
قال : ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له إن قامت قرينة على عدم إرادة
ما وضع له فهو مجاز وإلا فكناية . . . وهذا مبني على ما سيجيء أول باب
الكناية من أن الانتقال في المجاز والكناية كليهما إنما هو من اللزوم إلى
اللازم ، وأن ما ذكره السكاكي من أن مبني الكناية على الانتقال من اللازم
إلى اللزوم ليس بصحيح ، إذ لا دلالة اللازم من حيث أنه لازم على اللزوم

وَالْإِفْكَايَةُ ، وَقُدِّمَ عَلَيْهَا لِأَنَّ مَعْنَاهُ كَجُزءٍ مَعْنَاهَا ، ثُمَّ مِنْهُ مَا يُبْنَى عَلَى التَّشْبِيهِ ، فَتَعَيَّنَ التَّعَرُّضُ لَهُ ، فَانْحَصَرَ فِي الثَّلَاثَةِ .

﴿ التَّشْبِيهِ ﴾

- التَّشْبِيهُ الدَّلَالَةُ عَلَى مُشَارَكَةِ أَمْرٍ لِأَمْرٍ فِي مَعْنَى ، وَالْمُرَادُ هَهُنَا

وَالِاتِّزَامُ إِنَّمَا هُوَ الدَّلَالَةُ عَلَى لَازِمِ الْمُسَمَى لَا عَلَى مِلْزُومِهِ . قَالَ : وَقَدْ دُمِ الْجَازِ عَلَى الْكُنَايَةِ لِأَنَّ مَعْنَاهُ كَجُزءٍ مَعْنَاهَا ، أَيْ لِأَنَّ الْمُرَادَ فِي الْجَازِ هُوَ الْإِزَامُ فَقَطْ لِقِيَامِ الْقَرِينَةِ عَلَى عَدَمِ إِرَادَةِ الْمِلْزُومِ وَفِي الْكُنَايَةِ يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ الْإِزَامُ وَالْمِلْزُومُ جَمِيعاً . قَالَ : ثُمَّ مِنَ الْجَازِ مَا يُبْنَى عَلَى التَّشْبِيهِ . وَهُوَ الْإِسْتِعَارَةُ . فَتَعَيَّنَ التَّعَرُّضُ لَهُ فَانْحَصَرَ الْمَقْصُودُ مِنْ عِلْمِ الْبَيَانِ فِي الثَّلَاثَةِ : التَّشْبِيهِ وَالْجَازِ وَالْكُنَايَةِ . هَذَا مَا أَمَكُنْ أَنْ نُنَبِّتَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَهُوَ بَعْدَ مَوْضِعِ نَظَرٍ (١) .

﴿ التَّشْبِيهِ ﴾ اعْلَمْ أَنَّ التَّشْبِيهِ هُوَ اتَّفَقُ الْعُقُلَاءِ عَلَى شَرَفِ قَدْرِهِ وَإِنْ تَعْقِبُ الْمَعَانِي بِهِ لِأَسْيَا قَسَمِ التَّشْبِيلِ مِنْهُ يَكْسِيهَا أَهْبَةً وَيَكْسِيهَا مَنْقِبَةً وَيَرْفَعُ مِنْ أَقْدَارِهَا وَيُشَبِّهُ مِنْ نَارِهَا وَيَضَاعِفُ قَوَاهِي تَحْرِيكِ النُّفُوسِ لَهَا وَيَدْعُو الْقُلُوبَ إِلَيْهَا وَيُسْتَثِيرُهَا مِنْ أَقَاصِي الْإِفْتِدَاءِ صِبَاةً وَكَلْفًا ، وَيَقْسِرُ الطَّبَاعَ عَلَى أَنْ تَعْطِيَهَا مَحَبَّةً وَشَفَافًا فَإِنْ كَانَ مَدْحًا كَانَ أَهْبَى وَأَنْحَمَ وَأَنْبَلُ فِي النُّفُوسِ وَأَعْظَمَ ، وَأَهْزَ لِلْعُطْفِ وَأَسْرَعَ لِلْأَلْفِ ، وَأَجْلَبَ لِلْفَرَحِ ، وَأَغْلَبَ عَلَى الْمَمْتَدَحِ وَأَوْجَبَ شَفَاعَةَ الْمَادِحِ ، وَأَقْضَى لَهُ بَغْرَ الْمَوَاهِبِ وَالْمَنَاحِ ، وَأَسِيرَ عَلَى الْأَلْسُنِ وَأَذْكَرَ ، وَأَوَّلَى بِأَنْ تَعْلِقَهُ الْقُلُوبُ

(١) وَذَلِكَ لِأُمُورٍ : مِنْهَا أَنَّهُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ قَوْلُهُمْ أَنَّ الْإِخْتِلَافَ بِالْمَوْضُوحِ وَالْخَفَاءِ غَيْرَ مُمْكِنٍ فِي الدَّلَالَةِ الْوَضْعِيَّةِ ، وَلَقَدْ شَنَعَ شَيْخُنَا الْإِمَامُ حَفْظُهُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ بِمَا يُؤَيِّدُهُ الْحَسُّ وَيَنْهَضُهُ الْعَقْلُ ، وَلَيْسَ فِي وَسْئِنَا لِإِبْطَالِ ذَلِكَ الْآنَ وَرَبَّمَا أَثْبَتْنَاهُ فِي مَكَانٍ آخَرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَأُمُورٌ أُخْرَى نَبَهَ عَلَيْهَا الْقَوْمُ فِيمَا كَتَبُوا فَانْظُرْهَا ثُمَّتْ إِنْ شِئْتَ .

وأجدر . وإن كان ذماً كان مسه أوجع وميسمه أذع ووقعه أشد وحمده أحد ،
وإن كان حجاباً كان برهانه أنور وسلطانه أفهر وبيانه أبهر . وإن كان افتخاراً
كان شأوه أبعد وشرفه أجدر ولسانه ألد . وإن كان اعتذاراً كان إلى القبول
أقرب وللقلوب أخلب وللسخانم أسل ولغرب الغضب أقل ، وفي عقد العقود
أنفث وعلى حسن الرجوع أبعث . وإن كان وعظاً كان أشقى للصدر وأدعى
إلى الفكر وأبلغ في التنبيه والزجر وأجدر ، بأن يحلى الغياية ويبصر الغاية ويبرىء
العليل ويشفي الغليل . وهكذا الحكم إذا استقرت فنون القول وضروبه ،
وتتبعت أبوابه وشعوبه . وإن أردت أن تعرف ذلك فانظر إلى قول البحري :

دَانِ عَلَى أَيْدِي الْعَفَاةِ وَشَاسِعٌ عَنْ كُلِّ نِدٍّ فِي النَّدَى وَضَرِيبِ
كَالْبَذْرِ أَفْرَاطَ فِي الْعُلُوِّ وَضَوْؤُهُ لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبِ
أو قول ابن السكك :

إِذَا أَخُو الْحُسَيْنِ أَضْحَى فِعْلُهُ سَمِيحًا رَأَيْتَ صُورَتَهُ مِنْ أَقْبَحِ الصُّورِ
وَهَبَهُ كَالشَّمْسِ فِي حُسْنٍ أَلَمْ تَرَنَا نَفَرٌ مِنْهَا إِذَا مَأَتْ إِلَى الضَّرَرِ
أو قول ابن الرومي :

بَذَلَ الْوَعْدَ لِلْأَخْلَاءِ سَمِيحًا وَأَبَى بَعْدَ ذَلِكَ بَذَلَ الْمَطَاءِ
فَقَدْ كَانَ خِلَافَ يُوْرِقُ لِلْعَيْنِ وَيَأْبَى الْإِمَارَ كُلَّ الْإِبَالِ
أو قول أبي تمام :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ
لَوْ لَا اشْتِمَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عُرْفِ الْعُودِ
وقوله أيضاً :

مَوْطُولٌ مُقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ لِدَيْبَاجَتَيْهِ فَأَغْتَرَبَ تَتَجَدَّدِ

مَا لَمْ تَكُنْ عَلَى وَجْهِ الاستِعَارَةِ التَّحْقِيقِيَّةِ وَالِاستِعَارَةِ بِالْكِنَايَةِ

فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ
وَفَكَرْتُ فِي حَالِكَ وَحَالِ الْمَعْنَى مَعَكَ وَأَنْتَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ لَمْ تَنْتَهَ إِلَى الثَّانِي
ثُمَّ قَسَمْنَا عَلَى الْحَالِ وَقَدْ وَقَعْتَ عَلَيْهِ وَتَأَمَّنْتَ طَرْفِيهِ ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ بَعْدَ مَا بَيْنَ
حَالَتَيْكَ وَشِدَّةَ تَفَاوُتِهِمَا ، فِي تَمَكُّنِ الْمَعْنَى لَدَيْكَ وَتَحَبُّبِهِ إِلَيْكَ وَنَبْلِهِ فِي نَفْسِكَ
وَتَوْفِيرِهِ لَأَنْسِكَ ، وَتَحَكُّمِ لِي بِالْصَّدَقِ فِيمَا قُلْتَ وَالْحَقِّ فِيمَا ادَّعَيْتَ وَكَذَلِكَ فَتَعْمَدُ
الْفَرْقَ بَيْنَ أَنْ تَقُولَ أَرَى قَوْمًا لَهُمْ بِهِاءٌ وَمَنْظَرٌ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَخْبَرٌ ، وَتَقْطَعَ
الْكَلَامَ ، وَبَيْنَ أَنْ تَتَّبِعَهُ قَوْلُ ابْنِ خَلْسَاكَ :

فِي شَجَرِ السَّرْوِ مِنْهُمْ مِثْلُ لَهُ رُوءٍ وَمَا لَهُ ثَمَرٌ

وَانْظُرْ إِلَى الْمَعْنَى فِي الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ كَيْفَ يورِقُ شَجَرُهُ وَيُثْمِرُ وَيَفْتَرِ ثَمَرُهُ
وَيُبَسِّمُ ، وَكَيْفَ تَشْتَارُ الْأَرَى مِنْ مَذَاقِهِ كَمَا تَرَى الْحَسَنَ فِي شَارْتِهِ . هَذَا وَلِذَلِكَ
أَسْبَابُ وَعَالٍ فَنَمَا مَا يَحْصُلُ لِلنَّفْسِ مِنَ الْإِنْسِ إِخْرَاجُهَا مِنْ خَفَى إِلَى جَلَى كَالْإِنْتِقَالِ
مِمَّا يَحْصُلُ لَهَا بِالْفِكْرَةِ إِلَى مَا يَعْلَمُ بِالْفِطْرَةِ أَوْ بِإِخْرَاجِهَا مِمَّا لَمْ تَأْلَفْهُ إِلَى مَا أَلْفَتْهُ
كَأَقِيلٍ : مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ . أَوْ مِمَّا لَمْ تَعْلَمْهُ إِلَى مَا هِيَ بِهِ أَعْلَمُ كَالْإِنْتِقَالِ
مِنَ الْمَعْقُولِ إِلَى الْمَوْسُ ، فَإِنَّكَ قَدْ تَعَبَّرَ عَنِ الْمَعْنَى بِعِبَارَةٍ تَوْذِيهِ وَتَبَالُغِ حَتَّى
لَا تَدْعُ فِي النَفُوسِ مَنْزَعًا ، نَحْوُ أَنْ تَقُولَ وَأَنْتَ تَصِفُ الْيَوْمَ بِالْقَصْرِ يَوْمَ كَأَقْصَرِ
مَا يَتَصَوَّرُ . فَلَا يَجِدُ السَّامِعُ لَهُ مِنَ الْإِنْسِ مَا يَجِدُهُ لِنَحْوِ قَوْلِهِمْ أَيَّامَ كَأَبَاهِمِ (١)
الْقَطَا وَقَوْلِ ابْنِ الْمُسْتَز :

نَدَّيْتُ مِنْ يَوْمٍ كَطَلٍّ حَصَاةٍ لَيْلًا كَطَلٍّ الرَّمْثِ غَيْرَ مَوَاتٍ

وقول الآخر

ظَلَلْنَا عِنْدَ بَابِ أَبِي نَعِيمٍ بَيْنَ يَوْمٍ مِثْلِ سَالِفَةِ الدُّبَابِ (١)

(١) جمع إيهام . (٢) هي ناحية مقدم العنق من لدن معالق القراط إلى الترقوه .

وكذا تقول فلان إذا هم بالشئ لم يزل ذلك عن ذكره وقابه ، وقصر
خوابه على إمضاء عزمه فيه ، ولم يشغله عنه شئ ، ثم لا ترى في نفسك له هزقة
ولا تصادف لما تسمعه أريحية حتى إذا قلت :

* إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ * (١)

امتلات نفسك سروراً وأدركتك طربة لا تملك دفعها عنك . ومن الدليل
على أن التشبيه من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره ، أنه لو كان
الرجل مثلاً على طرف نهر في وقت مخاطبة صاحبه ، وإخباره له بأنه لا يحصل
من سعيه على شئ ، فأدخل يده في الماء وقال انظر هل حصل في كفي من
الماء شئ ، فكذلك أنت في أمرك ، كان لذلك ضرب من التأثير زائد على
القول المجرد . ومن فضائل التشبيه أنه يأتيك من الشئ الواحد بأشياء عدة
نحو : أن يعطيك من الزند بإيرائه ، شبه الجواد والزكي والنجم في الأمور
، بإصلاده شبه البخيل والبليد والخيبة في السعى ، ومن القمر الكمال عن النقصان
كما قال أبو تمام (٢) :

لَعَنِي عَلَى تِلْكَ الشَّوَاهِدِ فِيهَا لَوْ أُمِيتَ حَتَّى تَصِيرَ شَمَائِلًا
لَعَدَا شُكُونُهُمَا حِجْبِي وَصِبَاها حِلْمًا وَتِلْكَ الْأَرْيَحِيَّةُ نَائِلًا
إِنَّ الْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نَمُوهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَصِيرُ بَدْرًا كَامِلًا

والنقصان بعد الكمال كقول أبا العلاء المعري :

(١) الشطر لسيد بن ناشب وتمامه :

* وَنَكَبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا *

(٢) يرثي ولدين لعبد الله بن طاهر ماتا في يوم واحد .

والتجريد ، فدخل فيه نحو قولنا زيد أسد ، وقوله تعالى : صم بكم عنى

وإن كنت تبغى العيش فأبغ توشطاً فمِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ الْمُتَطَاوِلُ
تَوْقَى الْبُدُورُ النَّقْصَ وَهِيَ أَهْلَةٌ وَيُذْرِكُهَا النُّقْصَانُ وَهِيَ كَوَامِلُ

وتتفرع من حالى كاله ونقصه فروع لطيفة ، فمن ذلك قول ابن بابك :

وَأَعْرَتْ شَطَرَ الْمَلِكِ ثَوْبَ كَالِهِ وَالْبَدْرُ فِي شَطْرِ الْمَسَافَةِ يَسْكُمُ

قاله فى الأستاذ أبى على وقد استوزره نحر الدولة بعد وفاة صاحب وأبا

العباس الضبي وخلع عليهما ، وقول أبو بكر الخوارزمي .

أَرَاكَ إِذَا أُبْسِرْتَ خَيَّمْتَ عِنْدَنَا مُقِيمًا وَإِنْ أُعْسِرْتَ زُرْتَ لِمَا
فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ إِنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ أَغْبَّ وَإِنْ زَادَ الضِّيَاءُ أَقَامَا

المعنى لطيف وإن لم تساعد العبارة على الوجه الذى يحب ، فإن الإغياب

أن يتخلل وقتى الحضور وقت يخلو منه ، وإنما يصلح لأن يراد أن القمر إذا

نقص نوره لم يوال الطلوع كل ليلة بل يظهر فى بعض الليالى دون بعض وليس

الامر كذلك لأنه على نقصانه يظهر كل ليلة حتى يكون السرار . وبعد ، فهذا

الضرب من البيان على حدته كنز من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المفلق والكاتب

البليغ فى الإبداع والإحسان والاتساع فى طرق البيان وأن يضع الكلام

بعيد المرام قريباً من الأفهام ، ولا يفرنك من أمره أنك ترى الرجل

يشبه الجواد بالبحر والشجاع بالأسد والحسن بالشمس ، وما مائل ذلك

بما اشتهر أمره وجرى لذلك مجرى الحقيقة وإنما هو يدق ويلطف حتى

يأتيك بما يخلب القلوب ويرقص الهام ، وحتى يخرج مثله عن طوق البشر

جميعاً (التجريد) سيمر بك فى البديع (فدخل فيه نحو قولنا زيد أسد)

وَالنَّظَرُ هُمُنَا فِي أَرْكَانِهِ ، وَهِيَ طَرَفَاهُ وَوَجْهُهُ وَأَدَاتُهُ ، وَفِي الْفَرْضِ مِنْهُ
وَفِي أَقْسَامِهِ : طَرَفَاهُ إِمَّا حِسِّيَّانِ ، كَالْخَدِّ وَالْوَرْدِ ، وَالصَّوْتِ الضَّعِيفِ
وَالْهَمْسِ ، وَالنَّكْهَةِ وَالْعَنْبَرِ ، وَالرَّيْقِ وَالْخَمْرِ ، وَالْجِلْدِ النَّاعِمِ وَالْحَرِيرِ :
أَوْ عَقْلِيَّانِ : كَالْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ ، أَوْ مُخْتَلِفَانِ : كَالْمَنِيَّةِ وَالسَّبْعِ ، وَالْعِطْرِ وَخُلُقِ
كَرِيمٍ ، وَالْمُرَادُ بِالْحِسِّيِّ الْمُدْرِكُ هُوَ أَوْ مَادَّتُهُ بِأَحْدَى الْخَوَاسِّ الْخَمْسِ

وسياتى آخر التشبيه تحقيق ذلك إن شاء الله (كالخد والورد) والقامة والبرح
والقد والغصن والفيل والجبل ، يعنى حيث يشبه الأول بالثانى فى جميع ذلك
وقس على هذا ما يأتى (والهمس) وهو الصوت الذى أخفى حتى كأنه لا
يخرج عن فضاء الفهم (والنكهة) هى ريح الفم (كالمنية والسبع) فالمشبه وهو
المنية عقلى والمشبه به وهو السبع حسى (والعطر وخلق كريم) فالمشبه
هو العطر محسوس بالشَّم ، والمشبه به وهو الخلق عقلى . قال الرازى اعلم أن
تشبيه المحسوس بالمعقول غير جائز لأن العلوم العقلية مستفادة من الخواس
ومنتهية إليها ، ولذلك قيل من فقد حساً فقد فقد علماً ، وإذا كان المحسوس
أصلاً للمعقول فتشبيهه به يكون جملاً للفرع أصلاً وللأصل فرعاً وهو
غير جائز ولذلك لو حاول محاول المبالغة فى وصف الشمس بالظهور والمسك
بالطيب ، فقال الشمس كالحجة فى الظهور والمسك كخاق فلان فى الطيب ، كان
تخفيفاً من القول ، أما ما جاء فى الكلام الباطن من هذا الجنس ، فوجهه
أن يقدر المعقول محسوساً ويجعل كالأصل لذلك المحسوس على المبالغة ، وذلك
مثل قول البحتري :

وكان النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداء

الظَاهِرَةِ ، فَدَخَلَ فِيهِ الْخَيَالِي ، كَمَا فِي قَوْلِهِ :

وَكَأَنَّ مُحَمَّرَ الشَّقِيقِ إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ

أَعْلَامُ يَأْقُوتٍ نُشِيرُ نَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَبَرَجَدٍ

وَبِالْعَقْلِيِّ مَا عَدَا ذَلِكَ ، فَيَدْخُلُ فِيهِ الْوَهْمِيُّ ، أَيْ مَا هُوَ غَيْرُ مُدْرِكٍ بِهَا

وَلَوْ أُدْرِكَ لَكَانَ مُدْرَكًا بِهَا ، كَمَا فِي قَوْلِهِ * وَمَسْنُونُهُ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ *

كما سيأتي قريباً (الخيالي) هو المركب من أمور كل واحد موجود يدرك بالحس لكن هيئته التركيبية لم توجد . والتشبيه متى كان كذلك كان مصبوغاً بالحسن مكسياً روع الإعجاب (وكأن الخ) محمر الشقيق ، يراد به شقائق النعمان وهو ورد أحمر في وسطه سواد ، وإنما أضيف إلى النعمان لأنه حمى أرضاً أكثر فيها ذلك ، وتصوب : مال إلى أسفل ، وتصعد : مال إلى أعلى ، ومثله قول بعضهم في النيلوفر (١) :

كَلَّمْنَا بِأَسْطُ الْيَدِ نَحْوَ نَيْلُوفَرٍ نَدَى

كَدَّ بَابَيْسٍ غَسَجَدٍ قَضَبُهَا مِنْ زَبَرَجَدٍ

وقول أبي الغنائم الحمصي :

خَوْذَ كَأَنَّ بَنَانَهَا فِي خُضْرَةِ النَّقْشِ الْمَزْرُودِ

سَمَكَ مِنْ الْبَلُورِ فِي شَبَكٍ تَكُونُ مِنْ زَبَرَجَدٍ

(كما في قوله ومسنونه) وعليه قوله تعالى : طالعها كأنه رؤس الشياطين وصدرا البيت

* أَيْقَنْتُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي *

وَمَا يُدْرِكُ بِالْوُجْدَانِ كَاللَّذَّةِ وَالْأَلَمِ : وَوَجْهُهُ مَا يَشْتَرِكَانِ فِيهِ تَحْقِيقًا
أَوْ تَخْيِيلًا ، وَالْمُرَادُ بِالتَّخْيِيلِ نَحْوُ مَا فِي قَوْلِهِ :
وَكَانَ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهَا سُنَنٌ لَّاحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ

وهو لامرئ القيس من القصيدة الى مطلعها :

❖ أَلَا عِمُّ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي ❖

والمشرفي نسبة الى مشارف الشام : وهي فرى من أرض العرب تدنو من
الريف منها السيوف المشرفية والمسنونة المحددة المصقولة يريد الدهام (نحو ما في
قوله وكان) نحوه كل مالا يمكن وجوده في المشبه به إلا على تأويل ، ومن هذا
قول أبي طالب الرقي :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالزَّمَانَ كَأَنَّهُ يَوْمُ النَّوَى وَفُؤَادُ مَنْ لَمْ يَعْشُقِ

لما كانت أيام المكاره توصف : بالسواد فيقال اسود النهار في عيني وأظلمت
الدنيا على ، جعل يوم النوى كأنه أعرف وأشهر بالسواد من الظلام فشبه به ،
ثم عطف عليه فؤاد من لم يشق قطرفاً وإنما للصفة ، وذلك أن الغزل يدعى
القسوة على من لم يعرف العشق والقلب القاسي يوصف بشدة السواد ، فصار
هذا الملب عنده أصلاً في الكدرة والسواد ففاس عليه ومنه قول ابن بابك :

وَأَرْضٍ كَأَخْلَاقِ الْكَرِيمِ قَطَعْتُهَا وَقَدْ كَحَلَ اللَّيْلُ السَّمَاءَ فَأَبْصَرَ

لما كانت الأخلاق توصف بالسعة والضيق وكثر ذلك توهمه حقيقة فقابل
بين سعة الأرض التي هي سمة حقيقية وأخلاق الكريم ، وكذا قول التنوخي
في قطعة وهي قوله :

أَمَّا تَرَى الْبَرْدَ قَدْ وَافَتْ عَسَا كِرُهُ وَعَسْكَرَ الْحَرِّ كَيْفَ انْصَاعَ مُنْطَلِقَا

فَإِنَّ وَجْهَ الشَّيْءِ فِيهِ هُوَ الْهَيْئَةُ الْخَاصِلَةُ مِنْ حُصُولِ أَشْيَاءَ مُشْرِقَةٍ
بَيَضٍ فِي جَوَانِبِ شَيْءٍ مُظْلَمٍ أَسْوَدَ ، فَهِيَ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي الْمَشَبَّهِ بِهِ
إِلَّا عَلَى طَرِيقِ التَّخْيِيلِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتِ الْبِدْعَةُ وَكُلُّ مَا هُوَ جَهْلٌ
تَجْعَلُ صَاحِبَهَا كَمَنْ يَمْشِي فِي الظُّلُمَةِ فَلَا يَهْتَدِي لِلطَّرِيقِ وَلَا يَأْمَنُ أَنْ

فَالْأَرْضُ تَحْتَ ضَرْبِ النَّجْمِ تَحْتَسِبُهَا قَدْ أَلْبَسَتْ حَبَكًا أَوْ غُشِيَتْ وَرَقًا
فَانْهَضَ بِنَارٍ إِلَى فَحْمٍ كَأَنَّهَا فِي الْغَيْنِ ظُلْمٌ وَإِنْصَافٌ قَدْ اتَّفَقَا
جَاءَتْ وَنَحْنُ كَقَلْبِ الصَّبِّ حِينَ سَلَا بَرْدًا فَصِرْنَا كَقَلْبِ الصَّبِّ إِذْ عَشِقَا
المقصود فانهض بنار إلى لحم فإنه لما كان يقال في الحق إنه منير واضح لانه
فقتسمار له أوصاف الأجسام المنيرة ، وفي الظلم خلاف ذلك تخيلهما شيئين
لها إنارة وإظلام وإيضاض وأسوداد فشبه النار والفحم بهما ، وبما حسن من
هذا الباب ما كتب به صاحب إلى القاضي أي الحسن وقد أهدى له صاحب
عطر الفطر :

يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي نَفْسِي لَهُ مَعَ قُرْبِ عَهْدٍ لِقَائِهِ مُشْتَاقَةٌ
أَهْدَيْتُ عِطْرًا مِثْلَ طِيبِ ثَنَائِهِ فَكَأَنَّمَا أَهْدَيْتُ لَهُ أَخْلَاقَهُ

فالامادة أن يشبهه الثناء بالعطر وقد عكس كما ترى وذلك على ادعاء أن ثناءه
أحق بصفة العطر وطيبه من العطر وأنه قد صار أصلا ، حتى إذا قيس نوع من
العطر عليه فقد بولغ في صفته بالطيب وجعل له في الشرف والفضل على جنسه
أوفر نصيب ، وبما حقه أن يعد في هذا الباب قول القائل :

كَأَنَّ انْتِضَاءَ الْبَدْرِ مِنْ تَحْتِ غَيْمِهِ ، نَجَاءٌ مِنَ الْبُؤْسَاءِ بَعْدَ وَقُوعِ

يَنَالُ مَكْرُوهَهَا شَبَّهَتْ الْبِدْعَةُ بِهَا ، وَلَزِمَ بِطَرِيقِ الْعَكْسِ أَنْ تُشَبَّهَ
السُّنَّةُ وَكُلُّ مَا هُوَ عِلْمٌ بِالنُّورِ ، وَشَاعَ ذَلِكَ حَتَّى تُخَيَّلَ أَنَّ الثَّانِيَّ
مِمَّا لَهُ بَيَاضٌ وَإِشْرَاقٌ ، نَحْوُ : أَتَبَشَّكُمُ بِالْحَنِيفَةِ الْبَيْضَاءِ ، وَأَنَّ الْأَوَّلَ
عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ ، كَقَوْلِكَ : شَاهَدْتُ سَوَادَ الْكُفْرِ مِنْ جَبِينِ فُلَانٍ ،
فَصَارَ تَشْبِيهُ النُّجُومِ بَيْنَ الدُّجَى بِالسُّنَنِ بَيْنَ الْإِبْتِدَاعِ كَتَشْبِيهِهَا بِبَيَاضِ

وذلك أن العادة أن يشبه المتخلص من البأساء بالبدر الذي ينحبر عنه
الغمام ، والشبه بين البأساء والغمام والظلماء من طريق العقل لا من طريق الحس ،
ذكر هذا الإمام عبد الفاهر ، هذا وإليك ما قبل البيت :

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعْتُهُ بِصُدُودٍ وَفِرَاقٍ مَا كَانَ فِيهِ وَدَاعُ
مُوحِشٍ كَالثَّقِيلِ تَقْدَى بِهِ الْفَيْنُ وَتَأْتِي حَدِيثُهُ الْأَسْمَاعُ

وبعده :

مُشْرِقَاتٌ كَأَنَّهِنَّ حِجَابُ تَقَطَّعُ الْخَضَمَ وَالظَّلَامُ انْقِطَاعُ
وَكَأَنَّ السَّمَاءَ خِيَمَةٌ وَشَيْ وَكَأَنَّ الْجُوزَاءَ فِيهَا شَرَاغُ
والآيات للقاضي أبي القاسم التنوخي شيخ له القدر المعلى في الأدب ، ومن
جيد شعره — وهو مما وجد فيه التشبيه الحسن ولذلك أئبتهاه :

وَلَيْلَةٌ مُشْتَاقٍ كَانَ نَجُومَهَا قَدْ اغْتَصَبَتْ عَيْنَ الْكَرَى وَهِيَ نَوْمُ
كَأَنَّ عِيُونَ السَّاهِرِينَ لَطَوَّهَا إِذَا شَخَصَتْ لِلْأَنْجَمِ الزُّهْرُ الْأَنْجَمُ
كَأَنَّ سَوَادَ اللَّيْلِ وَالْفَجْرُ ضَاكِحٌ يَلُوحُ وَيَخْفَى ، أَسْوَدٌ يَتَبَسَّمُ

الشَّيْبُ فِي سَوَادِ الشَّبَابِ أَوْ بِالْأَنْوَارِ مُؤْتَلَقَةً بَيْنَ النَّبَاتِ الشَّدِيدِ الْخَضِرَةِ
فَعَلِمَ فَسَادُ جَعْلِهِ فِي قَوْلِ الْقَائِلِ : النَّاسُ فِي الْكَلَامِ كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ ،
كَوْنِ الْقَلِيلِ مُضْلِحًا ، وَالكَثِيرِ مُفْسِدًا ، لِأَنَّ النَّحْوَ لَا يَحْتَمِلُ الْقِلَّةَ

(أَوْ بِالْأَنْوَارِ) جَمْعُ نُورٍ يَفْتَحُ النُّونَ وَهُوَ الزَّهَرُ (مُؤْتَلَقَةً) لَامِعَةً ، وَبَعْدَ ،
فَقَدْ عَلِمْتَ مِنْ كَلَامِ الْمُصَنِّفِ أَنَّ التَّأْوِيلَ فِي الْبَيْتِ هُوَ تَخْيِيلُ مَا لَيْسَ بِمُتَلَوَّنٍ
مُتَلَوَّنًا . وَإِنْ تَأَوَّلْتَ فِي الْبَيْتِ أَنَّهُ أَرَادَ مَعْنَى قَوْلِهِمْ إِنَّ سَوَادَ الظَّلَامِ يَزِيدُ
النُّجُومَ حَسَنًا وَبِهَاءَ كَانَ لَهُ مَذْهَبٌ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ وَقُوفُ الْعَاقِلِ عَلَى بَطْلَانِ
الْبَاطِلِ وَعَوَارِ الْبِدْعَةِ يَزِيدُ الْحَقَّ تَبْلًا فِي نَفْسِهِ وَحَسَنًا فِي مِرَاةِ عَقْلِهِ ، جَعَلَ
هَذَا الْأَصْلَ مِنَ الْمَعْقُولِ مَثَلًا لِلشَّاهِدِ الْمُبْصِرِ هُنَاكَ إِلَّا أَنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَا يُخْرَجُ
مِنْ أَنْ يَكُونَ خَارِجًا عَنِ الظَّاهِرِ أَنْ يُمَثِّلَ الْمَعْقُولُ فِي ذَلِكَ بِالْمَحْسُوسِ كَمَا فَعَلَ
الْبَحْرِيُّ فِي قَوْلِهِ :

وَقَدْ زَادَهَا إِفْرَاطًا حُسْنٍ جَوَارُهَا خَلَائِقَ أَصْفَارٍ مِنَ الْيَجْدِ خَيْبٍ (١)

وَحُسْنٌ دَرَارِي النَّجُومِ بِأَنْ تُرَى طَوَالِغَ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْبٍ

(فَعَلِمَ الْخ) قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ وَجْهَ الشَّبَهِ هُوَ مَا يَشْتَرِكُ فِيهِ الطَّرَفَانِ ، وَحِينَئِذٍ
يَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِمْ النَّحْوُ فِي الْكَلَامِ كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ إِنَّ الْكَلَامَ لَا يَسْتَقِيمُ
وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ إِلَّا بِمُرَاعَاةِ أَحْكَامِ النَّحْوِ فِيهِ مِنَ الْإِعْرَابِ وَالتَّرْتِيبِ الْخَاصِّ كَمَا
لَا يَجْدَى الطَّعَامُ ، وَلَا تَحْصُلُ الْمَنْفَعَةُ الْمَطْلُوبَةُ مِنْهُ مَا لَمْ يَصْلَحْ بِالْمِلْحِ ، أَمَا مَا تَخَيَّلَهُ
بَعْضُهُمْ مِنْ أَنَّ مَعْنَاهُ : أَنَّ الْقَلِيلَ مِنَ النَّحْوِ مَغْنٍ وَالكَثِيرُ مُفْسِدٌ كَمَا يَفْسِدُ الْمِلْحُ
الطَّعَامَ إِذَا كَثُرَ فِيهِ فَتَخْرِيفُ وَقَوْلُ هَرَاءَ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَتَصَوَّرُ الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ

(١) الْأَصْفَارُ جَمْعُ صَفَرٍ : بِمَعْنَى خَالٍ .

وَالْكَثْرَةُ ، بِخِلَافِ الْمَلْحِ . وَهُوَ إِمَّا غَيْرُ خَارِجٍ عَنْ حَقِيقَتِهِمَا ، كَمَا فِي

فِي جُرْيَانِ أَحْكَامِ النُّحُو فِي الْكَلَامِ ، فَقَوْلُنَا كَانَ زَيْدٌ ذَاهِبًا لَا بَدَّ فِيهِ مِنْ رَفْعِ
الْإِسْمِ وَنَصْبِ الْخَبَرِ وَهَذَا إِنْ وَجَدَ فَقَدْ حَصَلَ النُّحُو وَتَمْتَنَعَ الزِّيَادَةُ عَلَيْهِ وَإِنْ
لَمْ يَحْصُلْ كَانَ الْكَلَامُ فَاسِدًا لَا يَفِيدُ السَّامِعَ فَائِدَةً بَلْ يَضُرُّهُ لَوْ قَوَّعَهُ فِي عَمِيَاءٍ
وَهَجُومِ الْوَحْشَةِ عَلَيْهِ ، فَقَوْلُ أَبِي بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيِّ :

« وَالْبُغْضُ عِنْدِي كَثْرَةُ الْإِعْرَابِ »

كَلَامٌ لَا تَحْصُلُ مِنْهُ عَلَى طَائِلٍ لِمَا عَلِمْتُ ، وَلَعَلَّهُمْ يَرِيدُونَ بِكَثْرَةِ النُّحُو
اسْتِعْمَالَ الْوُجُوهِ الْغَرِيبَةِ وَالْأَقْوَالِ الضَّعِيفَةِ وَنَحْوَ ذَلِكَ بِنِهَايَةِ الْكَلَامِ . هَذَا
وَبِمَا هُوَ فَاسِدٌ لِعَدَمِ اشْتِرَاكِ الطَّرَفَيْنِ فِي وَجْهِ الشَّبَهِ قَوْلُ ابْنِ شَرَفٍ الْقَيَّرَوَانِيِّ :

غَيْرِي جَنَى وَأَنَا الْمَعَاقِبُ فِيكُمْ فَكَأَنَّنِي سَبَّابَةٌ الْمُتَنَدِّمِ
حَكَى أَنَّهُ لَمَّا أَنْشَدَهُ ابْنُ رَشِيقٍ وَقَالَ لَهُ هَلْ سَمِعْتَ هَذَا الْمَعْنَى ، قَالَ ابْنُ رَشِيقٍ
سَمِعْتُهُ وَأَخَذْتُهُ وَأَفْسَدْتُهُ ، أَمَا الْآخِذُ فَمِنْ النَّابِغَةِ الذِّيَابِيِّ حَيْثُ يَقُولُ :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَهَلْ يَأْتُمُّنْ ذُوْأَمَةً (١) وَهُوَ طَائِعٌ
لَا كَلَّفَتْنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكَتُهُ كَذِي الْعُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعٌ (٢)

وَأَمَّا الْإِفْسَادُ فَلَأَنَّ سَبَابَةَ الْمُتَنَدِّمِ أَوَّلُ شَيْءٍ يَتَأَلَّمُ مِنْهُ ، فَلَا يَكُونُ الْمَعَاقِبُ
غَيْرَ الْجَانِي ، وَهَذَا بِخِلَافِ نَيْتِ النَّابِغَةِ فَإِنَّ الْمَكْوَى مِنَ الْإِبْلِ يَأْلَمُ وَمَا بِهِ أَعْرَ
أَلْبَتَّةُ ، وَصَاحِبُ الْعُرِّ لَا يَأْلَمُ لِجَمَلِهِ (وَهُوَ إِمَّا غَيْرُ خَارِجٍ الْخ) هَذَا تَقْسِيمُ
آخِرٍ لَوْجِهِ الشَّبَهِ وَأَهْلُهُ لِلْسَّكَاتِي ، حَذَاهُ الْمُصَنِّفُ فِيهِ حَذُو الْقَذَى بِالْقَذَى ،
وَيُعْجِبُنِي قَوْلُ الشَّيْخِ التَّفْتَازَانِيِّ فِي شَرْحِهِ الْمَطْبُولِ إِنْ أَمْثَالَ هَذِهِ التَّقْسِيمَاتِ

تَشْبِيهِ مَوْبٍ بِآخَرَ فِي نَوْعِهِمَا أَوْ جِنْسِهِمَا ، أَوْ خَارِجُ صِفَةٍ ، إِمَّا حَقِيقِيَّةٌ
حِسِّيَّةٌ ، كَالْكِيفِيَّاتِ الْجَسْمِيَّةِ ، مِمَّا يُدْرِكُ بِالْبَصَرِ مِنَ الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ
وَالْمَقَادِيرِ وَالْحَرَكَاتِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا ، أَوْ بِالسَّمْعِ مِنَ الْأَصْوَاتِ الْقَوِيَّةِ

التي لا تنفرع على أقسامها أحكام متفاوتة قليلة الجدوى ، وكأن هذا ابتهاج من
السكاكي باطلاعه على اصطلاحات المتكلمين فله در الإمام عبد القاهر وإحاطته
بأسرار كلام العرب وخواص تراكيب البلغاء ، فإنه لم يزد في هذا المزام على
التكثير من أمثلة أنواع التشبيهات وتحقيق اللطائف المودعة فيها . هذا والبلغاء
قاطبة برآء من التشبيه في مفهوم داخل في الحقيقة ، وليس وجه الشبه عندهم
إلا المعاني القائمة بالطرفين ، وليس الجنس والنوع عندهم إلا الاختصاص
والأعم ، فأمثال هذا التقسيم من تفلسف السكاكي والبهتان العظيم (حقيقيّة)
أى موجودة في الطرفين لا بالقياس إلى شيء (الألوان) كتشبيه الخد بالورد
والشعر بخافية الغراب والوجه بالنهار (والأشكال) نحو أن يشبه الشيء إذا
استدار بالكرة في وجهه وبالحلقة في وجه آخر (والمقادير) كتشبيه العظيم الجملة
بالجبل والفيل وتشبيه الناقة بالقصر (والحركات) كتشبيه الذهاب على الاستقامة
بالسهم السديد ومن تأخذ الأريحية فيهتز بالغصن تحت البارح (وما يتصل بها)
كالحسن والقببح والضحك والبكاء وغير ذلك (الأصوات) كتشبيه صوت
الجمهورى بالرعد ، وتشبيه أطيط الرجل بأصوات الفراريج ، وتشبيه صريف أنياب
البعير بصياح البوازي كما قال :

كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا كُلِّ سَحْرَةٍ صِيَاخَ الْبَوَازِي مِنْ حَرِيفِ اللَّهِ أَنْكَ (١)

(١) السحرة : السحر ، واللوائك جميع لائكة من اللوك : وهو المضغ

وَالضَّعِيفَةَ ، وَالَّتِي بَيْنَ بَيْنَ ، أَوْ بِالذَّوْقِ مِنَ الطَّعْمِ ، أَوْ بِالشَّمِّ مِنَ الرَّوَائِحِ
أَوْ بِاللَّمْسِ مِنَ الْحَرَارَةِ وَالْبُرُودَةِ وَالرُّطُوبَةِ وَالْيُبُوسَةِ وَالْخُشُونَةِ
وَالْمَلَأَسَةِ وَاللِّينِ وَالصَّلَابَةِ وَالْخَفَةِ وَالثَّقَلِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا ، أَوْ عَقْلِيَّةً
كَالْكَيْفِيَّاتِ النَّفْسَانِيَّةِ مِنَ الذِّكَاءِ وَالْعِلْمِ وَالْغَضَبِ وَالْحِلْمِ وَسَائِرِ الْغَرَائِزِ ،
وَإِمَّا إِضَافِيَّةً : كإزالة الحجاب في تشبيهه الحُجَّةِ بِالشَّمْسِ ، وَأَيْضًا

(الطعوم) كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر (الروائح)
كتشبيه رائحة بعض الرياحين برائحة السكافور (من الحرارة الخ) كتشبيه
القيظ بنسيم جهنم واللين الناعم بالخز والخشن بالمسح والخفيف بالريش والبارد
بالثلج وهكذا (وما يتصل بها) كالبله والجفاف والزوجة والحشاشة واللطافة
والكثافة وغير ذلك (أو عقلية) هو معطوف على حسية (النفسانية) أى
المختصة بذوات الأنفس الناطقة (من الذكاء) كتشبيه الذكى بإياس (والعلم)
كتشبيه العالم بالخايل (والغضب) كتشبيه الغضوب بالمغربي (والحلم)
كتشبيه الحليم بمعاوية أو الأحنف أو معن بن زائدة (وسائر الغرائز)
كالكرم ، تقول فلان كأنه كعب بن مامة ، أو هرم بن سنان ، أو حاتم طيء
والشجاعة نحو : فلان كأنه عنزة ، والبخل تقول هذا كأنه صبي أو كلب من
كلاب بنى زياد والجهن نحو هذا كأنه صافر (إضافية) أى نسبية يتوقف
تعمدها على تعقل الغير (كإزالة الحجاب الخ) فإن الإزالة أمر إضافي يتعقل
فيما بين المزيل والمزال (وأيضاً) هذا تقسيم آخر ، يقول : وجه الشبه
إمّا واحد أو غير واحد ، والواحد إما حسي أو عقلي ، وغير الواحد إما بمنزلة
الواحد لسكونه مركباً بأن يكون هيئة منتزعة انتزعتها العقل من عدة أمور ،
أو متعدد غير مركب بأن ينظر إلى عدة أمور ويقصد اشتراك الطرفين في

إِمَّا وَاحِدٌ ، وَإِمَّا بِمَنْزِلَةِ الْوَاحِدِ ، لِكَوْنِهِ مُرَكَّبًا مِنْ مُتَعَدِّدٍ ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا
حِسِّيٌّ أَوْ عَقْلِيٌّ ، وَإِمَّا مُتَعَدِّدٌ كَذَلِكَ ، أَوْ مُخْتَلِفٌ ، وَالْحِسِّيُّ طَرَفَاهُ
حِسِّيَّانِ لَا غَيْرُ ، لِامْتِنَاعِ أَنْ يُدْرَكَ بِالْحَسِّ مِنْ غَيْرِ الْحِسِّيِّ شَيْءٌ ، وَالْعَقْلِيُّ
أَعْمٌ ، لِجَوَازِ أَنْ يُدْرَكَ بِالْعَقْلِ مِنَ الْحِسِّيِّ شَيْءٌ ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ التَّشْبِيهُ
بِالْوَجْهِ الْعَقْلِيُّ أَعْمٌ ، فَإِنْ قِيلَ : هُوَ مُشْتَرِكٌ فِيهِ فَهُوَ كَلَامِيٌّ ، وَالْحِسِّيُّ لَيْسَ

كل منها ليه يكون كل منها وجه شبه . والذي بمنزلة الواحد إما حسي أو عقلي ،
والمتعدد إما حسي أو عقلي أو مختلف (لا غير) فلا يجوز أن يكونا معاً عقليين
أو أحدهما (لامتناع الخ) فإن وجه التشبيه أمر مأخوذ من الطرفين . وجود
فيها ، وكل ما يؤخذ من العقلي ويوجد فيه يجب أن يدرك بالعقل لا بالحس ،
لأن المدرك بالحس لا يكون إلا جسماً أو قائماً بالجسم (أعم) يعني يجوز
أن يكون طرفاه عقليين وأن يكونا حسيين وأن يكون أحدهما حسياً والآخر
عقلياً (لجواز الخ) بل كل محسوس فله أوصاف بعضها حسي وبعضها
عقلي (أعم) فكل طرفين يتحقق فيها التشبيه بوجه حسي يتحقق فيها
بوجه عقلي ولا عكس (فإن قيل) هذا إشارة إلى إشكال أورده السكاكي
على كون وجه الشبه قد يكون حسياً وهماك عبارته . وههنا نكتة لا بد من
التنبه لها وهي أن التحقيق في وجه الشبه يأبى أن يكون غير عقلي ، وذلك أنه
متى كان حسياً ، وقد عرفت أنه يجب أن يكون موجوداً في الطرفين ، وكل
وجود فله تميز ، فوجه الشبه مع المشبه متميز فيمتنع أن يكون هو بعينه
موجوداً مع المشبه به لامتناع حصول المحسوس المميز ههنا مع كونه بعينه
هناك بحكم الضرورة وبحكم التميز على امتناعه إن شئت وهو استلزامه إذا

بِكَلْبِي ، قُلْنَا : الْمُرَادُ أَنَّ أَفْرَادَهُ مُدْرَكَةٌ بِالْحَسِّ ، فَأَلَوَ أَحَدُ الْحَسِّ كَالْحَمْرَةِ
وَالْخَفَاءِ وَحَلِيبِ الرَّائِحَةِ وَلَذَّةِ الطَّعْمِ وَلَيْنِ الْمَسِّ فِيمَا مَرَّ ، وَالْعَقْلِي كَالْعَرَاءِ
عَنِ الْفَائِدَةِ وَالْجُرْأَةِ وَالْهِدَايَةِ وَاسْتِطَابَةِ النَّفْسِ فِي تَشْبِيهِهِ وَجُودِ الشَّيْءِ
الْعَدِيمِ النَّفْعِ بَعْدَهُ ، وَالرَّجُلِ الشَّجَاعِ بِالْأَسَدِ ، وَالْيَلْمِ بِالنُّورِ وَالْمِطْرِ
بِخُلُقِ كَرِيمٍ ؛ وَالْمُرَكَّبُ الْحَسِّيُّ فِيمَا طَرَفَاهُ مُفْرَدَانِ كَمَا فِي قَوْلِهِ :
وَقَدْ لَاحَ فِي الصَّبْحِ الثَّرِيًّا كَمَا تَرَى . كَعَنْتُودٍ مُلَاحِيَةً حِينَ نَوَّرَا

عدمت حمرة الخد درن حمرة الورد أو بالعكس كون الحمرة معدومة موجودة
معاً ، وهكذا في أخواتها بل يكون مثله مع المشبه به لكن المثلين لا يكونان شيئاً
واحداً ، بوجه الشبه بين الطرفين كما عرفت واحداً ، فيلزم أن يكون أمر كلياً
.أخوذاً من المثلين بتجريدتهما عن التعيين ، لكن ما هذا شأنه فهو عقل ، ويمتنع
أن يقال فالمراد بوجه الشبه ، حصول المثلين في الطرفين ، فإن المثلين متشابهان
ففيهما وجه تشبيه فإن كان عتلياً كان المرجح في وجه الشبه العقل في المال
وإن كان حسيماً استلزم أن يكون مع المثلين مثلاً آخران وكان الكلام فيهما
كالكلام فيما سواهما ويلزم التسلسل . وقال ، المصنف إنا نعرف بصحة
هذا الإشكال غير أن المراد يكون وجه الشبه حسيماً أن تكون أفراده مدركة
بالحس كالسواد ، فإن أفراده مدركة بالبصر ، وإن كان هو في نفسه غير مدرك
به ولا بغيره من الحواس ، نقول وهذا ضرب من التسامح (والخفاء)
يعنى خفاء الصوت (فيما مر) يعنى في تشبيه الخد بالورد والصوت الضعيف
بالهمس ، والنسكة بالعنبر ، والريق بالخمر ، والجلد الناعم بالحرير (وقد لاح)
هو لاني قيتس بن الاسات ، وقيل لا حيحة بن الجلاح ، والأول شاعر جاهلي

مِنَ الْهَيْئَةِ الْخَاصِلَةِ مِنْ تَقَارُنِ الصُّورِ الْبَيْضِ الْمُسْتَدِيرَةِ الصَّغَارِ الْمَقَادِيرِ
فِي الْمَرَأَى عَلَى السَّيْفِيَّةِ الْمَخْصُوصَةِ إِلَى الْمَقْدَارِ الْمَخْصُوصِ ، وَفِيهَا طَرَفَاهُ
مُرَكَّبَانِ كَمَا فِي قَوْلِ بَشَّارٍ :

كَأَنَّ مِثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا ۖ وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
مِنَ الْهَيْئَةِ الْخَاصِلَةِ مِنْ هَوَىِّ أَجْرَامِ مُشْرِقَةِ مُسْتَطِيلَةِ مُتَنَاسِبَةِ

مجيد أسلم ابنه عقبة بن أبي قيس (ملاحية) هي غيب أبيض في حبه طول وهو
في البيت بتشديد اللام والتخفيف فيه أكثر . قال ابن قتيبة : لا أعلم هل التشديد
في البيت ضرورة أو لغة فيه (ورأ) تفتح نوره (كما في قول بشار) مثله ما في
قول أبي طالب الرقي :

وَكَبَّانُ أَجْرَامِ النُّجُومِ لَوَامِعًا دُرَّرَ نَثْرُنٌ عَلَى بَسَاطِ أَرْزَقِ
من الهيئة الحاصلة من تفرق أجرام متلألئة مستديرة ، صغار المقادير في
المراى على سطح جسم أزرق ضاى الزرقة . وبيت بشار من قصيدة يمدح بها
ابن هبيرة يقول فيها :

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَتُجَانِبُهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَلِمْتُ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْنُفُ مِثَارِيهِ
(مِثَارِ النَّقْعِ) النَّقْعُ : الْغُبَارُ ، وَمِثَارُ : مِنْ أَثَارِ الْغُبَارِ هَيْجَهُ (تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ)
أَيَّ يَتَسَافَطُ بَعْضُهَا أَوْ بَعْضُ الْأَصْلِ تَهَاوَى حَذَفَتْ لِاحِدَى التَّامِينَ (مِنْ
الْهَيْئَةِ) فَوْجَهُ الشَّبَهُ مَرَكَّبٌ كَمَا تَرَى وَكَذَا طَرَفَاهُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الشَّاعِرَ كَمَا قَالَ

المقدار متفرقة في جوانب شيء مظلم ، وفيما طرفاه مختلفان كما مر في تشبيه الشقيق ؛ ومن بديع المركب الحسي ما يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركة ، ويكون على وجهين ، أحدهما أن يُقرن بالحركة

الشيخ الإمام لم يقصد تشبيه النقع بالليل من جانب ، والسيوف بالكواكب من جانب ، بل عمد إلى تشبيه هيئة السيوف وقد سات من الأغمد وهي تملو وترسب وتجيء وتذهب ، ولم يقتصر على أن يريك لها في أثناء العجاجة كما فعل عمرو بن كلثوم بقوله :

تَدْبِي سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقَ أَرْؤُسِهِمْ سَقَقًا كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْمَبَاتِيرُ

وهذه الزيادة وهي إفادة هيئة السيوف في حركاتها ، زادت التشبيه تفصيلاً لأنها لا تقوم في النفس إلا بالنظر إلى أكثر من جهة واحدة ، وذلك أن تعلم أن لها في حال احتدام الحرب واختلاف الأيدي بها في الضرب اضطراباً شديداً وحركات بسرعه ثم إن لتلك الحركات جهات مختلفة وأحوال تنقسم بين الارتفاع والاستقامة والارتفاع والانخفاض ، وأن السيوف باختلاف هذه الأمور تتلاقى وتتداخل ويصدم بعضها بعضاً ، ثم إن أشكال السيوف مستطيلة فنبه على هذه الدقائق بكلمة واحدة وهي قوله في تهاويها تدافع وتتداخل ، ثم لأنها بالتهوى تستطيل أشكالها ، فلما إذا لم تزل عن أما كنها فهي على صورة الاستدارة (في تشبيه الشقيق) وتشبيه النيلوفر الذي ذكرناه ثبت (ومن بديع الخ) أصل هذا الكلام الإمام عبد القاهر رحمه الله قال : اعلم أن مما يزداد به التشبيه دقة وسخراً أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات

غَيْرُهَا مِنْ أَوْصَافِ الْجِسْمِ ، كَالشَّكْلِ وَاللَّوْنِ كَمَا فِي قَوْلِهِ :
 * وَالشَّمْسُ كَالْمِرْآةِ فِي كَفِّ الْأَشْلِ * مِنَ الْهَيْئَةِ الْخَاصَّةِ مِنَ
 الْإِسْتِدَارَةِ مَعَ الْإِشْرَاقِ وَالْحَرَكَةِ السَّرِيعَةِ الْمُتَّصِلَةِ مَعَ تَمَوُّجِ الْإِشْرَاقِ
 حَتَّى يُرَى الشُّعَاعُ كَأَنَّهُ يَهْمُ بِأَنْ يَنْبَسِطَ حَتَّى يَفِيضَ مِنْ جَوَانِبِ

والهيئة المقصودة في التشبيه على وجهين أحدهما أن تقترن بغيرها من الأوصاف
 كالشكل واللون ونحوهما ، والثاني أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها ، فن
 الأول قول ابن المعتز :

« وَالشَّمْسُ كَالْمِرْآةِ فِي كَفِّ الْأَشْلِ »

أراد أن يريك مع الاستدارة والإشراق الحركة التي تراها للشمس إذا
 أنعمت التأمل ثم ، ما يحصل في نورها من أجل تلك الحركة وذلك أن للشمس
 حركة متصلة دائمة ولنورها بسبب ذلك تموج واضطراب ولا يتحصل هذا
 الشبه إلا بأن تكون المرآة في يد الأشل لأن حركته تدوم وتتصل ويكون منها
 سرعة وبدوام الحركة يتموج نور المرآة وتلك حال الشمس فإنك ترى شعاعها
 كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانبها ثم يبدو له فيرجع من الانبساط
 الذي تراه إلى انقباض كأنه يجمع من جوانب الدائرة إلى الوسط ، ومثل هذا
 التشبيه وإن صور في غير المرآة قول المهامي الوزير :

وَالشَّمْسُ مِنْ مَشْرِيقِهَا قَدْ بَدَتْ مَشْرِقَةً لَيْسَ لَهَا حَاجِبٌ

كَأَنَّهَا مُوتَقَسَةٌ أَفْجِيَتْ يَجُولُ فِيهَا ذَهَبٌ ذَائِبٌ

وذلك أن الذهب إذا ذاب تشكل بشكل البوتقة في الاستدارة وأخذ
 يتحرك فيها بجملته تلك الحركة المعجمة كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من

الدَّائِرَةُ ثُمَّ يَبْدُو لَهُ فَيَرْجِعُ إِلَى الْإِنْقِبَاضِ ، وَالثَّانِي : أَنَّ تَجَرُّدَ الْحَرَكَةِ عَنْ غَيْرِهَا ، فَهُنَاكَ أَيْضًا لَا بُدَّ مِنْ اخْتِلَاطِ حَرَكَاتٍ إِلَى جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فَحَرَكَةُ الرِّيحِ وَالسَّهْمِ لَا تَرْكِبُ فِيهَا ، بِخِلَافِ حَرَكَةِ الْمُصْحَفِ فِي قَوْلِهِ :

جوانبها لما في طبعه من النعومة ، ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض لما بين أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم ، ولذلك لا يقع فيه غليان على الصفة التي تكون في الماء ونحوه مما يتخلله الهواء ، ومن عجيب ذلك قول الصنوبري :

كَأَنَّ فِي غُدْرَانِهَا حَوَاجِبًا ظَلَّتْ تَمَطُّ^(١)

أراد ما يبدو في صفحة الماء من أشكال كأنصاف دوائر صفار ، ثم تمتد امتداداً ينقص من انحنائها فينقأها من التقوس إلى الاستواء وذلك أشبه شيء بالحواجب إذا امتدت ، لأن للحاجب كما لا يخفى تقويساً ومده ينقص من تقويسه ، ومن لطيف ذلك أيضاً قول ابن المعتز يصف وقوع القطر على الأرض :

تَكَرَّرَتْ تَعْيِيرُ الْأَرْضِ ثَوْبَ شَبَابٍ رَحِيْبَةٍ^(٢) مَحْمُودَةُ الْإِسْكَابِ
نَثَرَتْ أَوَائِلَهَا حَيًّا^(٣) فَكَأَنَّهُ نَقَطٌ عَلَى عَجَلٍ بِيْطُنٍ كِتَابِ

وأما الوجه الثاني : وهو أن تجرد هيئة الحركة من كل وصف يكون في

(١) يصف أرضاً بالطيب فيقول فيها غدران تهب عليها الريح فتبدو

على صعوبات غدرانها أشكال كأنها حواجب لها تقوس وامتداد .

(٢) الحيا : المطر .

(٣) يريد سخامة

وَكَانَ الْبَرْقُ مُصْحَفٌ قَارٍ فَانْطَبَاقًا مَرَّةً وَانْفِتَاحًا
وَقَدْ يَقَعُ التَّرْكِيبُ فِي هَيْئَةِ السَّكُونِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ فِي صِفَةِ الْكَلْبِ

الجسم ، فهناك أيضاً لا بد من اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة له كأن يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه إلى الشمال وبعضه إلى العلو وبعضه إلى السفلى ونحو ذلك ، وكلما كان التفاوت في الجهات التي تتحرك أبعاد الجسم إليها أشد ، كان التركيب في هيئة المتحرك أكثر ، فحركة الرحى والدولاب وحركة السهم لا تركيب فيها ، لأن الجهة واحدة ، ولكن في حركة المصحف في قول ابن المعتز :

وَكَانَ الْبَرْقُ مُصْحَفٌ قَارٍ (١) فَانْطَبَاقًا مَرَّةً وَانْفِتَاحًا
تركيباً لأنه يتحرك في الحالتين إلى جهتين في كل حالة إلى جهة ، ومن لطيف ذلك قول الأعشى يصف السفينة في البحر وتقاذف الأمواج بها :

تَقْصُ السَّفِينُ بِجَانِبَيْهِ كَمَا يَنْزُو الرِّبَاحُ خَالَاهُ كَرْعٌ
الرياح : الفصيل ، الكرع : ماء السماء ، شبه السفينة في انحدارها وإرتفاعها بحركات الفصيل في نزوه ، وذلك أن الفصيل إذا نزا ولاسيما في الماء وحين يعتريه ما يهتري المهر ونحوه من الحيوانات التي هي في أول النشء كانت له حركات متفاوتة تصير لها أعضاؤه في جهات مختلفة . ويكون هناك تسفل وتصعد على غير ترتيب وبحيث تكاد تدخل إحدى الحركتين في الأخرى فلا يثبت الطرف مرتفعاً حتى يراه منحنياً متسفلاً ، ويهوى مرة نحو الرأس ومرة نحو الذنب ، وذلك أشبه شيء بحال السفينة وهيئة حركاتها حين يتدافعها الموج . قال ، وكما يقع التركيب في هيئة الحركة قد يقع في هيئة السكون ، فن ذلك قول ابن المعتز يصف سيلاً :

(١) يحذف الهمزة والأصل قارىء .

* يَقْعِي جُلُوسَ الْبَدَوِيِّ الْمُصْطَلِي * مِنَ الْهَيْئَةِ الْخَاصَةِ مِنْ مَوْقِعِ كُلِّ

فَلَمَّا طَغَى مَآوُهُ فِي الْبِلَاءِ دِ وَغَصَّ بِهِ كُلُّ وَادٍ صَدِ
نَرَى الشَّوْرَ فِي مَتْنِهِ طَافِيًا كَضِجَةِ ذِي النَّجَّاحِ فِي الْمَرْقَدِ
وقول المتنبي في صفة السكب :

يَقْعِي جُلُوسَ الْبَدَوِيِّ الْمُصْطَلِي بِأَرْبَعِ مَجْدُولَةٍ لَمْ تُجَدَلِ (١)

لم ينل التشبيه حظاً من الحسن إلا بأن فيه تفصيلاً من حيث كان بكل
عضو من السكب في إقعائه موقع خاص وكان مجموع تلك الجهات في حكم أشكال
مختلفة تؤلف فيجىء منها صورة خاصة ، ومن لطيف هذا الجنس قول الشاعر
في صفة المصلوب :

كَأَنَّهُ تَنَاشَقَ قَدْ مَدَّ صَفْحَتَهُ يَوْمَ الْوَدَاعِ إِلَى تَوْدِيعِ مُرْتَحِلِ
أَوْ قَاسَمَ مِنْ نَعَاسٍ فِيهِ لَوْتُهُ مُوَاصِلٌ لِمَطْيِهِ مِنَ الْكَسَلِ

والتفصيل فيه أنه شبه بالمتعطى إذا واصل تمطيه مع التعرض لسببه وهو
اللوثة والكسل فيه ، فنظر إلى هذه الجهات الثلاث ، ولو اقتصر على أنه
كالمتعطى كان قريب التناول ، لأن هذا القدر يقع في نفس الرائي للمصلوب
ابتداءً لأنه من حد الجملة ، وشبيه بهذا في الاستقصاء قول ابن الرومي :

كَأَنَّ لَهُ فِي الْجَوْ حَبْلًا يَبْوَعُهُ إِذَا مَا انْقَضَى حَبْلُ أُتِيحَ لَهُ حَبْلُ
فَمَاتَ أَنْفَاسَ الرِّيحِ مُودَّعًا وَدَاعَ رَحِيلٍ لَا يُحِطُّ لَهُ رَحْلُ

(١) الإقعاء : الجلوس ، والاصطلاء : الاستدفاء بالنار ، وأربع مجدولة
خارج دولة المفتولة : يريد بقوائم محكمة الخلق ثم يحد لها أحد وإنما هي كذلك .

عُضْوٍ فِي إِقْعَائِهِ ، وَالْعَقْلِيُّ كَجِرْمَانِ الْإِنْتِفَاعِ بِأَبْلَغِ نَافِيعٍ مَعَ تَحْمِيلِ
التَّعَبِ فِي اسْتِصْحَابِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : مَثَلُ الَّذِينَ يُحْمَلُوا الثَّوَرَاتَ مُثَمَّ لَمْ
يُحْمَلُوا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا . وَأَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ يُنْتَزَعُ مِنْ مُتَعَدِّدٍ

فاشترطه أن يكون له بعد الحمل الذي ينتهي ذرعه حمل آخر يخرج من
بوع الأول إليه كقوله : مواصل لتطيه من السكسل ، في استيفاء الشبه والتفنيه
على استدامته ، لأنه إذا كان لا يزال يبيع حبلًا لم يقبض باعه ولم يرسل يده ،
وفي ذلك بقاء شبه المصلوب على الاتصال (كجرمان^(١) الانتفاع الخ) فإنه
منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض ، وذلك أنه روعى من الحمار فعل
مخصوص وهو الحمل ، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً وهي الأسفار التي هي
أوعية العلوم ، وأن الحمار جاهل بما فيها ، وكذا في جانب المشبه (واعلم) قال
الشيخ الإمام : قد يجيء بعد أداة التشبيه أمور يظن أن المقصود أمر منتزع
من بعضها ، فيقع الخطأ لكونه أمراً منتزعا من جميعها كقوله :

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامة فلما رأوها أقشعت وتجلت

فإنه ربما يظن أن الشطر الأول منه تشبيه مستقل بنفسه لا حاجة به إلى
الثاني على أن المقصود به ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة إليه ، لكن
بالتأمل يظهر أن مغزى الشاعر في التشبيه أن يثبت ابتداء مطمعا متصلا بانتهاء

(١) وكالمنظر المطمع مع المخبر المؤيس الذي هو على عكس ما قدر في
قوله تعالى : والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا
جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه . السراب : ما يرى في الفلاة
من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري .
والقيعة بمعنى القاع أو جمع قاع : وهو المنبسط المستوي .

فَيَقَعُ الْخَطَأُ لِوُجُوبِ انْتِزَاعِهِ مِنْ أَكْثَرٍ ، كَمَا إِذَا انْتَزَعَ مِنَ الشَّطْرِ
الْأَوَّلِ مِنْ قَوْلِهِ :

كَمَا أُبْرِقَتْ قَوْمًا عِطَاشًا غَمَامَةً * فَلَمَّا رَأَوْهَا أَفْشَمَتْ وَتَجَلَّتْ

لِوُجُوبِ انْتِزَاعِهِ مِنَ الْجَمْعِ ، فَإِنَّ الْمُرَادَ التَّشْبِيهَ بِاتِّصَالِ ابْتِدَاءِ
مُطْمَعٍ بِأَقْتِنَاءِ مُؤَيِّسٍ . وَالتَّعَدُّدُ الْحِسِّيُّ كَالْوَنِ وَالطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ
فِي تَشْبِيهِه فَكَيْفِيَّةٌ بِأُخْرَى . وَالْعَقْلِيُّ كَحِدَّةِ النَّظَرِ وَكَمَالِ الْحَذَرِ

مُؤَيِّسٌ ، وَذَلِكَ بِتَوْقُفٍ عَلَى الْبَيْتِ كُلِّهِ ، فَإِنْ قِيلَ هَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ بَعْضُ
التَّشْبِيهَاتِ الْمُجْتَمِعَةِ كَقَوْلِنَا زَيْدٌ يَصْفُو وَيَكْدُرُ تَشْبِيهًا وَاحِدًا ، لِأَنَّ الْاِقْتِصَارَ
عَلَى أَحَدِ الْخَبَرَيْنِ يَبْطُلُ الْغَرَضُ مِنَ الْكَلَامِ ، لِأَنَّ الْغَرَضَ مِنْهُ وَصْفُ الْخَبَرِ
عَنْهُ بِأَنَّهُ يَجْمَعُ الصِّفَتَيْنِ وَأَنْ إِحْدَاهُمَا لَا تَدُومُ ، قُلْنَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْغَرَضَ فِي
الْبَيْتِ أَنْ يَثْبُتَ ابْتِدَاءُ مَطْمَعًا مُتَّصِلًا بِانْتِهَاءِ مُؤَيِّسٍ كَمَا مَرَّ وَكَوْنُ الشَّيْءِ ابْتِدَاءً لِأَخَرٍ
زَائِدًا عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا وَلَيْسَ فِي قَوْلِنَا يَصْفُو وَيَكْدُرُ أَكْثَرُ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الصِّفَتَيْنِ ،
وَنَظِيرُ الْبَيْتِ قَوْلِنَا يَصْفُو ثُمَّ يَكْدُرُ لِإِفَادَةِ التَّرْتِيبِ الْمَقْتَضِي رِبْطَ أَحَدِ الْوَصْفَيْنِ
بِالْآخَرِ وَقَدْ ظَهَرَ مِنْ هَذَا أَنَّ التَّشْبِيهَاتِ الْمُجْتَمِعَةَ تَفَارِقُ التَّشْبِيهَ الْمُرَكَّبَ فِي مِثْلِ
مَا ذَكَرَ بِأَمْرَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَنَّهُ لَا يَجِبُ فِيهَا تَرْتِيبٌ ، وَالثَّانِي أَنَّهُ إِذَا حُذِفَ بَعْضُهَا
لَا يَتَغَيَّرُ حَالُ الْبَاقِي فِي إِفَادَةِ مَا كَانَ يَفِيدُهُ قَبْلَ الْحَذْفِ ، فَإِذَا قُلْنَا زَيْدٌ كَالْأَسَدِ
بِأَسَا ، وَالْبَحْرُ جُودًا وَالسَّيْفُ مِضَاءً ، لَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِهَذِهِ التَّشْبِيهَاتِ
نِسْقٌ مَخْصُوصٌ بَلْ لَوْ قَدِمَ التَّشْبِيهُ بِالْبَحْرِ أَوِ التَّشْبِيهُ بِالسَّيْفِ جَازٌ ، وَلَوْ أَسْفَلَ
وَاحِدٌ مِنَ الثَّلَاثَةِ لَمْ يَتَغَيَّرْ حَالُ غَيْرِهِ فِي إِفَادَةِ مَعْنَاهُ ، أَفَادَ ذَلِكَ الشَّيْخُ الْإِسْلَامُ
رَحِمَهُ اللَّهُ (بِاتِّصَالِ) أَيْ بِاعْتِبَارِ اتِّصَالِ الْحِ ، فَالْبَاءُ هَهُنَا مِثَالُهَا فِي قَوْلِكَ : فَجَرَتْ

وَإِخْفَاءِ السَّفَادِ فِي تَشْبِيهِ طَائِرٍ بِالْغُرَابِ ، وَالْمُخْتَلِفُ كَحُسْنِ الطَّلَعَةِ
وَنَبَاهَةِ الشَّانِ فِي تَشْبِيهِ إِنْسَانٍ بِالشَّمْسِ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يُنْتَزَعُ الشَّبَهُ
مِنْ نَفْسِ التَّضَادِّ لِإِشْتِرَاكِ الضَّدَيْنِ فِيهِ ، ثُمَّ يُنَزَّلُ مَنَزِلَةَ التَّنَاسُبِ
بِوَسِطَةِ تَمْلِيحٍ أَوْ تَهْكِيمٍ ، فَيُقَالُ لِلْجَبَانِ : مَا أَشْبَهَهُ بِالْأَسَدِ ، وَلِلْبَخِيلِ :
هُوَ حَاتِمٌ . وَأَدَاتُهُ الْكَافُ وَكَأَنَّ وَمِثْلُ وَمَا فِي مَعْنَاهَا ، وَالْأَصْلُ فِي
نَحْوِ الْكَافِ أَنَّ يَتْلِيهِ الْمَشَبَّهُ بِهِ ، وَقَدْ يَتْلِيهِ غَيْرُهُ ، نَحْوُ : وَاضْرِبْ لَهُمْ

بالقدوم : أى بواسطة (السفاد) : نزو الذكر على الأنثى (نباهة الشأن) :
شرفه واشتهاره (ينتزع الشبه من نفس التضاد) : أى يجعل التضاد وسيلة لجعل
الشيء وجه شبه (فيه) : أى فى التضاد (تمليح) : أى إنيان بشيء ملبح يستظرف
عند السامع . وهذا ، وهناك مذهب آخر للتضاد ذكره بعضهم ، قال قد يشبه
أحد الضدين بالآخر إذا كان أحدهما أظهر ، كما يقال : العسل فى حلاوته كالصبر
فى مرارته ، وأنشد لابن المهدى يعتذر الدأمون :

لَئِنْ جَحَدْتُ لَكَ مَعْرُوفًا مَنَنْتَ بِهِ إِنِّي أَنِى اللَّوْءُ أَحْصَى مِنْكَ فِي الْكَرَمِ
(وما فى معناه) كلفظة نحو وما يشترك من لفظة مثل وشبه ونحوهما (وقد
يليه غيره) وذلك حيث يكون المشبه به مركباً كقوله تعالى : واضرب لهم
مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً
تذروه الريح ، إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل
لتقديره بل المراد تشبيه حالها فى نضرتها وبهجتها ، وما يتعقبها من الهلاك والفناء
بحال النبات يكون أخضر وارقاً ثم يهيج فتطيره الريح كأن لم يكن وما هو بين

مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ . وَقَدْ يُذَكَّرُ فِعْلٌ يُنْبِئُ عَنْهُ كَمَا فِي :
 عَلِمْتُ زَيْدًا أَسَدًا ، إِنَّ قَرُبَ ، وَحَسِبْتُ ، إِنَّ بَعْدَ وَالْغَرَضُ مِنْهُ فِي
 الْأَغْلَابِ يَعُودُ إِلَى الْمُسَبَّهِ ، وَهُوَ بَيَانُ إِمْكَانِهِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ :
 فَإِنْ تَفَقَّى الْأَنَامُ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

في هذا قول لبيد :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلِهَا بِهَا يَوْمَ حَلَّوْهَا وَتَفَدُّو بِالْأَقْعِ

لم يشبه الناس بالديار ، وإنما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم
 بحلول أهل الديار فيها وسرعة نهوضهم عنها وتركها خالية (ينبيء عنه) أى عن
 التشبيه كما في علمت (الخ) قال بعضهم في كون هذا الفعل منبئاً عن التشبيه
 نظر للقطع بأنه لادلالة للعلم والحسبان على ذلك ، وإنما يدل عليه علمنا
 بأن أسداً لا يمكن حمله على زيد تحقيقاً ، وإنه إنما يكون على تقدير أداة التشبيه ،
 سواء ذكر الفعل أو لم يذكر ، ولو قيل إنه ينبيء عن حال التشبيه من القرب
 والبعيد لكان أصوب (ببيان إمكانه) وذلك في كل أمر غريب يمكن أن
 يخالف فيه ويدعى امتناعاً ، كما في قول أبي الطيب يمدح سيف الدولة : فَإِنْ
 تَفَقَّى الْأَنَامُ ، الْبَيْتُ ، أَرَادَ أَنَّهُ فَاقَ الْأَنَامَ فِي الْأَوْصَافِ الْفَاضِلَةِ إِلَى حَدِّ بَطْلٍ مَعَهُ
 أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا مِنْهُمْ بَلْ صَارَ نَوْعًا آخَرَ بِرَأْسِهِ أَشْرَفَ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَهَذَا
 أَعْنَى أَنْ يَنْتَاهِيَ بَعْضُ أَفْرَادِ النَّوْعِ فِي الْفَضَائِلِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْهَا أَمْرٌ
 غَرِيبٌ يَفْتَقِرُ مِنْ يَدَيْهِ إِلَى إِثْبَاتِ جَوَازِ وَجُودِهِ عَلَى الْجُمْلَةِ حَتَّى يَجِئَ إِلَى إِثْبَاتِ
 وَجُودِهِ فِي الْمَمْدُوحِ ، فَقَالَ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ ، أَيْ وَلَا يَحْسَدُ فِي
 الدَّمَاءِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَوْصَافِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي لَا يَوْجَدُ شَيْءٌ مِنْهَا فِي الدَّمِ ، وَخَلَّوْهُ
 مِنَ الْأَوْصَافِ الَّتِي لَهَا كَانَ الدَّمُ دَمًا ، فَأَبَانَ أَنَّ لِمَا ادَّعَاهُ أَصْلًا فِي الْوُجُودِ

أَوْ حَالِهِ ، كَمَا فِي تَشْبِيهِ ثَوْبٍ بآخرٍ فِي السَّوَادِ ، أَوْ مِقْدَارِهَا ، كَمَا
فِي تَشْبِيهِهِ بِالْغُرَابِ فِي شِدَّتِهِ ، أَوْ تَقْرِيرُهَا ، كَمَا فِي تَشْبِيهِ مَنْ لَا يَحْصُلُ
مِنْ سَعْيِهِ عَلَى طَائِلٍ بِمَنْ يَرْقُؤُ سَاءً ، وَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ تَقْتَضِي أَنْ

على الجملة فإن قلت أين التشبيه في البيت ، قلنا يدل البيت عليه ضمناً وإن لم يدل
عليه تصريحاً (كما في تشبيه ثوب بآخر في السواد) إذا علم السامع لون المشبه به
دون المشبه (أو مقدارها) أي أو بيان مقدار حال المشبه في القوة والضعف
والزيادة والنقصان (في تشبيهه) أي الثوب الأسود (في شدته) أي شدة
السواد (أو تقريرها) هو معطوف على بيان أي تقرير حال المشبه في نفس
السامع وتقوية شأنه لديه (الأربعة) بيان الإمكان ، وبيان الحال وبيان
المقدار ، والتقرير (تقتضي الخ) ومن هنا ضعف قول المحترى :

عَلَى بَابِ (١) قَنَسْرَيْنَ وَاللَّيْلُ لَا طَيْخَ جَوَانِيهَ مِنْ ظُلْمَةٍ بِمَدَادٍ
وذلك أن المداد ليس من الأشياء التي لا مزيد عليها في السواد ، كيف
ورب مداد فاقد اللون والليل بالسواد وشدته أخرى ، ولهذا قال ابن الرومي :
حَبْرُ أَبِي حَفْصٍ أَعْلَبُ اللَّيْلِ يَسِيلُ الْإِخْوَانِ أَيَّ سَيْلٍ
فبالغ في وصف الحبر بالسواد حين شبهه الليل ، فكأنه نظر إلى قول

(١) على باب متعاقب بما في البيت قبله وهو :

وَأَيْلَتُنَا وَالرَّاحُ عَجَلَى تَعَثُّهَا فَتُونُ غِنَاءٍ لِلرَّجَاجَةِ حَادٍ

أي كان مع حبيبته في إدارة الكؤوس ، واستماع الغناء طول الليل ، على

باب قنسرين .

يَكُونُ وَجْهُ الشَّيْءِ فِي الْمَشَبِّهِ بِهِ أَتَمَّ وَهُوَ بِهِ أَشْهَرُ ، أَوْ تَزْيِينُهُ ، كَمَا فِي
تَشْبِيهِهِ وَجْهَهُ أَسْوَدَ بِمُقَالَةِ الظُّبْيِ ، أَوْ تَشْوِيهِهِ ، كَمَا فِي تَشْبِيهِهِ وَجْهَهُ بِمَجْدُورٍ
بِسَلْجَةٍ جَامِدَةٍ قَدْ تَقَرَّسَتْهَا الدِّيَكَةُ ، أَوْ اسْتِطْرَافُهُ ، كَمَا فِي تَشْبِيهِهِ فُحْمٍ فِيهِ
بَجَرٍّ مُوقَدٍّ بِبَحْرِ مِنَ الْمِسْكِ مَوْجُهُ الذَّهَبُ ، لِإِبْرَازِهِ فِي صُورَةِ الْمُتَنَسِّجِ
عَادَةً ؛ وَلِلِاسْتِطْرَافِ وَجْهَهُ آخَرُ ، وَهُوَ أَنَّ يَكُونُ الْمَشَبَّهُ بِهِ نَادِرَ الْحُضُورِ
فِي الذَّهْنِ ، إِمَّا مُطْلَقًا كَمَا مَرَّ ، وَإِمَّا عِنْدَ حُضُورِ الْمَشَبِّهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ :

وَلَا زِيَّورِدِيَّةٍ تَزْهُو بِزُقَّتَيْهَا بَيْنَ الرِّيَاضِ عَلَى حُمْرِ الْيَوَاقِيتِ
كَأَنَّهَا فَوْقَ قَامَاتٍ ضَعُفْنَ بِهَا أَوَائِلُ النَّارِ فِي أَطْرَافِ كِبْرِيتِ

العامَّة في الشيء الأسود هو كالنفس (١) ، ثم تركه للقفافية إلى المداد (أو تزيينه)
عطف على بيان إمكانه ، وقد أشار ابن الرومي إلى التزيين والتشويه في قوله :
تَقُولُ هَذَا مُعْجَاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ وَإِنْ تَعِبْتُ قُلْتُ ذَا فِي الزَّيَابِ

(كما مر) في تشبيهه فحم فيه جمر موقد (كما في قوله ولا زورديّة) فأنت ترى
أن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حصولها في الذهن ندرة
صورة بحر من المسك موجه الذهب ، وإنما النادر حضورها عند حضور صورة
النفسي ، فإذا أحضر مع صحة التشبيه ، استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين
لا تتراعى نارهما . وما يؤيد هذا ما يحكى أن جريراً قال أنشد عدى بن الرقاع :

(١) النفس : المداد الذي يكتب به .

وَقَدْ يَعُودُ إِلَى الْمَشَبِّهِ بِهِ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا إِيهَامُ أَنَّهُ أَتَمُّ مِنَ الْمَشَبِّهِ
وَذَلِكَ فِي التَّشْبِيهِ الْمَقْلُوبِ ، كَقَوْلِهِ :

وَبَدَأَ الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ * وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ

* عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَّهًا فَأَعْتَادَهَا *

فلما بلغ إلى قوله :

* تَرْجِي أَعْنَ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ *

رحمة ، وقلت قد وقع ما عساه يقول وهو أعرابي جلف جاف ، فلما قال :

* قَلَمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا *

استحالت الرحمة حسداً فهل كانت رحمته في الأولى والحسد في الثانية
إلا لأنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له في أول الفسك شبه ،
وحين أتم صادفه قد ظهر بأقرب صفة من أبعد موصوف . وذكر الشيخ
عبد القاهر رحمه الله للاستطراف في تشبيهه البنفسج بنار الكبريت وجهاً آخر
وهو أنه أراك شهاً لنبات غض يرف ، وأوراق رطبة من لهب نار في جسم
مستول عليه اليبس ، ومبنى الطباع وموضوع الجيلة ، على أن الشيء إذا ظهر من
مكان لم يعد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدن له ، كانت صباغة
النفوس به أكثر ، وكان الشغف به أجدر . هذا وقوله ولازوردية : أي ورب
بنفسجة شبيهة باللازورد — الحجر المعروف ، والأكثر أن يقال زهى الرجل
فهو مزهو : أي تكبر ، وقد يقال زها يزهو ، وجرم اليواقيت : يعنى الأزهار ،
والشقائق : الحمر ، والبيتان لابن الرومي (كقوله وبدا الصباح) فإن الشاعر وهو
محمد بن وهيب قصد إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح في الوضوح والضياء

وَالثَّانِي بَيَانُ الْإِهْتِمَامِ بِهِ ، كَتَشْبِيهِ الْجَائِعِ وَجْهًا كَالْبَدْرِ فِي الْإِشْرَاقِ
وَالِإِسْتِدَارَةِ بِالرَّغِيفِ وَيُسَمَّى هَذَا إِظْهَارَ الْمَطْلُوبِ ، هَذَا إِذَا أُريدَ الْحَاقُّ

واعلم أن هذا وإن كان في الظاهر يشبه قولهم لأدري أوجهه أنور أم الصبح ،
وغرته أضوأ أم البدر ، وقولهم إذا أفرطوا : نور الصباح يخفى في ضوء وجهه ،
أو نور الشمس مسروق من نور جبينه ، ونحو ذلك من وجوه المبالغة ، فإن
في الأول خلافة وشيئا من السحر ليس في ، الثاني وهو كأنه يستكثر للصباح
أن يشبهه بوجه الخليفة ، ويوهم أنه احتشده واجتهد في تشبيهه بفخيم به أمره
فيوقع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر ، ويفيدكما من غير أن يظهر ادعاؤه
لها ، لأنه وضع كلامه وضع من يقين على أصل متفق عليه لا يشفق من خلاف
مخالف وتهكم متهكم ، والمعاني إذا وردت على النفس هذا المورد ، كان لها نوع
من السرور عجيب فكانت كالنعمة لا تدركها المنة وكالغنيمة من حيث لا تحسب ،
وفي قوله حين يمدح فائدة شريفة ، وهي الدلالة على اتصاف الممدوح بما لا يوجد
إلا فيمن هو كامل في الكرم من معرفة حق المادح على ما احتشد له من تزيينه
وقصده من تفخيم شأنه في عيون الناس بالإصغاء إليه والارتياح له ، والدلالة
بالبشر والطلاقة على حسن موقعه عنده (ويسمى هذا إظهار المطلوب)
قال السكاكي : ولا يحسن المصير إليه إلا في مقام الطمع في تسنى المطلوب ، كما
يحكي عن صاحب رحمه الله أن قاضي سجستان دخل عليه فوجد صاحب
متفئنا فأخذ يمدحه حتى قال وعالم يعرف بالسجزي وأشار للندماء أن
ينظموا على أسلوبه ففعلوا واحداً بعد واحد إلى أن انتهت النوبة إلى شريف
في البين فقال أشهى إلى النفس من الخبز فأمر صاحب أن يقدم له مائدة

النَّاقِصِ ، حَقِيقَةً أَوْ ادِّعَاءً ، بِالزَّائِدِ ، فَإِنْ أُريدَ الْجَمْعُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فِي أَمْرٍ
فَالأَحْسَنُ تَرْكُ التَّشْبِيهِ إِلَى الْحُكْمِ بِالتَّشَابُهِ ، اخْتِرَازاً مِنْ تَرْجِيحِ أَحَدِ
الْمُتَسَاوِيَيْنِ ، كَقَوْلِهِ :

تَشَابَهَ دَمْعِي إِذْ جَرَى وَمُدَامَتِي فَمِنْ مِثْلِ مَا فِي الْكَأْسِ عَيْنِي تَسْكُبُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَبِالْخَمْرِ أَسْبَلْتُ جُفُونِي أَمْ مِنْ عَذْرَتِي كُنْتُ أَشْرَبُ
وَيَجُوزُ التَّشْبِيهُ أَيْضاً كَتَشْبِيهِ غُرَّةِ الْفَرَسِ بِالصُّبْحِ ، وَعَكْسِهِ مَتَى أُريدَ ظُهُورُ

(فَإِنْ أُريدَ الْجَمْعُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فِي أَمْرٍ) يَعْنِي مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إِلَى أَنْ أَحَدَهُمَا نَاقِصٌ
فِي ذَلِكَ وَالْآخَرُ زَائِدٌ (كَقَوْلِهِ تَشَابَهَ) وَمَا هُوَ حَسَنٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ
الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ :

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَاقَتْ الْخَمْرُ وَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الْأَمْرُ
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدَحٌ وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلَا خَمْرٌ |

وَالْبَيْتَانِ لِأَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِي ، وَيُقَالُ أَسْبَلَ الدَّمْعَ وَالْمَطَرَ : إِذَا هَطَلَ ، أَيْ
سَالَ كَثِيراً ، وَأَسْبَلَتِ السَّمَاءُ كَذَلِكَ (وَجُوزَ التَّشْبِيهِ أَيْضاً) يَعْنِي عِنْدَ إِرَادَةِ
الْجَمْعِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فِي أَمْرٍ . قَالَ الشَّيْخُ فِي أَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ : جُمْلَةُ الْقَوْلِ إِنَّهُ مَتَى لَمْ
يَقْصِدْ ضَرْبَ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي لَائِبَاتِ الصِّفَةِ لِلشَّيْءِ وَلَمْ يَقْصِدْ إِلَّا لِيَهَامَ فِي النَّاقِصِ
أَنَّهُ كَالزَّائِدِ ، اقْتَصَرَ عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ فِي مِطَاقِ الصُّورَةِ وَالشَّكْلِ وَاللَّوْنِ ،
أَوْ جَمْعِ بَيْنِ وَصْفَيْنِ عَلَى وَجْهِهِ يَوْجَدُ فِي الْفَرْعِ عَلَى حِدَةٍ أَوْ قَرِيبٍ مِنْهُ فِي الْأَصْلِ ،
فَإِنَّ الْعَكْسَ يَسْتَقِيمُ فِي التَّشْبِيهِ ، وَمَتَى أُريدَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَسْتَقِمِ (كَتَشْبِيهِ
غُرَّةِ الْفَرَسِ بِالصُّبْحِ وَعَكْسِهِ) مِثْلُهُ تَشْبِيهِ الشَّمْسِ بِالْمَرَاةِ الْمَجْلُودَةِ ، أَوِ الدِّينَارِ
الْخَارِجِ مِنَ السَّكَّةِ ، كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ :

مُنِيرٍ فِي مَظْلَمٍ أَكْثَرَ مِنْهُ. وَهُوَ بِإِعْتِبَارِ طَرَفَيْهِ إِنَّمَا تَشْبِيهُ مُفْرَدٍ بِمُفْرَدٍ، وَهِيَ
غَيْرُ مُقَيَّدَتَيْنِ، كَتَشْبِيهِ الْخُدِّ بِالْوَرْدِ، أَوْ مُقَيَّدَانِ كَقَوْلِهِمْ : هُوَ كَالرَّاقِمِ.

وَكَأَنَّ الشَّمْسَ لِلنَّيِّرَةِ دِينًا رُجِلَتْهُ حَدَائِدُ الضَّرَابِ

وعكسه متى قصد إلى مستدير يتلألاً ويلمع ثم خصوص في جنس اللون
يوجد في المرأة المجلوة والدينار المتخاص من حمى السكة كما يوجد في الشمس .
وإن عظم التفاوت، بين نور الشمس ونور المرأة والدينار، وبين الجرمين،
فإنه ليس شيء من ذلك بمنظور إليه في التشبيه، وعلى هذا ورد تشبيه الصبح في
الظلام بعلم أبيض على ديباج أسود في قول ابن المعتز :

وَاللَّيْلُ كَالْحَلَّةِ السَّوْدَاءِ لَاحَ بِهِ مِنْ الصَّبَاحِ طِرَازٌ غَيْرُ مَرْقُومٍ (١)

فإنه تشبيه حسن مقبول وإن كان التفاوت في المقدار بين الصبح والطراز
في الامتداد والانبساط شديداً (متى أريد ظهور منير في مظلم أكثر منه)
يعنى ولم يرد المبالغة في وصف غرة الفرس بالضياء والانبساط وفرط التلألؤ
ونحو ذلك ، إذ لو أريد شيء من هذا لوجب جعل الغرة مشبهاً والصبح مشبهاً
به (كتشبيه الخد بالورد) ومن هذا قوله تعالى : من لباس لكم وأنتم لباس
لهن ، قال الزمخشري : لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على
صاحبه في عناقه ، شبه باللباس المشتمل عليه ، قال الجعدي :

إِذَا مَا الضَّجِيعُ نَنَى عَظْفَهَا تَثَنَّتْ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاسًا

(كقولهم هو كالراقم على المساء) فإن المشبه هو الساعي المقيد بأن

(١) به : أى فيه ، والضمير لليل .

عَلَى الْمَاءِ ، أَوْ مُخْتَلِفَانِ كَقَوْلِهِ : وَالشَّمْسُ كَالْمِرَاةِ وَعَكْسِهِ ، وَإِمَّا تَشْبِيهُ

لا يحصل من سمي على طائل . والمشبه به هو الراقم المقيد بأن رقه على الماء ، لأن وجه الشبه فيهما هو التسوية بين الفعل وعدمه ، وهو موقوف على اعتبار هذين القيدين . هذا وبما طرفاه مقيدان قولهم : هو كمن يجمع سيفين في غمد ، وقولهم : هو كمنغى الصيد في عرينة الأسد ، وقولهم : هو كالحادى وليس له بعير ، وقول الشاعر :

إِنِّي وَتَزْيِينِي بِمَدْحِي مَعْشَرًا كَمَعْلَقِي دُرًّا عَلَى خَنْزِيرٍ

فإن المشبه فيه هو المتكلم بقيد اتصافه بتزيينه بمدحه معشراً ، فتعلق التزيين أعنى قوله بمدحى داخل في المشبه والمشبه به من يعلق دراً بقيد أن يكون تعليقه لإياه على خنزير ، فالشبه مأخوذ من مجموع المصدر وما فى صلته ، وهو أن كل واحد منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر لأن الشئ غير قابل للتزيين ، فالواو فى قوله وتزيينى بمعنى مع ، إذ لا يمكن أن يقال إني كذا وأن تزيينى كذا لأنه ليس معنا شيئان يكون أحدهما خبراً عن ضمير المتكلم والآخر عن تزيينى لا يقال تقديره : إني كعلاق دراً على خنزير ، وأن تزيينى بمدحى معشراً كتعلق در على خنزير ، لأنه لا يتصور أن يشبه المتكلم نفسه من حيث هو بعلاق دراً على خنزيراً ، بل لابد أن يكون يشبه نفسه باعتبار تزيينه بمدحه معشراً (أو مختلفان) أى أحدهما مقيد والآخر غير مقيد (كقوله والشمس كالمراة) فإن المشبه هو الشمس على الإطلاق ، والمشبه به هو المراة ، بقيد أنها فى كف الأشل (وعكسه) أى تشبيه المراة فى كف الأشل بالشمس (وأما تشبيه مركب بمركب) ويجب فى هذا أن يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة

مُرَكَّبٍ بِمُرَكَّبٍ كَمَا فِي بَيْتِ بَشَّارٍ ، وَإِنَّمَا تَشْبِيهُ مَفْرَدٍ بِمُرَكَّبٍ ،

حاصلة من عدة أمور ، قال الزمخشري : إن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها عن بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذلك فتشبهها بنظائرها وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامنت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحداً بأخرى مثلاً . اعلم أن هذا القسم ضربان أحدهما مالا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بإقباله من الطرف الآخر كقوله :

غَدَا وَالصَّبِيحُ تَحْتَ اللَّيْلِ بَادٍ كَطَرَفٍ أَشْهَبَ مُلَقَى الْجِلَالِ

فإن الجلال فيه في مقابلة الليل ولو شبه به لم يكن شيئاً وكقول الآخر :

كَأَنَّمَا الْمِرْيَخُ وَالْمُشْتَرَى قُدَّامُهُ فِي شَامِخِ الرَّفْعَةِ

مُنْصَرَفٌ بِاللَّيْلِ عَنْ دَعْوَةٍ قَدْ أُسْرِجَتْ قُدَّامَهُ شَمْعَةٌ

فإن المريخ في «مقابلة المنصرف عن الدعوة» ، ولو قيل كأن المريخ منصرف ليل عن دعوة ، كان خلوفاً من القول ، والثاني ما يصح تشبيه كل جزء من جزء أحد طرفيه بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر ، غير أن الحالة تتغير مثاله قوله :

وَكَأَنَّ أَجْرَامَ النُّجُومِ لَوَامِعًا دُرَّرَ نُثْرَنَ عَلَى بَسَاطِ أَزْرَقِ

فإنه لو قيل كأن النجوم درر وكان السماء بساط أزرق ، كان تشبيهاً صحيحاً لكن أين يقع من التشبيه الذي يريك الهيئة التي تملأ القلوب سروراً وعجباً من ريع النجوم مؤتلفة متفرقة في أديم السماء وهي زرقاء زرقها الصافية (كافي بـ بشار) وهو قوله :

كَأَنَّ مِثَارَ النِّقَمِ فَوْقَ رُؤُسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كُؤَاكِبَهُ

كَمَا مَرَّ ، مِنْ تَشْبِيهِ الشَّقِيقِ ، وَإِنَّمَا تَشْبِيهُ مَرْكَبٍ بِمَفْرَدٍ ، كَقَوْلِهِ :
يَا صَاحِبِي تَقْصِيًّا نَظْرِيكَمَا تَرِيَا وَجُوهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تَصَوَّرُ
تَرِيَا نَهَارًا مُشْمِسًا قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرَّبِيِّ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقَمَّرُ
وَأَيْضًا إِنَّ تَعَدَّدَ طَرَفَاهُ فَإِنَّمَا مَلْفُوفٌ ، كَقَوْلِهِ :
كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

وقد سبق شرحه ، ومثله في ذلك قول البحري :

تَرَى أَحْجَالَهُ يَصْعَدْنَ فِيهِ صُؤْدَ الْبَرْقِ فِي الْفَيْمِ الْجَهَامِ (١)
لا يريد به تشبيهه بياض الحجول على الانفراد بالبرق ، بل مقصود الهيئة
الحاصلة من مخالطة أحد الشئيين بالآخر (من تشبيه الشقيق) أى وهو مفرد
بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد ، وهو مركب من عدة أمور
(كقوله يا صاحبي) البيتان لأبي تمام من قصيدة يمدح بها المعصم . قوله تقصيا :
أبلغا أقصى نظريكما بالمبالغة في تحقيق النظر . وقوله تصور : أصله تتصور حذف
التاء ، وشابه : خبطه ، والربا جمع ربوة : وهى المكان المرتفع ، وقوله فكأنما
هو مقمر : معناه أن النبات من شدة خضرته مع كثرتة وتكاثفه قد صار لونه إلى
الاسوداد فنقص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر (ملفوف) وهو
ما أتى فيه بالمشبهات ثم بالمشبهات بها (كقوله) أى قول امرئ القيس
يصف عقاباً بكثرة اصطيد الطيور . فقد شبه الرطب الطرى من قلوب الطير
بالعناب واليابس العتيق منها بالحشف (٢) البالى ، إذ لبس في اجتماعهما

- (١) الجهام : السحاب لا ماء فيه ، ويصعدن فيه : أى فى الفرس المحجل .
(٢) الحشف : أردأ التمر ، ووصفه بالبالي تأكيذاً .

أو مفروق ، كقوله :

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوُجُوهُ دَنَا نِيرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنَمٌ

وَإِنْ تَعَدَّدَ طَرَفُهُ الْأَوَّلُ فَتَشْبِيهُ التَّسْوِيَةِ ، كقوله :

صُدِّغَ الْحَبِيبِ وَحَالِي كِلَاهُمَا كَاللَّيَالِي

وَإِنْ تَعَدَّدَ طَرَفُهُ الثَّانِي فَتَشْبِيهُ الْجَمْعِ ، كقوله :

هيئة مخصوصة يعتد بها ويقصد تشبيهها ، ولذا قال الشيخ في أسرار البلاغة : إنه إنما يستحق التفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه لا لأن الجميع فائدة في عين التشبيه (أو مفروق) وهو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ، ثم آخر وآخر ، كقول المرقش الأكبر :

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوُجُوهُ دَنَا نِيرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنَمٌ

النَّشْرُ : الرائحة ، والعنم شجر أحمر لين الأغصان يشبه به أكف الجوارى .
المخضبة . ومنه قول أبي الطيب :

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطَ نَانَ وَفَاحَتْ عَنَبَرًا وَرَنْتْ غَزَالًا

(الأول) أى المشبه (الثانى) أى المشبه به (كقول) البحترى من قصيدة أولها :

بَابَ نَدِيمًا لِي حَتَّى الصَّبَاحِ أَغْيَدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الْوِشَاحِ

كأنما يبسم البيت فقد شبه ثغر أغيده كما ترى بثلاثة أشياء ، ومنضد : منظم ، والبرد : هو حب الغمام ، والأقاج جمع أقحوان : نور يتفتح كالورد وأوراقه

كَأَنَّمَا يَبْسِمُ عَنْ لَوْلُو مُنْضِدٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقَاحٍ
وَبَاعْتِبَارٍ وَجْهِهِ إِمَّا تَمْثِيلٌ ، وَهُوَ مَا وَجْهُهُ مُنْتَزَعٌ مِنْ مُتَعَدِّدٍ ، كَمَا
مَرَّ ، وَقَيْدَهُ السَّكَاتِي بِكَوْنِهِ غَيْرَ حَقِيقِي ، كَمَا فِي تَشْبِيهِهِ مَثَلِ الْيَهُودِ
بِمَثَلِ الْحَمَارِ ، وَإِمَّا غَيْرُ تَمْثِيلٍ وَهُوَ بِخِلَافِهِ . وَأَيْضًا إِمَّا مُجْمَلٌ ، وَهُوَ مَا لَمْ

في شكها أشبه شيء بالأسنان في اعتدالها . هذا ومن تشبيهه الجمع قول صاحب ابن
عباد في وصف أبيات أهديت إليه :

أَتَتْنِي بِالْأَمْسِ أَبْيَاسُهُ تُعَالُ رُوحِي بِرُوحِ الْجِنَانِ
كَبَرْدِ الشَّبَابِ وَبَرْدِ الشَّرَابِ وَظِلُّ الْأَمَانِ وَنَيْلِ الْأَمَانِ
وَعَهْدِ الصَّبَا وَنَسِيمِ الصَّبَا وَصَفْوِ الدَّانِ وَرَجْعِ الْقِيَانِ
ومنه قول امرئ القيس :

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصَوْبَ الْغَمَامِ وَرِيحَ الْخَزَامِي وَنَشْرَ الْقَطَرِ
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْبِيَاءِهَا إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرَّ
إلا أن فيه شوباً من القصد إلى هيئة الاجتماع (كما مر) من نحو تشبيه المرأة في
كف الأشل ، والتشبيه في بيت بشار :

كَأَنَّ مَثَارَ النِّقَعِ فَوْقَ رُؤُسِنَا وَأَنْسِيَا قَنَا لَيْلَ تَهَاوِي كَوَاكِبِهِ
(وقيد السكاكي بكونه غير حقيقي) وإليك عبارته . اعلم أن التشبيه متى كان
وجهه وصفاً غير حقيقي وكان منتزعا من عدة أمور ، خص باسم التمثيل كالذي
في قوله :

اصْبِرْ عَلَى مَضْبُضِ الْحَسُونِ دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ

يَذْكُرُ وَجْهَهُ ، فَمِنْهُ ظَاهِرٌ يَفْهَمُهُ كُلُّ أَحَدٍ نَحْوُ : زَيْدٌ أَسَدٌ ، وَمِنْهُ خَفِيَ
لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا الْخَاصَّةُ ، كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ : هُمْ كَالْحَلَقَةِ الْمَفْرَغَةِ لَا يُدْرَى

فَالنَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

فإن تشبيهه الحسود الذي يحرم القول بالنار التي لا تمتد بالخطب فيسرع فيها
الفناء ، ليس إلا في أمر متوهم له . وهو ما اتوهم إذا لم تأخذ معه في القول مع
عليك بتطلبه إياه ، عسى أن يتوصل به إلى نفثة مصدور من قيامه إذ ذاك مقام
أن تمنعه ما يمد حياته ليسرع فيه الهلاك ، وأنه كما ترى منتزع من عدة أمور
وكالذي في قوله :

وَإِنَّ مِنْ أَدَبِيَّتِهِ فِي الصَّبَابِ كَالْمُودِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرَسِهِ

حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا بَعْدَ الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ يُبْسِهِ

فإن تشبيهه المؤدب في صباه بالعود المسقى ، أو أن الغرس الموثق بأوراقه
ونضرت له ليس إلا فيما يلزم كونه مذهب الأخلاق مرضى السيرة حميد الفعال
لتأدية المطلوب بسبب التأديب المصادف وقته من تمام الميل إليه وكالاهتجان
حاله ، وإنه كما ترى أمر تصوري لصفة حقيقية وهو مع ذلك منتزع من عدة
أمور (ومنه خفي) قال الشيخ الإمام : وأما ما يدق ويغمض حتى يحتاج في
استخراجه إلى فضل روية ولطف فكرة ، فنحو قول كعب الأشقرى وقد أوفده
المهلب على الحجاج فوصف له بنيه وذكر مكانهم من الفضل والبأس ، فسأله
في آخر القصة ، قال فكيف كان بنو المهلب فيهم ^(١) ، قال كانوا حماة السرح نهاراً
فاذا ألبسوا ففرسان البيات ، قال فأيهم كان أنجد ، قال كانوا كالحلقة المفرغة

أَيْنَ طَرَفَاها ، أَيْ هُم مُتَنَاسِبُونَ فِي الشَّرَفِ ، كَمَا أَنَّهَا مُتَنَاسِبَةٌ الْأَجْزَاءِ
فِي الصُّورَةِ . وَأَيْضًا مِنْهُ مَا لَمْ يَذْكُرْ فِيهِ وَصَفُ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ ، وَمِنْهُ
مَا ذُكِرَ فِيهِ وَصَفُ الْمُسَبِّهِ بِهِ وَحْدَهُ ، وَمِنْهُ مَا ذُكِرَ فِيهِ وَصَفُهُمَا ،
كَقَوْلِهِ :

صَدَفْتُ عَنْهُ وَلَمْ تَصْدِفْ مَوَاهِبُهُ عَنِّي وَعَاوَدَهُ ظَنِّي فَلَمْ يَخِبْ
كَالْغَيْثِ إِنْ جِئْتَهُ وَافَاكَ رَيْقُهُ وَإِنْ تَرَحَّلْتَ عَنْهُ لَجَّ فِي الطَّلَبِ

لا بدوى أين طرفاها ، فهذا كما ترى ظاهر الأمر في فقره إلى فضل الرفق به والنظر ،
الآ ترى أنه لا يفهمه حق فهمه إلا من له ذهن ونظر يرتفع به عن طبقة العامة ،
اتهى كلام الشيخ . وأصل المثل لفاطمة بنت الخرشب الأثمارية إحدى المنجيات
في الجاهلية سألتها أبو سفيان أى بنيك أفضل ، فقالت الربيع لا بل عمارة لا بل
أنس الفوارس ، ثكلهم إن كنت أدرى أيهم أفضل ، هم كالحلقة إلى آخره ،
أخذه كعب الأشقرى ووصف به بنى المهلب (كما أنها) أى الحلقة المفرغة
(متناسبة الأجزاء في الصورة) فيمتنع تعيين بعضها طرفاً وبعضها وسطاً
لكونها مفرغة مصمتة الجوانب كالدائرة (منه) ، أى من الجميل (كقوله)
أى قول أبى تمام يمدح الحسن بن سهل وقبل البيتين :

سَتُصْبِحُ الْعَيْسُ بِي وَاللَّيْلُ عِنْدَ قَتَّى كَثِيرِ ذِكْرِ الرِّضَى فِي سَاعَةِ الْغَضَبِ
قوله صدقت : معناه أعرضت ، وقوله ريقه : معناه أوله وأحسنه ، يقال
فعله في ورق شبابه وريقه : أى أوله ، وأصابه ريق المطر وريق كل شيء : أفضله .
فالشاعر قد وصف الممدوح كما ترى بأن عطاياه فائضة عليه ، أعرض أولم
يعرض ، وكذا وصف الغيث بأنه يصيبك جثته أو ترحلت عنه ، والوصفان

وَإِمَّا مُفَصَّلًا ، وَهُوَ مَا ذُكِرَ وَجْهُهُ ، كَقَوْلِهِ :
وَتَغَرُّهُ فِي صَفَاءِ * وَأَذْمُعِي كَاللَّالِي
وَقَدْ يَتَسَامَحُ بِذِكْرِ مَا يَسْتَتْبِعُهُ مَكَانَهُ ، كَقَوْلِهِمْ لِلْكَلَامِ -

دالان على وجه الشبه ، أعنى الإفاضة في حالى الطلب وعدمه ، وحالى الإقبال
عليه والإعراض عنه (كقوله وتغره) مثله قول أبي بكر الخالدي :

يَا شَبِيهَ الْبَدْرِ حُسْنًا وَضِيَاءً وَمَنَالًا
وَشَبِيهَ الْفُصْنِ لِينًا وَقَوَامًا وَاعْتِدَالًا
أَنْتَ مِثْلُ الْوَرْدِ لَوْنًا وَنَسِيمًا وَمَلَالًا
زَارِنًا حَتَّى إِذَا مَا سَرَرْنَا بِالقُرْبِ زَالًا
وفول ابن الرومي :

يَا شَبِيهَ الْبَدْرِ فِي الْحُسْنِ وَفِي بُعْدِ الْمَنَانِ
جُدْ فَقَدْ تَنْفَجِرُ الصَّخْرَةُ بِالمَاءِ الزَّلَالِ

(وقد يتسامح بذكر ما يستتبعه مكانه) قال السكاكي : اعلم أنه ليس
بملائم فيما بين أصحاب علم البيان أن يتكلفوا التصريح بوجه التشبيه على ما هو
به ، بل قد يذكرون على سبيل التسامح ما إذا أنعمت فيه النظر لم تجده إلا
شيئاً مستتبعاً لما يكون وجه التشبيه في المآل فلا بد من التنبيه عليه ، من ذلك
قولهم في الألفاظ إذا وجدورها لا تثقل على اللسان ولا تكده بتنافر حروفها
أو تكرارها ، ولا تكون غريبة وحشية تستكره لكونها غير مألوقة ، ولا بما
تشبه معانيها وتستتلق فيصعب الوقوف عليها وتشتت عن النفس : هي كالعسل

الفَصِيحُ : هُوَ كَالْعَسَلِ فِي الْحَلَاوَةِ ، فَإِنَّ الْجَامِعَ فِيهِ لَازِمُهَا ، وَهُوَ مَبْلُغُ
الطَّبَعِ ، وَأَيْضًا إِمَّا قَرِيبٌ مُبْتَدَلٌ ، وَهُوَ مَا يُنْتَقَلُ فِيهِ مِنَ الْمُشَبَّهِ إِلَى

فِي الْحَلَاوَةِ وَكَلَامًا فِي السَّلَاسَةِ وَكَالنَّسِيمِ فِي الرِّقَةِ ، وَقَوْلُهُمْ فِي الْحُجَّةِ الْمَطْلُوبِ بِهَا
قَلْعُ الشَّبْهِ مَتَى صَادَفُوهَا ، مَعْلُومَةٌ الْأَجْزَاءُ يَقِينِيَّةُ التَّأْلِيفِ قِطْعِيَّةُ الْإِسْتِزَامِ ،
هِيَ كَالشَّمْسِ فِي الظُّهُورِ ، فَيَذْكُرُونَ الْحَلَاوَةَ وَالسَّلَاسَةَ وَالرِّقَةَ وَالظُّهُورَ لَوَجْهِ
الشَّبْهِ ، عَلَى أَنْ وَجْهَ الشَّبْهِ فِي الْمَأَلِ هُنَاكَ شَيْءٌ غَيْرُهَا ، وَذَلِكَ لِأَزْمِ الْحَلَاوَةِ
وَهُوَ مِيلُ الطَّبَعِ إِلَيْهَا وَمَحَبَّةُ النَّفْسِ وَرُودُهَا عَلَيْهَا ، وَلِأَزْمِ السَّلَامَةِ وَالرِّقَةِ وَهُوَ
إِفَادَةُ النَّفْسِ نَشَاطًا وَإِلْهَادًا إِلَى الصَّدْرِ انْشِرَاحًا وَإِلَى الْقَلْبِ رُوحًا ، فَشَأْنُ
النَّفْسِ مَعَ الْأَلْفَافِ الْمَوْصُوفَةِ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ كَشَأْنُهَا مَعَ الْعَسَلِ الشَّهِي الَّذِي
يَلَذُّ طَعْمَهُ فَتَهَشُّ النَّفْسُ لَهُ وَيَمِيلُ الطَّبَعُ إِلَيْهِ وَيَحِبُّ وَرُودَهُ عَلَيْهِ ، أَوْ كَشَأْنُهَا
مَعَ الْمَاءِ الَّذِي يَنْسَاغُ فِي الْحَاقِ وَيَنْحَدِرُ فِيهِ أَجْلِبُ انْحِدَارٍ لِلرَّاحَةِ ، وَمَعَ النَّسِيمِ
الَّذِي يَسْرَى فِي الْبَدَنِ ، فَيَتَخَلَّلُ الْمَسَالِكَ اللَّطِيفَةَ مِنْهُ ، فَيَفِيدَانِ النَّفْسَ نَشَاطًا
وَيَهْدِيَانِ إِلَى الصَّدْرِ انْشِرَاحًا وَإِلَى الْقَلْبِ رُوحًا ، وَلِأَزْمِ الظُّهُورِ وَهُوَ إِزَالَةُ
الْحِجَابِ ، فَشَأْنُ الْبَصِيرَةِ مَعَ الشَّبْهِ كَشَأْنُ الْبَصَرِ مَعَ الظِّلَّةِ فِي كَوْنِهِمَا مَعَهُمَا
كَالْمَحْجُوبِينَ ، وَانْقِلَابُ حَالِهِمَا إِلَى خِلَافِ ذَلِكَ مَعَ الْحُجَّةِ إِذَا بَهَرَتْ وَالشَّمْسِ
إِذَا ظَهَرَتْ ، وَتَسَامُحُهُمْ هَذَا لَا يَقَعُ إِلَّا حَيْثُ يَكُونُ التَّشْبِيهُ فِي وَصْفِ اعْتِبَارِي
كَالَّذِي نَحْنُ فِيهِ ، وَأَقُولُ يَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ تَرْكُهُمُ التَّحْقِيقَ فِي وَجْهِ التَّشْبِيهِ عَلَى
مَا سَبَقَ التَّذْيِيقَ عَلَيْهِ مِنْ تَسَامُحِهِمْ هَذَا (وَأَيْضًا إِمَّا قَرِيبٌ) أَعْلَمُ أَنَّ مَعْرِفَةَ
الشَّيْءِ مِنْ طَرِيقِ الْجُمْلَةِ كَمَا قِيلَ غَيْرُ مَعْرِفَتِهِ مِنْ طَرِيقِ التَّفْصِيلِ . فَكَلَامُ الْمُصَنِّفِ
هُنَا وَإِنْ كَانَ يَكُونُ مَفْهُومًا فَإِنَّ لِقَامَ الْبَيَانِ قَائِدَةً لَا يَنْسَكِرُهَا الْمَعْنَى ، وَذَلِكَ أَتَمُّ
لِلْغَرَضِ وَأَشَقُّ لِلنَّفْسِ فَتَقُولُ : إِنَّ الشَّبْهِ إِمَّا قَرِيبٌ يَقَعُ فِي الْوَهْمِ مِنْ أَوَّلِ النَّظَرِ

المُشَبَّه بِهِ مِنْ غَيْرِ تَدْقِيقِ نَظَرٍ ، لِظُهُورِ وَجْهِهِ فِي بَادِيِ الرَّأْيِ ، إِسْكُونِهِ
أَمْرًا جَمِيلًا ، فَإِنَّ الْجُمْلَةَ أَسْبَقُ إِلَى النَّفْسِ ، أَوْ قَلِيلَ التَّفْصِيلِ مَعَ غَلَبَةِ

ولما غريب لا ينزع إليه الخاطر إلا بعد تثبت وتذكر وفكر للنفس وتحريك
للوهم ، فالقريب مثل ما إذا أخطرت بالبال استدارة الشمس وتورها وقعت
المرآة المجلوة في قلبك وترآى لك الشبه منها فيها ، وكذلك إذا نظرت إلى الوشي
منشوراً وتطلبت لحسنة ونقشه واختلاف الأصباغ فيه شهاً حضرك ذكر
الروض مطوراً مفترأ عن أزهاره متبسماً عن أنواره ، وكذلك إذا نظرت إلى
السيف الصقيل عند سله وبريق منته لم يتبادر عنك أن تذكر لمعان البرق وإن
كان هذا أقل ظهوراً ، وأما الغريب فهو مثل تشبيه الشمس بالمرآة في كف
الأشل ، وتشبيه البرق بأصبع السارق في قول كشاجم :

أَرِقْتَ أَمْ نِمْتَ لِضَوْءِ بَارِقٍ مُؤْتَلِقٍ مِثْلِ فُؤَادِ الْعَاشِقِ

كَأَنَّهُ إِصْبَعُ كَفِّ السَّارِقِ

وإن أردت أن تعلم السبب في سرعة بعض الشبه إلى الفكر وإلباء بعض أن
يكون له ذلك الإسراع فإن ههنا ضربين من العبرة أولها أنا نعلم أن الجملة أبدأ
أسبق إلى النفوس من التفصيل ، وأنت تجد الرؤية نفسها لا تصل بالبديهة إلى
التفصيل ، ولكنك ترى بالنظر الأول الوصف على الجملة ثم ترى التفصيل عند
إعادة النظر ، ولذلك قالوا النظرة الأولى حمقاء ، وقالوا لم ينعم النظر ولم
يستقص النأمل ، وهكذا الحكم في السمع وغيره من الحواس ، فإنك تدرك
من تفاصيل الصوت والذوق في المرة الثانية ما لم تدرك في الأولى ، فمن يروم
التفصيل كمن يبتغي الشيء من بين جملة يريد تمييزه بما اختلط به ومن يروم

حُضُورُ الْمَشَبِّهِ فِي الذَّهْنِ ، إِمَّا عِنْدَ حُضُورِ الْمَشَبِّهِ ، لِقُرْبِ الْمُنَاسَبَةِ

الإجمال كمن يريد أخذ الشيء جزافاً وجرفاً ، وكذا حكم ما يدرك بالعقل ترى
الجلل أبدأ تسبق إلى الذهن وتقع في الخاطر أولاً ، وترى التفاصيل مغمورة فيما
بينها لا تحضر إلا بعد إعمال الرويه واستعانة بالتذكر ، ويتفاوت الحال في الحاجة
إلى الفكر بحسب مكان الوصف ومرتبته من حد الجملة وحد التفصيل وكلما كان
أوغل في التفصيل كانت الحاجة إلى التوقف والتذكر أكثر والفقر إلى التأمل
والتمهل أشد ، وإذا قد عرفت هذه العبرة فالاشتراك في الصفة إذا كان من
جهة الجملة على الإطلاق بحيث لا يشوبه شيء من التفصيل نحوه : إن كلاً
الشيئين أسود أو أحمر فهو يقل عن أن يحتاج فيه إلى قياس وتشبيه فإن دخل
في التفصيل شيئاً نحو : إن هذا السواد صاف براق والحررة دقيقة ناصعة ،
احتجت بقدر ذلك إلى إدارة الفكر ، وذلك مثل تشبيه حررة الخد بحمرة التفاح
والورد ، فإن زاد تفصيله بخصوص تدق العبارة عنه ويتعرف بفضل تأمل ،
ازداد الأمر قوة في اقتضاء الفكر ، وذلك نحو تشبيه سقط النار بعين الديك
في قول غيلان :

وَسَقَطَ كَعَيْنِ الدِّيكِ عَاوَرْتُ صُحْبَتِي أَبَاهَا وَهَيَّأْنَا لِمَوْضِعِهَا وَكُرَا

والعبرة الثانية أن مما يقتضى كون الشيء على الذكر وثبوت صورته في النفس
أن يكثر دورانه على العيون ويدوم ترده في مواقع الإبصار ، وإن تدركه
الحواس في كل وقت أو في أغلب الأوقات ، وبالعكس وهو أن من سبب
بعد ذلك الشيء عن أن يقع ذكره بالخاطر وتعرض صورته في النفس قلة رؤيته
وأنه مما يحس على طريق الندرة ، وإذا كان ذلك كذلك بأن منه أن كل شبه
رجع إلى وصف أو صورة أو هيئة من شأنها أن ترى وتبصر أبدأ ، فالتشبيه

كَتَشْبِيهِ الْجُرَّةِ الصَّغِيرَةِ بِالْكُوزِ فِي الْمِقْدَارِ وَالشَّكْلِ ، أَوْ مُطْلَقًا

المعقود عليه نازل مبتذل وما كان بالضد من هذا ، وفي الغاية القصوى من مخالفته ، فالتشبيه المردود إليه غريب نادر بديع ، ثم إن التفصيل وإن كانت دقائقه لا تكاد تضبط ، إلا أن الأغلب الأعرف منها وجهان : أحدهما أن تأخذ بعضاً وتضع بعضاً ، كما فعل امرؤ القيس في قوله :

حَمَلْتُ رَدِيدِيًّا كَأَنَّ سِنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ

فعرل الدخان عن السنا وأثبتته مفرداً كما ترى وكما فعل الآخر حين فصل الحدق عن الجفون وأثبتها مفردة فيما شبهه وذلك قوله :

لَهَا حَدَقٌ لَمْ يَتَّصِلْ بِجُفُونٍ *

والثاني أن تنظر من المنسب في أمور لتعتبرها كلها وتطلبها في المشبه به كاعتبارك في تشبيهه الريا بالمنقود الأنجم أنفسها والشكل واللون والمقدار واجتماعها على المسافة المخصوصة في القرب ، ثم اعتبارك في المنقود المنور من الملاحية مثل ذلك وتبعده ، فإن توافقت نفسك إلى شيء من الشرح لعبارة المصنف فأليك ذلك . قوله أو قائل : التفصيل معطوف على أمراً جملياً ، وقوله : لقرب المناسبة ، يعني بين المشبه والمشبه به ، وقوله أو مطلقاً : معطوف على قوله عند حضور المشبه ، وقوله لتكرره : علة لغلبة المشبه به مطلقاً ، وقوله لمعارضة الخ ، يعني وإنما كانت قلة التفصيل في وجه الشبه مع غلبة حضور المشبه به بسبب قرب المناسبة أو التكرار على الحس سبباً لظهوره المؤدى إلى الابتذال مع أن التفصيل من أسباب الغرابة ، لأن قرب المناسبة في الصورة الأولى والتكرار على الحس في الثانية ، يعارض كل منهما التفصيل بواسطة اقتضائهما سرعة الانتقال من المشبه إلى المشبه به ، فيصير وجه الشبه كأنه أمر جمل لا تفصيل فيه ، فيصير سبباً للابتذال ، وقوله كما مر : يعني في تشبيهه البنفسج بنار

لِتَكْرُرِهِ عَلَى الْحَسِّ ، كَالشَّمْسِ بِالْمِرْآةِ الْمَجْلُوتَةِ ، فِي الْإِسْتِدَارَةِ وَالِاسْتِنَارَةِ ،

الكبريت ، وقوله لكونه وهمياً الخ : فالوهمى كتشبيه نصال السهام بأنياب
الأغوال ، والخيالى كتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت منشورة على رماح من
الزبرجد ، والبقلى كتشبيه مثل أحبار اليهود بمثل الخمار يحمل أسفاراً ، وقد
مر ذلك ، فأنت ترى أن كلا سبب لندرة حضور المشبه به في الذهن ، وقوله
أو لقلة : معطوف على قوله لكونه وهمياً ، وقوله فالغرابية فيه : أى في تشبيهه
الشمس بالمرآة في كف الأثل ، وقوله من وجهين : فأحد الوجهين كثرة التفصيل ،
وثانيهما : قلة تكرره على الحس . هذا ومن أبلغ الاستقصاء في التفصيل
وعجيبة قول ابن المعتز :

كَأَنَّ أَضْوَاءَ الصُّبْحِ يَسْتَمْعِلُ الدُّجَى نَظِيرُ غُرَابٍ ذَا قَوَادِمَ جُونٍ^(١)

شبه ظلام الليل حين يظهر فيه الصبح بأشخاص الغربان ، ثم شرط أن
تكون قوادم ريشها بيضاء ، لأن تلك الفرق من الظلمة يقع في حواشيها
من حيث تلى معظم الصبح وعموده لمع نور يتجلى فيها في العين كشكل قوادمهم
إذا كانت بيضاء ، وتتمام التدقيق والسحر في هذا التشبيه في شيء آخر وهو
أن جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره ودفعه لظلام الليل كأنه يحفز الدجى
ويستعجلها ، ولا يرضى منها أن تتمهل في حركتها ، ثم لما بدأ بذلك أولاً اعتبره
في التشبيه آخراً ، فقال : نظير غراباً ولم يقل غراباً يطير مثلاً ، وذلك أن
الغراب وكل طائر إذا كان واقعاً هادئاً في مكان فأزعج وأخيف وأطير منه

(١) قوادم الطير : مقادير ريشه ، وهي عشرة في كل جناح ، والجون

بالضم : جمع جون بالفتح ، والمراد به هنا الأبيض .

لِمَعَارَضَةٍ كَلَامٍ مِنَ الْقُرْبِ وَالتَّكْرَارِ التَّفْصِيلِ ، وَإِمَّا بَعِيدٌ غَرِيبٌ وَهُوَ
بِمُخَالَفَةِ لَعْدَمِ الظُّهُورِ ، وَإِمَّا لِكثْرَةِ التَّفْصِيلِ كَقَوْلِهِ ۞ وَالشَّمْسُ كَأَمْرِ آةٍ

أو كان قد حبس في يد أو قفص فأرسل ، كان ذلك لا محالة أسرع لطيرانه
وأعجل ، وأمد له وأبعد لأمده ، فإن تلك الفرعة التي تعرض له من تنفيره أو
الفرحة التي تدركه وتحدث فيه من خلاصه وانفلاته ، بما دعت به إلى أن يستمر
حتى يغيب عن الأفق ويصير إلى حيث لا تراه العيون ، وليس كذلك إذا
طار عن الاختيار ، لأنه يجوز حينئذ أن يصير إلى مكان قريب من مكانه
الأول ، وأن لا يسرع في طيرانه بل يمشى على هيئة ويتحرك حركة غير المتعجل
واعلم أن هذا الأمر وهو التفصيل يتفاوت حاله ، فنه ما يبلغ من كرم الموقع
والطف التأثير في النفس مبلغاً لا يدرك شأوه ، ومنه ما دون ذلك ، وبين هذا
بالمقالة ، فأنت إذا قابلت قول بشار : كأن مشار النقع البيت ، بقول المتنبي :

يُزَوِّرُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءٍ عَجَاجَةٍ أَسِنَّةُ فِي جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ

أو قول عمرو بن كلثوم :

تَبَنَّى سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقِ أَرُوسِهِمْ سَقْفًا كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْمَبَاتِيرُ

وجدت لبیت بشار من الفخامة والنبيل والرفعة والشرف ، ما لا يوجد
لصاحبيه ، ذلك لأن كلا منهما وإن راعى التفصيل في التشبيه ، إلا أنه اقتصر
على أن أراك لمعان الأسنة والسيوف في أثناء العجاجة ، بخلاف بشار فإنه لم
يقتصر على ذلك كما بيناه فيما تقدم ، وكذلك تجد قول ابن المعتز في الأذريون :

مَدَاهِنُ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا بَقَايَا غَالِيَةٍ

أغلى وأفضل من قوله :

فِي كَفِّ الْأَشْلِ # أَوْ نُدُورِ حُضُورِ الْمَشَبِّهِ بِهِ ، إِمَّا عِنْدَ حُضُورِ الْمَشَبِّهِ لِمُقَدِّ
الْمُنَاسِبَةِ كَمَا مَرَّ ، وَإِمَّا مُطْلَقًا لِكَوْنِهِ وَهَمِيًّا أَوْ مُرَكَّبًا خَيَالِيًّا أَوْ عَقْلِيًّا
كَمَا مَرَّ ، أَوْ لِقِلَّةِ تَكَرُّرِهِ عَلَى الْحَسِّ كَقَوْلِهِ : وَالشَّمْسُ كَالْمِرْآةِ ، فَأَعْرَابُهُ
فِيهِ مِنْ وَجْهَيْنِ ، وَالْمُرَادُ بِالتَّفْصِيلِ أَنَّ تَنْظُرَ فِي أَكْثَرِ مِنْ وَصْفٍ ، وَيَقَعُ
عَلَى وَجْهِهِ ، أَعْرَفُهَا أَنَّ تَأْخُذَ بَعْضًا وَتَدَعِ بَعْضًا كَمَا فِي قَوْلِهِ :

حَمَلْتُ رُدَيْنِيًّا كَانَ سِنَانُهُ # سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِهِ
وَأَنْ تَعْتَبِرَ الْجَمِيعَ ، كَمَا مَرَّ ، مِنْ تَشْبِيهِ الثَّرِيَّا ، وَكَلَّمَكَ كَانَ التَّرَكِيبُ

وَطَافَ بِهَا سَاقِي أَدِيبٍ بِمِيزَلٍ كَخِمْجَرٍ عَيَّارٍ صِنَاعَتُهُ الْفَتَكُ (١)
وَحُمِّلَ آذْرِيُونَةً فَوْقَ أُذُنِهِ كَمَكَّاسٍ عَقِيقٍ فِي قَرَارَتِهَا مَسْكُ

ذَاكَ لِأَنَّ السَّوَادَ الَّذِي فِي بَاطِنِ الْآذْرِيُونَةِ الْمَوْضُوعِ بِإِزَائِهِ الْغَالِيَةِ ، وَالْمَسْكُ
فِيهِ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ لَيْسَ بِشَامِلٍ لَهَا ، وَالثَّانِي أَنَّهُ لَمْ يَسْتَدِرْ فِي قَعْرِهَا بَلْ ارْتَفَعَ
مِنْهُ حَتَّى أَخَذَ شَيْئًا مِنْ سَمَكِهَا مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ وَلَهُ فِي مَنْقَطَعِهِ هَيْئَةٌ تَشْبَهُ آثَارَ الْغَالِيَةِ
فِي جَوَانِبِ الْمَدْنِ إِذَا كَانَتْ بَقِيَّةُ بَقِيَّتِ عَنِ الْأَصَابِعِ ، وَقَوْلُهُ فِي قَرَارَتِهَا مَسْكُ :
يَبِينُ الْأَمْرَ الْأَوَّلَ ، وَيُؤْمِنُ مِنْ دُخُولِ النَفْصِ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ يَدْخُلُ لَوْ قَالَ فِيهَا
مَسْكُ وَلَمْ يَشْتَرِطْ أَنْ يَكُونَ فِي الْقَرَارَةِ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَلَا يَدُلُّ عَلَيْهِ كَمَا يَدُلُّ
قَوْلُهُ : بِتَيَايَا غَالِيَةٍ ، لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْمَسْكِ وَالشَّيْءِ الْيَابِسِ إِذَا فَصَلَ
فِي شَيْءٍ مُسْتَدِيرٍ لَهُ قَعْرٌ أَنْ يَسْتَدِيرَ فِي الْقَعْرِ وَلَا يَرْتَفِعَ ، فِي الْجَوَانِبِ وَالْإِرْتِفَاعِ

(١) يَصِفُ الْخَمْرَ : الْمِيزَلُ مَا يَصْفَى بِهِ الشَّرَابَ ، وَالْآذْرِيُونَةُ : وَرْدُ لَهُ
أَوْرَاقٌ حُمْرٌ فِي وَسْطَةِ سَوَادٍ لَهُ نَبْوٌ وَارْتِفَاعٌ وَهُوَ يَكُونُ أَصْفَرَ .

مِنْ أُمُورٍ أَكْثَرَ كَانَتْ تَشْبِيهُهُ أَبْعَدَ ، وَالْبَلِيغُ مَا كَانَ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ .
لِغَرَابَتِهِ ، وَلَآنَ نَيْلَ الشَّيْءِ بَعْدَ طَلْبِهِ أَلْذَّ ، وَقَدْ يُتَصَرَّفُ فِي الْقَرِيبِ بِمَا
يَجْعَلُهُ غَرِيباً كَقَوْلِهِ :

الذي في سواد الآذريونة ، بخلاف الغالية فإنها رطبة ثم تأخذ بالأصابع فلا يد
في البقية منها أن ترتفع عن القرارة ذلك الارتفاع ، ثم هي لتعومتها ترق فتكون
كالصبيغ الذي لا يظهر له جرم وذلك أصدق للتشبيه (والبليغ ما كان من هذا
الضرب) لا يقال عدم الظهور ضرب من التعقيد والتعقيد كما علمنا مدموم ،
لأننا نقول التعقيد كما سبق له سريان : الأول : سوء ترتيب الالفاظ ، والثاني :
اختلال الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني الذي هو المقصود باللفظ ،
والمراد بعد الظهور في التشبيه ما كان سببه لطف المعنى ودقته ، أو ترتيب بعض
المعاني على بعض ، فإن المعاني الشريفة لا بد فيها في غالب الأمر من بناء ثان
على أول ورد تال إلى سابق . قال الشيخ : وهل شيء أحلى من الفكرة إذا
استمرت وصادفت نهجاً قوياً ، وطريقة تنقاد وتبينت لها النهاية فيما ترتاد .
قال الجاحظ في أثناء فصل يذكر فيه ما في الفكر من الفضيلة : وأين تقع لذة
البهيمة بالعاوفة ، ولذة السبع بلطع الدم ، وأكل اللحم من سرور الظفر
بالأعداء ، ومن انفتاح باب العلم بعد إدمان قرعه . وبعد ، فإذا أعدت الحلقات
لجري الجياد ، ونصبت الأهداف ليعرف فضل الرماة في الأبعاد والسداد ،
فرهان العقول التي تستبق ونضالها التي تمتحن قواها في تعاطيه هو الفكر
والروية والاستنباط (ولأن نيل الشيء بعد طلبه ألد) ولذلك ضرب المثل لكل
ما لطف موقعه يبرد الماء على الظمأ كما قال القطامي :

وَهَنْ يَفْقِدُنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِيبُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي .
(وقد يتصرف في القريب بما يجعله غريباً) وهذا على وجوه ، منها أن .

لَمْ تَلَقَ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا إِلَّا بِوَجْهِ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءٌ
وقوله :

عَزَمَاتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَاقِبًا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلثَّاقِبَاتِ أَقُولُ
وَيُسَمَّى هَذَا التَّشْبِيهِ الْمَشْرُوطَ : وَبِاعْتِبَارِ أَدَاتِهِ إِمَّا مُؤَكَّدٌ ، وَهُوَ

يكون كقول أبي الطيب من قصيدة يمدح بها هرون بن عبد العزيز .
لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا إلا بوجه ليس به حياء
وقول الآخر :

فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخُلْدِ تَطْلُعُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَأَحْلَامُ نَأْمٍ أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرَّأْيِ كِبِ يُوْشَعُ
فإن تشبيهه وجوه الحسان بالشمس مبتذل ، لكن كل واحد من حديث
الحياء في الأول ، والتشكيك مع ذكر يوشع عاينه السلام في الثاني ، أخرجه من
الابتذال إلى الغرابة ، وشبيهه بالاول قول الآخر :

إِنَّ السَّحَابَ لَتَسْتَحْيِي إِذَا نَظَرْتُ إِلَى نَدَاكَ فَقَاسَتْهُ بِمَا فِيهَا
ومنها أن يكون كقول الطواط :

عَزَمَاتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَاقِبًا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلثَّاقِبَاتِ أَقُولُ
وقوله :

مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسَ قَنَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تِلْكَ ذَوَابِلُ^(١)

(١) يصف النساء بسعة العيون وطول القدود .

مَا حُذِفَتْ أَدَاتُهُ ، مِثْلُ : وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ ، وَمِنْهُ نَحْوُ :
وَالرَّيْحُ تَمَبَّتْ بِالْغُصُونِ وَقَدْ جَرَى * ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ

وقوله :

يَسْكَادُ يَحْكِيكَ صَوْبُ الْغَيْثِ مُنْسَكِبًا لَوْ كَانَ طَائِقُ الْمُحَيَّا يُمَطِّرُ الذَّهَبَا
وَالْبَدْرُ لَمْ يَغِبْ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَالْأَسَدُ لَوْ لَمْ تُصَدِّ وَالْبَحْرُ لَوْ عَذَبَا

وهذا يسمى التشبيه المشروط ، ومنها أن يكون كقوله :

فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ شَيْءٌ مِنْ مَحَاسِنِهَا وَلِلْقَضِيبِ نَصِيبٌ مِنْ تَذَنُّبِهَا

وقول ابن بابك :

أَلَا يَارِ يَاضَ الْحُزْنِ مِنْ أَبْرِقِ الْحُمَى نَسِيمُكَ مَسْرُوقٌ وَوَصْفُكَ مُنْتَحَلٌ
حَكَيْتَ أَبَا سَعْدٍ فَذَشْرُكَ نَشْرُهُ وَلَكِنْ لَهُ صِدْقُ الْهَوَى وَلَكَ الْمَالُ

وقد يفرج من الابتذال بالجمع بين عدة تشبيهات كقوله :

كَتَمْنَا يَبْسَمَ عَنْ لَوْلَا مُنْصَدِّ أَوْ بَرْدِ أَوْ أَقَاخِ

كما يزداد بذلك لطفاً وغمابة ، كقول امرئ القيس :

لَهُ أَیْطَلَا ظَنِّي وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقَرِّيبُ تَتَفَلٍّ^(١)

(والريح تمبث بالغصون) البيت لابن خفاجة الأندلسي وعبث الريح بالغصون

(١) شبه خاصرتي هذا الفرس بخاصرتي الظبي في الضمر ، وشبه ساقيه

بساق النعامة في الانتصاب والطول ، وعدوه بإرخاء الذئب ، وتقريبه بتقريب

ولد الثعلب ، لجمع بين أربعة تشبيهات كما ترى ، والإرخاء : ضرب من عدو

الذئب ، والتقريب : وضع الرجلين ووضع اليدين في العدو .

أَوْ مُرْسَلٌ وَهُوَ بِخِلَافِهِ ، كَمَا مَرَّ . وَبِاعْتِبَارِ الْغَرَضِ إِمَّا مَقْبُولٌ وَهُوَ
الْوَاقِعُ بِإِفَادَتِهِ ، كَأَن يَكُونَ الْمُشَبَّهُ بِهِ أَعْرَفُ بِوَجْهِ الشَّبَهِ فِي بَيَانِ الْحَالِ ،
أَوْ أَتَمُّ شَيْءٌ فِيهِ فِي الْحَقِّ النَّاقِصِ بِالْكَامِلِ ، أَوْ مُسَلَّمُ الْحُكْمِ فِيهِ ،
مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ الْمُخَاطَبِ فِي بَيَانِ الْإِمْكَانِ ، أَوْ مُرَدُّودٌ وَهُوَ بِخِلَافِهِ

عمارة عن إمالتها إياها ، والأصيل : هو الوقت بعد العصر إلى الغروب ،
يوصف بالصفرة ويعد من أطيب الأوقات كالسحر قال :

وَرُبَّ نَهَارٍ لِلْفِرَاقِ أَصِيلُهُ وَوَجْهِي كَلَّا لَوْ نِيَهُمَا مُتَنَاسِبُ
قال الأبيوردي :

لِيَالِيهِ أَشْحَارٌ وَفِيهِ هَوَاجِرٌ كَمَا خَضِطَتْ وَالشَّمْسُ تَنْفُسُ آصَالُ
فذهب الأصيل : صفرة شعاع الشمس فيه ، وقوله على لجين الماء ، فاللجين
الفضة : أى على ماء كالفضة في البياض والصفاء ومثل البيت قول الشاعر يصف
القمز لآخر الشهر قبل السرار :

كَأَنَّمَا أَدْهَمُ الْإِظْلَامَ حِينَ نَجَا مِنْ أَشْهَبِ الشَّيْخِ الْقَى نَعْلَ خَافِرِهِ
وقول الشريف الرضى :

أَرْسَى النَّسِيمُ بَوَادِيكُمْ وَلَا بَوَجَتْ حَوَائِلُ الزَّوْنِ فِي أَجْدَائِكُمْ تَضَعُ
وَلَا يَزَالُ جَنِينُ النَّبْتِ تَرْجَمُهُ عَلَى قُبُورِكُمْ الْعَرَاضَةُ الْهَمْعُ^(١)
(وهو بخلافه) أى ما ذكر أدانه وصار مرسلًا من التأكيد المستفاد من
حذف الأداة المشعر بحسب الظاهر أن المشبه هو المشبه به (كما مر)
من الأمثلة المذكور فيها أداة التشبيه (وهو بخلافه) أى القاصر عن إفادة

(١) الأجداث : القبور ، والعراضة : السحاب ذو الرعد والبرق والهمع الماطرة .

(خاتمة) : أعلى مراتب التشبيه في قوة المبالغة باعتبار ذكر

الغرض . (تكملة) ذهب بعض الناس إلى أنه لا فرق بين نحو قولك : رأيت أسداً يرمى ، وبين قولك : زيد أسد ، وأن الثاني استعارة كالأول وليس بتشبيه والصواب بمنزل عن ذلك . قال الإمام عبد القاهر ما خفواه : إنه إذا جرى في الكلام لفظ دلت القرينة على تشبيه شيء بمعناه ، كان ذلك على وجهين : أحدهما أن يسقط ذكر المشبه من البين حتى لا يعلم من ظاهر الحال أنك أردته ، كقولك : عنيت لنا ظبية وأنت تريد امرأة ، ووردنا بحراً وأنت تريد الممدوح وهذا تقول فيه إنه استعارة لا تتحاشى بقة . والثاني : أن يكون المشبه مذكوراً مقدراً وحينئذ فالمشبه به إن كان خبراً أو منزلاً منزله ، يعني أن يكون خبر كان وإن ومفعولاً ثانياً لباب علمت وحالاً ، فالوجه أن هذا يسمى تشبيهاً ولا تطلق عليه الاستعارة ، لأن المشبه به إذا وقع هذه المواضع كان الكلام موضوعاً لإثبات معناه لما يعتمد عليه أو نفى عنه ، فإذا قلت زيد أسد ، فقد وضعت كلامك في الظاهر لإثبات معنى الأسد لزيد . وإذا امتنع لإثبات ذلك أنه على الحقيقة كان لإثبات شبه من الأسد له فيكون اجتلاباً لإثبات التشبيه ، فيكون خالياً بأن يسمى تشبيهاً إذ كان إنما جاء ليفيده ، بخلاف الحالة الأولى فإن المشبه به فيها لم يحتل لإثبات معناه للشيء ، كما إذا قلت جاءني أسد ورأيت أسداً ، فإن الكلام في ذلك موضوع لإثبات المجيء واقعاً من الأسد والرؤية واقعة منك عليه ، لا لإثبات معنى الأسد لشيء ، فلم يكن ذكر المشبه به لإثبات التشبيه ، وكان قصد التشبيه أمراً مطوياً في النفس مكنوناً في الضمير لا يعلم إلا بعد الرجوع إلى شيء من النظر والتأمل ، وإذا افرقت الصورتان هذا للافتراق ، ناسب أن يفرق بينهما في الاصطلاح والعبارة بأن تسمى إحداهما

أَرُكَانِهِ كُلِّهَا أَوْ بَعْضُهَا حَذَفَ وَجْهَهُ وَأَدَاتِهِ ، فَقَبِطُ ، أَوْ مَعَ حَذَفِ الْمُشَبَّهِ

تشبيهاً والآخرى استعارة . ثم قال : فإن أبيت إلا أن تطلق الاستعارة على هذا القسم ، فإن حسن دخول أدوات التشبيه لا يحسن إطلاقه ، وذلك كأن يكون اسم المشبه به معرفة كقولك : زيد الأسد وهو شمس النهار ، فإنه يحسن أن يقال : زيد كالأسد وخلته شمس النهار ، وإن حسن دخول بعضها دون بعض هان الخطب في إطلاقه ، وذلك كأن يكون نكرة غير موصوفة ، كقولك زيد أسد ، فإنه لا يحسن أن يقال زيد كأسد ، ويحسن أن يقال : كأن زيدا أسد ، ووجدته أسداً ، وإن لم يحسن دخول شيء منها إلا بتغيير لصورة الكلام كان إطلاقه أقرب لغموض تقدير أداة التشبيه فيه ، وذلك بأن يكون نكرة موصوفة بما لا يلائم المشبه به ، كقولك فلان بدر يسكن الأرض ، وهو شمس لا تغيب ، وكقوله :

شَمْسٌ تَأْتِي وَالْفِرَاقُ غُرُوبُهَا عَنَّا وَبَدْرٌ وَالصَّدُودُ كَسُوفُهُ

فإنه لا يحسن دخول الكاف ونحوه في شيء من هذه الأمثلة ونحوها ، إلا بتغيير صورته ، كقولك هو كالبدري إلا أنه يسكن الأرض ، وكالشمس إلا أنها لا تغيب . وكالشمس المتألفة إلا أن الفراق غروبها ، والبدري إلا أن الصدود كسوفه . وقد يكون في الصفات التي تجيء في هذا النحو ، والصلات التي توصل بها ما يتخيل تقدير أداة التشبيه فيه ، فيقرب حينئذ من القبيل الذي تطلق عليه الاستعارة من بعض الوجوه ، وذلك مثل قول أبي الطيب :

أَسَدٌ دَمُ الْأَسَدِ الْهَزْبُ خِضَابُهُ مَوْتٌ فَرِيصٌ الْمَوْتُ مِثْلُهُ تَرَعْدُ (١)

فإنه لا سبيل إلى أن يقال المعنى هو كالأسد وكالموت ، لما في ذلك من

(١) الفريص جمع فريصة : وهي لمة بين الثدى والكتف ، ترعد من الفزع

ثُمَّ حَذَفَ أَحَدَهَا كَذَلِكَ ، وَلَا قُوَّةَ لِفَيْرِهَا .

الناقض . لأن تشبيهه بجنس السبع المعروف دليل أنه دونه أو مثله ، وجعل دم
الهرب الذي هو أقوى الجنس خضاب يده دليل أنه فوقه ، وكذلك لا يضح
أن يشبه بالموت المعروف ثم يجعل الموت يخاف منه وكذا قول البحري :

وَبَدَرَ أَضَاءَ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْضِعَ رِجْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلَمٌ

إن رجع فيه إلى التشبيه الساذج حتى يكون المعنى هو كالبدر لزم أن
يكون قد جعل البدر المعروف موصوفاً بما ليس فيه ، فظهر أنه إنما أراد أن
يثبت من الممدوح بداراً له هذه الصفة العجيبة التي لم تعرف للبدر ، فهو مبني
على تخييل أنه زاد في جنس البدر واحداً له تلك الصفة ، فالكلام موضوع
لا لإثبات الشبه بينهما ولكن لإثبات تلك الصفة ، فهو كقولك زيد رجل كيت
وكيت لم تقصد لإثبات كونه رجلاً لكن لإثبات كونه متصفاً بما ذكرت ، فإذا
لم يكن اسم المشبه به في البيت محتلباً لإثبات الشبه ، تبين أنه خارج عن الأصل
الذي تقدم من كون الاسم محتلباً لإثبات الشبه ، فالكلام فيه مبني على أنه كون
الممدوح بداراً أمر قد استقر وثبت وإنما العمل في إثبات الصفة الغريبة ، وكما
يمتنع دخول السكاف في هذا ونحوه يمتنع دخول كأن وحسبت لافتضاءهما
أن يكون الخبر والمفعول الثاني أمراً ثابتاً في الجملة إلا أن كونه متعلقاً بالاسم
والمفعول الأول مشكوك فيه كقولنا : كأن زيدا منطلقاً ، أو خلاف الظاهر
كقولنا كأن زيدا أسداً ، والذكر في ما نحن فيه غير ثابتة ، فدخل كأن وحسبت
عليها كالقياس على المجهول ، وأيضاً هذا النحو إذا فليت عن سره وجدت
محصوله أنك تدعى حدوث شيء هو من الجنس المذكور ، إلا أنه اختص
بصفة عجيبة لم يتوهم جوازها على ذلك الجنس فلم يكن لتقدير التشبيه فيه معنى

الحقيقة والمجاز

وَقَدْ يُقَيِّدَانِ بِاللَّغَوِيِّينَ * الْحَقِيقَةُ الْكَلِمَةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِيمَا وَضِعَتْ

هذا إذا كان المشبه به خبراً عن المشبه أو منزلاً منزله كما علمت ، أما إن لم يكن كذلك نحو قولهم : رأيت به أسداً ولقيني منه أسد ، فلا يسمى استعارة (١) لأنه إنما يتصور الحكم على الاسم بالاستعارة ، إذا جرى على ما يدعى أنه مستعار ، له إما باستعماله فيه أو بإثبات معناه له ، والإسم في مثل هذا غير جارٍ على المشبه بوجه ، ولأنه يحىء على هذه الطريقة مالا يتصور فيه التشبيه ، فيظن أنه استعارة كقوله تعالى : لهم فيها دار الخلد . إذ ليس المعنى على تشبيه جهنم بدار الخلد إذ هي نفسها دار الخلد وكقول الشاعر :

يَا خَيْرَ مَنْ يَرَى كَبُ الْمَعْلَى وَلَا يَشْرَبُ كَأْساً بِكَفٍّ مَنْ بَحْلًا

فإنه لا يتصور فيه التشبيه ، وإنما المعنى أنه ليس ببخيل . ولا يسمى تشبيهاً أيضاً لأن المشبه به لم يجتاب فيه لإثبات التشبيه كما سبق : وقد عد هذا صاحب المفتاح تشبيهاً ،

(الحقيقة والمجاز) الحقيقة إما فاعل بمعنى مفعول من قولك حققت الشيء إذ أثبتته أو فاعل بمعنى فاعل من قولك حق الشيء يحق إذا ثبت ، أى المثبتة أو الثابتة في موضوعها الأصلي ، والمجاز مفعول من جاز المكان يجوزه إذا تعداه ، وإذا عدل باللفظ عما يوجب أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً (وقد يقيدان باللغويين) لتمييزا عن الحقيقة والمجاز العقائين والآخر ترك هذا التقييد لئلا يتوهم خروج الشرعي والعرفي

(١) سيأتى أن هذا النوع يسمى مجازياً .

لَهُ فِي اصْطِلَاحِ التَّخَاطُبِ ، وَالْوَضْعُ تَعْيِينُ اللَّفْظِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى بِنَفْسِهِ ،
فَخَرَجَ الْمَجَازُ ، لِأَنَّ دَلَالَتَهُ بِقَرِينَةٍ ، دُونَ الْمُشْتَرَكِ ، وَالْقَوْلُ بِدَلَالَةِ اللَّفْظِ
لِذَاتِهِ ظَاهِرُهُ فَاسِدٌ ، وَقَدْ تَأَوَّلَهُ السَّكَاكِيُّ . وَالْمَجَازُ مُفْرَدٌ وَمُرَكَّبٌ

(في اصطلاح التخاطب) احترزوا بذلك عن المجاز الذي استعمل فيما وضع
له لا في اصطلاح به التخاطب كلفظ الصلاة يستعمله المخاطب بعرف الشرع
في الدعاء مجازاً (لأن دلالاته بقرينة) وحيث لا يسمى التعيين فيه وضعاً
(دون المشترك) وهو ما وضع معيّن أو أكثر وضعاً متعدداً ، وإن لم
يخرج عن الحد لأنه قد عين الدلالة على كل من المعنيين بنفسه ، وعدم الدلالة
على أحد المعنيين بالتعيين لعارض الاشتراك لا ينافي ذلك ، فالقرء مثلاً عين
مرة ليدل بالاستقلال على الطهر . ومرة أخرى ليدل كذلك على الحيض ، فإذا
استعمل في أحدهما واحتيج إلى القرينة المعينة للبراد لم يضر ذلك في كونه
حقيقة (والقول الخ) رأى عباد بن سليمان الصيمري أن دلالة الألفاظ على
معانيها لا تحتاج إلى الوضع بل بين اللفظ والمعنى مناسبة طبيعية تقتضي دلالة
كل لفظ على معناه لذاته ، فذهب المصنف وكثير من العلماء إلى فساد
هذا الرأي لاقتضائه أن يمنع نقله إلى المجاز ، وجعله علماً ووضعاً للمتضادين ،
كالجون للأسود والأبيض ، والناهل للعطشان والريان ، فإن ما بالذات لا
يزول بالغير ، ولاختلاف اللغات باختلاف الأمم . أما السكاكي فإنه تأول
هذا القول وقال إنه تذييه على ما عليه أئمة علم الاشتقاق والتصريف من أن
للحروف في أنفسها خواص بها تختلف ، كالجر والهمس والشدة والرخاوة
والتوسط بينهما وغير ذلك ، مستدعية أن العالم بها إذا أخذ في تعيين شيء منها
لمعنى لا يهمل التناسب بينهما قضاء لحق الحكمة ، كالفهم بالفاء الذي هو

أَمَّا الْمَفْرَدُ فَهُوَ الْكَلِمَةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي غَيْرِ مَا وَضِعَتْ لَهُ فِي اصْطِلَاحِ
التَّخَاطُبِ عَلَى وَجْهِهِ يَصِحُّ مَعَ قَرِينَةٍ عَدَمِ إِرَادَتِهِ ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْعَلَاقَةِ
لِيُخْرِجَ الْغَلَطَ وَالْكِنَايَةَ ، وَكُلُّهُمَا لُغَوِيٌّ وَشَرْعِيٌّ وَعُرْفِيٌّ خَاصٌّ

حرف رخو لكسر الشيء من غير أن يبين ، والقسم بالقاف الذي هو حرف
شديد لكسر الشيء حتى يبين ، وكالثلث بالميم الذي هو حرف خفيف للخلل في
الجداز ، والثلب بالباء الذي هو حرف شديد للخلل في العرض ، وكالزفير
بالفاء لصوت الحمار ، والزئير بالهمز الذي هو شديد لصوت الأسد وما شاكل
ذلك ، وأن للتركيبات كالفعلان والفعل بالتحريك كالزوان والحيدى وفعل
مثل شرف وغير ذلك خواص أيضاً فيلزم فيها ما يلزم في الحروف ، وفي ذلك
نوع تأثير لا نفس الكلام في اختصاصها بالمعاني . . وبعد ، فهذا التأويل
خلاف المصحح نقله عن عباد ، فإن المنقول عنه أن المناسبة كافية في دلالة
اللفظ على المعنى فلا يحتاج إلى الوضع ، يدرك ذلك من خصه الله تعالى به كما
في القافة ويعرفه غيره منه . وهذا كما ترى بعيد عن تأويل السكاكي (في
اصطلاح التخاطب) زاد هذا القيد ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا استعمله
المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازاً ، فإنه وإن كان مستعملاً فيما وضع له
في الجملة فليس بمستعمل فيما وضع له في الاصطلاح الذي به وقع التخاطب
(فلا بد من العلاقة) ليتحقق الاستعمال على وجه يصح (ليخرج الغلط
والكناية) يقول إن قولنا على وجه يصح ليخرج الغلط كما تقول : خذ
هذا الفرس ، مشيراً إلى كتاب ، وقولنا مع قرينة عدم إرادته لتخرج الكناية
لأنها مستعملة في غير ما وضع له مع جواز إرادة ما وضع له (وكل منهما
لغوي) أما الحقيقة فلأن واضعها إن كان واضع اللغة فلغوية ، وإن كان

أَوْعَامٌ ، كَأَسَدٍ لِلسَّبْعِ وَالرَّجُلِ الشَّجَاعِ ، وَصَلَاةٍ لِلْعِبَادَةِ الْمُخْصُوصَةِ
وَالدُّعَاءِ ، وَفِعْلٍ لِلْفِعْلِ وَالْحَدَثِ ، وَدَابَّةٍ لِذِي الْأَرْبَعِ وَالْإِنْسَانِ ، وَالْمَجَّازُ
مُرْسَلٌ ، إِنْ كَانَتْ الْعَلَاقَةُ غَيْرَ الْمِثَابَةِ وَإِلَّا فَاسْتِعَارَةٌ ، وَكَثِيرًا مَا تُطْلَقُ

الشارع فشرعية وإلا فعرفية ، والعرفية إن تعين صاحبها نسبت إليه كقولنا
فقهية ونحوية وإلا بقيت مطابقة ، وأما المجاز فلأن الاصطلاح الذي به وقع
التخاطب وكان اللفظ مستعملاً في غير ما وضع له في ذلك الاصطلاح إن كان
هو اصطلاح اللغة فالمجاز لغوي وإن كان اصطلاح الشرع فشرعي وإلا فعرفي
عام أو خاص : الحقيقة اللغوية كأسد إذا استعمله المخاطب بعرف اللغة في
السبع المخصوص ، أما في الرجل الشجاع فمجاز لغوي والحقيقة الشرعية كصلة
إذا استعملها المخاطب بعرف الشرع في العبادة المخصوصة . أما في الدعاء فمجاز
شرعي ، والحقيقة العرفية الخاصة كفعل إذا استعمله المخاطب بعرف النحو في
الكلمة المخصوصة ، أما في الحدث فمجاز عرفي خاص ، والعرفية العامة كدابة
إذا استعملها المخاطب بالعرف العام في ذي الأربع . أما في الإنسان فمجاز
عرفي عام (مرسل) سموه كذلك لإرساله عن التقييد بعلاقة المِثَابَةِ
(وإلا فاستعارة) فالاستعارة على هذا هي اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه
الأصلي لعلاقة المِثَابَةِ كظلمية في قولك : عنت لنا ظلمية ، وأنت تريد امرأة .
وكثيراً ما تطلق على فعل المتكلم أي استعمال اسم المشبه به في المشبه ، وحينئذ
تكون بمعنى المصدر ويصح منه الاشتقاق فيسمى المشبه به مستعاراً منه والمشبه
مستعاراً له ، واللفظ مستعاراً . ثم قال المصنف : والمرسل هو ما كانت
العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملائمة غير التشبيه كاليد إذا استعملت
في النعمة لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة ومنها تصل إلى المقصود بها

الِاسْتِعَارَةُ عَلَى اسْتِفْعَالِ اسْمِ الْمَشَبَّهِ بِهِ فِي الْمَشَبَّهِ ، فَهِيَ مُسْتَعَارَةٌ مِنْهُ
وَمُسْتَعَارٌ لَهُ وَالْأَنفُظُ مُسْتَعَارٌ ، وَالْمُرْسَلُ كَالْيَدِ فِي النِّعْمَةِ وَالْقُدْرَةِ وَالرَّأُوِيَّةِ

قال الإمام عبد القاهر : ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى مصدر تلك
النعمة وإلى المولى لها . فلا يقال اتسعت اليد في البلد أو اقتنيت يداً ، كما يقال
اتسعت النعمة في البلد أو اقتنيت نعمة ، وإنما يقال جلت يده عندي وكثرت
أياديته لدى ونحو ذلك ، ونظير هذا قولهم في صفة راعي الإبل إن له عليها
أصبعاً أرادوا أن يقولوا له عليها أثر حذق فدلوا عليه بالأصبع ، لأنه ما من
حذق في عمل يد إلا وهو مستفاد من حسن تصرف الأصابع ، واللفظ في
رفعها ووضوعها كما في الخط والنقش ، وعلى ذلك قيل في تفسير قوله تعالى : بلى
قادرين على أن نسوى بنانه ، أي نجعلها نخف البعير فلا يتمكن من الأعمال
اللطيفة فأرادوا بالأصبع الأثر الحسن حيث يقصد الإشارة إلى حذق في الصنعة
لا مطلقاً ، حتى يقال رأيت أصابع الدار ، وله أصبع حسنة وأصبع قبيحة ، على
معنى أثر حسن وأثر قبيح ونحو ذلك ، وينظر إلى هذا قولهم : ضربته سوطاً
لأنهم عبروا عن الضربة الواقعة بالسوط باسم السوط ، فجعلوا أثر السوط سوطاً
وتفسيرهم له بقوله المعنى ضربته سوطاً ببيان لما كان الكلام عليه في
أصله (والقدرة) أي وكاليد في القدرة ، لأن أكثر ما يظهر سلطان القدرة في
اليد وبها يكون البطش والضرب والقطع والاختذ والدفع والوضع والرفع
إلى سائر الأفعال التي تنبئ عن وجوه القدرة ومكانها : وقد تكون اليد
للقدرة على سبيل التمثيل كما في قوله تعالى : والسماوات مهابيات بيمينه .
فليس ذلك من باب المجاز المرسل كما ظنه بعضهم ، ولذلك قال الزمخشري رحمه
الله : إن الغرض من الآية إذا أخذ بحملته ومجموعه هو تصوير عظمته تعالى

فِي الْمَزَادَةِ ، وَمِنْهُ تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ جُزْئِهِ ، كَالْعَيْنِ فِي الرَّبِيعَةِ ، وَعَكْسُهُ

والتوقيف على كنهه جلالة لا غير ، من غير ذهاب بالقبضة ، ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز (١) ، فإن السامع لذلك إذا كان له فهم يقع على الزبدة والمخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة ، وأن الأفعال العظيمة التي تتحير فيها الأذهان هيئة عليه هو أن لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا بإجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخيل . قال : ولا ترى باباً في علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ، ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله ، فإن أكثره وعليته تخيلات قد زلت فيها الأقدام ، وما أتى من زل إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقيب ، حتى يعلوا أن في عداد العلوم الدقيقة علماً لو قدروه . حق قدره لما خفي عنهم أن العلوم كلها مفتقرة لإياه وقيام عليه ، إذ لا يحل عقدة من عقدها المؤربة ، ولا يفك قيودها المسكوبة ، إلا هو ، وم من آية أو حديث قد ضميم وسيم الخسف بالتأويلات البعيدة والوجوه الرثة ، لأن من تأول ليس من هذا العلم في غير ولا نفير ، ولا يعرف قبيلاً منه من دبر ، هذا وأما اليد في قوله عليه السلام : المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم . فمن باب التشبيه أي هم مع كثرتهم في وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة ، فكما لا يتصور أن يخل بعض أجزاء اليد بعضاً وأن تختلف بها الجهة في التصرف ، كذلك سبيل المؤمنين في تعاضدهم على المشركين ، لأن كلمة التوحيد جامعة لهم (وكأروية في المزايدة) الراوية : البعير الذي يستقي عليه ، والمزايدة : سقاء الماء ، فاستعمال الأول في الثاني ضرب من المجاز المرسل للعلاقة الموجودة بين البعير ، والمزايدة بسبب حمله إياها . ومثل ذلك إطلاق الخفض متاع البيت على البعير الذي يحمله (كالعين في الربضة)

كَأَصَابِعِ فِي الْأَنَامِلِ ، وَتَسْمِيَّتُهُ بِاسْمِ سَبَبِهِ ، نَحْوُ : رَعَيْنَا الْغَيْثَ ، أَوْ
مُسَبَّبِهِ ، نَحْوُ : أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ نَبَاتًا ، أَوْ مَا كَانَ عَلَيْهِ ، نَحْوُ : وَآتَوْا الْيَتَامَى
أَمْوَالَهُمْ ، أَوْ مَا يَوَلُّ إِلَيْهِ ، نَحْوُ : إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ، أَوْ مَحَلِّ نَحْوُ :
فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ، أَوْ حَالِهِ نَحْوُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وَجُوهُهُمْ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ،

الربضة النسخ يطلع على عورات العدو في مكان عال ، فإطلاق العين عليه ،
لأن العين هي المقصود في كون الرجل ربضة ، إذ ما عداها لا يغنى شيئاً مع
فقدما ، فصارت كأنها النسخ كله فلا بد في الجزء المطلق على الكل من أن
يكون له مزيد اختصاص بالعين الذي قصد بالكل ، مثلاً لا يجوز إطلاق اليد
أو الأصبع على الربضة وإن كان كل منهما جزءاً منه . ونظير إطلاق العين على
الربضة إطلاق الرقبة على الإنسان في نحو قوله تعالى : فتحرير رقبة (وعكسه)
يعنى تسمية الشيء باسم كله (كأصابع في الأنامل) في قوله تعالى : يجعلوا
أصابعهم في آذانهم من الصواعق . والآلة جزء من الأصبع ، والغرض منه
المبالغة كأنه جعل جميع الأصبع في الأذن لئلا يسمع شيء من الصاعقة (نحو
رعيننا الغيث) أي النبات الذي سببه الغيث (نحو وآتوا اليتامى أموالهم)
أي الذين كانوا يتامى ، إذ لا يتم بعد اللوغ (فليدع ناديه) أي أهل ناديه
(والاستعارة) وهي كما علمت ما كانت علاقته المشابهة ، أي قصد أن الإطلاق
بسبب المشابهة ، فإذا أطلق نحو المشفر على شفة الإنسان ، فإن أريد تشبيهها
بمشفر الإبل في الغافل فهو استعارة كما قال الفرزدق :

فَلَوْ كُنْتُ ضَبِيًّا عَرَفْتُ قَرَابَتِي وَلَكِنْ زَنْجِيٌّ غَلِيظُ الْمَشَافِرِ

أي ولكنك زنجي ، كأنه بعير لا يهتدى لشرفي ، وكذا قول الخطيب
مخاطب الزبرقان :

أَيْ فِي، الْجَنَّةِ أَوْ آتِيهِ نَحْوُ : وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ . أَيْ ذِكْرًا

قَرَّوْا جَارَكَ الْعِيَانِ لَمَّا جَفَوْتَهُ وَقَلَّصَ عَنْ بَرِّ الشَّرَابِ مَشَافِرُهُ (١)

. فإنه وإن عني نفسه بالجاء جاز أن يقصد إلى وصف نفسه بنوع من سوء الحال ليزيد في التمسك بالبرقان ، ويؤكد ما قصده من رمية بإضاعة الضيف وإسلامه للضر والبؤس . وإن أريد أنه من إطلاق المقيد على المطلق ، فهو مجاز مرسل كإطلاق المرسن على الأنف في قول العجاج : وفاحماً ومرسناً مسرجاً . . . واعلم ، أن صميم هذا العلم في الحقيقة هو هذا الضرب من البيان ، أغنى الاستعارة التي تتضمن التشبيه ، فهي أمد ميداناً وأشد اقتنائاً وأعجب حسناً وإحساناً ، وأوسع سعة وأبعد غوراً ، وأذهب نجداً في الصناعة وعوراً من أن تجمع شعبيها وشعوبها ، وتخصر فنونها وضروبها ، نعم وأسحر سحرها وأملأ بكل ما يملأ صدرها ، وأهدي إلى أن تهدي إليك عذارى قد تخير لها الجمال ، وعنى بها الكمال ، وأن تخرج لك من بحرها جواهر إن باهتها الجواهر مدت في الشرف والفضيلة باعاً لا يقصر ، وأبدت من الأوصاف الجائلة محاسن لا تنكر ، وأن تثير من معدنها تبراً لم تر مثله ، ثم تصوغ فيها صياغات تعطل الحلي وتريك الحلي الحقيقي ، وأن تأنيك على الجملة بعقائل يأنس لها الدين والدنيا ، وشرائب لها من الشرف الرتبة العليا ، وهي أجل من أن تأتي الصفة على حقيقة حالها ، وتستوفي جملة حالها ، ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدة تزيد قدره نبلاً ، وتوجب له بعد الفضل فضلاً ، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد ، حتى تراها مكررة في مواضع ، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف منفرد وفضيلة مرموقة

(١) العيان : العطشان إلى اللبن أشد العطش ، ومشافره : فاعل قلص .

حَسَنًا ، وَالْإِسْتِعَارَةُ قَدْ تَقَيَّدَتْ بِالتَّحْقِيقِيَّةِ لِتَحَقُّقِ مَعْنَاهَا حِسًا أَوْ عَقْلًا ، كَقَوْلِهِ :

وخلابة موموقة . ومن خصائصها التي تذكر بها وهي عنوان مناقبها ، أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ، حتى تخرج من الصدقة الواحدة عدة من الدرر ، وتجنّي من الفصن الواحد أنواعاً من الثمر ، وإذا تأملت أقسام الصنعة التي بها يكون الكلام في حد البلاغة ، ومعهما يستحق وصف البراعة ، وجدتها تفتقر إلى أن تعبرها حلاها . وتقتصر عن أن تنازعها مداها ، وصادفتها نجوماً هي بدرها ، وروضاً هي زهرها ، وعرائس مالم تعرها حليها فهي عواطل ، وكواعب مالم تحسنها فليس لها في الحسن حظ كامل ، فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً والأعجم فصيحاً ، والأجسام الخرس مبينة ، والمعاني الخفية بادية جليلة ، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها أعز منها ، ولا رونق لها مالم تزنها ، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة مالم تكنها إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون ، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لاتنالها إلا الظنون . وبعد ، فقد يدور بخلدك أن في وسع الناس جميعاً أن يجيدوا في هذا الباب ويأتوا فيه بالإبداع والإحسان ، وهو وربك أكبر من أن يظن به مثل هذا الظن ، ولقد كتبنا فيه وراك الله كثير من فرسان البلاغة وأئمة البيان ، فمنهم أبو نواس حيث يقول :

رَسَمُ الْكَرَى بَيْنَ الْجُفُونِ مَحْمِلُ عُنَى عَلَيْهِ بُكَاءُ عَلَيْكَ طَوِيلُ

سئل مسلم بن الوليد عن هذا البيت ، فقال إن كان قول أبي العذافر :

« يَا ضَ الْهُوى فِي فُؤَادِي وَفَرَّخَ التَّدْكَارُ »

حسناً كان هذا حسناً .

ومنهم أبو تمام حيث يقول :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْدَعِيكَ فَقَدْ أَخْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ (١)

واقعد أسرف أبو تمام في هذا فنهى عليه وأطلق لسان عائبه ، وأكد له الحجة على نفسه ، فمن ذلك قوله :

وَكَمْ أَخْرَزَتْ مِنْكُمْ عَلَى قُبُحِ قَدَّهَا حُرُوفُ الرَّدَى مِنْ مُرْهَفِ حَسَنِ الْقَدِّ وَقوله يرثي غلاماً :

أَنْزَلَتْهُ الْأَيَّامُ عَنْ ظَهْرِهَا مِنْ بَعْدِ إِبْتَاتِ رَجُلِهِ فِي الرَّكَّابِ

ولا وجه لاستيعاب ذلك ، لأن قليله دال على كثيره ، ولكن انظر إلى قول الحاسي :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِدِيهِ لَيْسَ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَاقَاتٍ وَوَحْدَانَا أَوْ قول مسلم :

تَجْرِي الرِّيَاحُ بِهَا حَسْرَى مُوَاهِبَةٍ حَيْرَى تَلُودُ بِأَطْرَافِ الْجَلَامِيدِ أَوْ قول أبي العتاهية :

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِمْ تُجَرُّ أَذْيَالَهَا

أو قول الحجاج من خطبة له : إن أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه ، فمجم عيدانها فوجدني أمرها عوداً وأصلها مكسراً ، فرماكم بي لأنكم طالما أوضعتم في المنة ، واضطجعتم في مراقد الضلال . فأنت إذا نظرت إلى مثل

(١) الخرق بالضم : العنف ، وكذلك الحق والجهل ، وضم الراء للشعر ، ويريدون بتقويم الأخدعين : وهما عرقان في صفحتي العنق (كاليتين) لإزالة الكبر والعنف ، لأنهم يقولون في المتكبر العاتي : شديد الأخدعين .

* لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَذَّفٌ * أَيْ رَجُلٌ شَجَاعٌ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى :

هذا كلام وجدت هناك استعارة قد أصابت المحز وطبقت المفصل ، فإن أدركت من نفسك تلك المنة وإلا أطلقت عليك لسان العائنين (قد تقييد بالتحقيقية) وبهذا التقييد تتميز عن التخيلية ، والمكنى عنها . قال وإنما تسمى محقيقية لتحقق معناها ، أى ما عني بها واستعمات هي فيه حسياً أو ذكلاً بأن يكون ذلك المعنى أمراً معلوماً يمكن أن ينص عليه ، ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية ، فيقال إن اللفظ قد نقل عن مسماه الأصلي لجعل اسماً لهذا المعنى ، على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه . أما الحسى فمكقول زهير بن أبي سلمى :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَذَّفٌ لَهُ لَبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمْ (١)

أى لدى رجل شجاع ، ومن لطيف ذلك ما يقع التشبيه فيه في الحركات ، كقول أبي دلالة يصف بغلته :

أَرَى الشَّهْبَاءَ تَعْجِنُ إِذْ غَدَوْنَا بِرِجْلَيْهَا وَتَخْبِزُ بِالْيَدَيْنِ

شبه حركة رجليها حيث لم تثبتا على موضع تعتمد بهما عليه ، وهوتا ذاهبتين نحو يديها بحركة يدي العاجن ، فإنهما لا تثبتان في موضع بل تزلان إلى قدام لرخاوة العجين ، وشبه حركة يديها بحركة يدي الخابز ، فإنه يثنى يده نحو بطنه ويحدث فيها ضرباً من التقويس ، كما تجد في يد الدابة إذا اضطربت .

(١) شاكي السلاح وشائك السلاح وشاك السلاح : أى تام السلاح كله من الشوكة ، وهى العدة والقوة . مقذف : أى يقذف به كثيراً إلى الوقائع ، واللبد جمع لبدة : وهى ما تلبد من شعر الأسد على منكبيه .

أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، أَيُّ الدِّينِ الْحَقُّ ؛ وَدَلِيلُ أَنَّهَا بَحَازٌ لُغَوِيٌّ كَوْنُهَا

في سيرها ولم تنو على ضبط يديها ، وأن ترمى بها إلى قدام وأن تشد اعتمادها حتى تثبت في الموضع الذي تقع عليه ، فلا تزول عنه ولا تنثنى ، وأما العقلي فكقوله تعالى : اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، أَيُّ الدِّينِ الْحَقُّ (ودليل أنها بحاز لغوي) اختلاف العلماء في الاستعارة هل هي بحاز لغوي أو عقلي ، فذهب الكثير إلى أنها بحاز لغوي نظراً إلى استعمال الأسد في غير ما هو له عند التحقيق ، فإننا وإن ادعينا للشجاع الأسدية ، فلا نتجاوز في هذه الدعوى حديث الشجاعة حتى ندعى للرجل صورة الأسد وهيئته وعبالة عنقه ومخالبه وسائر أوصافه الظاهرة البادية للعيون ، وإن كانت الشجاعة من أخص أوصاف الأسد وأمكنها ، فإن اللغة لم تضع الاسم لها وحدها ، بل لها في مثل تلك الجثة ، وهاتيك الصورة والهيئة وتلك الأنياب والمخالب إلى سائر ما يعلم من الصور الخاصة في جوارحه كلها ، ولو كانت وضعته لتلك الشجاعة التي تعرفها وحدها لكان صفة لا اسماً ولكان كل شيء يفضى في شجاعته إلى ذلك الحد ، مستحقاً للاسم استحقاقاً حقيقياً لا على طريق التشبيه والتأويل ، وذهب آخرون إلى أنها بحاز عقلي بمعنى أن التصرف في أمر عقلي لا لغوي ، لأنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به ، لأن نحل الاسم وحده لو كان استعارة لكانت الأعلام المنقولة كيزيد ويشكر استعارة ، ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة لأنه لا بلاغة في إطلاق الاسم المجرد عارياً عن معناه ، ولما صح أن يقال لمن قال رأيت أسداً يعني زيدا أنه جعله أسداً ، كما لا يقال لمن سمى ولده أسداً أنه جعله أسداً ، لأن جعل إذا تعدى إلى مفعولين كان بمعنى صير ، فأفاد إثبات صفة للشئ ، فلا تقول جعلته أميراً إلا على معنى أنك أثبت له صفة الإمارة ، وعليه قوله تعالى : وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، المعنى أنهم أثبتوا

مَوْضُوعَةً لِلْمُشَبَّهِ وَلَا لِلْأَعْمِّ مِنْهُمَا ، وَقِيلَ إِنَّهَا مَجَازٌ عَقْلِيٌّ ، بِمَعْنَى أَنَّ
التَّصَرُّفَ فِي أَمْرِ عَقْلِيٍّ لَا لَفَوِيٍّ ، لِأَنَّهَا لَمَّا لَمْ تُطْلَقْ عَلَى الْمَشَبَّهِ إِلَّا بَعْدَ
ادِّعَاءِ دُخُولِهِ فِي جِنْسِ الْمَشَبَّهِ بِهِ كَانَ اسْتِعْمَالُهَا فِيهَا وَضِعَتْ لَهُ ، وَلِهَذَا صَحَّ
التَّعَجُّبُ فِي قَوْلِهِ :

قَامَتْ تَظْلَلَانِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي
قَامَتْ تَظْلَلَانِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تَظْلَلَانِي مِنَ الشَّمْسِ

لِلْمَلَائِكَةِ صِفَةُ الْأَنْوَةِ وَاعْتَقَدُوا وجودها فيهم ، وعن هذا الاعتقاد صدر
عنهم إطلاق اسم الإناث عليهم ، لا أنهم أطلقوا من غير اعتقاد ثبوت معناه
لهم بدليل قوله : أشهدوا خالقهم ، وإذا كان نقل الاسم تبعاً لنقل المعنى كان
الاسم مستعملاً فيما وضع له ، وقالوا : لذلك صح التعجب في قول ابن العميد :

قَامَتْ تَظْلَلَانِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي
قَامَتْ تَظْلَلَانِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تَظْلَلَانِي مِنَ الشَّمْسِ

والنهي عن التعجب في قول أبي الحسن بن طباطبا :

يَا مَنْ حَرَكِي الْمَاءَ فَرَطُ رِقْنِهِ وَقَلْبَهُ مِنْ قَسَاوَةِ الْحَجَرِ
يَا لَيْتَ حَنْظَلِي كَحَنْظَلِ ثَوْبِكَ مِنْ جِسْمِكَ يَا وَاحِدًا مِنَ الْبَشَرِ
لَا تَعْجِبُوا مِنْ بَلِي غِلَاقَتِهِ قَدْ زَرَّ أَرْزَارُهُ عَلَى الْقَمَرِ (١)

وقول الآخر :

تَرَى الثِّيَابَ مِنَ الْمَسْكَنَانِ يَلْمَحُهَا نُورٌ مِنَ الْبَدْرِ أَحْيَانًا فَيُبْلِيهَا

(١) البلي من بلى الثوب : خلق ، والغلالة : شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع .

وَالنَّهْيُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ :

لَا تَعْجَبُوا مِنْ بَلِي غِلَائِهِ قَدْ زَرَّ أَرْزَارُهُ عَلَى الْقَمَرِ
وَرُدَّ بِأَنَّ الْإِدْعَاءَ لَا يَقْتَضِي كَوْنَهَا مُسْتَعْمَلَةً فِيمَا وَضَعَتْ لَهُ ، وَأَمَّا

فَكَيْفَ تُنْكِرُ أَنْ تَبْلَى مَعَاجِرُهَا وَالْبَدْرُ فِي كُلِّ وَقْتٍ طَالِعٌ فِيهَا^(١)

فلولا أن ابن العميد ادعى لغلومه معنى الشمس الحقيقي لما كان لهذا التعجب معنى ، فليس بدع ولا منكر أن يظلل إنسان حسن الوجه إنساناً ويقيه وهماً بشخصه ، ولولا أن أبا الحسن جعل صاحبه قرأ حقيقياً لما كان للنهي عن التعجب معنى ، لأن السكتان إنما يسرع إليه البلي حين يلبس القمر الحقيقي لا إنساناً بلغ في الحسن غاية ، وكذلك القول في شعر ثالث الشعراء . أجاب الفريق الأول عن هذا بأن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يخرج عن كونه مستعملاً في غير ما وضع له ، وأما التعجب والنهي عنه فيما ذكر فإبناء الاستعارة على تناسي التشبيه قضاء لحق المبالغة ، فإن قيل إصرار المتكلم على ادعاء الأسدية للرجل يناقض نفيه قرينة مانعة من أن يراد به السبع المخصوص ، فإننا نقول لا منافاة هناك . قال صاحب المفتاح : وجه التوفيق وهو أن تبني دعوى الأسدية للرجل يناقض نفيه قرينة مانعة من أن يراد به السبع المخصوص ، فإننا نقول الذي له غاية جرأة المقدم ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة ، وغير متعارف وهو الذي له تلك الجرأة وتلك القوة لأمع تلك الصورة ، بل مع صورة أخرى على نحو ما ارتكب المتنبي هذا الادعاء في عد نفسه وجماعته من جنس الجن وعد جماله من جنس الطير حين قال :

(١) المعاجر جمع معجر ، كمنبر : ثوب نعتجر به المرأة ، أي تشده على رأسها .

التَّعَجُّبُ وَالنَّهْيُ عَنْهُ فَلِلْبِنَاءِ عَلَى تَنَاسِيِ التَّشْبِيهِ ، قَضَاءُ لِحَقِّ الْمُبَالَغَةِ .
وَالِإِسْتِعَارَةِ تَفَارِقُ الْكَذِبِ بِالْبِنَاءِ عَلَى التَّأْوِيلِ وَنَصْبِ الْقَرِينَةِ عَلَى
إِرَادَةِ خِلَافِ الظَّاهِرِ ، وَلَا تَكُونُ عِلْمًا ، لِمُنَافَاةِ الْجَنَسِيَّةِ ، إِلَّا إِذَا تَضَمَّنَ

نَحْنُ نَوْمٌ مِلْجِنٌ فِي زِيٍّ نَاسٍ . فَوْقَ طَائِرٍ لَهَا سُخُوصُ الْجَمَالِ
مستشهداً لدعواك هاتيك بالمخيلات العرفية والتأويلات المناسبة من نحو
حكمهم إذا رأوا أسداً هرب عن ذئب لأنه ليس بأسد ، وإذا رأوا إنساناً ،
لا يقاومه أحد أنه ليس بإنسان وإنما هو أسد أو هو أسد في صورة إنسان ،
وأن تخصص القرينة بنفسها المتعارف الذي يسبق إلى الفهم ليتعين ما أنت
تستعمل الأسد فيه ومن البناء على هذا التلويح قوله :

تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ ^(١)

وقولهم : عتابك السيف . وقوله عز وجل : يوم لا ينفع مال ولا بنون
إلا من أتى الله بقلب سليم ، ومنه قوله :

وَبَلَدَةٌ لَيْسَ بِهَا أُنَيْسٌ إِلَّا الْيَعْفُورُ وَالْأُغَيْسُ ^(٢)

(بالبناء على التأويل) في دعوى دخول المشبه في جنس المشبه به يجعل
أفراد المشبه به قسمين كما مر ، والكاذب يتبرأ من التأويل (ونصب القرينة
على إرادة خلاف الظاهر) والكاذب لا ينصب دليلاً على خلاف زعمه
وأنى ينصب وهو لترويج ما يقول راكب كل صعب وذلول (ولا تكون
علماً) لأنها تعتمد إدخال المشبه في جنس المشبه به يجعل أفراداً قسمين كما

(١) صدره هـ وخيل قد دلفت لها بخيل هـ والبيت لعمر بن معد يكرب .

(٢) اليعفور : ولد البقرة الوحشية ، والعيس : الإبل البيضاء .

نَوْعٌ وَصَفِيَّةٌ كَحَاتِمٍ ، وَقَرِيذَتُهَا إِمَّا أَمْرٌ وَاحِدٌ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ : رَأَيْتُ أَسَدًا
يَرْمِي ، أَوْ أَكْثَرَ ، كَقَوْلِهِ :

فَإِنْ تَعَاَفَوْا الْعَدْلَ وَالْإِيمَانَا فَإِنَّ فِي إِيْمَانِنَا نِيرَانَا
أَوْ مَعَانٍ مُلْتَثِمَةً ، كَقَوْلِهِ :

سبق ، وذلك غير ممكن في العلم لمنافاته الجنسية ، لأنه يقتضى الشخص ومنع
الاشتراك ، والجنسية تقتضى العموم وتناول الأفراد ، واستدل في الإيضاح
على أنها لا تكون علماً بأن العلم لا يدل إلا على تعين شيء من غير إشعار بأنه
إنسان أو فرس أو غيرهما ، فلا اشتراك بين معناه وغيره إلا في مجرد التعيين
ونحوه من العوارض العامة التي لا يكفي شيء منها جامعاً في الاستعارة (إلا إذا
قضمن نوع وصفية) بسبب اشتغافه بوصف من الأوصاف كحاتم ، فإنه
يتضمن الاتصاف بالجود ، وحينئذ يجوز أن يشبه شخص بحاتم في الجود
ويتناول في حاتم فيجعل كأنه موضوع للجود ، سواء كان ذلك الرجل المعهود
من طي أو غيره ، كما جعل أسد كأنه موضوع للشجاع ، سواء كان متعارفاً أو
غيره ، فهذا التأويل يكون حاتم متناولاً للفرد المتعارف المعهود والفرد الغير
المتعارف وهو من يتصف بالجود ، لكن استعماله في غير المتعارف يكون
استعمالاً في غير الموضوع له فيكون استعارة نحو رأيت اليوم حاتماً (كقوله
فَإِنْ تَعَاَفَوْا) فتعاقى قوله تعافوا بكل من العدل والإيمان قرينة على أن المراد
بالنيران آلة الحرب التي تشبهها في الزمان ، لدلالته على أن جوابه أنهم يحاربون
ويقسرون على الطاعة بالسيف (أو معان ملثمة) أي مربوط بعضها ببعض
يريد أن تكون القرينة أمراً مركباً (كقوله) أي البحتري : فانظر ماذا
صنع حين أراد استعارة السحاب لأنامل يمين المدوح تفريعاً على ما جرت

وَصَاعِقَةٌ مِنْ نَصْلِهِ تَنَكُّفِي بِهَا ۖ عَلَى أَرْوُسِ الْأَقْرَانِ خَمْسُ سَجَائِبَ
وَهِيَ بِاعْتِبَارِ الطَّرَفَيْنِ قِسْمَانِ ، لِأَنَّ اجْتِمَاعَهُمَا فِي شَيْءٍ ، إِمَّا مُمَكِّنٌ
نَحْوُ أَحْيَيْنَاهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ، أَيْ ضَالًّا فَيَهْدِينَاهُ
وَلَتُسَمَّى وَفَاقِيَّةً ، وَإِمَّا مُمْتَنِعٌ ، كاستِعَارَةِ اسْمِ الْمَعْدُومِ لِلْمَوْجُودِ ، لِعَدَمِ

به العادة من تشبيهه الجواد بالبحر الفياض تارة ، وبالسحاب الهطلال أخرى ،
ذكر أن هناك صاعقة ، ثم قال من نصله فبين أن تلك الصاعقة من نصل سيفه
ثم قال على أروس الأقران ، ثم قال خمس ، فذكر العدد الذي هو عدد جميع
أنامل اليد فجعل ذلك كله قرينة لما أراد من استعارة السجائب للأنامل ، وتنكفي
من انكها : أي انقلب (نحو أحييناه) والإحياء والهداية لاشك في جواز
اجتماعهما في شيء ، وإنما قال نحو أحييناه . لأن الطرفين في استعارة الميت
للضال بما لم يمكن اجتماعهما في شيء إذ الميت لا يوصف بالضلال (وفاقية)
لما بين الطرفين من الوفاق (وإما ممتنع) والمراد به ما كان وضع التشبيه فيه
على ترك الاعتداد بالصفة وإن كانت موجودة لخلوها بما هو ثمرتها والمقصود
بها وما إذا خلت منه لم تستحق الشرف (كاستعارة اسم المعدوم للوجود
لعدم غنائه) أي لا انتفاء نفعه كما في المعدوم ، وكذلك استعارة اسم الموجود
للمعدوم إذا كانت الآثار المطلوبة من مثله موجودة حال عدمه فيكون مشاركاً
للوجود في ذلك أو اسم الميت للحي الجاهل لأنه عدم فائدة الحياة ، والمقصود
بها أغنى العلم فيكون مشاركاً للميت في ذلك ، ولذلك جعل النوم موتاً لأن
النائم لا يشعر بما يحضرته كما لا يشعر الميت ، أو للحي العاجز لأن العجز كالجهل

عَنَائِهِ ، وَأُتْسِمَ عِنَادِيَّةً . وَمِنْهَا التَّهَكُّمِيَّةُ وَالتَّمْلِيحِيَّةُ ، وَهُمَا مَا اسْتُعْمِلَ
فِي ضِدِّهِ أَوْ تَقْيِضِهِ ، لِمَا مَرَّ نَحْوُ : فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ؛ وَاعْتِبَارُ الْجَامِعِ
قِسْمَانِ ، لِأَنَّهُ إِمَّا دَاخِلٌ فِي مَفْهُومِ الطَّرَفَيْنِ ، نَحْوُ : كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً طَارَ

يُحِطُ مِنْ قَدْرِ الْحَى (وَلْتَسْمَ عِنَادِيَّةُ) لِمَا نَدَّ طَرَفَاهُ فِي الْاجْتِمَاعِ (١) فِي
التَّشْبِيهِ مِنْ أَنَّ التَّضَادَّ أَوْ التَّنَاقُضَ كِلَاهُمَا يَنْزِلُ مَنْزِلَةَ التَّنَاسُبِ بِوَاسِطَةِ تَمْلِيحٍ
أَوْ تَهَكُّمٍ (نَحْوُ فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ) أَيْ أُنْذِرْهُمْ اسْتَعِيرَتِ الْبَشَارَةُ الَّتِي هِيَ الْأَخْبَارُ
بِمَا يَظْهَرُ سُرُورُ الْمَخْبَرِ بِهِ لِلْإِنْذَارِ الَّذِي هُوَ ضِدُّهَا بِإِدْخَالِهِ فِي جَنْسِهَا عَلَى سَبِيلِ التَّمْلِيحِ
وَالِاسْتِهْزَاءِ (نَحْوُ كُلَّمَا) نَحْوُهُ قَوْلُ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي الْحَرْثِ تَرَى قَتِيلًا :

لَوْ يَشَاءُ طَارَتْ بِهِ ذُو مَيْعَةٍ لَأَحِقُّ الْأَطَالِ نَهْدٌ ذُو خُصَلٍ (١)
وَقَوْلُ بَعْضِ الْعَرَبِ :

وَجِئْتُ بِمَنْقُصِي فِي يَعْمَلَاتٍ دَوَامِي الْأَيْدِ يَخْبِطُنَ السَّرِيحَا

يَقُولُ : إِنَّهُ قَامَ بِسَيْفِهِ مَسْرِعًا إِلَى نَوْقٍ فَعَقَرَهُنَّ وَدَمِيتَ أَيْدِيَهُنَّ ، فَخَبِطُنَ
السَّيُورَ الْمَشْدُودَةَ عَلَى أَرْجَانِ . وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ اسْتِعَارَةُ التَّقْطِيعِ لِتَفْرِيقِ الْجَمَاعَةِ
وَلِإِبْعَادِ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمْمًا ، فَإِنَّ الْقَطْعَ
مَوْضُوعٌ لِإِزَالَةِ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ الْأَجْسَامِ الَّتِي بَعْضُهَا مُتَّزِقٌ بِبَعْضٍ فَالْجَامِعُ بَيْنَهُمَا
لِإِزَالَةِ الْاجْتِمَاعِ الَّتِي هِيَ دَاخِلَةٌ فِي مَفْهُومِ مَا وَهِيَ فِي الْقَطْعِ أَشَدَّ وَاسْتِعَارَةُ الْخِيَاطَةِ
لِزُرْدِ الدَّرْعِ فِي قَوْلِ الْقَطَامِيِّ :

(١) الْمَعْيَةُ : أَوَّلُ جَرَى الْفَرَسِ وَأَنْشَطُهُ ، وَالْأَطَالُ جَمْعُ إِطْلٍ بِكَسْرِ فَسْكَوْنِ
وَبِكَسْرَ تَيْنِ : وَهِيَ الْخَاصِرَةُ ، وَالْمُرَادُ ضَامِرُ الْجَنْبَيْنِ ، وَالنَّهْدُ بِالْفَتْحِ : الْفَرَسُ
الْعَظِيمُ الْمُشْرِفُ ، وَخُصَلُ الشَّعْرِ : مَسْرُوقَةٌ .

إليها ، فإنَّ الجامعَ بينَ العدُوِّ والطَّيرَانِ هوَ قَطْعُ المَسَافَةِ بِسُرْعَةٍ ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِيهِمَا ، وَإِمَّا غَيْرُ دَاخِلٍ كَمَا مَرَّ ؛ وَإَيْضًا إِمَّا عَامِّيَّةٌ ، وَهِيَ الْمُبْتَدَلَةُ

لَمْ تَلَقَ قَوْمًا هُمْ شَرٌّ لِإِخْوَتِهِمْ مِمَّا عَشِيَّةً يَجْرِي بِالدَّمِ الْوَادِي
نَقَرِيهِمْ لَهْذَمِيَّاتٍ نَقْدُ بِهَا مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَادٍ^(١)
فإن الخياطة تضم خرق القميص . والزرد يضم حلق الدرع ، فالجامع بينهما
الضم الذي هو داخل في مفهومهما وهو في الأول أشد . واستعارة النثر لإسقاط
المنهزمين وتفريقهم في قول أبي الطيب :

نَثَرْتَهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَادِ نَثْرَةً كَمَا نَثَرْتُ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمَ^(٢)
لأن النثر أن تجتمع أشياء في كف أو وعاء ثم يقع فدل تنفرق معه دفعة
من غير ترتيب ونظام ، وقد استعاره لما يتضمن التفرق على الوجه المخصوص
وهو ما اتفق من تساقط المنهزمين في الحرب دفعة من غير ترتيب ونظام ،
ونسبة إلى الممدوح لأنه سببه بهذا وأما قوله كلما سمع هيفة طار إليها فهو
جزء حديث وانظره : خير الناس رجل أمسك بعنان فرسه كلما سمع هيفة طار
إليها ، أو رجل في شعبة في غنيمة له يعبد الله تعالى حتى يأتيه الموت . قال
الزمخشري : الهيفة الصيحة التي يفرع منها ، وأصاها من هاع يهيع إذا جبن .
والشعبة رأس الجبل ، والمعنى خير الناس رجل أخذ بعنان فرسه واستعد للجهاد
في سبيل الله ، أو رجل اعتزل الناس وسكن في رؤس بعض الجبال في غنم له قليل
يرعاها ويكتفي بها في أمر معاشه ويعبد الله حتى يأتيه الموت (كما مر) من استعارة

(١) نقرتهم : نضيفهم ، واللهم من السنان : الحاد ، والقدر : الشق ،

والزراد : صانع الدرع (٢) الأحيدب : اسم جبل ، ونثرتهم : فرقهم .

يُظْهِرُ الْجَامِعَ فِيهَا ، نَحْوُ : رَأَيْتُ أَسَدًا يَرْمِي ، أَوْ خَاصِيَّةً ، وَهِيَ الْغَرِيبَةُ
وَالْغَرَابَةُ قَدْ تَكُونُ فِي نَفْسِ الشَّيْءِ ، كَقَوْلِهِ :
وَإِذَا احْتَبَى قَرَبُوسُهُ بَعِينَانِهِ عَاكَ الشَّكِيمَ إِلَى انْصِرَافِ الزَّائِرِ
وَقَدْ تَحْصُلُ بِتَعَرُّفٍ فِي الْعَامِّيَّةِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ :
« وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطَى الْأَبَاطِحُ »

الأسد للرجل الشجاع ، والشمس للوجه المنهال ونحو ذلك (وهي الغريبة)
التي لا ينظر بها إلا من ارتفع عن طبقة العامة (كما في قوله) أي قول يزيد
ابن مسleme بن عبيد الملك يصف فرساً له بأنه مؤدب ، وأنه إذا نزل عنه وألقى
عنانه في قربوس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه . القربوس : مقدم السرج ،
والشكيم : الحديد المعلقة في فم الفرس . شبه هيئة العنان في موقعه من
قربوس السرج بهيئة الثوب في موقعه من ركبة المحتبى ، فكانت الاستعارة
غريبة لغرابة الشبه . قال : وقد تحصل الغرابة بتصرف في العامة بأن يكون
التشبيه مشهوراً ولكنه يذكر على وجه بديع كما في قول كثير عزة :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على دم المطايا رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رانح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

المقصود وسالت ، فإنه أراد أن الإبل سارت سيراً حثيثاً في غاية السرعة
وكانت سرعة في لين وسلامة ، حتى كأنها كانت سيولا وقعت في تلك الأباطح
فجرت بها ، ومشاها في الحسن وعلو الطبقة في هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز :

إِذْ أَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَى الْأَبَاطِحِ دُونَ الْمَطِيِّ وَأَعْنَاقِهَا ، وَأَدْخَلَ
الْأَعْنَاقَ فِي السَّيْرِ . وَبِاعْتِبَارِ الثَّلَاثَةِ سِتَّةُ أَقْسَامٍ ، لِأَنَّ الطَّارِقَيْنِ إِنْ
كَانَا حِسِّيَيْنِ فَالْجَامِعُ إِمَّا حِسِّيٌّ نَحْوُ : فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلاً جَسَداً لَهُ خُورَارٌ ،
فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ وَلَدُ الْبَقَرَةِ ، بِالْمُسْتَعَارِ لَهُ الْحَيَوَانُ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى
مِنْ حُلِيِّ الْقَبْطِ ، وَالْجَامِعُ الشَّكْلُ ، وَالْجَمِيعُ حِسِّيٌّ ؛ وَإِمَّا عَقْلِيٌّ نَحْوُ :
وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ، فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ كَشَطُ الْجِلْدِ عَنْ

سَأَلَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْحَيِّ حِينَ دَعَا أَنْصَارَهُ بِوُجُوهِهِ كَالَّذِينَ نَادَوْا
أَرَادَ أَنَّهُ مَطَاعٌ فِي الْحَيِّ وَأَنَّهُمْ يَسْرِعُونَ إِلَى أَنْصَرَتِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَدْعُوهُمْ لِحُطْبِ
إِلَّا أَتَوْهُ وَكَثُرُوا عَلَيْهِ وَازْدَحَمُوا حَوْلَهُ ، حَتَّى تَجِدَهُمْ كَالسِّيُولِ نَجْمِيٍّ . مِثْلُ هَهُنَا
هَهُنَا ، وَتَنْصِبُ مِنْ هَذَا الْمَسِيلِ وَذَاكَ حَتَّى يَغْصُ بِهَا الْوَادِي وَيُطْفَحُ مِنْهَا ،
وَهَذَا شَبَهٌ مَعْرُوفٌ ظَاهِرٌ ، وَلَكِنْ حَسَنُ التَّصَرُّفِ فِيهِ أَفَادُ الْلُطْفِ وَالْغَرَابَةِ ،
وَذَلِكَ إِنْ أَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَى الْأَبَاطِحِ وَالشَّعَابِ دُونَ الْمَطِيِّ أَوْ أَعْنَاقِهَا وَالْأَنْصَارِ
أَوْ وَجُوهِهِمْ ، حَتَّى أَفَادَ أَنَّهُ امْتَلَأَتْ الْأَبَاطِحُ مِنَ الْإِبِلِ وَالشَّعَابُ مِنَ الرِّجَالِ
كَأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ، وَفِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا شَيْءٌ ذِيَرٌ الَّذِي فِي
الْآخِرِ يُوَكِّدُ أَمْرَ الدَّقَّةِ وَالْغَرَابَةِ ، أَمَّا الَّذِي فِي الْأَوَّلِ فَهُوَ أَنَّهُ أَدْخَلَ الْأَعْنَاقَ
فِي السَّيْرِ فَإِنَّ السَّرْعَةَ وَالْبَطْءَ فِي سَيْرِ الْإِبِلِ يَظْهَرُ أَنَّ غَالِباً فِي أَعْنَاقِهَا ، وَأَمَّا الَّذِي
فِي الثَّانِي فَهُوَ أَنَّهُ قَالَ عَلَيْهِ ، فَعَدَى الْفِعْلَ إِلَى ضَمِيرِ الْمَمْدُوحِ بَعْلَى ، فَأَكَّدَ مَقْصُودَهُ
مِنْ كَوْنِهِ مَطَاعاً فِي الْحَيِّ . هَذَا وَهُوَ تَحْصُلُ الْغَرَابَةِ بِالْجَمْعِ بَيْنَ عِدَّةِ اسْتِعَارَاتٍ
لِلْحَقِيقَةِ الشَّكْلِ بِالشَّكْلِ كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :

نحو الشاة ، والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل ، وهما حسيان
والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر ؛ وإما مختلف ، كقولك : رأيت
شمساً وأنت تريد إنساناً كالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشأن ، وإلا فهما
إما عقليان : نجو : من بهشنا من مرقدنا ، فإن المستعار منه الرقاد ، والمستعار
له الموت ، والجامع عدم ظهور الفعل والجميع عقلي ، وإما مختلفان ،
والحسي هو المستعار منه نحو : فأصدع بما تؤمر ، فإن المستعار منه كسر

فقات له أما تغطي بصائبه وأردف أعجازاً وناءً بكلكل

أراد وصف الليل بالطول ، فاستعار له صلباً يغطي به إذ كان كل ذي
صلب يزيد شيء في طوله عند نمطيه وبالغ في ذلك بأن جعل له أعجازاً يردف
بعضها بعضاً ، ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره والضغط لما يكابه ،
فاستعار له كلكلاً ينوء به . وقال الشيخ عبد القاهر : لما جعل الليل صلباً قد تغطي
به ثني ذلك فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب ، وثالث فجعل له كلكلاً قد
ناء به ، فاستوفى له جملة أركان الشئخص ، وراعى ما يراه الناظر من سواده إذا
نظر قدامه وإذا نظر خلفه ، وإذا رفع البصر ومدّه في عرض الجو (مكان
الليل) يلقى ظله (والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر) كترتيب
ظهور اللحم على كسشط الجلد ، وترتب الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل .
هذا ، وقد وقع في عبارة الشيخ عبد القاهر والسكاكي ، أن المستعار له
ظهور النهار من ظلمة الليل . وظاهر أن المراد بالظهور في كلامهما التميز ، أي
تميز النهار عن ظلمة الليل (نحو فأصدع بما تؤمر) فسكانه قيل أين الأمر
إبانة لا تمنحى كما لا ياتهم صدع الزجاجة ونظير الآية قوله تعالى : ضربت عليهم

فِي : زَيْدٌ فِي نِعْمَةٍ ، فَيُقَدَّرُ فِي نَطَقَتِ الْحَالُ ، وَالْحَالُ نَاطِقَةٌ بِكَذَا لِلدَّلَالَةِ
بِالنُّطْقِ ، وَفِي لَامِ التَّعْلِيلِ نَحْوُ : فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا

ابتداء الغاية وإلى معناها انتهاء الغاية ، وكى معناها الغرض ، فهذه ليست معاني
الحروف ، وإلا لما كانت حروفاً بل أسماء ، لأن الاسمىة والحرفية إنما هي
باعتبار المعنى وإنما هي متعلقات لمعانيها ، أى إذا أفادت هذه الحروف معاني
رجعت تلك المعاني إلى هذه بنوع استلزام . وهذا الذى ذكره السكاكى هو
ما جرى عليه علماء هذا الفن (فيقدر) أى حيث كان التشبيه لمعنى المصدر
وللمتعلقات معنى الحروف فيقدر فى قوائنا : نطقت الحال بكذا والحال ناطقة
بكذا ، لدلالة الحال بنطاق الناطق فى اقتضاح المعنى للذهن ، ثم تدخل الدلالة فى
جنس النطق فيستعار لها لفظ النطق ، ثم يشتق منه الفعل والصفة فتكون
الاستعارة فى المصدر أصلية وفى الفعل والصفة تبعية ويقدر فى لام التعليل (١)
نحو : فالنقطة آل فرعون ليكون لهم عدوًّا وحزناً للعداوة والحزن الحاصلين
بعد الالتقاط بالعلة النائية للالتقاط ، كالمحبة والتبني فى الترتب على الالتقاط
والحصول بعده ، ثم استعمل فى العداوة والحزن ما كان حقه أن يستعمل فى
العلة النائية . وهذا الذى ذكره المصنف مأخوذ من كلام صاحب الكشف
حيث قال معنى التعليل فى اللام وارد على طريق المجاز لأنه لم يكن داعيهم إلى
الالتقاط أن يكون لهم عدوًّا وحزناً ولكن المحبة والتبني ، غير أن ذلك لما كان
نتيجة التقاطهم وثمرته شبه بالداعى الذى يفعل . الفاعل الفعل لأجله ، ثم قال :
وهذه اللام حكمها حكم الاسم حيث استعيرت لها يشبه التعليل كما يستعار

(١) ويقدر فى قوله تعالى : ولا صابنكم فى جذوع النخل ، للجذوع
الأوعية ثم المصلوب بالموعى ، فاستعيرت فى تبعاً لذلك وقس على هذا مثله .

الزُّجَاجَةُ وَهُوَ حَسِّيٌّ ، وَالْمُسْتَعَارُ لَهُ التَّبْيِيعُ ، وَالْجَامِعُ التَّأْيِيرُ ، وَهُمَا عَقْلِيَّانِ
وَإِمَّا عَكْسُ ذَلِكَ نَحْوُ : إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ، فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ
لَهُ كَثْرَةُ الْمَاءِ وَهُوَ حَسِّيٌّ ، وَالْمُسْتَعَارُ مِنْهُ التَّكْبِيرُ ، وَالْجَامِعُ الْإِسْتِعْلَاءُ
الْمُقَرِّطُ ، وَهُمَا عَقْلِيَّانِ . وَبِاعْتِبَارِ اللَّفْظِ قِسْمَانِ ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ اسْمُ جِنْسٍ
فَأَصْلِيَّةٌ ، كَأَسَدٍ وَقَتْلٍ ، وَإِلَّا فَتَبْعِيَّةٌ ، كَالْفِعْلِ وَمَا يَشْتَقُّ مِنْهُ وَالْحَرْفِ
فَالْتَشْبِيهِ فِي الْأَوَّلَيْنِ لِمَعْنَى الْمَصْدَرِ ، وَفِي الثَّالِثِ لِمَتَعَلِّقٍ مَعْنَاهُ كَالْمَجْرُورِ

الذلة ، أى جعلت الذلة محيطية بهم مشتملة عليهم . فهم فيها كما يكون في القبة من
ضربت عليه أو جعلت ماصقة بهم حتى لزمهم ضربة لازب ، كما يضرب الطين
على الحائط فيلزمه ، فالمستعار منه ، إما ضرب القبة على الشخص ، وإما ضرب
الطين على الحائط وكلاهما حسى والمستعار له حالهم مع الذلة والجامع الإحاطة
أو اللزوم وهما عقليان (اسم جنس) هو مادل على ذات صالحة لأن تصدق
على كثيرين ولو تأويلا من غير اعتبار وصف من الأوصاف ، فدخيل نحو
أسد ونحو قتل الأول اسم عين والثاني اسم معنى ونحو حاتم من قولك : رأيت
اليوم حاتما وخرج بقولنا الصالحة لأن تصدق على كثيرين الأعلام التي لم تتضمن
وصفية والمضمرات وأسماء الإشارة ، وقولنا من غير اعتبار وصف من
الأوصاف خرج به المشتقات كضارب . فإنه اسم وضع لذات منصفة
بالضرب (وما يشتق منه) : كاسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة ، المشبه
وأفعل التفضيل ، وأسماء الزمان والمكان ، والآلة (الأولين) أى الفعل وما يشتق
منه (الثالث) أى الحرف (كالمجروح في زيد في نعمة) أما السكاكي فإنه قال وأعني
بمتعلقات معاني الحروف ما يعبر به عنها عند تفسيرها مثل قولنا من معناها

وَحَزَنًا ، لِلْعَدَاوَةِ وَالْحُزْنِ بَعْدَ الْإِلْتِقَاطِ بِعِلَّتِهِ الْغَائِيَّةِ : وَمَدَارُ قَرِينَتِهَا

فِي الْأَوَّلَيْنِ عَلَى الْفَاعِلِ ، نَحْوُ : نَطَقَتِ الْحَالُ ، أَوِ الْمَنْعُولِ نَحْوُ :

* قَتَلَ الْبُخْلَ وَأَحْيَا السَّمَاخَا *

وَنَحْوُ : * تَقْرِيبُهُمْ لِهَذِمِيَّاتٍ نَقْدُ بَهَا *

أَوِ الْمَجْرُورِ نَحْوُ : فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ، وَبِاعْتِبَارِ آخِرِ ثَلَاثَةِ أَقْسَامِ

الأسد لمن يشبه الأسد . « وبعد ، فللقوم في هذا المقام كلام طويل عزيز ليس من سنتنا في هذا الشرح التعرض لمثله فراجعه هناك إن شئت . قال : المصنف : ومدار قرينة الاستعارة التبعية في الأفعال والصناعات المشتقة منها على نسبتها إلى الفاعل ، كقولك نطقت الحال بكذا : الحال ليس بمن ينطق حقيقة ، فدل ذلك على أن المراد بالنطق الدلالة أو إلى المنعول كقول ابن المعتز :

جُمِعَ الْحَقُّ لَنَا فِي إِمَامٍ قَتَلَ الْبُخْلَ وَأَحْيَا السَّمَاخَا

فالذي دل على أن قتل وأحيى مستعاران إنما هو إسنادهما إلى البخل والسماخ ولو قال قتل الأعداء وأحيى الأحياء لم يكن قتل استعارة بوجه وكذلك أحيى أو المفعول الثاني كقول القطامي :

لَمْ تَأْتِ قَوْمًا هُمْ شَرُّ لِإِخْوَتِهِمْ مِمَّا عَشِيَّةَ يَجْرِي بِالدِّمِ الْوَادِي

تقريبهم لهذميات نقد بها ما كان خاطئ عليهم كل زراد

اللهزم من الأسنة : الفاطم ، فأراد بهذميات طعنات منسوية إلى الأسنة

الفاطمة ، أو أراد نفس الأسنة ، والنسبة للبالغة كأخري ، والقند : القطع ، وزرد

الدرع وسردها : نسجها . فإسناد الفري إلى اللهذميات قرينة على أن تقريبهم استعارة .

مُطَابَقَةٌ وَهِيَ مَا لَمْ تَقْتَرِنْ بِصِفَةٍ وَلَا تَفْرِيعٍ ، وَالْمُرَادُ الْمَعْنَوِيَّةُ لَا النَّقْطُ
وَمُجَرَّدَةٌ ، وَهِيَ مَا قُرِنَ بِمَا يَلَائِمُ الْمُسْتَعَارَ لَهُ ، كَقَوْلِهِ :
* غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا *

أو إلى الحجر ونحو : فبشرهم بعذاب إلههم ، فذكر العذاب قرينة على أن بشر
استعارة (بصفة ولا تفريع) أى صفة تلائم أحد الطرفين أو تفريع كلام ،
كذلك اعلم أن الملائم إذا كان من تنمة الكلام الذى فيه الاستعارة فهو
صفة وإن كان كلاماً مستقلاً جىء به بعد ذلك الكلام فهو تفريع ، سواء
كان بحرف التفريع أو لا (كقوله غمر الرداء) فقد استعار الرداء للمعروف
لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذى
هو وصف المعروف لا الرداء فنظر إلى المستعار له ، رالبيت لكثير عزة
وتمامه * غلقت لضحكته رقاب المسال * أى إذا تبسم غلقت رقاب أمواله فى
أيدي السائلين ، يقال غلق الرهن فى يد المرتهن : إذا لم يقدر على انفكاكه ،
ونظير البيت قوله تعالى : فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ، حيث قال إذا قهاولم
يقبل كسائها ، فإن المراد بالإذاقة إصابتهم بما استعير له اللباس ، كأنه قال فأصابها
الله بلباس الجوع والخوف : قال الزمخشري : الإذاقة جرت عندهم بحرى الحقيقة
لشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها ، فيقولون ذاق فلان البؤس
والضرر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر
والبشع ، فإن قيل الرشيح أبلغ من التجريد فهلا قيل فكسائها الله لباس الجوع
والخوف ، قلنا لأن الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك بالنس من غير عكس
فكان فى الإذاقة إشعار بشدة الإصابة بخلاف الكسوة ، فإن قيل لم لم يقل
فأذاقها الله طعم الجوع والخوف ، قلنا لأن الطعم وإن لامم الإذاقة فهو مفوت

وَمُرَشَّحَةٌ ، وَهِيَ مَا قُرِنَ بِمَا يُلَاقِيهِ الْمُسْتَعَارُ مِنْهُ ، نَحْوُ : أَوْلَئِكَ
الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَاحَتْ تِجَارَتُهُمْ ، وَقَدْ يَجْتَمِعَانِ ،
كَقَوْلِهِ :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِيَ السَّيَاحِ مُقَدِّفٌ لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْلَمْ
وَالْتَرَشِيحُ أَبْلَغُ ، لِاشْتِمَالِهِ عَلَى تَحْقِيقِ الْمُبَالَغَةِ ، وَمَبْنَاهُ عَلَى تَنَاسِي

لما يفيد لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عم أثرهما جميع البدن عموم
الملابس (نحو أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) فإنه استعار الاشتراء
للاختيار وقفاه بالربح والتجارة الذين هما من متعلقات الاشتراء فنظر إلى المستعار
منه ومن هذا الباب قول الشاعر :

يُنَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدٌ عَمْرٍو زَوَيْدَكَ يَا أَخَا عَمْرٍو بَنِي بَكْرٍ
فِي الشَّطْرِ الَّذِي مَنَسَكْتُ يَمِينِي وَذَوْنَكَ فَاعْتَجِرْ مِنْهُ بِشَطْرِ
فإنه استعار الرداء للسيف لنحو ، سبق ووصفه بالاعتجار الذي هو وصف
الرداء فنظر إلى المستعار له (كقوله لدى أسد) فقوله شاكي السلاح مقذف
تجريد لأنه وصف يلائم المستعار له ، وقوله له لبدة أظفاره لم تقلم ترشيح لأنه
وصف يلائم المستعار منه ، والبيت لزهير بن أبي سلمى ، وشاكي السلاح : تامه ،
ومقذف : مرمى به في الوقائع والحروب . واللبدة جمع لبدة : ما تلبد من شعر الأسد
على منكبيه (والترشيح أبغ) الترشيح الذي هو ذكر ملائم المستعار منه أبغ من
الإطلاق والتجريد لاشتماله على تحقيق المبالغة في التشبيه ولهذا كان مبناه على تناسي
التشبيه وصرف النفس عن توهمه حتى إنه يوضع الكلام في علو القدر وسمو المنزلة
وضعه في علو المكان ، كما قال أبو تمام يمدح يزيد الشيباني :

التَّشْبِيهِ ، حَتَّى إِنَّهُ يُبْنَى عَلَى عُلُوِّ الْقَدْرِ مَا يُدْنَى عَلَى عُلُوِّ الْمَكَانِ ،
كَقَوْلِهِ :

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَظُنَّ الْجَهْوُ ————— لِبَّ أَنْ لَهُ حَاجَةٌ فِي السَّمَاءِ
فَلَوْلَا أَنْ قَصْدُهُ أَنْ يَفْسَى التَّشْبِيهِ وَيُدْفَعُهُ بِجَهْدِهِ ، وَيَصْمِمُ عَلَى إِنْكَارِهِ
وَجَهْدِهِ ، فَيَجْعَلُهُ صَاعِدًا فِي السَّمَاءِ مِنْ حَيْثُ الْمَسَافَةُ الْمَكَانِيَّةُ ، لَمَا كَانَ لِهَذَا
الْكَلَامِ وَجْهٌ وَمَنْ أَبْلَغَ مَا يَكُونُ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ الرَّومِيِّ :

أَعْلَمُ النَّاسِ بِالنُّجُومِ بَنُونُو نَحْتُ عِلْمًا لَمْ يَأْتِيهِمْ بِالْحِسَابِ
بَلْ بَانَ شَاهِدُوا السَّمَاءَ سُمُورًا بَتَرَقَّى فِي الْمَكْرُمَاتِ الصُّعَابِ
مَبْلَغًا لَمْ يَكُنْ لِيَبْلُغَهُ الظَّا لِبْ إِلَّا يَتْلُكُمُ الْأَسْبَابِ

وَأَعَادَهُ فِي مَرَضِعٍ آخَرَ فَرَادَ الدَّعْوَى قُوَّةً ، وَمَرَّ فِيهَا مَرُورٌ مِنْ يَقُولُ
صِدْقًا وَيَذْكُرُ حَقًّا :

يَا آلَ نُوبَحْتٍ لَا عَدِمْتُكُمْ وَلَا تَبَدَّاتُ بَعْدَكُمْ بَدَلًا
إِنْ صَحَّ عِلْمُ النُّجُومِ كَانَ لَكُمْ حَقًّا إِذَا مَا سِوَاكُمْ انْتَحَلَا
كَمْ عَالِمٍ فِيكُمْ وَلَيْسَ بَانَ قَاسَ وَلَكِنْ بَانَ رَقِي فَعَلَا
أَعْلَاكُمْ فِي السَّمَاءِ بِجَدِّكُمْ فَلَا تَسْتُمْ تَجْهَلُونَ مَا جُهِلَا
شَافَيْتُمْ الْبَدْرَ بِالسُّؤَالِ عَنِ الْأُمِّ رِ إِلَى أَنْ بَلَّغْتُمْ رُحَلَا

وَمِنْهُ قَوْلُ بَشَّارٍ :

أَتَشْنِي الشَّمْسُ زَائِرَةً وَلَمْ تَكُ تَبْرَحُ الْفَلَكَ

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَظُنَّ الْجُوهُ لُ بَأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ

وقول المتنبي :

كَبَّرْتُ نَحْوَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ مِنْهَا الشُّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ

وقوله :

وَلَمْ أَرَ قَبْلِي مَنْ مَشَى الْبَدْرُ نَحْوَهُ وَلَا رَجُلًا قَامَتْ تَعَانِقُهُ الْأُسْدُ

ومنه مامر من التعجب في قوله :

قَامَتْ تُظِلُّنِي وَمِنْ عَجَبِ شَمْسٍ تُظِلُّنِي مِنَ الشَّمْسِ

والنهي عن التمجيد في قوله :

لَا تَعْجَبُوا مِنْ بَالِي غَالَتِهِ قَدْ زَرَّ أَرْزَارُهُ عَلَى الْقَمَرِ

أو ماترى هؤلاء فيما فعلوا كيف نبذوا أمر التشبيه وراء ظهورهم ، وكيف نسوا حديث الاستعارة ، كأب لم يجر منهم على بال ، ولم يروه ولا طيف خيال ، وإذا كانوا مع التشبيه والاعانة بالاصل يسوغون أن لا يبدنوا إلا على الفرغ ويقولون :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ فَعَرَّ الْقَوَادِ عَزَاءَ جَمِيادٍ

فَإِنْ تَسْتَطِيعُ إِلَيْهَا الصُّمُودُ وَأَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولُ^(١)

أو يقولوا :

وَعَدَ الْبَدْرُ بِإِزْيَارَةٍ لَيَالٍ فَإِذَا مَا فِي قَضَيْتِ نَذُورِي

قُلْتُ يَا سَيِّدِي وَلِمَ تَوَثَّرَ اللَّيْلُ عَلَى طَائِعَةِ الصَّبَاحِ الْمُنِيرِ

وَنَحْوُهُ مَا مَرَّ مِنَ التَّعَجُّبِ وَالنَّهْيِ عَنْهُ ، وَإِذَا جَازَ الْبِنَاءَ عَلَى الْفُرْعِ
مَعَ الْإِعْتِرَافِ بِالْأَصْلِ كَمَا فِي قَوْلِهِ :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكُونًا فِي السَّمَاءِ فَعَزَّ الْفُؤَادَ عِزًّا جَمِيلًا
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولَ

قَالَ لَا أَحِبُّ تَغْيِيرَ رَسْمِي هَكَذَا الرَّسْمُ فِي طُلُوعِ الْبُذُورِ (١)
أَوْ يَقُولُوا :

قُلْتُ زُورِي فَأَرْسَلَتْ أَنَا آتِيكَ سُحْرَهُ
قُلْتُ فَلَالَيْلٍ كَانَ أَخْفَى وَأَدْنَى مَسَرَّهُ
فَأَجَابَتْ بِحُجَّةٍ زَادَتْ الْقَلْبَ حَبْرَهُ
أَنَا شَمْسٌ وَإِنَّمَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ بُكْرَهُ

فهم إن تسويغ ذلك مع جحد الأصل في الاستعارة أقرب ، وماله طبقة
عالية في هذا القبيل وشكل يدل على شدة الشكيمة وعلو المآخذ قول الفرزدق :
أَبِي أَحْمَدُ الْغَيْثِيُّ صَعَصَعَةُ الَّذِي مَتَى تُخْلِفِ الْجُوزَاءَ وَالْدَّلُؤُ يُمْطَرُ
أَجَارَ بَنَاتِ الْوَائِدِينَ وَمَنْ يُجِرُ عَلَى الْمَوْتِ تَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ مُخْفَرِ
ادعى لأبيه اسم الغيث ادعاء من سلم له ذلك ، ومن لا يخطر بباله أنه
متناول له من طريق التشبيه وكذلك قول عدي بن الرقاع يصف حمارين وحشيين

(١) الأبيات لسعيد بن حميد وكذلك التي بعدها .

فَمَعَ جَحْدِهِ أَوَّلَى . وَأَمَّا الْمُرَكَّبُ فَهُوَ اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِيمَا شُبِّهَ
بِمَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ تَشْبِيهَ التَّمَثِيلِ لِلْمُبَالَغَةِ ، كَمَا يُقَالُ لِمُتَرَدِّدٍ فِي أَمْرٍ : إِنِّي

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الْغُبَارِ مِائَةً بَيْضَاءَ مُحْكَمَةً هُمَا تَسَجَاهَا
تُطَوَّى إِذَا وَرَدَا مَكَانًا مُخْزِنًا وَإِذَا السَّنَابِكُ أَشْبَهَتْ نَشْرَاهَا

﴿وأما المركب﴾ كل ما مر عليك من ضروب المجاز وأمثله إنما هو
في المجاز المفرد ، وهذا هو القول في المجاز المركب المعروف بالتمثيل .
المجاز المركب هو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل
للمبالغة ، أي تشبه لإحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالآخرى ثم
تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه ، فتذكر بالفظا من غير
تغيير بوجه من الوجوه ، كما كتب الوليد بن يزيد لما بويع إلى مروان بن محمد
وقد بلغه أنه متوقف في البيعة له : أما بعد فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر
أخرى . فإذا أناك ككتاني هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام . شبه
صورة تردده في المبالغة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر ، فتارة
يريد الذهاب فيقدم رجلاً ، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى . وكما يقال لمن
يعمل في غير معمل : أراك تنفخ في غير فحم وتخط على الماء ، والمعنى أنك
في فعلك كمن يفعل ذلك ، وكما يقال لمن يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه
إلى ما كان يمتنع منه : ما زال يقتل منه في الذروة والغارب ، حتى بلغ منه
ما أراد ، والمعنى أنه لم يزل يرفق بصاحبه وفقاً يشبه حاله فيه حال من
يجيء إلى البعير الصعب فيحكه ، ويقتل الشجر في ذروته وغاربه ، حتى
يسكن ويستأنس ، وهذا في المعنى نظير قولهم فلان يقرء فلاأ ، أي يتأطّب به
فعل من ينزع القراء من البعير ليلتذ بذلك فيسكن ويثبت في مكانه حتى يتسكن

أَرَاكَ تُقَدِّمُ رِجَالًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى ، وَهَذَا يُسَمَّى التَّحْيِيلَ عَلَى سَبِيلِ

من أخذه وكذا قوله تعالى : والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والمعنى والله أعلم أن مثل الأرض في تصرفها تحت أمر الله وقدرته ، وأنه لا يشذ شيء مما فيها عن سلطانه عز وجل ، مثل الشيء يكون في قبضة الآخذ له منا الجامع يده عليه . وكذا قوله تعالى : والسموات مطويات بيمينه ، أى يخلق فيها صفة الطي حتى ترى كالكتاب المطوى بيمين الواحد منا ، وخص اليمين ليكون أعلى وأنعم للمثل لأنها أشرف اليدين وأقواهما والتي لا غناء للأخرى دونها ، فلا يش إنسان لشيء إلا بدأ بيمينه فيها لها لنيله ، ومتى قصد جعل الشيء في جهة العناية جعل في اليد اليمنى ، ومتى قصد خلاف ذلك جعل في اليسرى كما قال البحرى :

وَإِنَّ يَدَيَّ وَقَدْ اسْتَنْدَتُ أَمْرِي إِلَيْهِ الْيَوْمَ فِي يَدِكَ الْيَمِينِ ^(١)

وقال ابن ميادة :

أَلَمْ أَكُ فِي يَمَنِي يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي فَلَا تَجْعَلْنِي بَعْدَهَا فِي شِمَالِكَ

أى كنت مكرماً عندك فلا تجعلينى مهاناً ، وكنت فى المكان الشريف منك فلا تحطينى فى المنزل الوضيع ، وكذا قوله تعالى : ولما سكنت عن موسى الغضب . قال الزجاج : كأن الغضب كان يغريه على ما فعل وبقول له قل لقومك كذا وألق الألواح وجر برأس أخيك إليك فترك النطق بذلك وقطع الإغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستغصمها كل ذى طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك ولأنه من قبيل شعب البلاغة ، وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة : ولما سكن عن موسى الغضب ، لا تجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة ، وطرفاً من تلك الروعة .

(١) إليه : أى إلى يونس بن بغا وكان حظياً عند الممدوح وهو المعتر بالله .

الاستعارة ، وقد يُسمى التمثيل مطلقاً ، ومتى فشا استعماله كذلك سُمي مثلاً ، ولهذا لا تغيّر الأمثال .

﴿ فصل ﴾

قد يُضمّر التشبيه في النفس ، فلا يصرخ بشيء من أركان

وكل هذا يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة ، وقد يسمى التمثيل مطلقاً من التقييد بقولنا على سبيل الاستعارة ، ويمتاز عن التشبيه التمثيلي بأن يقال له تشبيه تمثيل أو تشبيه تمثيلي ، والتمثيل متى فشا استعماله كذلك أي على سبيل الاستعارة سمي مثلاً ، ولكون الأمثال واردة على سبيل الاستعارة لا تغيّر ومن هنا لا يلتفت في الأمثال إلى مضاربها تذكيراً وتأنيداً وإفراداً وتثنية وجمعاً ، بل إنما ينظر إلى موارها مثلاً إذا طلب رجل شيئاً ضيعه قبل ذلك قيل : الصيف ضيعت الابن ، بكسر التاء لأنه في الأصل لامرأة ، وأما ما يقع في كلامهم من نحو ضيعت الابن في الصيف بناء المتكلم ، فليس بمثل بل مأخوذ منه وإشاره إليه ، ولكون المثل مما فيه غرابة استعير لفظه للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة ، وهذا في القرآن كثير ، قال تعالى : مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ، أي عالمهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد ناراً ، وقال جل شأنه : والله المثل الأعلى ، أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة ، وقال : مثلهم في التوراة ، أي صفاتهم وشأنهم المتعجب منه ، وقال : مثل الجنة التي وعد المتقون ، أي فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ، ثم أخذ في بيان عجائبها إلى غير ذلك مما لا يسكاد يحصى (فصل) قد تضافرت آراء الناس على أنه إذا شبه أمر بآخر من غير تصريح بشيء من أركان التشبيه سوى المشبه ودل عليه بذكر ما يخص المشبه به كان هناك استعارة بالكناية وتخيلية ، لكن اضطربت أقوالهم في تعيين المعنيين

الذين يطلق عليهما هذا اللفظان ، ومحصل ذلك يرجع إلى ثلاثة أقوال : أحدها ما يفهم من كلام القدماء ، والثاني : ما ذهب إليه السكاكي ، والثالث : ما أورده المصنف ههنا . ذهب السلف إلى أن الاستعارة بالكناية لفظ المشبه به المستعار المشبه المرموز إليه بشيء من لوازمه الدالة عليه ، فالمقصود بقولنا أظفار المنية استعارة السبع للمنية كاستعارة الأسد للرجل الشجاع في قولنا : رأيت أسداً ، لكننا لم نصرح بذكر المستعار أعني السبع ، بل اجتزأنا عنه بذكر لازمه لينتقل منه إلى المقصود كما هو شأن الكناية ، فالمستعار هو لفظ السبع الغير المصرح به والمستعار منه هو الحيوان المفترس والمستعار له هو المنية وبهذا يشعر كلام صاحب الكشف في قوله تعالى : ينقضون عهد الله ، حيث قال شاع استعمال النقض في إبطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من إثبات الوصلة بين المتعاهدين ، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ، ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روافده فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ، ونحوه قولك : شجاع يفترس أقرانه . وعالم يغترف منه الناس ، وإذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا إلا وقد نهيت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر ، وعلى المرأة بأنها فراش . وسيجىء في الفصل التالي مذهب السكاكي ، وستسمع في هذا الفصل مذهب المصنف ، أما الشيخ الإمام رحمه الله فلم يشعر كلامه بذكر الاستعارة بالكناية ، وإنما ذكر على أن في قولنا أظفار المنية استعارة بمعنى أنه أثبت المنية ما ليس لها بناء على تشبيهها بما له الأظفار وهو السبع ، وهذا قريب مما ذكره المصنف في التخيلية ، قال في أسرار البلاغة : الاستعارة على قسمين : أحدهما أن ينقل الاسم عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت علوم يمكن أن ينص عليه ، وذلك قولك رأيت أسداً وأنت تعنى رجلاً شجاعاً ، ورنيت لنا ظبية وأنت تعنى امرأة ، والثاني أن

سِوَى الْمُشَبَّهِ ، وَيدُلُّ عَلَيْهِ بِأَنَّ يُثَبَّتَ لِلْمُشَبَّهِ أَمْرٌ مُخْتَصٌّ بِالْمُشَبَّهِ بِهِ ، فَيُسَمَّى التَّشْبِيهُ اسْتِعَارَةً بِالْكِنَايَةِ ، أَوْ مَكْنِيًّا عَنْهَا ، وَإِثْبَاتُ

يُؤْخَذُ الْاسْمُ عَنْ حَقِيقَتِهِ وَيَوْضَعُ مَوْضِعاً لَا يَبِينُ فِيهِ شَيْءٌ يَشَارُ إِلَيْهِ ، فَيَقَالُ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِالْاسْمِ وَالَّذِي اسْتَعِيرَ لَهُ ، وَمِثَالُهُ قَوْلُ لَبِيدٍ :

وَعَدَاةَ رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ وَقَرَّةً إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا

وَذَلِكَ أَنَّهُ جَعَلَ لِلشَّمَالِ يَدًا ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مِثَارٌ إِلَيْهِ يُمْكِنُ أَيْ تَجَرُّى الْيَدِ عَلَيْهِ كَمَا جَرَاءُ الْأَسَدِ عَلَى الرَّجُلِ فِي قَوْلِكَ : انْهَرِ إِلَى أَسَدٍ يَزَارُ ، وَلِهَذَا لَا يُصَحُّ أَنْ يَقَالَ إِذْ أَصْبَحَتْ بِشَيْءٍ مِثْلُ الْيَدِ لِلشَّمَالِ ، كَمَا يَقَالُ رَأَيْتُ رَجُلًا مِثْلَ الْأَسَدِ ، وَإِنَّمَا يَتَأَنَّى لَكَ التَّشْبِيهُ فِي هَذَا بَعْدَ أَنْ تَغْيِرَ الطَّرِيقَةَ وَتَخْرُجَ عَنِ الْحَذْوِ الْأَوَّلِ ، فَتَقُولُ : إِذْ أَصْبَحَتْ الشَّمَالُ وَلَهَا فِي قُوَّةٍ تَأْثِيرُهَا فِي الْعَدَاةِ شِبْهَ الْمَالِكِ تَهْزِيفُ الشَّيْءِ بِيَدِهِ ، فَأَنْتَ كَمَا تَرَى تَجِدُ الشَّبْهَ الْمُنْتَزِعَ هُنَا لَا يَأْتِيكَ مِنَ الْمُسْتَعَارِ نَفْسُهُ بَلْ عَمَّا يُضَافُ إِلَيْهِ ، لِأَنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ تَجْعَلَ الشَّمَالُ كَذِي الْيَدِ مِنَ الْأَحْيَاءِ ، فَتَجْعَلَ الْمُسْتَعَارَ لَهُ أَعْنَى الشَّمَالِ مِثْلًا ذَا شَيْءٍ ، وَغَرَضُكَ أَنْ تَثْبِتَ لَهُ حُكْمَ مَنْ يَكُونُ لَهُ ذَلِكَ الشَّيْءُ ، وَقَالَ أَيْضًا : لِاخْتِلَافٍ فِي أَنَّ لَفْظَ الْيَدِ اسْتِعَارَةٌ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَنْقُلْ عَنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ ، إِذْ لَيْسَ الْمَعْنَى عَلَى أَنَّهُ شِبْهٌ شَيْئًا بِالْيَدِ ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَثْبِتَ لِلشَّمَالِ يَدًا (عَلَيْهِ) أَيْ عَلَى ذَلِكَ التَّشْبِيهِ الْمَضْمَرُ فِي النَّفْسِ (بِأَنَّ يَثْبِتَ لِلْمُشَبَّهِ أَمْرٌ مُخْتَصٌّ بِالْمُشَبَّهِ بِهِ) مَنْ غَيْرُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَمْرٌ ثَابِتٌ حَسًّا أَوْ عَقْلًا أَجْرَى عَلَيْهِ اسْمُ

(١) الْغَوَّةُ وَالْقَمَرُ : الْبَرْدُ . يَقُولُ كَمْ عَدَاةٌ تَهَبُ فِيهَا الشَّمَالُ وَهِيَ بَرْدُ الرِّيَّاحِ .

وَبَرْدٌ قَدْ مَلَسَتْ الشَّمَالُ زِمَامَهُ يَدٌ كَانَتْ عَادِيَةً الْبَرْدِ عَنِ النَّاسِ بِشَحْرِ الْجُزُرِ لَهُمْ : تَحْرِيرُ الْمَعْنَى : وَكَمْ مِنْ بَرْدٍ كَانَتْ غَرَبَ عَادِيَتِهِ بِإِطْعَامِ النَّاسِ .

ذَلِكَ الْأَمْرُ لِلْمُشَبَّهِ اسْتِعَارَةً تَخْيِيلِيَّةً ، كَمَا فِي قَوْلِ الْهَذَلِيِّ :
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ انْشَبَتْ أَخْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
شَبَّةَ الْمَنِيَّةِ بِالسَّبْعِ فِي اغْتِيَالِ النَّفُوسِ بِالْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ مِنْ غَيْرِ تَفَرُّقَةٍ
بَيْنَ نَفَاجٍ وَضَرَارٍ ، فَأَثْبَتَ لَهَا الْأَخْفَارَ الَّتِي لَا يَكْمُلُ ذَلِكَ فِيهِ بِدُونِهَا ،
وَكَمَا فِي قَوْلِ الْآخَرِ :

وَلَيْنَ نَطَقْتُ بِشُكْرِ بَرِّكَ مُفْصِحًا فَلِسَانُ حَالِي بِالشَّكَايَةِ أَنْطَقُ
شَبَّةَ الْحَالِ بِإِنْسَانٍ مَتَكَلِّمٍ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصُودِ ، فَأَثْبَتَ هَذَا اللِّسَانَ
الَّذِي بِهِ قَوَامُهَا فِيهِ ، وَكَذَا قَوْلُ زُهَيْرٍ :

صَحَا الْقَابُ عَنْ سَلَمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ وَعَرَّى أَفْرَاسَ الصَّبَا وَرَوَّاحِلُهُ

ذَلِكَ الْأَمْرُ (كَمَا فِي قَوْلِ الْهَذَلِيِّ) يَعْنِي أَبَا ذُؤَيْبٍ مِنْ قَصِيدَةِ قَالِهَا ، وَقَدْ هَلَكَ
لَهُ خَمْسٌ بَيْنَ فِي عَامٍ وَاحِدٍ وَكَانُوا فِيهِمْ هَاجِرٌ إِلَى مِصْرَ . وَالتَّمِيمَةُ هِيَ الْخُرْزَةُ
الَّتِي تَعْدُّ عَلَى الصَّبِيِّ لَتَسْكُونَ لَهُ حِجَابًا زَعَمُوا مِنَ الْعَيْنِ وَالْجَنُونِ . يَقُولُ الْهَذَلِيُّ :
إِذَا مَكَانَ الْمَوْتِ أَخْفَارُهُ مِنْ شَيْءٍ لِيَذْهَبَ بِهِ بَطَلَاتُ الْوَقَايَاتِ وَالْحِيلِ وَأَسْبَابُ
النَّجَاةِ . هَذَا ، وَقَدْ مَثَلَ الْمَصْنُفُ بِثَلَاثَةِ أَمْثَلِهِ ، الْأَوَّلُ : مَا تَكُونُ التَّخْيِيلِيَّةُ
لِإثباتِ مَا بِهِ كَمَالُ الْمَشَبَّهِ بِهِ ، وَالثَّانِي : مَا تَكُونُ لِإثباتِ مَا بِهِ قَوَامُ الْمَشَبَّهِ بِهِ ،
وَالثَّالِثُ : مَا تَحْتَمِلُ الاسْتِعَارَةَ فِيهِ أَنْ تَكُونُ تَخْيِيلِيَّةً ، وَأَنْ تَكُونُ تَحْقِيقِيَّةً
فَاعْرِفْ ذَلِكَ (وَابْنُ نَطَقْتُ) قَبْلَهُ :

لَا تَحْسِبَنَّ بِشَاشَتِي لَكَ عَنْ رِضَى فَوَاحَقْ جُودَكَ إِنِّي أَتَسَاقَى
(صَحَا) أَيْ سَلَا بِجَازَا مِنَ الصَّحْوِ خِلَافَ السُّكْرِ وَأَقْصَرَ بِاللَّهِ (يَقَالُ أَقْصَرَ
عَنِ الشَّيْءِ : إِذَا أَقْلَعَ عَنْهُ ، أَيْ تَرَكَهُ وَامْتَنَعَ عَنْهُ . وَبَعْدَ ، فَقَدْ ظَهَرَ لَكَ

أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّهُ تَرَكَ مَا كَانَ يَرْتَكِبُهُ زَمَنَ الْمَحَبَّةِ ، مِنْ الْجَهْلِ
وَالنَّفْسِ ، وَأَعْرَضَ عَنْ مُعَاوَدَتِهِ ، فَبَطَلَتْ آيَاتُهُ ، فَشَبَّهَ الصَّبَا بِجَهَةِ مِنْ
جِهَاتِ الْمَدِيرِ ، كَالْحُجِّ وَالتَّجَارَةِ ، قَضَى مِنْهَا الْوَطَرَ فَأَهْمَلْنَا آيَاتَهَا ، فَأَثْبَتَ
لَهُ الْأَفْرَاسَ وَالرَّوَاحِلَ ، فَالصَّبَا مِنَ الصَّبَوَةِ بِمَعْنَى الْمَيْلِ إِلَى الْجَهْلِ وَالْفُتُوَّةِ .
وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ دَعَايَ النُّفُوسِ وَشَهَوَاتِهَا وَالْقُوَى الْخَاصِمَةَ لَهَا فِي اسْتِيفَاءِ
الذَّاتِ ، أَوِ الْأَسْبَابَ الَّتِي قَلَّمَا تَتَّخِذُ فِي اتِّبَاعِ الْعَيْ إِلَّا أَوَانَ الصَّبَا ،
فَتَكُونُ الِاسْتِعَارَةُ تَحْقِيقِيَّةً .

﴿ فَصْلٌ لَمْ ﴾

عَرَفَ السَّكَاكِي الْحَقِيقَةَ اللُّغَوِيَّةَ بِالسَّكَاكَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِيمَا وَضِعَتْ

من كلام المصنف هذا أن الاستعارة بالسكناية هي التشبيه المضمحل في النفس .
قال الشيخ الفتازاني : وعلى هذا لا وجه لتسميتها استعارة ، بل هي مجرد تسمية
خالية عن المناسبة ، قال وهذا التفسير شيء لا مستند له في كلام السلف ، ولا
هو يبتنى على مناسبة لغوية وكأنه استنباط منه ، والمعنى الصحيح هو ما ذهب
إليه السلف (أراد) أي بالأفراس والرواحل (فصل) تعرض فيه المصنف
لما ذهب إليه السكاكي ، في الحقيقة والمجاز والاستعارة بالسكناية والاستعارة
التخييلية ، وبحث معه في ذلك . . . وبعد . فلا يذهب على الفارسي أن من
سندنا في هذا الشرح الإبعادي عن كل ما لا طائل فراه ولا غناء فيه ، وليس
بطالب البلاغة إليه حاجة ، ومن هنا لا نريد أن نزيد في هذا الفصل على شرح
كلام المصنف شيئاً حتى لا نزيد الطين بلة والطنبور فغمة ، ومن تأقت نفسه

لَهُ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ فِي الْوَضْعِ ، وَاحْتَرَزَ بِالْقَيْدِ الْآخِرِ عَنِ الِاسْتِعَارَةِ
عَلَى أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ ، فَإِنَّهَا مُسْتَعْمَلَةٌ فِيمَا وَضِعَتْ لَهُ بِتَأْوِيلٍ ، وَعَرَفَ
الْمَجَازَ اللَّغَوِيَّ بِالسَّكَاةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي غَيْرِ مَا وَضِعَتْ لَهُ بِالتَّحْقِيقِ فِي
اصْطِلَاحِ بِهِ التَّخَاطُبُ مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ عَنْ إِرَادَتِهِ ، وَأَتَى بِقَيْدِ التَّحْقِيقِ

إِلَى الْوُقُوفِ عَلَى شَيْءٍ وَرَاءَ هَذَا فَلْيَنْظُرْ فِي كُتُبِ الْقَوْمِ (الْآخِرِ) وَهُوَ قَوْلُهُ
مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ فِي الْوَضْعِ (عَلَى أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ) وَهُوَ الْقَوْلُ بِأَنَّ الِاسْتِعَارَةَ
بِمَجَازِ لُغَوِيٍّ فَإِنَّهَا عَلَى هَذَا مُسْتَعْمَلَةٌ فِيمَا وَضِعَتْ لَهُ وَضَعًا بِالتَّأْوِيلِ ، وَهُوَ ادِّعَاءُ
دُخُولِ الْمَثَبَةِ فِي جَنْسِ الْمَثَبَةِ بِهِ بِجَعْلِ أَفْرَادِ الشَّيْءِ بِهِ قِسْمِينَ : مَتَعَارِفًا وَغَيْرِ
مَتَعَارِفٍ ، وَأَمَّا عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهَا بِمَجَازِ عَقْلِيٍّ ، بِمَعْنَى أَنْ التَّصَرُّفَ فِي أَمْرِ عَقْلِيٍّ
وَهُوَ جَعْلُ غَيْرِ الْأَسَدِ أَسَدًا ، وَأَنَّ اللَّفْظَ مُسْتَعْمَلٌ فِيمَا وَضِعَ لَهُ فَيَكُونُ حَقِيقَةً
لُغَوِيَّةً فَلَا يَصِحُّ الِاحْتِرَازُ عَنْهَا (وَعَرَفَ الْمَجَازَ اللَّغَوِيَّ) بِأَنَّهُ السَّكَاةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ
فِي غَيْرِ مَا هِيَ مَوْضُوعَةٌ لَهُ بِالتَّحْقِيقِ اسْتِعْمَالًا فِي الْغَيْرِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَوْعِ
حَقِيقَتِهَا مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ مِنْ إِرَادَةِ مَعْنَاهَا فِي ذَلِكَ النَّوْعِ . هَذَا لَفْظُ السَّكَاةِ
عَدَلَ عَنْهُ الْمُصَنِّفُ كَمَا تَرَى لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِبْهَامِ وَالْخَفَاءِ ، وَقَوْلُهُ بِالنِّسْبَةِ مَتَعَارِفًا
بِالْغَيْرِ وَاللَّامِ فِي الْغَيْرِ لِلْعَهْدِ ، أَيْ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي مَعْنَى غَيْرِ الْمَعْنَى الَّتِي السَّكَاةُ
مَوْضُوعَةٌ لَهُ فِي اللُّغَةِ أَوْ الشَّرْعِ أَوْ الْعَرْفِ ، غَيْرًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَوْعِ حَقِيقَةٍ
تِلْكَ السَّكَاةُ ، حَتَّى أَوْ كَانَ نَوْعُ حَقِيقَتِهَا لُغَوِيًّا ، تَكُونُ السَّكَاةُ قَدْ اسْتَعْمَلَتْ
فِي غَيْرِ مَعْنَاهَا اللَّغَوِيَّ فَتَكُونُ بِمَجَازٍ لُغَوِيًّا وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ (عَلَى مَا مَرَّ)
مِنْ أَنَّهَا مُسْتَعْمَلَةٌ فِيمَا وَضِعَتْ لَهُ بِالتَّأْوِيلِ لَا بِالتَّحْقِيقِ ، فَلَوْلَمْ يَقِيدِ الْوَضْعَ
بِالتَّحْقِيقِ لَمْ تَدْخُلْ فِي التَّعْرِيفِ ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي غَيْرِ مَا وَضِعَتْ

لِتَدْخُلَ الْإِسْتِعَارَةُ عَلَى مَا مَرَّ : وَرَدَّ بِأَنَّ الْوَضْعَ إِذَا أُطِيقَ لَا يَتَنَاوَلُ
الْوَضْعَ بِتَأْوِيلٍ ، وَبِأَنَّ التَّقْيِيدَ بِاصْطِلَاحِ التَّخَاطُبِ لَا بَدَّ مِنْهُ فِي تَعْرِيفِ
الْحَقِيقَةِ ، وَقَسَمَ الْمَجَازَ اللَّغَوِيَّ إِلَى الْإِسْتِعَارَةِ وَغَيْرِهَا ، وَعَرَّفَ الْإِسْتِعَارَةَ
بِأَنَّ تَذَكُّرَ أَحَدِ طَرَفَيْ التَّشْبِيهِ وَتَرْيِدَ بِهِ الْآخَرَ ، مَدَّعِيًا دُخُولَ الْمُشَبَّهِ
فِي جِنْسِ الْمُشَبَّهِ بِهِ ، وَقَسَمَهَا إِلَى الْمُصْرَحِ بِهَا وَالْمَكْنِي عَنْهَا ، وَعَنَى
بِالْمُصْرَحِ بِهَا أَنَّ يَسْكُونَنَّ الْمَذْكُورُ هُوَ الْمُشَبَّهِ بِهِ ، وَجَعَلَ مِنْهَا تَحْقِيقِيَّةً

له بالتأويل (ورد) يقول : إن ما ذكره السكاكي مردود لأمرين ، الأول :
أن الوضع وما يشق منه كالموضوعة والموضوع له ، إذا أطلق لا يفهم منه
الوضع بتأويل ، وإنما يفهم منه الوضع بالتحقيق لما سبق من تفسير الوضع
فلا حاجة إلى تقييد الوضع في تعريف الحقيقة بعدم التأويل . وفي تعريف
المجاز بالتحقيق ، قال في الإيضاح : اللهم إلا أن يراد زيادة البيان لا تميم
الحد . الثاني : أن تقييد الوضع باصطلاح التخاطب ونحوه كالذي عبر به (١)
السكاكي إذا كان لابد منه في تعبير المجاز ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا
استعملها المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازاً ، فلا بد منه في تعريف الحقيقة
أيضاً ، ليخرج نحو هذا اللفظ منه كما سبق ، وقد أهمله في تعريفها (وقسم)
مهد المصنف بنقل هذا التقسيم للبحث مع السكاكي في عدد التمثيل
الذي هو مجاز مركب من الاستعارة التي جعلها قسماً من المجاز
المفرد (وغير ما) كالمجاز المرسل (منها) أي من الاستعارة المصريح

(١) وهو قوله سادها لا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها .

وَتَخْيِيلِيَّةٌ ، وَفَسَّرَ التَّحْقِيقِيَّةَ بِمَا مَرَّ ، وَعَدَّ التَّمثيلَ مِنْهَا ؛ وَرَدَّ بِأَنَّهُ
مُسْتَأْزِمٌ لِلتَّرْكِيبِ الْمُسَافِي لِلْإِفْرَادِ ، وَفَسَّرَ التَّخْيِيلِيَّةَ بِمَا لَا تَحَقُّقَ
لِمَعْنَاهُ حِسًّا وَلَا عَقْلًا ، بَلْ هُوَ صُورَةٌ وَهْمِيَّةٌ مُحَضَّةٌ ، كَلَفَظَ الْأُظْفَارَ
فِي قَوْلِ الْهَذَلِيِّ ، فَإِنَّهُ لَمَّا شَبَّهَ الْمَنِيَّةَ بِالسَّعْرِ فِي الْإِغْتِيَالِ أَخَذَ الْوَهْمَ
فِي تَصْوِيرِهَا بِصُورَتِهِ وَاخْتَرَعَ لَوَازِمَهُ لَهَا ، فَاخْتَرَعَ لَهَا مِثْلَ صُورَةِ
الْأُظْفَارِ ، ثُمَّ أَطْلَقَ عَلَيْهِ لَفْظَ الْأُظْفَارِ ؛ وَفِيهِ تَعْسُفٌ ، وَيُخَالِفُ تَفْسِيرَ
غَيْرِهِ لَهَا بِجَعْلِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ ، وَيَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ التَّرْشِيحُ تَخْيِيلِيَّةً

بِهَا (بِمَا مَرَّ) أَيْ بِمَا يَكُونُ الْمِشْبَهَ الْمَتْرُوكَ مُتَحَقِّقًا حِسًّا أَوْ عَقْلًا ، (مِنْهَا) أَيْ
مِنَ التَّحْقِيقِيَّةِ (وَرَدَ) يَقُولُ إِنْ عُدَّ التَّمثيلُ مِنَ الِاسْتِعَارَةِ التَّحْقِيقِيَّةِ الَّتِي هِيَ
قِسْمٌ مِنَ الْمَجَازِ الْمَفْرَدِ مُرَدُّودٌ بِأَنَّ التَّمثيلَ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا
مُرَكَّبًا كَمَا تَقْدُمُ فَكَيْفَ يَكُونُ قِسْمًا مِنَ الْمَجَازِ الْمَفْرَدِ (مُحَضَّةٌ) لَا يَشُوبُهَا
شَيْءٌ مِنَ التَّحَقُّقِ الْعَقْلِيِّ أَوْ الْحِسِّيِّ (لَوَازِمُهُ) أَيْ مَا يَلَازِمُ صُورَتَهُ ، وَيَتِمُّ بِهِ
شَكْلُهُ مِنَ الْهَيْئَاتِ وَالْجَوَارِحِ ، وَعَلَى الْخُصُوصِ مَا يَكُونُ قَوَامَ اغْتِيَالِهِ لِلنَّفُوسِ
بِهِ مِنَ الْأَنْيَابِ وَالْخَالِبِ (عَلَيْهِ) أَيْ عَلَى ذَلِكَ الْمِثْلِ يَعْنِي عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي هِيَ
مِثْلُ صُورَةِ الْأُظْفَارِ (وَفِيهِ تَعْسُفٌ) أَيْ أَخَذَ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ لِمَا فِيهِ مِنْ كَثْرَةِ
الِاعْتِبَارَاتِ الَّتِي لَا يَدُلُّ عَلَيْهَا دَلِيلٌ وَلَا تَمَسُّ إِلَيْهَا حَاجَةٌ (وَيُخَالِفُ تَفْسِيرَ غَيْرِهِ
لَهَا بِجَعْلِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ) غَيْرِ السَّكَاتِيِّ فَسَّرَ التَّخْيِيلِيَّةَ بِجَعْلِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ بِجَعْلِ الْيَدِ
لِلشَّمَالِ فِي قَوْلِ لَبِيدٍ :

وَعَدَاةَ رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ وَقِرَّةً إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا

لِلزُّومِ مِثْلُ مَا ذَكَرَهُ فِيهِ ، وَعَنِ الْمَسْكَنِ عَنْهَا أَنْ يَكُونَ الْمَذْكُورُ
هُوَ الْمَشَبَّهَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَنِيَةِ السَّبْعُ بِإِدْعَاءِ السَّبْعِيَّةِ لَهَا ، بِقَرِينَةٍ

فَعَلَى تَفْسِيرِ السَّكَكِ يَجِبُ أَنْ يَجْعَلَ لِلشَّامِ صُورَةً مُتَوَهِّمَةً شَبِيهَةً بِالْيَدِ ، وَيَكُونُ
إِطْلَاقُ الْيَدِ عَلَيْهَا اسْتِعَارَةً تَصْرِيحِيَّةً تَخْيِيلِيَّةً وَاسْتِعْمَالًا لِلْفِظِ فِي غَيْرِ مَا وَضَعَ لَهُ ،
وَعِنْدَ غَيْرِهِ الِاسْتِعَارَةُ هُوَ إِثْبَاتُ الْيَدِ لِلشَّامِ وَلَفْظُ الْيَدِ حَقِيقَةٌ لُغَوِيَّةٌ
مُسْتَعْمَلَةٌ فِي مَعْنَاهِ الْمَوْضُوعِ لَهُ ، وَلِهَذَا قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَاهِرِ : لَا خِلَافَ فِي
أَنَّ الْيَدَ اسْتِعَارَةٌ ، ثُمَّ إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَزْعِمَ أَنَّ لَفْظَ الْيَدِ قَدْ نَقَلَ عَنْ شَيْءٍ
إِلَى شَيْءٍ ، إِذْ لَيْسَ الْمَعْنَى عَلَى أَنَّهُ شَبَّهَ شَيْئًا بِالْيَدِ بَلِ الْمَعْنَى عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَثْبُتَ
لِلشَّامِ يَدًا (لِلزُّومِ مِثْلُ مَا ذَكَرَهُ فِيهِ) لِأَنَّ التَّرْشِيحَ فِيهِ إِثْبَاتٌ بَعْضُ مَا يَخْصُ
لِمَشَبَّهٍ بِهِ لِلْمَشَبَّهِ ، إِلَّا أَنَّ التَّعْبِيرَ عَنِ الْمَشَبَّهِ فِي التَّخْيِيلِيَّةِ بِلَفْظِ الْمَوْضُوعِ لَهُ ،
وَفِي التَّرْشِيحِ بِغَيْرِ لَفْظِهِ وَهَذَا لَا يَفِيدُ فَرْقًا (وَعَنِ الْمَسْكَنِ عَنْهَا) هَذَا بَحْثٌ
آخَرٌ ، يَقُولُ إِنَّ السَّكَكِ : أَرَادَ بِالِاسْتِعَارَةِ الْمَسْكَنِ عَنْهَا أَنْ يَكُونَ الْمَذْكُورُ مِنْ
طَرَفِ التَّشْبِيهِ هُوَ الْمَشَبَّهَ ، عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَنِيَةِ فِي قَوْلِ الْهَذَلِيِّ : وَإِذَا الْمَنِيَةُ
أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا السَّبْعَ بِإِدْعَاءِ السَّبْعِيَّةِ لَهَا وَإِنْكَارِ أَنَّ يَكُونُ شَيْئًا غَيْرَ السَّبْعِ
بِقَرِينَةٍ إِضَافَةِ الْأَظْفَارِ الَّتِي هِيَ مِنْ خَوَاصِّ السَّبْعِ إِلَى الْمَنِيَةِ ، فَقَدْ ذَكَرَ الْمَشَبَّهَ
وَهُوَ الْمَنِيَةُ وَأَرِيدَ بِهِ الْمَشَبَّهَ بِهِ وَهُوَ السَّبْعُ ، قَالَ الْمُصَنِّفُ : وَهَذَا التَّفْسِيرُ
مَرْدُودٌ بِأَنَّ لَفْظَ الْمَشَبَّهِ فِي الِاسْتِعَارَةِ بِالسَّكَكِ مُسْتَعْمَلٌ فِيهَا هُوَ الْمَوْضُوعُ لَهُ عَلَى
التَّحْقِيقِ لِلْقَطْعِ بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَنِيَةِ فِي الْبَيْتِ هُوَ الْمَوْتُ لَا الْحَيَوَانَ الْمَفْتَرَسَ وَالْأَشْيَاءَ
مِنْ الِاسْتِعَارَةِ مُسْتَعْمَلًا فِي مَعْنَاهِ الْمَوْضُوعِ لَهُ تَحْقِيقًا ، لِأَنَّ السَّكَكِ نَفْسَهُ
يُفَسِّرُ الِاسْتِعَارَةَ بِأَنَّ تَذَكُّرَ أَحَدِ طَرَفِي التَّشْبِيهِ وَتَرِيدَ بِهِ الطَّرَفَ الْآخَرَ وَجَعَلَهَا
قِسْمًا مِنَ الْمَجَازِ اللَّغَوِيِّ الْمُفَسَّرِ بِالسَّكَكِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي غَيْرِ مَا وَضَعَتْ لَهُ ،
قَالَ أَمَّا إِضَافَةُ نَحْوِ الْأَظْفَارِ فَقَرِينَةُ التَّشْبِيهِ ، قَالَ فِي الْإِيضَاحِ : وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ

إِضَافَةُ الْأُظْفَارِ إِلَيْهَا ، وَرُدُّ بِأَنَّ لَفْظَ الْمُسَبِّحِ فِيهَا مُسْتَعْمَلٌ فِيمَا وَضِعَ لَهُ تَحْقِيقًا ، وَالِاسْتِعَارَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ ، وَإِضَافَةُ نَحْوِ الْأُظْفَارِ قَرِينَةُ التَّشْبِيهِ ، وَاخْتَارَ رَدُّ التَّبَعِيَّةِ إِلَى الْمَكْنَى عَنْهَا ، بِجَعْلِ قَرِينَتِهَا مَكْنِيًّا عَنْهَا وَالتَّبَعِيَّةِ قَرِينَتِهَا ، عَلَى نَحْوِ قَوْلِهِ فِي الْمَنِيَّةِ وَأُظْفَارِهَا ؛ وَرُدُّ بِأَنَّهُ

السَّكَاتِي فِي تَفْسِيرِ كَلَامِهِ ، مِنْ أَنَا نَدْعِي ههنا أَنَّ اسْمَ الْمَنِيَّةِ اسْمٌ لِلسَّبْعِ ، مُرَادُفٌ لِلْفَرْقِ السَّبْعِ بَارْتِسَاكَبٍ تَأْوِيلٌ وَهُوَ أَنَّ تَدْخُلَ الْمَنِيَّةُ فِي جَنْسِ السَّبْعِ لِلْبَالِغَةِ فِي التَّشْبِيهِ ثُمَّ تَذَوَّبَ عَلَى سَبِيلِ التَّخِيلِ إِلَى أَنَّ الْوَاضِعَ كَيْفَ يَصِحُّ مِنْهُ أَنْ يَضَعَ اسْمَيْنِ لِحَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَلَا يَكُونَانِ مُتَرَادِفَيْنِ ، فَيَتَبَيَّنُ لَنَا بِهَذَا الطَّرِيقِ دَعْوَى السَّبْعِيَّةِ لِلْمَنِيَّةِ مَعَ التَّصْرِيحِ بِلَفْظِ الْمَنِيَّةِ فَلَا يَفِيدُهُ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَقْتَضِي كَوْنَ اسْمِ الْمَنِيَّةِ غَيْرِ مُسْتَعْمَلٍ فِيمَا هُوَ مَوْضُوعٌ لَهُ عَلَى التَّحَقُّقِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ فَيَدْخُلُ فِي تَعْرِيفِهِ لِلْحَقِيقَةِ وَيَخْرُجُ مِنْ تَعْرِيفِهِ لِلْمُجَازِ (وَاخْتَارَ رَدُّ التَّبَعِيَّةِ إِلَى الْمَكْنَى عَنْهَا) وَإِلَيْكَ مَا قَالَهُ فِي آخِرِ فِصْلِ الاسْتِعَارَةِ التَّبَعِيَّةِ : هَذَا مَا أَمَكُنْ مِنْ تَلْخِيصِ كَلَامِ الْأَصْحَابِ فِي هَذَا الْفَصْلِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ جَعَلُوا قِسْمَ الاسْتِعَارَةِ التَّبَعِيَّةِ مِنْ قِسْمِ الاسْتِعَارَةِ بِالسَّكْنَاءِ بِأَنَّ قُلُوبَهُمْ لَجَعَلُوا فِي قَوْلِهِمْ نَطَقَتْ الْحَالُ بِكَذَا الْحَالُ الَّتِي ذَكَرَهَا عِنْدَهُمْ قَرِينَةُ الاسْتِعَارَةِ بِالتَّصْرِيحِ اسْتِعَارَةَ بِالسَّكْنَاءِ عَنِ الْمُتَكَلِّمِ بِوَسَاطَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي التَّشْبِيهِ عَلَى مَقْتَضَى الْمَقَامِ ، وَجَعَلُوا نِسْبَةَ النُّطْقِ إِلَيْهِ قَرِينَةَ الاسْتِعَارَةِ كَمَا تَرَاهُمْ فِي قَوْلِهِ :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أُنْشِبَتْ أُظْفَارَهَا *

يَجْعَلُونَ الْمَنِيَّةَ اسْتِعَارَةً بِالسَّكْنَاءِ عَنِ السَّبْعِ وَيَجْعَلُونَ لِإِبْطَاتِ الْأُظْفَارِ لَهَا قَرِينَةً لاسْتِعَارَةِ ، وَهَكَذَا لَوْ جَعَلُوا الْبُخْلَ اسْتِعَارَةً بِالسَّكْنَاءِ عَنْ حَيِّ أَبْطَاتِ حَيَاتِهِ بِسَيْفٍ أَوْ غَيْرِ سَيْفٍ ، فَالْتَّحَقَ بِالْعَدَمِ ، وَجَعَلُوا نِسْبَةَ الْقَتْلِ إِلَيْهِ قَرِينَةَ

إِنْ قَدَّرَ التَّبَعِيَّةُ حَقِيقَةً لَمْ تَكُنْ تَخْيِيلِيَّةً ، لِأَنَّهَا تَجَازُ عِنْدَهُ ، فَلَمْ تَكُنْ
الْمَكْنَى عَنْهَا مُسْتَأْزِمَةً لِلتَّخْيِيلِيَّةِ ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ بِالِاتِّفَاقِ ، وَإِلَّا فَتَكُونُ
اسْتِعَارَةً ، فَلَمْ يَكُنْ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مُغْنِيًا تَمَّا ذَكَرَهُ غَيْرُهُ .

﴿ فُضِّلَ ﴾

حُسْنُ كَلَمٍ مِنَ التَّحْقِيقِيَّةِ وَالتَّشْبِيلِ بِرِغَايَةِ جِهَاتٍ حَسَنٍ التَّشْبِيهِ

ولو جعلوا أيضاً للهدميات استعارة بالكناية عن المطعومات الطيفة الشبيهة على
التحكم وجعلوا نسبة لفظ القرى إليها قرينة الاستعارة لكان أقرب إلى الضبط .
وقال، المصنف وهذا مردود ، لأن التبعية التي جعلها قرينة لقرينتها التي جعلها
استعارة بالكناية كنطقت ، في قولنا نطقت الحال بكذا . لا يجوز أن
يقدرها حقيقة حينئذ لأنه لو قدرها حقيقة لم تكن استعارة تخيلية ، لأن
الاستعارة التخيلية عنده مجاز ولو لم تكن تخيلية لم تكن الاستعارة بالكناية
مستلزمة للتخيلية واللازم باطل بالاتفاق فيتعين أن يقدرها مجازاً وإذا قدرها
مجازاً لزمه أن يقدرها من قبل الاستعارة ، لكون العلاقة بين المعنيين هي
المشابهة فلا يكون ما ذهب إليه مغنياً عن قسمة الاستعارة إلى أصالية وتبعية
هـ هذا ، ما أحببنا ذكره في هذا الفصل مجتزئاً به عما لا طائل تحته مما تشبهت
به القوم محكمين أنفسهم بين المصنف والسكاكي ، فإن تشوفت إلى ذلك فقول
نظرك عن كتابنا واعيد به إلى أطول المصام ومطول التفتازاني واجمع إليهما
حاشيتي عبد الحكيم والجرجاني (برعاية جهات حسن التشبيه) مثل أن يكون التشبيه
وافياً بإفادة ما علق به من الغرض ، وأن يكون وجه الشبه غير مبتذل بأن يكون
قريباً لطيفاً الكثرة التفصيل أو لندرة حضوره في الذهن ، إلى غير ذلك مما سبق

وَأَنْ لَا يُشَمَّ رَاحَتُهُ لَفْظًا ، وَلِذَلِكَ يُوحَى أَنْ يَكُونَ الشَّبَهُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ
جَلِيًّا ، لِنِيلِ تَصْيِيرِ الْغَاثِ ، كَمَا لَوْ قِيلَ رَأَيْتُ أَسَدًا وَأُرِيدَ إِنْسَانٌ أُنْجَرُ ،
وَرَأَيْتُ إِبِلًا مِائَةً لَا تُجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً وَأُرِيدَ النَّاسُ ، وَهَذَا ظَهَرَ أَنَّ
التَّشْبِيهَ أَعَمُّ مَحَلًّا ؛ وَيَتَّحِيلُ بِهِ أَنَّهُ إِذَا قَوِيَ الشَّبَهُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ حَتَّى
اتَّحَدَا كَالْعِلْمِ وَالنُّورِ وَالشَّبْهِ وَالظُّلْمَةِ لَمْ يَحْسَنْ التَّشْبِيهُ وَتَعَيَّنَتْ
الِاسْتِعَارَةُ : وَالْمَكْنَى عَنْهَا كَالْتَّحْقِيقِيَّةِ ، وَالتَّخْيِيلِيَّةِ حُسْنُهَا بِحَسَبِ حُسْنِ
الْمَكْنَى عَنْهَا .

ذِكْرُهُ (وَأَنْ لَا يُشَمَّ رَاحَتُهُ لَفْظًا) لِأَنَّ ذَلِكَ يَبْطُلُ الْغَرَضُ مِنَ
الِاسْتِعَارَةِ ، أَعْنَى ادْعَاءِ دُخُولِ الْمَشَبِّهِ فِي جِنْسِ الْمَشَبَّهِ بِهِ (وَرَأَيْتُ إِبِلًا مِائَةً
لَا تُجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً) هَذَا مَا خُوِذَ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : النَّاسُ
كَإِبِلٍ مِائَةٍ لَا تُجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً ، يَعْنِي أَنَّ الْخِتَارَ مِنَ النَّاسِ فِي عِزَّةٍ وَجُودَةٍ كَالنَّجْمِيَّةِ
الَّتِي لَا تَوْجِدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْإِبِلِ (أَعَمُّ مَحَلًّا) أَيْ أَنَّ كُلَّ مَا يَتَأْتِي فِيهِ
الِاسْتِعَارَةُ الْحَقِيقِيَّةُ أَوْ التَّمْثِيلُ ، يَتَأْتِي فِيهِ التَّشْبِيهُ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا يَتَأْتِي فِيهِ
التَّشْبِيهُ يَتَأْتِي فِيهِ الِاسْتِعَارَةُ الْحَقِيقِيَّةُ أَوْ التَّمْثِيلُ ، لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ وَجْهُ
الشَّبهِ فِيهِ خَفِيًّا فَيَصِيرُ تَعْمِيَةً رَأً الْغَاثِ كَالْمَثَالَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ (لَمْ يَحْسَنْ التَّشْبِيهُ)
فَإِذَا فَهِمَ الرَّجُلُ الْمُسْتَعَارَ يَقُولُ حَصَلَ فِي قَلْبِي نُورٌ ، وَلَا يَقُولُ كَأَنَّ نُورًا
حَصَلَ فِي قَلْبِي ، وَإِذَا وَقَعَ فِي شَبْهِ يَقُولُ رَفَعْتُ فِي ظِلْمَةٍ ، وَلَا يَقُولُ كَأَنِّي فِي
ظِلْمَةٍ (كَالْتَّحْقِيقِيَّةِ) فِي أَنَّ حُسْنَهَا بِرِعَايَةِ جِهَاتِ حُسْنِ التَّشْبِيهِ (بِحَسَبِ حُسْنِ
الْمَكْنَى عَنْهَا) لِأَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا تَابِعَةً لَهَا عِنْدَ الْمُصَنِّفِ . وَأَمَّا صَاحِبُ الْمِفْتَاحِ
فَقَدْ لَمْ يَقُلْ بِوُجُوبِ كَوْنِهَا تَابِعَةً لِلْمَكْنَى عَنْهَا ، قَالَ إِنْ حُسْنُهَا بِحَسَبِ حُسْنِ

﴿ فُضِّلَ ﴾

وَقَدْ يُطْلَقُ الْجَازُ عَلَى كَلِمَةٍ تَغَيَّرَ حُكْمُ إِعْرَابِهَا بِحَذْفِ لَفْظٍ
أَوْ زِيَادَةِ لَفْظٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَجَاءَ رَبُّكَ ، وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ، وقوله تعالى :

المسكنى عنها حتى كانت، تابعة لها ، وقلما تحسن الحسن البصري غير تابعة لها ، ولذلك
استهجنتم في قول العلماء :

لَا تَسْقِي مَاءَ الْمَلَامِ فَإِنِّي صَبٌّ قَدْ اسْتَعَذَّبْتُ مَاءَ بُكَائِي

(فصل) اعلم أن الكلمة كما توصف بالجاز لتقلبك لها عن معناها كما مضى
كذلك توصف به لنقلها عن حكم كان لها إلى حكم ليس هو بحقيقة فيها الحذف
لفظ أو زيادة لفظ ، أما الحذف فكقوله تعالى : واسأل القرية ، الأصل واسأل
أهل القرية ، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل ، وعلى الحقيقة هو الجر بالحذف
المضاف واكتسى المضاف إليه إعرابه ، واعلم أن الحكم بالحذف ههنا إنما
هو لأمر يرجع إلى غرض المتكلم ، حتى لو رأيت سل القرية في غير التنزيل
لم تقطع بأن ههنا محذوفاً ، لجواز أن يكون كلام رجل مر بقرية قد خربت
وباد أهلها ، فأراد أن يقول لصاحبه واعظاً ومذكراً أو لنفسه متعظاً ومعتبراً
سل القرية عن أهلها وقل لها ما صنعوا ، على حد قولهم : سل الأرض من شق
أنهارك . وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك . فإنها إن لم تجبك حواراً ، أجابتك
اعتباراً . وأما الزيادة فكقوله تعالى : ليس كمثل شيء . على القول بزيادة الكاف
أي ليس مثله شيء ، فأعراب مثله في الأصل هو النصب فزيدت الكاف فصار
جراً : وعندى أن اليكاف ليست بزايدة وأن الآية من باب الكناية . قال في
الكشاف ، قالوا مثلك لا يبخل . فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن
ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية . لأنهم إذا نفوه عن

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، أَيْ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَأَهْلُ الْقَرْيَةِ ، وَلَيْسَ مِثْلَهُ شَيْءٌ .

﴿ الْكِنَايَةُ ﴾

الْكِنَايَةُ لَفْظٌ أُرِيدَ بِهِ لَازِمٌ مَعْنَاهُ مَعَ جَوَازِ إِرَادَتِهِ مَعَهُ ، فَظَهَرَ أَنَّهَا تُخَالِفُ الْمَجَازَ مِنْ جِهَةِ إِرَادَةِ الْمَعْنَى مَعَ إِرَادَةِ لَازِمِهِ ، وَفُرُقَ بِأَنَّ الْإِنْتِقَالَ

يَسُدُّ مَسَدَهُ وَعَمَّنْ هُوَ عَلَى أَحْصَى أَوْصَافِهِ فَقَدْ نَقَوْهُ عَنْهُ ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُكَ لِلْعَرَبِيِّ الْعَرَبُ لَا تَخْفَرُ الذَّمَّ ، كَانَ أَبْلَغُ مِنْ قَوْلِكَ أَنْتَ لَا تَخْفَرُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ قَدْ أَيْفَعْتَ لِدَاتِهِ وَبَلَّغْتَ أَتْرَابَهُ ، يَرِيدُونَ إِيْفَاعَهُ وَبَلُوغَهُ ، فَحِينَئِذٍ لَمْ يَقَعْ فَرْقٌ بَيْنَ قَوْلِهِ لَيْسَ كَاللَّهِ شَيْءٌ ، وَبَيْنَ قَوْلِهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ إِلَّا مَا تَعْطِيهِ الْكِنَايَةُ مِنْ فَائِدَتِهَا ، وَكَأَنَّهُمَا عِبَارَتَانِ مُتَعَقِبَتَانِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ ، وَهُوَ نَفْيُ الْمِثَالَةِ عَنْ ذَاتِهِ ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ . فَإِنْ مَعْنَاهُ بَلْ هُوَ جَوَادٌ مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرٍ يَدٌ وَلَا بَسْطٌ لَهَا ، لِأَنَّهَا وَقَعَتْ عِبَارَةً عَنِ الْجُودِ لَا يَقْصِدُونَ شَيْئاً آخَرَ حَتَّى لَمْ يَنْهَمِ اسْتِعْمَلُوهَا فَيَمُنْ لَا يَدُ لَهُ ، فَكَذَلِكَ اسْتَعْمَلَ هَذَا فَيَمُنْ لَهُ مِثْلٌ وَمِنْ لَا مِثْلَ لَهُ هَذَا ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْحَذْفُ أَوْ الزِّيَادَةُ لَا يَوْجِبُ تَغْيِيرَ الْإِعْرَابِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ ، إِذَا أَصْلَهُ أَوْ كَثَلَ ذَوَى صَيْبٍ لِحَذْفِ ذَوَى لِدَلَالَةٍ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ عَلَيْهِ وَحَذْفِ مِثْلٍ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ عَطْفُهُ عَلَى قَوْلِهِ : كَثَلَ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً ، إِذْ لَا يَخْفَى أَنَّ التَّكْثِيرَ لَيْسَ مِنْ صِفَةِ الْمُنَافِقِينَ الْعَجِيبَةِ الشَّانِ ، وَذَوَاتِ ذَوَى صَيْبٍ ، وَكَقَوْلِهِ : فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ، فَلَا تُوصَفُ الْكَلِمَةُ بِالْمَجَازِ كَمَا حَقَّقَ ذَلِكَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ .

﴿ الْكِنَايَةُ ﴾ هِيَ فِي عَرَفِ اللُّغَةِ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ وَتُرِيدُ بِهِ غَيْرَهُ وَقَدْ كُنَيْتَ بِكَذَا عَنْ كَذَا أَوْ كُنَيْتَ وَأَنْشَدَ أَبُو زَيْدٍ :

فِيهَا مِنَ الْإِلْزَامِ ، وَفِيهِ مِنَ الْمَلْزُومِ ، وَرُدَّ بِأَنَّ الْإِلْزَامَ مَا لَمْ يَكُنْ مَلْزُومًا
لَمْ يُنْتَقَلْ مِنْهُ ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْإِنْتِقَالُ مِنَ الْمَلْزُومِ . وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ :

وَإِنِّي لَا كُنُوعَنُ قَدُورٍ بَغْيَرِهَا . وَأَعْرَبُ أَحْيَانًا بِهَا فَصَارِحُ

وفي مصطلح النظار من علماء البيان ، قال الشيخ الإمام : أن يريد المتكلم
إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء
إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوصي به إليه ويجعله دليلاً عليه . وقال
غير الشيخ : السكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ ،
كقولك فلان طويل النجاد : أى طويل القامة ، وفلانة نؤم الضحى ، أى مرفهة
مخدومة غير محتاجة إلى السعى بنفسها في إصلاح المهمات ، وذلك أن وقت الضحى
وقت يسعى فيه نساء العرب وراء المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما يحتاج إليه
في تهية المتناولات وتدبير إصلاحها ، فلا تنام فيه من نسائهم إلا من تكون
لها خدم ينوبون عنها في السعى لذلك . ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد
والنوم في الضحى من غير تأويل ، فالفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجه أى
من جهة جواز إرادة المعنى مع إرادة لازمة ، فإن المجاز ينافي ذلك فلا يصح
في نحو قولك : فى الجلام أسد ، إن تريد معنى الأسد من غير تأويل ، لأن المجاز
ملزوم قرينة معاندة لإرادة الحقيقة كما تقدم وملزوم معاند الشيء معاند لذلك
الشيء ، وفرق السكاكى وغيره بينهما بوجه آخر أيضاً ، وهو أن مبنى السكناية
على الانتقال من اللازم إلى الملزوم ، كالانتقال من طول النجاد الذى هو لازم
لطول القامة إليه ، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم كالانتقال
من الأسد الذى هو ملزوم الشجاع إلى الشجاع . قال المصنف : وهذا مردود
بأن "لازم ما لم يكن ملزوماً يمتنع أن ينتقل منه إلى الملزوم . لأن اللازم من

الأولى المطلوب بها غير صفة ولا نسبة ، فمنها ما هي معنى واحد كقوله :

* وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الْأَضْغَانِ *

ومنها ما هي مجموع معان كقولنا - كناية عن الإنسان - حتى
مستوى القامة عريض الأظفار ، وشرطهما الاختصاص بالمكنى عنه ؛
والثانية المطلوب بها صفة ، فإن لم يكن الانتقال بواسطة فقرية :

حيث أنه لازم ، يجوز أن يكون أعم من المزموم ، ولا دلالة للعام على الخاص
فيكون الانتقال حينئذ من المزموم إلى اللازم كما في المجاز ، فلا يتحقق الفرق
(فمنها) أى من الأولى (كقوله والطاعنين مجامع الأضغان) فجامع
الأضغان معنى واحد كناية عن القلب وصدر البيت :

* الضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَيْتَضَ مَخْدَمٍ *

والمخدّم : القاطع ، ونظير البيت قول البحترى فى قصيدته التى يذكر فيها
قتله للذئب :

فَاتَّبَعْتُهَا أُخْرَى فَأَضَلَّتْ نَصَائِبَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرُّعْبُ وَالْحَقْدُ

فقوله بحيث يكون اللب والرعب والحقد ، ثلاث كنايات لا كناية واحدة ،
لاستقلال كل واحد منها بإفادة المقصود (وشرطهما الاختصاص بالمكنى
عنه) ليحصل الانتقال منهما إليه (والثانية المطلوب بها صفة) يقول : الثانية
من أقسام الكناية المطلوب بها صفة من الصفات ، كالجود والكرم والشجاعة
وهو ضربان قريبة وبعيدة ، فالقريبة ما ينتقل منها إلى المطلوب بها لا بواسطة

وَاضِحَةٌ ، كَقَوْلِهِمْ - كِنَايَةٌ عَنْ طُولِ الْقَامَةِ - طَوِيلٌ نَجَادُهُ وَطَوِيلٌ
النَّجَادِ ، وَالْأَوَّلَى سَازِجَةٌ ، وَفِي الثَّانِيَةِ تَصْرِيحٌ مَّا لَتَتَضَمَّنُ الصِّفَةُ الضَّمِيرَ
أَوْ خَفِيَّةٌ ، كَقَوْلِهِمْ - كِنَايَةٌ عَنِ الْأَبْلَهَةِ - عَرِيضُ الْقَفَا ، وَإِنْ كَانَ

وهي إما واضحة كقولهم كناية عن طويل القامة طويل نجاهه ، وهذه كناية
ساذجة لا يشوبها شيء من التصريح ، وطويل النجاد وهذه كناية مشتملة على
تصريح ما لتضمن الصفة فيه وهي طويل ضمير الموصوف ، وإما خفية يتوقف
الانتقال منها على تأمل وإعمال روية ، كقولهم كناية عن الأبله عريض القفا ،
فإن عرض القفا وعظم الرأس إذا أفرطا فيما يقال دليل الغباوة ، ألا ترى إلى
قول طرفة بن العبد :

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ خَشَّاشُ كُرَاسِ الْحَيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ (١)
والبعيدة ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة ، كقولهم كثير الرماد ،
كناية عن المضياف ، فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الخطب تحت
القدور ومنها إلى كثرة الطبايح ، ومنها إلى كثرة الأكلة ، ومنها إلى كثرة
الضيافان ومنها إلى المقصود وكقوله :

وَمَا يَكُ فِي مِرٍّ عَيْبٍ فَإِنِّي جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ

فإنه ينتقل من جبن الكلب عن الهرير في وجهه من يدنو من دار من
هو بمرصد ، لأن يعس دونها مع كون الهرير في وجهه من لا يعرفه طبيعياً له
إلى استمرار تأديبه ، لأن الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب لا يقوى ، ومن

(١) الضرب : الرجل الخفيف اللحم ، ورجل خشاش : هو الماضي من
الرجال ، وشبهه تيقظه وذكاه ذهنه بتوقد رأس الحية .

الِإِنْتِقَالَ بِوَاسِطَةٍ فَبَعِيدَةٌ ، كَقَوْلِهِمْ : كَثِيرُ الرَّمَادِ ، كِنَايَةٌ عَنِ الْمَضْيَافِ
فَإِنَّهُ يُنْتَقَلُ مِنْ كَثَرَةِ الرَّمَادِ إِلَى كَثَرَةِ إِحْرَاقِ الْخَطَبِ تَحْتَ
الْقُدُورِ ، وَمِنْهَا إِلَى كَثَرَةِ الطَّبَائِخِ ، وَمِنْهَا إِلَى كَثَرَةِ الْأَكَلَةِ ،

ذلك إلى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوهاً إثر وجوه ،
ومن ذلك إلى كونه مقصد أدان وأقاص ، ومن ذلك إلى أنه مشهور بحسن قرى
الاضياف ، وكذلك ينتقل من هزال الفصيل إلى فقد الأم ، ومنه إلى قوة
الداعى إلى نحرها لكمال عناية العرب بالنوق لاسيما المثلثات (١) ، ومنها إلى
صرفها إلى الطبايح ، ومنها إلى أنه مضياف ومن هذا النوع قول نصيب :

لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ ظَاهِرَةٍ
مَبَابِلَ أَسهَلِ أَبْوَابِهِمْ وَدَارِكَ مَأْهُولَةٍ عَامِرَةٍ
وَكُنُوبِكَ آتَسُ بِالزَّائِرِينَ مِنَ الْأُمِّ بِالْإِبْنَةِ الزَّائِرَةِ

فإنه ينتقل من وصف كلبه بما ذكر إلى أن الزائرين معارف عنده ، ومن
ذلك إلى اتصال مشاهدته إياهم ليلاً ونهاراً . ومنه إلى لزومهم سدته ، ومنه
إلى تسنى مباحثهم لديه من غير انقطاع ، ومنه إلى وفور إحسانه إلى الخاص
والعام وهو المقصود ، ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر

يَكَاذُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يُكَاذُّهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ
ومنه قول إبراهيم بن هرمة :

لَا أُمْتَسِعُ الْعُودَ بِالْفِصَالِ وَلَا أَبْتَاغُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ

(١) أى التى لها أولاد تتلوها ، من أتلت الناقة : إذا تبعها ولد .

وَمِنْهَا إِلَى كَثْرَةِ الضَّيْفَانِ ، وَمِنْهَا إِلَى الْمَقْصُودِ . الثَّالِثَةُ : الْمَطْلُوبُ بِهَا
نِسْبَةً ، كَقَوْلِهِ :

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ وَالنَّدَى * فِي قُبَّةٍ ضَرَبَتْ عَلَى ابْنِ الْحُشْرِجِ
فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُثَبِّتَ اخْتِصَاصَ ابْنِ الْحُشْرِجِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ ، فَتَرَكَ
التَّصْرِيحَ بِأَنْ يَقُولَ إِنَّهُ مُخْتَصٌّ بِهَا أَوْ نَحْوَهُ إِلَى الْكِنَايَةِ بِأَنْ جَعَلَهَا

فَإِنَّهُ يَنْتَقِلُ مِنْ عَدَمِ إِسْتَاعِهَا إِلَى أَنَّهُ لَا يَبْقَى لَهَا فَصَالُهَا لِتَأْنِسَ بِهَا ، وَيَحْصُلُ لَهَا
الْفَرَحُ الطَّبِيعِيُّ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا ، وَمِنْ ذَلِكَ إِلَى نَحْرُهَا أَوْ لَا يَبْقَى الْعُودُ لِإِبْقَاءِ عَلَى
فَصَالُهَا ، وَكَذَا قَرَبَ الْأَجَلَ يَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى نَحْرُهَا وَمِنْ نَحْرُهَا إِلَى أَنَّهُ مُضَيَّافٌ .
وَمِنْ لَطِيفِ هَذَا الْقِسْمِ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ، أَيْ وَلَمَّا اشْتَدَّ نَدَمُهُمْ
وَحَسْرَتُهُمْ عَلَى عِبَادَةِ الْعَجَلِ ، لِأَنَّهُ مِنْ شَأْنِ مَنْ اشْتَدَّ نَدَمُهُ وَحَسْرَتُهُ أَنْ يَعْصُرَ
يَدَهُ غَمًّا فَتَصِيرَ يَدُهُ مَسْقُوطًا فِيهَا ، لِأَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِيهَا (نِسْبَةً) أَيْ لِإِثْبَاتِ
أَمْرٍ لِأَمْرٍ أَوْ نَفْيِهِ عَنْهُ ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ صَاحِبِ الْمِفْتَاحِ : إِنْ الْمَطْلُوبُ تَخْصِيصُ
الصِّفَةِ بِالْمَوْصُوفِ ، وَلَمْ يَرُدْ بِالتَّخْصِيصِ الْحُضْرَ إِذْ لَا وَجْهَ لَهُ هُنَا (كَقَوْلِهِ)
أَيْ قَوْلِ زِيَادِ الْأَعْجَمِ ، فَإِنَّهُ أَرَادَ كَمَا لَا يَخْفَى أَنْ يَثْبُتَ هَذِهِ الْمَعَانِي وَالْأَوْصَافُ
خِلَالَ اللَّمْدِ وَحِضْرَاتِهِ فِيهِ ، فَتَرَكَ أَنْ يَصْرَحَ فَيَقُولَ إِنَّهَا لِمَجْمُوعَةٍ فِيهِ أَوْ
مَقْصُورَةٍ عَلَيْهِ وَمَا شَاكِلَ ذَلِكَ بَلْ هُوَ صَرِيحٌ فِي إِثْبَاتِ الْأَوْصَافِ الْمَذْكُورِينَ بِهَا
وَعَدَلَ إِلَى مَا تَرَى مِنَ الْكِنَايَةِ وَالتَّلْوِيحِ لِجَعْلِ كَوْنِهَا فِي الْقُبَّةِ الْمَضْرُوبَةِ عَلَيْهِ
عِبَارَةً عَنْ كَوْنِهَا فِيهِ ، فَخَرَجَ كَلَامُهُ بِذَلِكَ إِلَى مَا خَرَجَ إِلَيْهِ مِنَ الْجَزَالَةِ وَظَهَرَ
فِيهِ مَا أَنْتَ تَرَى مِنَ الْفَخَامَةِ ، وَلَوْ أَنَّهُ أَسْقَطَ هَذِهِ الْوَاسِطَةَ مِنَ الْبَيْنِ لَمَا كَانَ
إِلَّا كَلَامًا غَفْلًا وَحَدِيثًا سَاذَجًا . وَمَا هُوَ لَطِيفٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ أَبِي مَوَاسٍ

فِي قُبَّةٍ مَضْرُوبَةٍ عَلَيْهِ ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُمْ : الْمَجْدُ بَيْنَ تَوْبِيهِ وَالْكَرَمُ بَيْنَ
بُرْدِيهِ ، وَالْمَوْصُوفُ فِي هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ قَدْ يَكُونُ غَيْرَ مَذْكَورٍ كَمَا يُقَالُ
فِي عَرَضٍ مَنْ يُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ : الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ . .
السَّكَائِيُّ : الْكِنَايَةُ تَتَفَاوَتْ إِلَى تَعْرِيضٍ وَتَلْوِيحٍ وَرَمْزٍ وَإِشَارَةٍ

فَمَا جَارَهُ جُودٌ وَلَا حَلٌّ دُونَهُ وَلَكِنْ يَصِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ

وقول الآخر :

يَصِيرُ أَبَاتُ قَرِينِ السَّمَاءِ وَالْمَكْرُمَاتِ مَعًا حَيْثُ صَارَا

وقول الثالث :

* وَحَيْثُمَا يَكُ أَمْرٌ صَالِحٌ تَكُنْ *

كل ذلك توصل إلى إثبات الصفة في الممدوح بإثباتها في المكان الذي يكون
فيه . وإلى لزومها له بلزومها الموضع الذي يحله . وهكذا إذا اعتبرت قول
الشنفرى الأزدي يصف امرأة بالغة :

يَدْبِيتُ بِمِنْجَاةٍ مِنَ اللَّوْمِ بَيْتُهَا إِذَا مَا بُيُوتُ بِالْمَلَامَةِ حُلَّتِ

وجدته يدخل في معنى بيت زياد . وذلك أنه توصل إلى نفي اللوم عنها
وإبعادها عنه بأن نفاه عن بيتها وباعد بينه وبينه . وكان مذهبه في ذلك مذهب
زياد في التوصل إلى جعل السباحة والمروءة والندى في ابن الحشرج ، بأن
جعلها في القبة المضروبة عليه ، وإنما الفرق أن هذا ينفي ذلك يثبت ، وذلك
فرق لا في موضع الجمع ، فهو لا يمنع أن يكونا من نصاب واحد (في عرض)
العرض بضم العين : الناحية والجانب ، يريد كما يقال في التعريض بمن يؤذى
المسلمين إلى الخ (كما يقال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) فإنه كناية عن

وإيماء ، والمناسب للعرضية التعريض ، والغيرها - إن كثرت
الوسائط - التلويح ، وإن قلت مع خفاء الرمز ، وبلا خفاء الإيماء
والإشارة ، ثم قال : والتعريض يكون مجازاً ، كقولك آذيتني

نفى الإسلام عن المؤذى (تتفاوت) يريد تتنوع (والمناسب للعرضية
التعريض) إليك عبارة السكاكي . متى كانت الكناية عرضية (١) كان إطلاق
التعريض عليها مناسباً (٢) وإذا لم تكن كذلك ، فإن كان بينها وبين الممكني
عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما في كثير الرماد وأشباهه كان إطلاق
اسم التلويح عليها مناسباً ، لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بعد وإن
كانت المسافة قريبة من نوع من الخفاء كعريض القفا وعريض الوسادة كان
إطلاق اسم الرمز عليها مناسباً ، لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على
سبيل الخفية قال :

رَمَزْتُ إِلَى مَخَافَةٍ مِنْ بَعَائِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُبْدَى هُنَاكَ كَلَامُهَا
ولم يكن هناك خفاء ، فالمناسب أن تسمى إيماء وإشارة ، كقول أبي
تمام يصف إبلا :

أَبَيَّنَ فَمَا يَزُرُّنَ سِوَى كَرِيمٍ وَجَسْبُكَ أَنْ يَزُرُّنَ أَبَا سَعِيدٍ
فإنه في إفادة أن أبا سعيد كريم غير خاف ، وكقول البحري :

(١) أي مسوقة لموصوف غير مذكور .
(٢) لأن التعريض إمالة الكلام إلى عرض أي جانب يدل على المقصود ،
يقال عرضت بفلان ولفلان : إذا قلت قولاً وأنت تعنيه ، فكأنك أشرت به
إلى جانب وأنت تريد جانباً آخر .

فَسَتَعْرِفُ ، وَأَنْتَ تُرِيدُ إِنْسَانًا مَعَ الْمُخَاطَبِ دُونَهُ ؛ وَإِنْ أَرَدْتَهُمَا جَمِيعًا
كَانَ كِدَايَةً وَلَا بُدَّ فِيهِمَا مِنْ قَرِينَةٍ .

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أُلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلْ
فَإِنَّهُ فِي إِفَادَةِ أَنْ آلَ طَلْحَةَ أَمَّا جَدُّ ظَاهِرٌ ، وَكَقَوْلِ الْآخِرِ :

إِذَا اللَّهُ لَمْ يَسْقِ إِلَّا الْكَرَامَ فَسَقَى وَجُوهَ بَنِي حَنْبَلٍ
وَسَقَى دِيَارَهُمْ نَكْرًا مِنَ الْغَيْثِ فِي الزَّمَنِ الْمُحِلِّ
وَكَقَوْلِ الْآخِرِ :

مَتَى تَخْلُو بِتَمِيمٍ مِنْ كَرِيمٍ وَمَسْلَمَةَ بْنِ عَمْرِو مِنْ تَمِيمٍ
وَأَمَّا قَوْلُهُ :

سَأَلْتُ النَّدَى وَالْجُودَ مَا لِي أَرَاكَ تَبَدَّلْتَا ذَلَا بَعْدَ مُؤَبَّدٍ
وَمَا بِالرَّكْنِ الْمَجْدَ أَمْسَى مَهْدَمًا فَقَالَا أَصْبْنَا بَابَ يَحْيَى مُحَمَّدٍ
فَقُلْتُ فُهَلَا مَتَا غُنْدُ مَوْتِهِ فَقَدْ كُنْتُمَا عَبْدَيْهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
فَقَالَا أَقْنَا كَيْ نَعْزِي بِفَقْدِهِ مَسَافَةَ يَوْمٍ ثُمَّ نَتْلُوهُ فِي غَدٍ

فَعَلَى مَا تَرَى مِنَ الظُّهُورِ (دُونَهُ) أَيْ دُونَ الْمُخَاطَبِ ، أَيْ لَا تُرِيدُ تَهْدِيدَهُ
أَيْ وَحَيْثُ تُرِيدُ بِهَذَا الْكَلَامِ تَهْدِيدَ غَيْرِ الْمُخَاطَبِ دُونَ الْمُخَاطَبِ صَارَتْ
تَاءُ الْخُطَابِ غَيْرُ مَرَادٍ بِهَا أَصْلَاهَا ، وَإِذَنْ يَكُونُ هَذَا الْكَلَامُ بِجَزَاءٍ وَتَكْمِلَةٍ ،
قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ : الْكِنَايَةُ أَنْ تَذْكُرَ الشَّيْءَ بِغَيْرِ لَفْظِهِ الْمَوْضُوعِ لَهُ ،
وَالْتَعْرِيفُ أَنْ تَذْكُرَ شَيْئًا يَدُلُّ بِهِ عَلَى شَيْءٍ لَمْ تَذْكُرْهُ ، كَمَا يَقُولُ الْمُحْتَاجُ الْحَاجُّ
إِلَيْهِ ، جِئْتُكَ لِأَسْلَمَ عَلَيْكَ وَلَا نَظَرَ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ ، وَلِذَلِكَ وَهَرَا : حَسْبُكَ
بِالتَّسْلِيمِ مَنِ تَقَاعَضِيًا ، فَكُنْ لَهُ إِمَالَةٌ الْكَلَامِ إِلَى عَرْضِ يَدُلُّ عَلَى الْمَقْصُودِ

﴿فصل﴾

أُطْبِقَ الْبَلَاغُ عَلَى أَنَّ الْمَجَازَ وَالْكِنَايَةَ أَبْلَغُ مِنَ الْحَقِيقَةِ وَالتَّعْصِيجِ ،
لِأَنَّ الْإِنْتِقَالَ فِيهِمَا مِنَ الْمَلْزُومِ إِلَى اللَّازِمِ فَهُوَ كَدَعْوَى الشَّيْءِ بَيِّنَةٌ ،
وَأَنَّ الْإِسْتِعَارَةَ أَبْلَغُ مِنَ التَّشْبِيهِ ، لِأَنَّهَا نَوْعٌ مِنَ الْمَجَازِ .

ويسمى التلويح ، لأنه يلوح منه ما يريد ، وقال ابن الأثير : الكناية ما دل على معنى يحوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما ، وتكون في المفرد والمركب ، والتعريض هو اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازي ، بل من جهة التلويح والإشارة ، فيختص باللفظ المركب كقول من يتوقع صلة والله لاني محتاج ، فإنه تعريض بالطلب مع أنه لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً ، وإنما فهم المعنى من عرض اللفظ أي جانبه ، وعرض كل شيء جانبه .

﴿فصل﴾ أجمع أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للدعائي ، على أن المجاز أبداً أبْلَغُ مِنَ الْحَقِيقَةِ ، وَالْكِنَايَةُ أَبْلَغُ مِنَ الْإِفْصَاحِ ، وَالتَّعْصِيجُ أَوْقَعُ مِنَ النَّصْرِيجِ ، وَأَنَّ الْإِسْتِعَارَةَ مَزِيَّةٌ وَفَضْلٌ عَلَى التَّصْرِيحِ بِالتَّشْبِيهِ قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ : لَيْسَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْوَاحِدَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ يَفِيدُ زِيَادَةً فِي الْمَعْنَى نَفْسَهُ لَا يَفِيدُهَا خِلَافَهُ ، بَلْ لِأَنَّهُ يَفِيدُ تَأْكِيداً لِإِثْبَاتِ الْمَعْنَى لَا يَفِيدُ خِلَافَهُ ، فَايَسَتْ فَضِيلَةُ قَوْلِنَا : رَأَيْتُ أَسَدًا عَلَى قَوْلِنَا رَأَيْتُ رَجُلًا هُوَ وَالْأَسَدُ سَوَاءٌ فِي الشَّجَاعَةِ ، أَنَّ الْأَوَّلَ أَفَادَ زِيَادَةً فِي مَسَاوَاتِهِ لِلْأَسَدِ فِي الشَّجَاعَةِ لَمْ يَفِدْهَا الثَّانِي ، بَلْ هِيَ أَنَّ الْأَوَّلَ أَفَادَ تَأْكِيداً لِإِثْبَاتِ تِلْكَ الْمَسَاوَاةِ لَهُ لَمْ يَفِدْهُ الثَّانِي . وَلَيْسَتْ فَضِيلَةُ قَوْلِنَا كَثِيرَ الرَّمَادِ عَلَى قَوْلِنَا كَثِيرَ الْقَرَى ، أَنَّ الْأَوَّلَ أَفَادَ زِيَادَةَ لِقِرَاءَةِ لَمْ يَفِدْهَا الثَّانِي ، بَلْ هِيَ أَنَّ الْأَوَّلَ أَفَادَ تَأْكِيداً لِإِثْبَاتِ كَثَرَةِ الْقَرَى لَهُ لَمْ يَفِدْهُ الثَّانِي ، فَالسَّبَبُ فِي أَنَّ الْكِنَايَةَ مَزِيَّةٌ لَا تَكُونُ لِلتَّصْرِيحِ ، أَنَّ كُلَّ عَاقِلٍ

﴿الْفَنُّ الثَّالِثُ عِلْمُ الْبَدِيعِ﴾

وَهُوَ عِلْمٌ يُعْرِفُ بِهِ وُجُوهَ تَحْسِينِ الْكَلَامِ بَعْدَ رِعَايَةِ الْمُطَابَقَةِ
وَوُضُوحِ الدَّلَالَةِ ، وَهِيَ ضَرْبَانِ : مَعْنَوِيٌّ وَنَمْطِيٌّ ، أَمَّا الْمَعْنَوِيُّ فَمِنْهُ

يعلم أن إثبات الصفة بإثبات دليها أكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها
فتثبتها هكذا ساذجاً غفلاً ، وذلك أنك لا تدعى دليل الصفة إلا والامر ظاهر
معروف ، وبحيث لا يشك فيه ولا يظن بالخبر التجوز والغلط ؛ وأما
الاستعارة : فسبب ما ترى لها من المزية والفخامة أنك إذا قلت رأيت أسداً ،
كنت قد تلطفت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة ، حتى جعلتها كالشيء
الذي يجب له الثبوت والحصول وكالامر الذي نصب له دليل يقطع بوجوده ،
وذلك أنه إذا كان أسداً فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة وكالمستحيل
أو الممتنع أن يعرف عنها ، وإذا صرحت بالتشبيه فقلت رأيت رجلاً كالأسد
كنت قد أثبتتها بإثبات الشيء بترجح بين أن يكون وبين ألا يكون ، ولم يكن
من حديث الوجوب في شيء (وجوه تحسين الكلام) لعلم أنه قد أطبق
البلغاء على أن هذه المحسنات البديعية لا سيما اللفظية منها لا تحل محلها من
القول ، ولا تقع موقفاً من الحسن ، حتى يكون المعنى هو الذي استدعاها .
وسايرها نحوه ، وحتى تجدها لا تبتغي بها بدلاً ولا تجد عنها حولا ، ومن هنا
ذم الاستكثار منها والولوع بها لأن المعاني لا تدين في كل موضع لها إذ هي في
الباب الفاظ ، والألفاظ خدوم المعاني ، مصروفة في حكمها ، فمن نصر اللفظ
على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته وأحاله عن طبيعته ، وذلك مظنة
الاستكراه . وفيه فتح أبواب الغيب والتعرض للشين ، ولهذا الحالة كان
كلام المتقدمين الذين تركوا فصل الاحتفاء بالبديعيات ولزموا سجية الطبع

المطابقة ، وتسمى الطباق والتضاد أيضاً ، وهي الجمع بين متضادين
أى معنيين متقابلين في الجملة ، ويكونان بلفظين من نوع اسمين

أمكن في القول وأوضح للراد ، وأسلم من التفاوت وأبعد من التعمد الذي
هو ضرب من الخداع بالتزويق . وقد تجد في كلام المتأخرين كلاماً حمل صاحبه
فرط شغفه بالبديعيات إلى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ويقول ليعين ، ويخيل
أنه إذا جمع بين أقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عناه في عمياء ،
وأن يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء ، وربما طمس بكثرة ما يتكلمه
على المعنى وأفسده كمن أثقل العروس بأصناف الحلى حتى ينالها من ذلك مكروه
في نفسها ، ولعمري إن تجد أيمن طائراً ، وأحسن أولاً وآخراً ، وأهدى إلى
الإحسان وأجلب ، مستحسان ، من أن ترسل المعاني على سجيته ، وتدعها تطلب
لأنفسها الألفاظ ، فإنها إذا تركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها ، ولم
تلبس من المعارض إلا ما يزينها ، فأما أن تضع في نفسك أنه لا بد من أن
تجنس أو تسجع اللفظين مخصوصين مثلاً فهو الذي أنت منه بعرض الاستكراه
وعلى خطر من الخطأ والوقوع في الذم ، وهو الذي يجعل عبارتك حرة
بقول أبي الطيب :

إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شَيْئِهَا وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبٌ

(أى معنيين متقابلين في الجملة) يعنى ليس المراد بالمتضادين ههنا الأمرين
الموجودين المتواردين على محل واحد بينهما غاية الخلاف ، كالسواد
والبياض ، بل أعم من ذلك وهو ما يكون بينهما تقابل وتناف في الجملة ،
ون بعض الأحوال سواء كان التقابل حقيقياً أو اعتبارياً وسواء كان تقابل
التضاد أو تقابل الإيجاب والسلب ، أو تقابل العدم والملك ، أو تقابل التضايف

نحو : وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ، أَوْ فَعِلَيْنِ نَحْوُ : يُحْيِي وَيُمِيتُ ،
أَوْ حَرْفَيْنِ ، نحو : لَمَّا مَا اكْتَسَبْتُمْ وَغَايَهَا مَا اكْتَسَبْتُمْ ، أَوْ مِنْ نَوْعَيْنِ
نحو : لَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : طَبَاقُ الْإِيحَابِ ، كما مرَّ ،

وما يشبه شيئاً من ذلك (نحو يحيي ويميت) مثله قوله تعالى : تَوَتَّى الْمَلِكُ مِنَ
تَشَاءُ وَتَنَزَعَ الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءُ وَتَعَزَّ مِنْ تَشَاءُ وَتَذَلَّ مِنْ تَشَاءُ . وقوله صلى الله
عليه وسلم الانصار : لانسكم لتكثرون عند الفزع ، وتفلون عند الطمع ،
وقول بشاره :

إِذَا أَيْقَظْتَكَ حُرُوبُ الْعِدَا فَنَبَهُ لَهَا عَمْرًا ثُمَّ نَمَ

(نحو لها ما كسبت) فإن في اللام معنى الانتفاع ، وفي على معنى
التضرر ، أى لها ما كسبت من خير ، وعليها ما اكتسبت من شر ، لا ينتفع
بطاعتها ، ولا يتضرر بمعصيتها غيرها ، وتخصيص الخير بالكسب والشر
بالاكتساب ، لأن الاكتساب فيه احتمال والشر تشبيه النفس وتنجذب إليه ،
فكانت أجد في تحصيله وأعمل ، وبما كان الطباق فيه بين حرفين قول الشاعر :

عَلَى أَنِّي رَاضٍ بِأَنْ أَجِلَّ الْهَوَى وَأَخْلَصَ مِنْهُ لَا عَلَى وَلَا لِيَا
(نحو أو من كان ميتاً فأحييناه) فإن أحدهما اسم والآخر فعل ، ومثله

قول طفيل الغنوى يصف فرساً :

بِسَاهِمِ الْوَجْهِ لَمْ تُقْطَعْ أَبَاجِيهُ يُصَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْدُولُ

هذا ، ومن لطيف الطباق قول أبي تمام :

أَصَمَّ بِكَ الشَّاعِي وَإِنْ كَانَ إِنْصَمَاءُ وَأَصْبَحَ مَعْنَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلَقَمَا
وقالوا هذا أحسن ابتداء في مرثية إسلامية . وقوله أيضاً :

وَطَبَاقُ السَّلْبِ نَحْوُ : وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ، وَنَحْوُ :
فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشَوْنِ ، وَمِنْ الطَّبَاقِ نَحْوُ قَوْلِهِ :
تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ نُحْرًا فَمَا أَتَى لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُتْدُسٍ خُفْرُ

وَضَلَّ بِكَ الْمُرْتَادُ مِنْ حَيْثُ يَهْتَدِي وَضَرَّتْ بِكَ الْأَيَّامُ مِنْ حَيْثُ تَنْفَعُ
وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لَا بِسُ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَنْجَزِعُ
ومنه قول كثير بن هراسة لابنه : يَا بَنِي إِنْ مِنْ النَّاسِ نَاسًا يَنْتَقِصُونَكَ إِذَا
زِدْتَهُمْ ، وَتَهْوِزُ عَلَيْهِمْ إِذَا أَكْرَمْتَهُمْ ، لَيْسَ لِرِضَاهُمْ مَوْضِعٌ فَتَقْصِدْهُ ، وَلَا لِسَخَطِهِمْ
مَوْضِعٌ فَتَحْذَرْهُ ، فَإِذَا عَرَفْتَ أَوَّلَكَ بِأَعْيَانِهِمْ ، فَأَبْدِ لَهُمْ وَجْهَ الْمَوَدَّةِ ، وَامْنَعِهِمْ
مَوْضِعَ الْخَاصَةِ . لَيْسَ كَوْنُ مَا أَبْدَيْتَ لَهُمْ مِنْ وَجْهِ الْمَوَدَّةِ حَاجِزًا دُونَ شَرِّهِمْ ،
وَمَا مَنَعْتَهُمْ مِنْ مَوْضِعِ الْخَاصَةِ قَاطِعًا بِحَرَمَتِهِمْ (وَطَبَاقُ السَّلْبِ) وَهُوَ أَنْ
يَجْمَعَ فِي الْكَلَامِ بَيْنَ الثَّبُوتِ وَالْإِنْفَاءِ . وَمِنْهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

هَضِمَ الْجَشَى لَا يَمْلَأُ الْكَفَّ خِفْرُهَا وَيَمْلَأُ مِنْهَا كُلَّ حِجَابٍ وَدُمْلَجٍ
وقول السموأل :

وَتُنْكَرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلُهُمْ وَلَا يُنْكَرُونَ الْقَوْلَ حِينَ تَقُولُ
وقول أبي تمام :

إِلَى سَالِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْ كُلِّ عَائِبٍ وَلَيْسَ لَهُ مَالٌ عَلَى الْجُرُودِ سَالِمٌ
(وَمِنْ الطَّبَاقِ نَحْوُ قَوْلِهِ) أَيْ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَرْتِي بِهَا أَبَا
نَهْشَلٍ حِينَ اسْتَشْهَدَ وَأَوَّلُهَا :

كَذَا فَلْيَجَلَّ الْخُطْبُ وَلْيَنْدَحِ الْأَمْرُ وَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفْعَرْ مَاوُهَا عَذْرُ

وَيَلْحَقُ بِهِ نَحْوُ : أَشَدَّاهُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاهُ بَيْنَهُمْ ، فَإِنَّ الرَّحْمَةَ
مُسَكَّبَةٌ عَنِ اللَّيْنِ ، وَنَحْوُ قَوْلِهِ :

وهي من أعيان المرائي . وهذا النوع من الطباق سماه بعضهم تدبيجاً ،
وفسره بأن يذكر في معنى المدح أو غيره ألوان بقصد الكناية أو التورية ،
أما تدبيج الكناية فكبيت أبي تمام فإنه ذكر فيه لون الحرة والخضرة ، وكنى
بالأول عن القتل وبالثاني عن دخول الجنة ، وأما تدبيج التورية فكقول
الحريري ، فذا زور المحبوب الأصفر ، واغبر العيش الأخضر ، أسود يومى
الابيض ، وابيض فودى الأسود ، حتى يرثى لى العدو الأزرق قياحاً الموت
الأحمر ، فقوله المحبوب الأصفر : تورية عن الذهب ، لأن معناه القريب لإنسان
له صفرة (هذا) ومن طباق التدريج قول عمرو بن كلثوم فى معاقته :

بَأَنَّا نُورِدُ الرَّايَاتِ بَيْضًا وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوَيْنَا

وقول ابن حيوس :

إِنْ تُرِدْ عِلْمَ حَالِهِمْ عَنْ يَقِينٍ فَالْقَهْمُ يَوْمَ نَائِلٍ أَوْ نِزَالٍ

تَلَقَّ بَيْضَ الْوُجُوهِ سَوْدَ مِثَارِ النَّقْعِ خُضْرَ الْأَكْنَفِ حُمْرَ النَّصَالِ

(خضر) : هو سرفوع على أنه خبر بعد خبر لا بالجر صفة لسندس ، لأن

القوافى مضمومة الروى (ويلحق به) أى بالطباق شيطان : فأولها الجمع بين

معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق مثل السبيبية والازوم كما فى

الآية ، فإن الرحمة وإن لم تكن مقابلة للشدة ، فهى مسببة عن اللين الذى هو ضد

الشدة ، وثانيهما الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما

لَا تَعْجَبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ * ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
وَيُسَمَّى الثَّانِي إِيهَامَ التَّضَادِّ ، وَدَخَلَ فِيهِ مَا يَخْتَصُّ بِاسْمِ الْمُقَابَلَةِ
وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى بِمَعْنَيْنِ مُتَوَافِقَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ ، ثُمَّ يَمَّا يُقَابِلُ ذَلِكَ عَلَى
التَّرْتِيبِ . وَالْمُرَادُ بِالتَّوَافُقِ خِلَافُ التَّقَابُلِ ، نَحْوُ : فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا
وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا .

الحقيقتان كما في البيت ، فإنه لا تقابل بين البكاء وظهور المشيب ، لكنه عبر
عن ظهور المشيب بالضحك الذي معناه الحقيقي مقابل للبكاء ، وهذا البيت
لدعبل وبعده :

قَدْ كَانَ يَضْحَكُ فِي شَبَابِهِ وَالْآنَ يَحْزَنُ كُلُّ مَنْ ضَحِكَ
لَا تَأْخُذَا بِظِلَالَتِي أَحَدًا قَائِي وَطَرَفِي فِي دَمِي اشْتَرَاكَ
ومثله قول أبي تمام :

مَا إِنْ تَرَى الْأَسْمَاءَ بَيْضًا وَضِيحًا إِلَّا بِحَيْثُ تَرَى الْمَلَايَا سُودًا
وفوله أيضاً في الشيب :

لَهُ مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَبْيَضٌ نَاصِعٌ وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ
(ويسمى الثاني إيهام التضاد) لأن المعنيين قد ذكرا بضمطين يوهمان
النضاد نظراً إلى الظاهر (فيه) أى في الطباق (ما يخص باسم المقابلة)
جعله السكاكي وغيره قسماً برأسه من المحسنات المعنوية (والمراد بالتوافق
خلاف التقابل) فلا يشترط أن يكون المعنيان متناسبين أو متماثلين (نحو
فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً) مثله قول الذبياني :

ونحو قوله :

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالْدُنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا * وَأَقْبَحَ الْكُفْرَ وَالْإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ
وَنَحْوُ : فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ،
وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ، وَالْمُرَادُ
بِاسْتِغْنَى أَنَّهُ زَهَدَ فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى كَأَنَّهُ اسْتَفْنَى عَنْهُ فَلَمْ يَتَّقِ ،
أَوْ اسْتَفْنَى بِشَهَوَاتِ الدُّنْيَا عَنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ فَلَمْ يَتَّقِ ، وَزَادَ السَّكَانِي :

فَتَيَّ تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوهُ الْأَعَادِيَا

(ونحو قوله) أى قول أبى دلالة ومثله قول أبى الطيب :

فَلَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْجُدُّ مُقْبِلٌ وَلَا الْبُخْلُ يُبْقِي الْمَالَ وَالْجُدُّ مُدْبِرٌ
هذا ، وإنما كرر المصنف كلمة نحو لانه مثل : أولاً لما كان فيه مقابلة
اثنين باثنين ، وثانياً لمقابلة ثلاثة بثلاثة ، وثالثاً لأربعة بأربعة والمقابلة فى الآية
الثانية مركبة من طباق وملحق به كما لا يخفى (وزاد السكاكى وإذا شرط) .
عبارته : المقابلة أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما ، ثم إذا
شرطت هنا شرطاً شرطت هناك ضده كقوله تعالى : فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى الْآيَتِينَ ،
لما جعل التيسير مشتركاً بين الإعطاء والانتقاء والتصديق جعل ضده ، وهو
التعسير مشتركاً بين أضداد تلك ، وهى المنع والاستغناء والتكذيب (ومنه)
أى ومن المعنوى (وقوله) أى قول البحرى فى وصف الإبل الانضاء .
ومثله قول أسيد فى عنقاء المزارى :

وَإِذَا شُرِطَ هُنَا أَمْرٌ شُرِطَ ثَمَّةٌ ضِدُّهُ كَهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا جُعِلَ
التَّيْسِيرُ مُشْتَرَكًا بَيْنَ الْإِعْطَاءِ وَالِاتِّقَاءِ وَالتَّصْدِيقِ جُعِلَ ضِدُّهُ مُشْتَرَكًا
بَيْنَ أَضْدَادِهِمَا . . . وَمِنْهُ مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ ، وَيُسَمَّى التَّنَاسُبَ وَالتَّوْفِيقَ ،
وَهُوَ جَمْعُ أَمْرٍ وَمَا يُنَاسِبُهُ لَا بِالتَّضَادِّ نَحْوُ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ،
وقوله :

كَالْقِسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَشْهُمِ مَثَرِيَّةً بِلِ الْأَوْتَارِ
وَمِنْهَا مَا يُسَمَّى بَعْضُهُمْ تَشَابُهَ الْأَطْرَافِ ، وَهُوَ أَنْ يُخْتَمَ الْكَلَامُ
بِمَا يُنَاسِبُ ابْتِدَاءَهُ فِي الْمَعْنَى ، نَحْوُ : لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ
الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ، وَيَلْحَقُ بِهَا نَحْوُ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ

كَأَنَّ الثَّرِيَّا غُلِقَتْ فِي جَبِينِهِ وَفِي خَدِّهِ الشَّعْرَى وَفِي وَجْهِهِ الْبَدْرُ
وقول ابن خنفاجة يصف فرساً :

مِنْ جُلُنَاكِ نَاضِرُ خَدِّهِ وَأُذُنُهُ مِنْ وَرَقِ الْأَسِي

أر (ومنها) من مراعاة النظير (نحو لا تدركه الأبصار) فإن اللطف يناسب
ما لا يدرك بالبصر ، والخبرة تناسب من يدرك شيئاً فإن من يدرك شيئاً يكون خبيراً
به (بها) أي بمراعاة النظير (نحو الشمس والقمر بحسبان) أي بحساب معلوم
وتقدير سوى ، والنجم : النبات الذي ينجم من الأرض لاساق له كالبقول والشجر
الذي له ساق ، وسجودهما : انقيادهما لله فيما خلقا له ، فالنجم بهذا المعنى وإن لم
يكن مناسباً للشمس والقمر ، فقد يكون بمعنى الكوكب وهو مناسب لهما

وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ، وَيُسَمَّى إِيهَامَ التَّنَاسُبِ . وَمِنْهُ الْإِرْصَادُ .

ولهذا سمي إيهام التناسب (ومنه الإرصاد) وهو في الأصل : نصب الرقيب في الطريق ، من رصده أي رقبته ، والرصيد : السبع الذي يرصد ليثب ، والرصد : القوم يرصدون كالحرس ، يستوى فيه الواحد والجمع المؤنث . وهذا النوع قالوا إنه من محمود الصنعة ، فإن خير الكلام ما دل بعضه على بعض ، وفي الافتخار به يقول ابن نباتة السعدي :

خُذْهَا إِذَا أَنْشِدْتَ فِي الْقَوْمِ مِنْ طَرَبٍ ضُدُّورُهَا عُرِفَتْ مِنْهَا قَوَافِيهَا
يَنْتَسِي لَهَا الرَّأِيبُ الْعَجَلَانَ حَاجَتَهُ وَيُضْبِحُ الْخَاسِدُ الْغَضْبَانَ يَطْوِيهَا

ومن لطيف هذا النوع قول زهير :

سَمِيتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ
وقول الراعي :

وَإِنْ وُزِنَ الْحَقَى فَوَزَنَتْ قَوْمِي وَجَدْتُ حَصَى خَرِيْبَتِهِمْ رَزِينًا
وقول البحري :

أَبْكَيْكُمَا دَمْعًا وَلَوْ أَنِّي عَلَى قُدْرِ الْجَوَى أَبْكِي بِكَيْتُكُمَا دَمْعًا
وقوله أيضا :

أَحَلَّتْ دَمِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَحَرَّمَتْ بِلَا سَبَبٍ يَوْمَ اللُّقَاءِ كَلَامِي
فَلَيْسَ الَّذِي حَلَّتْهُ بِمُحَالٍ وَلَيْسَ الَّذِي حَرَّمَتْهُ بِحَرَامِ
فليس يذهب على السامع ، وقد عرف القافية وصدر البيت الثاني ، أن

وَيُسَمِّيهِ بَعْضُهُمُ التَّسْهِيمَ ، وَهُوَ أَنَّ يُجْعَلَ قَبْلَ الْعَجْزِ مِنَ الْفَقْرَةِ أَوْ الْبَيْتِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ إِذَا عُرِفَ الرَّوْيُ نَحْوُ : وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ، وقوله :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
وَمِنْهُ الْمَشَاكَلَةُ ، وَهِيَ ذِكْرُ الشَّيْءِ بِلَفْظٍ غَيْرِهِ لَوْ قُوعِهِ فِي مُحِبَّتِهِ
بِتَحْقِيقٍ أَوْ تَقْدِيرٍ ، فَالْأَوَّلُ نَحْوُ قَوْلِهِ .

قَالُوا اقْتَرِحْ شَيْئًا نُجِدُ لَكَ طَبِخَهُ قُلْتُ اطْبُخُوا لِي حَبَّةً وَقِيصًا
وَنَحْوُ : تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، وَالثَّانِي نَحْوُ : صِبْغَةُ
اللَّهِ ، وَهُوَ مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ لَأَمْنًا بِاللَّهِ ، أَيْ تَطْهِيرَ اللَّهِ ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ

عجزه هو ما قاله البحترى (التسميم) من البرد ، المسمم : أى المخطط (إذا لم تستطع) هو لعمر بن معد يكرب (نحو قوله) أى قول ابن الرقعمق فإنه ذكر خياطة الجبة بلفظ الطبخ لوقوعها في صحبة طبخ الطعام (ونحوه تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) حيث أطلق النفس على ذات الله تعالى لوقوعه في صحبة نفسي وهذا ، ومن لطيف المشاكلة قول عمرو بن كلثوم :

أَلَا لَا يَجْهَلَانِ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

(وهو مصدر مؤكد لآمنا بالله) أصل هذا الكلام لصاحب الكشاف رحمه الله قال : صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله ، وهو فعلة من صبغ كالجلسة من جاس ، والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس .

يُطَهَّرُ النَّفُوسَ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا يَغْمِسُونَ أَوْلَادَهُمْ فِي مَاءٍ
أَصْفَرَ يُسَمُّونَهُ الْمَعْمُودِيَّةَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ تَطْهِيرٌ لَهُمْ ، فَعُسِّرَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ

وَالْأَصْلُ فِيهِ أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا يَغْمِسُونَ أَوْلَادَهُمْ فِي مَاءٍ أَصْفَرَ يُسَمُّونَهُ
الْمَعْمُودِيَّةَ ، وَيَقُولُونَ هُوَ تَطْهِيرٌ لَهُمْ ، وَإِذَا فَعَلَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بَوْلَدَهُ ذَلِكَ قَالَ
الآن صار نصرانياً حقاً ، فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم قولوا آمنا بالله
وسبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا ،
أو يقول المسلمون صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتك ، وإنما جرى
بالصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الأشجار : اغرس كما يغرس
فلان ، تريد رجلاً يصنع الكرم . قال في الإيضاح بعد هذا النوع : ومنه
الاستطراد وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول
التوصل إلى ذكر الثاني كقول الحماني :

وَإِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ

وعليه قوله تعالى : يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتَكُمْ وَرِيشًا
وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَذَكَّرُونَ . قال الزخشي :
هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر السوات ، وخصف الورق
عليها إظهاراً للجنة فيما خاف الله من اللباس ، ولما في العري وكشف العورة من
المهانة والفضيحة ، وإشعاراً بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى هذا
أصله ، وقد يكون الثاني هو المقصود فيذكر الأول قبله ليتوصل إليه كقول
أبي إسحاق الصابي :

إِنْ كُنْتُ خُنْتُكَ فِي الْمَوَدَّةِ سَاعَةً فَذَمَّمْتُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمُخْشُودَا

بِصِبْغَةِ اللَّهِ لِلْمُشَارَكَةِ بِهَذِهِ الْقَرِينَةِ . وَمِنْهُ الْمَزَاجَةُ : وَهِيَ أَنْ يُزَاجَ
بَيْنَ مَعْنَيَيْنِ فِي الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ ، كَقَوْلِهِ :

إِذَا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بِي الْهَوَى أَصَاخَتْ إِلَى الْوَاشِي فَلَجَّ بِهَا الْهَجَرُ
وَمِنْهُ الْعَكْسُ ، وَهُوَ أَنْ يُقَدَّمَ جُزْءٌ مِنَ الْكَلَامِ ثُمَّ يُؤَخَّرَ ، وَيَقَعُ
عَلَى وُجُوهِهِ ، مِنْهَا أَنْ يَقَعَ بَيْنَ أَحَدِ طَرَفَيْ جُمْلَةٍ وَمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ نَحْوُ :
عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ . وَمِنْهَا أَنْ يَقَعَ بَيْنَ مُتَمَلِّقَيْنِ فَمَلَيْنِ

وَزَعَمْتُ أَنْ لَهُ شَرِيكًا فِي الْعَلَا وَجَعَدْتُهُ فِي فَضْلِهِ التَّوْحِيدَا
قَسَمًا لَوْ أَنِّي خَالِفٌ بِغَمُوسِيهَا لِغَرِيمِ دَيْنٍ مَا أَرَادَ مَزِيدَا
وَلَا بَأْسَ أَنْ يَسْمَى هَذَا لِإِيهَامِ الْاسْتِطْرَادِ (أَنْ يُزَاجَ) أَيْ يَجْعَلَ
مَعْنَيَانِ وَاقِعَانِ فِي الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ ، مُزْدَوَجَيْنِ فِي أَنْ يَرْتَبَ عَلَى كُلِّ مَنِهَا
مَعْنَى مُرْتَبَ عَلَى الْآخِرِ (كَقَوْلِهِ) أَيْ قَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ ، فَقَدْ زَاجَ بَيْنَ نَهْيِ النَّاهِي
وِلِصَاخَتِهَا لِلوَاشِي ، الْوَاقِعَيْنِ فِي الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ فِي أَنْ يَرْتَبَ عَلَيْهِمَا لَجَاجُ شَيْءٍ ،
وَمِنْ الْمَزَاجَةِ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ أَيْضًا :

إِذَا احْتَرَبْتَ يَوْمًا فَمَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى فَمَاضَتْ دُمُوعُهَا
فَزَاجَ بَيْنَ الْإِحْتِرَابِ وَتَذَكُّرِ الْقُرْبَى الْوَاقِعَيْنِ فِي الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ فِي تَرْتِبِ
فَيْضَانِ شَيْءٍ عَلَيْهِمَا (وَمِنْهُ الْعَكْسُ) قَالُوا . وَهُوَ أَنْ تَقْدَمَ فِي الْكَلَامِ جُزْأُ ثُمَّ
تَعَكَّسَ فَتَقْدَمَ مَا أَخَّرْتَ وَتُؤَخَّرَ مَا قَدَّمْتَ وَهَذَا أَوْضَحُ بِمَا قَالَهُ الْمَصْنِفُ (أَضِيفَ)

فِي بُجْلَتَيْنِ ، نَحْوُ : يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ،
وَمِنْهَا أَنْ يَتَعَ بَيْنَ لَفْظَيْنِ فِي طَرَفَيْ بُجْلَتَيْنِ ، نَحْوُ : لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ * وَمِنْهُ الرُّجُوعُ ، وَهُوَ الْعَوْدُ إِلَى الْكَلَامِ السَّابِقِ
بِالنَّقْضِ لِنُسْكَتِهِ ، كَقَوْلِهِ :

قِفْ بِالْذِّبَارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا الْقَدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ
وَمِنْهُ التَّوَرِيَّةُ ، وَيُسَمَّى الْإِيهَامُ أَيْضًا ؛ وَهُوَ : أَنْ يُطْلَقَ لَفْظٌ لَهُ

أَي ذَلِكَ الطَّرَفِ (نَحْوُ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) مِثْلُهُ قَوْلُ الْحَاسِي :

فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ الشُّودَ بَيْضًا وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودًا

(نَحْوُ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ) مِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :

فَلَا تَجِدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

وَقَوْلُ الْآخِرِ :

إِنَّ اللَّيْسَ إِلَى الْأَنَامِ مَنَاهِلٌ تَطْوِي وَتُنَشِّرُ دُونَهَا الْأَعْمَارُ
فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الْهُمُومِ طَوِيلَةٌ وَطَوَالُهُنَّ مَعَ الشُّرُورِ قِصَارٌ

(قِفْ بِالذِّبَارِ) هُوَ لَزْهِيرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى : الْأَرْوَاحُ : الرِّيحُ ، وَالْدِّيمُ

جَمْعُ دِيمَةٍ : وَهِيَ الْمَطَرُ الدَّائِمُ فِي سَكُونٍ . فَقَدْ دَلَّ صَدْرُ الْبَيْتِ عَلَى أَنَّ تَطَاوُلَ

الزَّمَانِ وَتَقَادُمَ الْعَهْدِ لَمْ يَعْفِ الدِّيارَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ وَنَقَضَهُ بِأَنَّهُ قَدْ غَيَّرَهَا الرِّيحُ

وَالْأَمْطَارُ لِنُسْكَتِهِ ، وَهُوَ إِظْهَارُ الْكَآبَةِ وَالْحُزْنِ وَالْحَيْرَةِ وَالدَّهْشَةِ ، حَتَّى كَأَنَّهُ

أَخْبَرَ أَوَّلًا بِمَا لَمْ يَتَحَقَّقْ ، ثُمَّ ثَابَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ فَتَدَارَكَ كَلَامَهُ ، فَقَالَ بَلَى ، وَغَيْرَهَا

الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ ، وَمِثْلُ هَذَا بَيْتُ الْحَاسِي :

مَعْنَيَانِ قَرِيبٌ وَبَعِيدٌ وَيُرَادُ الْبَعِيدُ ، وَهِيَ ضَرْبَانِ : مُجَرَّدَةٌ ، وَهِيَ الَّتِي لَا تُجَامِعُ شَيْئًا مِمَّا يَلَاثِمُ الْقَرِيبَ ، نَحْوُ : الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ، وَمُرْشِحَةٌ نَحْوُ : وَالسَّمَاءُ بَدِينَاهَا بِأَيْدٍ . وَمِنْهُ الْإِسْتِخْدَامُ : وَهُوَ أَنْ يُرَادَ بِلَفْظٍ لَهُ مَعْنَيَانِ : أَحَدُهُمَا تُنْمَ يُرَادُ بِضَمِيرِهِ الْآخِرُ ، أَوْ يُرَادُ بِأَحَدِ ضَمِيرَيْهِ أَحَدُهُمَا تُنْمَ يُرَادُ بِالْآخِرِ الْآخِرُ ، فَالْأَوَّلُ كَقَوْلِهِ :

أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظْرَةً إِنْ نَظَرْتَهَا إِلَيْكَ وَكَأَنَّ لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلٌ
وقول الآخر :

فَأَفٍّ لِهَذَا الدَّهْرِ لَا بَأْسَ لِأَهْلِهِ

(نحو الرحمن على العرش استوى) فإنه أريد باستوى معناه البعيد ، وهو استوى ولم يقترن به شيء مما يلاثم القريب الذي هو الاستقرار (ومرشحة) وهي التي قربت بها ما يلاثم القريب المورى به عن البعيد (نحو والسماء بدينها بأيد) فإن المراد بالأيدى المعنى البعيد وهو القدرة ، وقد قرن بها ما يلاثم القريب الذي هو الجارحة المخصوصة وهو قوله بدينها ، هذا ، والذي ذكره صاحب الكشف في قوله تعالى : الرحمن على العرش استوى إنه تمثيل لأنه لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يرادف الملك جعلوه كناية عن الملك ، ولما امتنع ههنا المعنى الحقيقي صار مجازاً كقوله : وقالت اليهود يد الله مغلولة ، أي هو بخيل ، بل يدها ميسوطتان أي جواد من غير تصور يد لا غل ولا سبط ، والتفسير بالنعمة والتحجّل للتشبيه ، من ضيق

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضٍ قَوْمٌ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا
وَالثَّانِي كَقَوْلِهِ :

فَسَقَى الْغُضَى وَالسَّاكِنِيهِ وَإِنْ هُمْ شَبُوهُ بَيْنَ جَوَانِحِي وَضُلُوعِي
وَمِنْهُ اللَّفْ وَالنَّشْرُ : وَهُوَ ذِكْرٌ مُتَعَدِّدٌ عَلَى التَّفْصِيلِ ، أَوْ الْإِجْمَالِ ،
ثُمَّ مَا لِكُلِّ وَاحِدٍ ، مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ ، ثِقَّةً بِأَنَّ السَّامِعَ يَرُدُّهُ إِلَيْهِ ،

لعطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام ، وكذلك قوله جل شأنه :
والسما بنيناها بأيدٍ ، تمثيل وتصوير لعظمته من غير ذهاب بالأيدى إلى جهة
حقيقة أو مجاز (١) ، وقد شدد النسكير على تفسير اليد بالنعمة والأيدى
بالقدرة والاستواء بالاستيلاء ، وقد ذكر الشيخ في دلائل الإعجاز ما يؤيد ذلك ،
وشنع على من يذهب هذه المذاهب من المفسرين أكبر تشنيع ، حتى لقد
قال : ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم أن توهموا أبدأ في الألفاظ
الموضوعة على المجاز والتمثيل أنها على ظواهرها ، فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا
الغرض ، ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة ، وبمكان
الشرف ، وناهيك بهم إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه وجعلوا يكثرون
في غير طائل هناك ترى ما شئت من باب جهل قد فتحوه ، وزند ضلالة قد
قدحوا به ، نسأل الله تعالى العصمة والتوفيق (كقوله إذا نزل) فإنه أراد
بالسما الغيث ، وبضميرها النبت ، والبيت قيل للجرير ، وقيل لمؤذ الحكماء
(كقوله فسقا الغضا) فإنه أراد بضمير الغضا في قوله والساكنيه المكان ،
وفي قوله شبوه : أى أوقدوا الشجر ، والبيت للبحترى من قصيدة بائية وحقيقته :
فسقى الغضا والساكنيه وإن هم شبوه بين جوانح وقلوب

(١) يعنى المجاز المرسل ، وإلا فهو مجاز بالاستعارة لأنه تمثيل كما قال .

فَالْأَوَّلُ ضَرْبَانِ : لِأَنَّ النَّشْرَ إِمَّا عَلَى تَرْتِيبِ الْهَاءِ نَحْوُ : وَمِنْ رَحْمَتِهِ
جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، وَإِمَّا عَلَى غَيْرِ
تَرْتِيبِهِ ، كَقَوْلِهِ :

كَيْفَ أَسْلَوْا أَنْتِ حَقْفٌ وَغُصْنٌ وَغَزَالٌ لَحْظًا وَقَدًا وَرِدْفًا
وَالثَّانِي نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا

(نحو ومن رحمته) مثله قول ابن حيوس :

فِعْلُ الْمَدَامِ وَلَوْ نَهَا وَمَذَاقُهَا فِي مُقْلَتَيْهِ وَوَجْنَتَيْهِ وَرَبِيقِهِ
وقول ابن الرومي :

أَرَأَيْتُمْ وَوُجُوهَكُمْ وَسُيُوفَكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ نَجُومٌ
فِيهَا مَعَالِمٌ لِلْهَدَى وَمَصَابِيحُ تَجَلُّو الدَّجَى وَالْأُخْرِيَّاتُ رُجُومٌ

(كقولهِ) أى قول ابن حيوس . والحقف : الرمل العظيم المستدير يشبه
به الكنل في العظم والاستدارة ، فاللحظ للغزال ، والقذ : للغصن ، والردف :
للحقف . وهذا ، وهناك نوع آخر من اللف لطيف المسلك ، وهو أن يذكر
متعدد على التفصيل ثم يذكر ما اسكل ويؤتى بعده بذكر ذلك المتعدد على الإجمال
ملفه ظاً أو مقدراً فيمع النشر بين المعطين : أحدهما مفصل والآخر مجمل ، وعلى
هذا جاء قوله تعالى : فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر
فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا
الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون . قال صاحب الكشاف : الفعل المعلن
مخدوف مدلول عليه بما سبق تقديره : ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما

أَوْ نَصَارَى ، أَيْ قَالَتِ الْيَهُودُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا ، وَقَالَتِ
النَّصَارَى لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ نَصَارَى ، فَلَفَّ لِعَدَمِ الْإِلْتِبَاسِ ،
لِلْعِلْمِ بِتَضْلِيلِ كُلِّ فَرِيقٍ صَاحِبِهِ . وَمِنْهُ الْجُمُعُ : وَهُوَ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ
مُتَعَدِّ فِي حُكْمٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ،
وَنَحْوُ قَوْلِهِ :

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيْ مَفْسَدَةٌ
وَمِنْهُ التَّفْرِيقُ : وَهُوَ إِيقَاعُ تَبَايُنٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ ، مِنْ نَوْعٍ ، فِي الْمَدْحِ
أَوْ غَيْرِهِ ، كَقَوْلِهِ :

مَا نَوَالُ الْغَنَامِ وَقْتَ رَبِيعٍ كَنَوَالِ الْأُمَيْرِ وَقْتَ سَخَاءِ

هَذَا كَمَوْلَاكُمْ تَشْكُرُونَ ، شَرَعَ ذَلِكَ يَعْنِي جُمْلَةً مَازَكَرَ مِنْ أَمْرِ الشَّاهِدِ بِصَوْمِ
الشَّهْرِ ، وَأَمْرِ الْمُرْخَصِ بِمِرَاعَاةِ عِدَّةٍ مَا أَفْطَرَ فِيهِ ، وَمِنْ التَّرْخِيصِ فِي إِبَاحَةِ
الْفِطْرِ ، فَقَوْلُهُ لَتَكْمَلُوا : عِلَّةُ الْأَمْرِ بِمِرَاعَاةِ الْعِدَّةِ ، وَلَتَكْبَرُوا : عِلَّةُ مَا نَعْلَمُ مِنْ
كَيْفِيَةِ الْقَضَاءِ وَالْخُرُوجِ مِنْ عِدَّةِ الْفِطْرِ ، أَوْلَاكُمْ تَشْكُرُونَ : عِلَّةُ التَّرْخِيصِ
وَالْتَيْسَرِ ، وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الْإِلْفِ لَطِيفِ الْمَسْلُوكِ لَا يَكَادُ يَهْتَدِي إِلَى تَبْيِينِهِ إِلَّا النَّقَابُ
الْمَحْدَثُ مِنَ عِلْمَاءِ الْبَيَانِ (إِنَّ الشَّبَابَ) هُوَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، وَالْجِدَّةُ : الْإِسْتِغْنَاءُ
(مَا نَوَالُ الْغَنَامِ) هُوَ لِرَشِيدِ الدِّينِ الْوُطَوَاطِ . وَبَدْرَةُ الْعَيْنِ : جِلْدٌ وَلَدُ الضَّأْنِ
مَمْلُوءٌ مِنَ الدَّرَاهِمِ . فَفَعْدٌ أَوْ قَعٌ التَّبَايُنُ بَيْنَ النَّوَالَيْنِ مَعَ أَنَّهُمَا مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ وَهُوَ
مُطْلَقُ نَوَالٍ ، وَمِنْ لَطِيفِ هَذَا النَّوْعِ قَوْلُهُ :

مَنْ قَلَسَ جَدَّوَاكَ بِالْغَنَامِ فَمَا أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكْلَيْنِ

فَنَوَالُ الْأَسِيرِ بِدَرَّةٍ عَيْنٍ * وَنَوَالُ الْغَمَامِ قَطْرَةٌ مَاءٍ
وَمِنْهُ التَّقْسِيمُ : وَهُوَ ذِكْرُ مُتَعَدِّدٍ ، ثُمَّ إِضَافَةُ مَا لِكُلِّ إِلَيْهِ عَلَى
التَّعْيِينِ ، كَقَوْلِهِ :

وَلَا يَقِيمُ عَلَى ضِيمٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ
هَذَا عَلَى الْخُسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْتِي لَهُ أَحَدٌ
وَمِنْهُ الْجُمْعُ مَعَ التَّفْرِيقِ : وَهُوَ أَنْ يَدْخَلَ شَيْئَانِ فِي مَعْنَى وَيُفَرَّقَ

أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَدًا * وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعُ الْعَيْنِ
(وهو ذكر متعدد) وقال السكاكي هو أن تذكر شيئاً ذا جزئين أو أكثر ،
ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك كقوله :

أَدِيْبَانِ فِي بَلْعٍ لَا يَأْكُلَانِ إِذَا صَحِبَا الْمَرْءَ غَيْرَ الْكَبِدِ
فَهَذَا طَوِيلٌ كَقَوْلِ الْقَنَاءِ وَهَذَا قَصِيرٌ كَقَوْلِ الْوَتْدِ

وهذا يقتضى أن يكون التقسيم أعم من اللف والنشر (كقوله ولا يقيم)
البيتان للتلس : الضيم : الظلم ، والعير : الحمار غاب على الوحشى . والمناسب هنا
الأهلى ، والخسف : الذل ، والرمة : قطعة من جبل ، والشج : الدق والكسر ،
والمعنى ظاهر ، فقد ذكر العير والوتد ، ثم أضاف إلى الأول الربط مع الخسف ،
وإلى الثانى الشج على التعيين . ومن جيد التقسيم قول أبى تمام :

فَمَا هُوَ إِلَّا الْوَحْيُ أَوْ حَدُّ مَرْهَفٍ تَمِيلُ خُطْبَاهُ أَخْدَعَى كُلِّ مَائِلٍ
فَهَذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ وَهَذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ جَاهِلٍ

بَيْنَ جِهَتَيْهِ الْإِدْخَالِ ، كَقَوْلِهِ :

فَوَجَّهَكَ كَالنَّارِ فِي ضَوْئِهَا وَقَابَى كَالنَّارِ فِي حَرِّهَا
وَمِنْهُ الْجَمْعُ مَعَ التَّقْسِيمِ : وَهُوَ جَمْعٌ مُتَعَدِّدٌ تَحْتَ حُكْمٍ ، ثُمَّ
تَقْسِيمُهُ ، أَوْ الْعَكْسُ ، فَالْأَوَّلُ كَقَوْلِهِ :

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضٍ خَرَشْنَةَ تَشَقَّى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلَبَانُ وَالْبَيْعُ
لِلسَّبِي مَا نَكَّحُوا وَالْقَتْلَ مَا وَلَدُوا وَالنَّهْبَ مَا جَمَعُوا وَالنَّارَ مَا زَعَمُوا
وَالثَّانِي كَقَوْلِهِ :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاءِهِمْ نَفَعُوا

(كَقَوْلِهِ فَوَجَّهَكَ) فَقَدْ شَبَّهَ وَجْهَ الْحَبِيبِ وَقَلْبَ نَفْسِهِ بِالنَّارِ ، وَفَرَّقَ بَيْنَ
وَجْهِهِ الْمَشَابَهَةِ وَالْبَيْتِ لِلْوَطْوَاطِ (أَوْ الْعَكْسِ) أَيْ تَقْسِيمٍ مُتَعَدِّدٍ . ثُمَّ جَمَعَهُ
تَحْتَ حُكْمٍ (حَتَّى أَقَامَ) الْبَيْتَانِ لِلتَّنْبِيْهِ ، وَالْأَرْبَاضُ جَمْعُ رَبَضٍ : وَهُوَ مَا حَوْلَ
الْمَدِينَةِ . وَخَرَشْنَةُ : بَلَدٌ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَالشَّاهِدُ فِي الْبَيْتَيْنِ ظَاهِرُ (كَقَوْلِهِ قَوْمٌ)
الْبَيْتَانِ لِحَسَانِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَالْبَدْعُ جَمْعُ بَدْعَةٍ : وَهِيَ الْحَدِيثُ فِي الدِّينِ بَعْدَ الْكَمَالِ ،
وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا مُحَدَّثَاتُ الْأَخْلَاقِ . فَقَدْ قَسَمَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ صِفَةَ الْمَدُودِحِينَ
إِلَى ضَرِّ الْأَعْدَاءِ وَنَفْعِ الْأَوْلِيَاءِ ، ثُمَّ جَمَعَهُمَا فِي الْبَيْتِ الثَّانِي حَيْثُ قَالَ سَجِيَّةُ
تِلْكَ ، وَمِنْ لَطِيفِ هَذَا الضَّرْبِ قَوْلُ الْآخَرِ :

لَوْ أَنَّ مَا أَنْشَأْتُمْ فِيهِ يَدُومُ لَكُمْ ظَنَنْتُ مَا أَنَا فِيهِ دَائِمًا أَبَدًا
لَكِنْ رَأَيْتُ اللَّيَالِيَ غَيْرَ تَارِكَةٍ مَاسَرَّةٍ مِنْ حَدِيثٍ أَوْ سَاءٍ مُطَرِّدَا

سَجِيَّةً تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ * إِنَّ الْخَلَائِقَ فَأَعْلَمَ شَرُّهَا الْبِدْعُ
وَمِنْهُ الْجَمْعُ مَعَ التَّفْرِيقِ وَالتَّقْسِيمِ : كَقَوْلِهِ تَعَالَى : يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ
نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا
زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ
إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوذٍ . وَقَدْ يُطْلَقُ التَّقْسِيمُ
عَلَى أَمْرَيْنِ آخَرَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ تُذَكَّرَ أَجْوَالُ الشَّيْءِ مُضَافًا إِلَى كُلِّ
مَا يَلِيْقُ بِهِ ، كَقَوْلِهِ :

فَقَدْ سَكَنتُ إِلَى أَنِّي وَأَنْتُمْ سَنَسْتَجِدُّ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ غَدًا

فَقَوْلُهُ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ جَمْعٌ لِمَا قَسَمَ لَطِيفٌ ، وَقَدْ أَرَادَ لَطْفًا بِحَسَنِ مَا بَنَاهُ
عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ فَقَدْ سَكَنتُ إِلَى أَنِّي وَأَنْتُمْ (كَقَوْلِهِ تَعَالَى يَوْمَ يَأْتِي) أَمَّا الْجَمْعُ
فَفِي قَوْلِهِ : يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَإِنْ قَوْلُهُ نَفْسٌ مُتَعَدِّدٌ مَعْنًى ، وَأَمَّا
التَّفْرِيقُ فِي قَوْلِهِ : فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ . وَأَمَّا التَّقْسِيمُ فِي قَوْلِهِ : فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا
إِلَى آخِرِ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ . يَأْتِي أَيْ اللَّهُ سَبْحَانَهُ ، أَيْ أَمْرُهُ أَوْ يَأْتِي الْيَوْمَ أَيْ هَوْلُهُ ،
وَالزَّفِيرُ : إِخْرَاجُ النَّفْسِ بِشِدَّةٍ . وَالشَّهِيقُ : رَدُّهُ بِشِدَّةٍ ، وَغَيْرُ مَجْذُوذٍ : غَيْرُ
مَقْطُوعٍ ، وَمِنْ هَذَا النُّوعِ قَوْلُ ابْنِ شَرَفٍ الْفَيْرَوَانِي :

لِمُخْتَلَفِي الْحُجَّاتِ جَمْعٌ بِبَابِهِ فَيَهْدَا لَهُ فَنٌّ وَهَذَا لَهُ فَنٌّ
فَالْإِخَامِلُ الْمَلِيًّا وَالْمُعْدِمُ الْغَنَى وَالْمَذْنِبُ الْعَثِي وَالْإِخَائِفُ الْأَمْنُ

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَاءِ وَمَشَايِخِ كَانَتْهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّشَمُّوا مُرْدُ
يُقَالُ إِذَا لَاقَوْا خِفَافٌ إِذَا دُعُوا كَثِيرٌ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٌ إِذَا عُدُّوا
وَالثَّانِي : اسْتِيفَاءُ أَقْسَامِ الشَّيْءِ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً

(كَقَوْلِهِ سَأَطْلُبُ) الْبَيْتَانِ الْمَتْنِي ، وَالْقَنَاءُ : الرِّمَاحُ وَأَرَادَ بِالْمَشَايِخِ قَوْمَهُ ،
وَالْإِلْتِمَامُ : وَضْعُ اللَّثَامِ عَلَى الْفَمِ وَالْأَنْفِ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ دَابِّ الْعَرَبِ ، فَقَوْلُهُ
مِنْ طُولِ مَا التَّشَمُّوا : أَيْ شَدُّوا اللَّثَامَ حَالَةَ الْحَرْبِ ، يَرِيدُ كَثِيرًا مَا شَنُّوا
الْفَارَاتِ ، ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِشِدَّةِ الْوِطَاطَةِ عَلَى الْعَدَا وَالْثَبَاتِ عَلَى الْإِقَاءِ ، وَأَنَّهُمْ
مُسْرِعُونَ إِلَى الْإِجَابَةِ إِذَا دُعُوا إِلَى كِفَايَةِ مَهْمٍ ، وَمَدَافِعَةِ خُطْبٍ مَدْلُومٍ ، وَأَنَّهُ
الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يَقُومُ مَقَامَ جَمَاعَةٍ مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَقَدْ ذَكَرَ أَحْوَالَ الْمَشَايِخِ وَأَضَافَ
إِلَى كُلِّ حَالٍ مَا يَنْبَغِيهَا وَهُوَ ظَاهِرٌ (كَقَوْلِهِ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً) فَإِنْ
الْإِنْسَانُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ أَوْ لَا يَكُونَ ، فَإِنْ كَانَ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ذَكَرًا أَوْ
أُنْثَى أَوْ ذَكَرًا وَأُنْثَى ، وَقَدْ اسْتَوْفَى جَمِيعَ الْأَقْسَامِ وَإِنَّمَا قَدَّمَ ذَكَرَ الْإِنَاثِ لِأَنَّ
سِيَاقَ الْكَلَامِ أَنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لَا مَا يَشَاءُ الْإِنْسَانُ ، فَكَانَ ذَكَرَ الْإِنَاثِ
الَّلَاقِي هُنَّ مِنْ جِلَّةِ مَا لَا يَشَاءُهُ الْإِنْسَانُ أَهْمٌ ، وَلِيْلِي الْجَنَسِ الَّذِي كَانَتْ الْعَرَبُ
تَعُدُّهُ بِلَاءَ ذَكَرِ الْبِلَاءِ ، فَلَمَّا أَخَّرَ الذِّكْرَ لِذَلِكَ عَذَارَكَ تَأْخِيرَهُمْ وَهُمْ أَحْقَاءُ بِالتَّقْدِيمِ
بِتَعْرِيفِهِمْ ، لِأَنَّ التَّعْرِيفَ تَنْوِيهِ وَتَشْمِيرٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الْفَرَسَانِ
الْأَعْلَامِ الْمَذْكُورِينَ الَّذِينَ لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْكُمْ ، ثُمَّ أُعْطِيَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلَّ الْجَنَسَيْنِ
حَقَّهُ مِنَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ، وَعَرَفَ أَنَّ تَقْدِيمَهُنَّ لَمْ يَكُنْ لَتَقْدِيمِهِنَّ وَلَكِنْ لِمَقْتَضَى
آخِرٍ : وَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ مَا حَكِيَ عَنْ أَعْرَابِي وَقَفَ عَلَى حَلَقَةِ الْحَسَنِ فَقَالَ :
وَحَمَّ اللَّهُ مَنْ تَصَدَّقَ مِنْ فَضْلِ أَوْ آسَى مِنْ كُفَافٍ أَوْ آثَرُ مِنْ قُوتٍ ، فَقَالَ
الْحَسَنُ : مَا تَرَكَ لِأَحَدٍ عَذْرًا ، وَمِنْهُ قَوْلُ طَرِيحٍ :

وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ كُورًا أَوْ يَزُوجُهُمْ ذَكَرًا أَوْ إِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيًّا . وَمِنْهُ التَّجْرِيدُ : وَهُوَ أَنْ يُنْتَزَعَ مِنْ أَمْرِ ذِي صِفَةٍ آخَرُ مِثْلُهُ فِيهَا مُبَالَغَةٌ لِكُلِّهَا فِيهِ ، وَهُوَ أَقْسَامٌ : مِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِمْ : مِنْ فُلَانٍ صَدِيقٌ حَمِيمٌ ، أَيْ بَلَغَ فُلَانٌ مِنَ الصَّدَاقَةِ حَدًّا صَحَّ مَعَهُ أَنْ يُسْتَخْلَصَ مِنْهُ آخَرُ مِثْلُهُ فِيهَا ، وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِمْ : لَيْتَ سَأَلْتُ فُلَانًا لَتَسْأَلَنِي بِهِ الْبَحْرَ ، وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ :

وَشَوْهَاءَ تَعْدُو بِي إِلَى صَارِحِ الْوَغَى * بِمُسْتَلْتِمٍ مِثْلِ الْفَنِيقِ الْمُرَحَّلِ

إِنْ يَعْلَمُوا الْخَيْرَ يُخْفُوهُ وَإِنْ عَالَمُوا شَرًّا أَذَاعُوهُ وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَبُوا
وقول أبي تمام في الإفشين لما أحرق :

صَلَّى لَهَا حَيًّا وَكَانَ وَقُودَهَا مَيْتًا وَيَدْخُلُهَا مَعَ النَّجَّارِ

(نحو قولهم الخ) مما يكون حاصلًا بمن التجريدية (حميم) في الصحاح حميمك : قريبك الذي تهتم لأمره (نحو قولهم الخ) مما يكون حاصلًا بالباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه ، وهذا القول يقال في مقام المبالغة في وصف فلان بالكرم (نحو قوله الخ) مما يكون حاصلًا بدخول الباء في المنتزع (وشوهاء) فرس شوهاء صفة محمودة يراد بها سمة أشداقها ، وصارخ الوغى : أي المستغيث ، في الحرب ، والمستائم : لابس اللأمة وهي الدرع ، والفنيق : الفحل المكرم عند أهله ، والمرحل : من رحل البعير أشخصه عن مكانه وأرسله ، فقد بالغ في اتصافه بالاستعداد للحرب ، حتى انتزع منه مستعداً آخر

وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ، أَيْ فِي جَهَنَّمَ ، وَهِيَ دَارُ الْخُلْدِ ؛ وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ :

فَأَيْنَ بَقِيَتْ لَأَرْحَلَنَّ بَغْزَوَةَ تَحْوِي الْغَنَائِمَ أَوْ يَمُوتَ كَرِيمٌ

وَقِيلَ تَقْدِيرُهُ أَوْ يَمُوتَ مَعْنَى كَرِيمٌ ؛ وَفِيهِ نَظَرٌ ، وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ :

يَا خَيْرَ مَنْ يَرَى كَبُّ الْمَطِيِّ وَلَا يَشْرَبُ كَأْسًا بِكَفٍّ مَنْ بَحَلًا

وَمِنْهَا مُخَاطَبَةُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ ، كَقَوْلِهِ :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ يُسْعِدِ الْخَالُ

لابساً درعاً (ومنها نحو قوله تعالى) مما يكون حاصلًا بدخول في على المنتزع منه ، فإن جهنم أعادنا الله منها هي دار الخلد ، لكن انتزع منها مثلاً ، وجعل معداً فيها للكفار تهويلاً لأمرها ومبالغة في اتصافها بالشدة (ومنها نحو قوله) مما يكون حاصلًا بدون توسط حرف ، وعنى بالكريم نفسه . فكأنه انتزع من نفسه كريماً مبالغة في كرمه ، والبیت لقنادة بن هسلبة الحنفي (وقيل) تقديره أَوْ يَمُوتَ مَعْنَى كَرِيمٌ (فيكون من قبيل لي من فلان صديق حميم فلا يكون قسماً آخر (وفيه نظر) لحصول التجريد وتمام المعنى بدون هذا التقدير (ومنها نحو قوله) أي قول الأعشى : فإن فيه تجريداً بطريق الكناية حيث انتزع من الممدوح جواداً يشرب هو الكأس بكفه على طريق الكناية لأنه إذا نفي عنه الشرب بكف البخيل ، فقد أثبت له الشرب بكف كريم ، ومعلوم أنه يشرب بكفه فهو ذلك الكريم (كقوله لا خيل عندك) هو للمتنبى ومثله قول الأعشى :

وَمِنْهُ الْمِبَالغةُ الْقُبُولَةُ : وَالْمِبَالغةُ أَنْ يُدْعَى لِوَصْفٍ بُلُوغُهُ فِي الشَّدَّةِ
أَوْ الضَّعْفِ حَدًّا مُسْتَحِيلًا أَوْ مُسْتَبْعَدًا ، لِئَلَّا يُظَنَّ أَنَّهُ غَيْرُ مُتَنَاهِ فِيهِ ،

وَدَعَّ هُرَيْرَةُ إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَحِلٌ . وَهَلْ تَطِيقُ وَدَاعًا أُيُّهَا الرَّجُلُ

هـ هذا ، ومن لطيف التجريد قول المعري :

مَا جَتَ نَمِيرٌ فَهَاجَتَ مِنْكَ ذَا لَيْدٍ وَاللَّيْثُ أَفْتَكُ أَفْعَالًا مِنْ النَّمِيرِ

وقول الآخر :

إِنْ تَلَقَّنِي لَا تَرَى غَيْرِي بِنَاطِرَةٍ تَنْسُ السَّلَاحَ وَتَعْرِفُ جَبْهَةَ الْأَسَدِ

(المقبولة) يشير بهذا إلى الرد على من زعم أنها مردودة مطلقاً محتجاً
بأن خير الكلام ما خرج مخرج الحق ، وكان على منهج الصدق ، كما قال السيد
حسان بن ثابت :

وَإِنَّمَا الشَّعْرُ لُبُّ الرِّءِ يَعْرِضُهُ عَلَى الْمَجَالِسِ إِنْ كَانَ كَيْسًا وَإِنْ حُفَا

وَإِنْ أَشْعَرَ بَدَتْ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدَتْهُ صَدَقَا

وعلى من زعم أنها مقبولة مطلقاً ، وأن الفضل مقصور عليها ، والمحاسن
كلها منسوبة إليها ، محتجاً بأن أحسن الشعر أكذبه ، وخير الكلام ما بولغ فيه ،
ولهذا استدرك النابغة على السيد حسان في قوله :

لَنَا الْجَفْنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

حيث استعمل جمع الفلة ، يعنى الجنينات والأسياف ، وقد ذكر وقت
الضحوة وهو وقت تناول الطعام ، وقال يقطرن دون يسان أو يفضن أو نحو
ذلك (فيه) أى فى الشدة أو الضعف (كقوله) أى قول امرئ القيس

وَتَنْحَصِرُ فِي التَّبْلِيغِ وَالْإِغْرَاقِ وَالْفُلُوقِ ، لِأَنَّ الْمُدَّعَى إِنْ كَانَ مُمَكِّنًا
عَقْلًا وَعَادَةً فَتَبْلِيغٌ ، كَقَوْلِهِ :

فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعَجَةٍ * دِرَاكًا فَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءِ فَيْفُسَلٍ
وَإِنْ كَانَ مُمَكِّنًا عَقْلًا لَا عَادَةً فَإِغْرَاقٌ ، كَقَوْلِهِ :

حيث وصف هذا الفرس بأنه أدرك ثوراً وبقرة وحشيتين في مضمار واحد
ولم يعرق ، وذلك غير ممتنع عقلاً ولا عادة . . . ومن الحسن في باب المبالغة
قول الحماسي :

رَهَنْتُ يَدَيَّ بِالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ بَرٍّ * وَمَافُوقَ شُكْرِى لِلشُّكْرِ مَزِيدُ
وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتَطَاعُ اسْتَطَعْتُهُ * وَلَكِنْ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ
وقول ابن نباتة السعدي في سيف الدولة :

لَمْ يَبْقَ جُودُكَ لِي شَيْئًا أَوْمَلُهُ * تَرَكَتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلاَ أَمَلٍ
ومن المبالغة في البخل قول ابن الرومي :

لَوْ أَنَّ قَعْرَكَ يَا بَنَ يُوسُفَ مُتَمَلٍّ * إِبْرَأْ يَضِيقُ بِهَا فِتَاءُ الْمَنْزِلِ
وَأَتَاكَ يُوسُفُ يَسْتَعِيرُكَ إِزْرَةً * لِيَخِيطَ قَدَّ قَيْصِهِ لَمْ تَفْعَلِ
وقال أيضاً :

فَتَى عَلَى خُبْرِهِ وَنَائِلِهِ * أَشْفَقُ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدِهِ
رَغِيْفُهُ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ * مَكَانَ رُوحِ الْجَبَّانِ مِنْ جَسَدِهِ

(كَقَوْلِهِ) أَي عَمْرُو بْنِ الْإِيهِمِ التَّغْلَبِيِّ : أَدْنَى أَنْ جَارَهُ لَا يَمِيلُ عَنْهُ إِلَى .

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا وَنُتَبِعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَا لَا
وَهُمَا مَقْبُولَانِ ، وَإِلَّا فَفُؤُؤُ ، كَقَوْلِهِ :
وَأَخَفْتُ أَهْلَ الشُّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافُكَ النُّطْفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ

جهة إلا وهو يتبعه الكرامة . وهذا ممتنع عادة وإن كان غير ممتنع عقلا ، ومن
هذا النوع قول امرئ القيس :

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرُعَانِ وَأَهْلُهَا
بِثَرِبٍ أَذْنَى دَارِهَا نَظَرًا عَالِي
وقول القائل :

وَلَوْ أَنَّ مَا بِي مِنْ جَوِّي وَصَبَابَةٍ عَلَى جَمَلٍ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ كَافِرُ
يريد أنه لو كان مابه من الحب يحمل لنحل حتى يدخل في سم الخياط
(كَقَوْلِهِ وَأَخَفْتُ) هو لاني نواس من قصيدة يمدح بها الرشيد ، وبما يتصل
بهذا ما يحكى أن العنابي الشاعر لقي أبا نواس فقال : أما استحييت من الله بقولك ،
وأخفت أهل الشرك . . . البيت ، فقال له أبو نواس وأنت أما استحييت من
الله بقولك :

مَازِلْتُ فِي عَمَرَاتِ الْمَوْتِ مُطَرَّحًا بِضِيقٍ عَنِّي وَسِيعُ الرَّأْيِ مِنْ حِيلِي
فَلَمْ تَزَلْ دَائِبًا تَسْعَى بِأُطْفُوكَ لِي حَتَّى اخْتَسَسْتَ حَيَاتِي مِنْ يَدَيَّ أَجَلِي
ومن الغلو قول البحرى :

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَسْكَفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ
ومن هنا أخذ المتنبي قوله :

لَوْ تَعْقِلُ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلَتْهَا مَدَّتْ مُحِيطَةً إِلَيْكَ الْأَغْصَنَاءَ

وَالْمَقْبُولُ مِنْهُ أَصْنَافٌ : مِنْهَا مَا أُدْخِلَ عَلَيْهِ مَا يُقَرَّبُهُ إِلَى الصَّحَّةِ نَحْوُ :
يَكَاذُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : يَكَاذُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، وَمِنْهَا مَا بَضَعَنَ
نَوْعًا حَسَنًا مِنَ التَّخْيِيلِ ، كَقَوْلِهِ :
عَقَدْتُ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عَثِيرًا لَوْ تَبَتَّغَى عَنْقًا عَلَيْهِ لَأَمْكَنَّا
وَقَدْ اجْتَمَعَا فِي قَوْلِهِ :

ومن الغلو قول المتنبي :

فَتَى أَلْفُ جُزْءٍ رَأَيْتُهُ فِي زَمَانِهِ أَقَلُّ جُزْئِي بَعْضُهُ الرَّأْيُ أَجْمَعُ

ومثل هذا من الكلام مردود ، لا يشتغل بالاحتجاج عنه له ، والتحسين
لامره ، وهو بترك التداول أولى ، إلا على وجه التعجب منه ، ومن قائله
(والمقبول منه) أى من الغلو (عقدت) هو للفتن من قصيدة يمدح بها ابن
عمار وقبله :

أَقْبَلْتُ تَبَسُّمُ الْجِيَادِ عَوَاسٍ يَخْبُئْنَ بِالْخَلْقِ الْمَضَاعِفِ وَالْقَنَا

السنايك جمع سنيك : وهو طرف الحافر ، والعشير : التراب ، والعنق : نوع
من السير . ادعى تراكم الغبار المرتفع من سنايك الخيل فوق رؤسها ، بحيث
صار أرضاً يمكن سيرها عليه ، وهذا ممتنع عقلاً وعادة ، لكنه تخيل حسن
(وقد اجتمع) أى إدخال ما يقربه إلى الصحة ، وتضمن التخييل الحسن
(فى قوله) أى فى قول القاضى الأرجانى يصف الليل بالطول . يقول يخيل لى
أن الشهب محكمة بالمسامير فى الظلام لانفتق من مكانها ، وأن أجفان عيني
قد شدت بأهدابها إلى الشهب ، لطول سهرى فى ذلك الليل ، وهذا تخيل

يُخَيِّلُ لِي أَنْ سُمِّرَ الشُّهْبُ فِي الدُّجَى وَشَدَّتْ بِأَهْدَابِي إِلَيْهِنَّ أَجْفَانِي
وَمِنْهَا مَا أُخْرِجَ مُخْرَجَ الْهَزْلِ وَالْخَلَاعةِ ، كَقَوْلِهِ :
أُسْكِرُ بِالْأَمْسِ إِنْ عَزَمْتُ عَلَى الشَّرِّ بِ غَدَاً إِنْ ذَا مِنْ الْعَجَبِ
وَمِنْهُ الْمَذْهَبُ الْكَلَامِيُّ ، وَهُوَ إِيرَادُ حُجَّةِ الْمَطْلُوبِ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ
الْكَلَامِ ، نَحْوُ : لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ، وَقَوْلِهِ :

حسن ، ولفظ يخيل يزيد ، حسناً ، وهذا ، ومن المقبول في الغلو قول أبي
العلاء المعري :

تَكَادُ قِسِيَّتُهُ مِنْ شَغِيرِ رَامٍ تَمَكَّنُ فِي قُلُوبِهِمُ النَّبَلَا
يُذِيبُ الرُّغْبَ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ قَلَوَلَا الْغَمْدُ يَمْسِكُهُ لَسَالَا
وقول ابن المعتز يصف فرساً :
يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ إِهَابِهِ إِذَا تَدَلَّى السَّوْطُ لَوْلَا اللَّبَبُ
وقال الفرزدق :
يَكَادُ يَمْسِكُهُ عِرْفَانُ رَاخَتِهِ رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
وقال آخر :

يَكَادُ يَخْرُجُ سُرْعَةً عَنْ ظِلِّهِ لَوْ كَانَ يَرْتَعِبُ فِي فِرَاقٍ رَفِيقِ

ودم أعرابي رجلاً فقال : يكاد بعدى لومه من تسمى باسمه ، ومثل هذا
النوع في الكلام كثير (أسكر بالأمس) لا يعلم قائله ، ومعناه ظاهر (ومنه
المذهب الكلامي) وأول من ذكره الجاحظ وأنكر وجرده في القرآن
(طريقة أهل الكلام) هي أن تكون الحجة بعد تسليم المقدمات مستلزمة
للمطلوب (لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا) واللازم وهو فساد السموات

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ الْعَرَاءُ مَطْلَبُ
لَيْنٍ كُنْتُ قَدْ بُلَّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لَمُبْلَغُكَ الْوَاشِي أَغْشُ وَأَكْذَبُ
وَلَا يَكْنِي كُنْتُ امْرَأً لِي جَانِبُ مِنْ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ
مُلُوكٍ وَإِخْوَانٍ إِذَا مَا مَدَحْتَهُمْ أَحْكَمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ
كَفَعَالِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَفَيْتَهُمْ فَلَمْ تَرْهُمْ فِي مَدْحِهِمْ لَكَ أَذْنَبُوا
وَمِنْهُ حُسْنُ التَّعْلِيلِ : وَهُوَ أَنَّ يَدْعَى لَوْصَفِ عِلَّةٍ مُنَاسِبَةٍ لَهُ
بِاعْتِبَارِ لَطِيفٍ غَيْرِ حَقِيقِي ، وَهُوَ أَرْبَعَةٌ أُضْرِبُ : لِأَنَّ الصِّفَةَ إِثْبَاتِيَّةٌ
قَصْدَ بَيَانِ عِلَّتِهَا ، أَوْ غَيْرُ ثَابِتَةٍ أُرِيدَ إِثْبَاتُهَا ، وَالْأُولَى إِثْبَاتٌ لَا يَظْهَرُ

والأرض باطل ، لأن المراد به خروجهما عن النظام الذي هما عليه فكذا
اللزوم وهو تعدد الآلهة . ومثل الآية قوله تعالى أيضاً : وهو الذي يبدأ الخلق
ثم يعيده وهو أهون عليه ، أى والإعادة أهون عليه من البدء ، والأهون من
البدء أدخل في الإمكان من البدء ، فالإعادة أدخل في الإمكان من البدء
وهو المطالب ، وقوله تعالى : فلم يعذبكم بذنوبكم ، أى أنتم تعذبون والبنون لا
يعذبون فليست ببنين له (وقوله حلفت) الآيات للناطقة الذبياني من قصيدة
يعتذر فيها إلى النعمان بن المنذر ، وقد كان مدح آل جفنة بالشام ، فتكر النعمان
من ذلك ، والريبة : الشك ، ومستراد : بمعناه موضع يتردد فيه لطلب الرزق .
ومنتجع : من راد الكلالة ، فهو يقول : أنت أحسنت إلى قوم فدحوك ، وأنا
أحسن إلى قوم فدحتهم ، فكما أن مدح أولئك لك لا يعد ذنباً ، فكذلك
مدحى لمن أحسن إلى لا يعد ذنباً .

لَهَا فِي الْعَادَةِ عِلَّةٌ ، كَقَوْلِهِ :

لَمْ يَحْكُ نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا * نَحْتُ بِهِ فَصِيدِيهَا الرَّحَضَاءُ
أَوْ يَظْهَرُ لَهَا غِلَّةٌ غَيْرُ الْمَذْكُورَةِ ، كَقَوْلِهِ :
مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ * يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذَّنَابُ
فَإِنَّ قَتْلَ الْأَعْدَاءِ فِي الْعَادَةِ لِيَدْفَعَ مَضَرَّتِهِمْ ، لَا لِمَا ذَكَرَهُ

(كَقَوْلِهِ لَمْ يَحْكُ) هُوَ لِلْمَتْنِ ، وَالنَائِلُ : الْعَطَاءُ ، وَالرَّحَضَاءُ : الْعَرَقُ أَثَرُ الْحُمَى :
فَنَزُولُ الْمَطَرِ مِنَ السَّحَابِ صِفَةٌ ثَابِتَةٌ لَهُ لَا يَظْهَرُ لَهَا عِلَّةٌ فِي الْعَادَةِ . وَقَدْ عَلَّمَهُ
بَأَنَّهُ عَرَقٌ حَامَاهَا النَّاجِمَةُ عَنْ عَطَاءِ الْمَدُوحِ . وَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :
لَا تُنْكِرِي عَطْلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغَنَى فَالَسَّيْلُ حَرْبُ الْمَسْكَنِ الْعَالِي
عَلَّ عَدَمَ إِصَابَةِ الْغَنَى الْكَرِيمَ بِالْقِيَاسِ عَلَى عَدَمِ إِصَابَةِ السَّيْلِ الْمَسْكَنِ الْعَالِي
كَالطُّودِ الْعَظِيمِ مِنْ جِهَةِ أَنَّ الْكَرِيمَ لَا تُصَافُهُ بَعْلُو الْقَدْرِ . كَالْمَسْكَنِ الْعَالِي وَالْغَنَى
لِحَاجَةِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ كَالسَّيْلِ . وَقَوْلُ ابْنِ نَبَاتَةَ فِي صِفَةِ فَرَسٍ أَدْهَمَ مَحْجَلِ الْقَوَائِمِ
ذِي غَرَّةٍ :

وَأَدْهَمَ يَسْتَمِدُّ اللَّيْلُ مِنْهُ وَتَطْلُعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثَّرَيَا
سَرَى خَلْفَ الصَّبَاحِ يَطِيرُ مَشِيًّا وَيَطْوِي خَلْفَهُ الْأَفْلَاكَ طَيًّا
فَلَمَّا خَافَ وَشَكَ الْفُوتُ مِنْهُ تَشَبَّثَ بِالنَّوْائِمِ وَالْمَحْيَا
وَفِي مَعْنَاهُ وَهُوَ جَيِّدٌ إِلَى الْغَايَةِ :

وَكَأَنَّمَا لَظَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ
(كَقَوْلِهِ) أَيُّ قَوْلِ الْمَتْنِ مِنْ قَصِيدَةِ يَمْدَحُ بِهَا بَدْرُ بْنُ عِمَارٍ (لَا لِمَا ذَكَرَهُ)

وَالثَّانِيَّةُ : إِمَّا مُمَكِّنَةٌ ، كَقَوْلِهِ :

يَا وَاشِيًّا حَسُنْتَ فِينَا إِسَاءَتُهُ نَجَّى حِذَارُكَ إِنْسَانِي مِنَ الْفَرَقِ

من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ، وعجبه أن يصدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعدائه ، لما علم أنه لما غدا للحرب غدت الذئاب تتوقع أن يتسع عليها الرزق من قتلاهم ، وهذا مبالغة في وصفه بالجود ، ويتضمن المبالغة في وصفه بالشجاعة على وجه تخييلي ، أي تنهى في الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات العجم ، فإذا غدا للحرب رجعت الذئاب أن تنال من لحوم أعدائه . ومن لطيف هذا الضرب قول ابن المعتز :

فَلَوْ اشْتَنَكْتُ عَيْنَهُ فَقُلْتُ لَهُمْ
نَحَرْتُهَا مِنْ دِمَاءٍ مَنْ قَتَلَتْ
مِنْ كَثْرَةِ الْقَتْلِ نَالَهَا الْوَصْبُ
وَالدَّمُ فِي النَّصْلِ شَاهِدٌ عَجَبُ
وقول الآخر :

أَتَنِي تُؤَنِّبُنِي بِالْبُكَاءِ فَأَهْلًا بِهَا وَبِتَأْنِيهَا
تَقُولُ وَفِي قَوْلِهَا حِشْمَةٌ أَتَبْكِي بِعَيْنٍ تَرَانِي بِهَا
فَقُلْتُ إِذَا اسْتَحْسَنْتُ غَيْرَكُمْ أَمَرْتُ الدَّمُوعَ بِتَأْدِيبِهَا

وذلك أن العادة في دمع العين أن يكون السبب فيه لإعراض الحبيب أو اعتراض الرقيب ، ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب لا ما جعله من التأديب على الإساءة باستحسان غير الحبيب (والثانية) أي الصفة الغير الثابتة التي أريد لإثباتها (كقوله) أي قول مسلم بن الوليد (حذارك) أي حذارى إياك (إنساني) أي إنسان عيني (نجى إنسانه الخ) أي حيث ترك

فَإِنَّ اسْتِحْسَانَ إِسَاءَةِ الْوَاشِي مُمَكِّنٌ ، لَكِنْ لَمَّا خَالَفَ النَّاسَ فِيهِ
عَقَّبَهُ بِأَنَّ حِذَارَهُ مِنْهُ نَجَّى إِنْسَانَهُ مِنَ الْغَرَقِ فِي الدَّمُوعِ ، أَوْ غَيْرِ
مُمَكِّنَةٍ ، كَقَوْلِهِ :

لَوْلَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الْجُوزَاءِ خِدْمَتَهُ لَمَّا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدَ مُنْتَطِقٍ
وَأَلْحَقَ بِهِ مَا يُبْنَى عَلَى الشَّكِّ ، كَقَوْلِهِ :

كَأَنَّ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّبَ تَحْتَهَا حَبِيبًا فَمَا تَرَقَّا لَهْنٌ مَدَامِيعُ

البكاء خوفاً منه - من الواشى - (كقوله لو لم تكن) فنية الجوزاء خدمة
الممدوح صفة غير ممكنة قصد لإثباتها ، والانتطاق : شد المنطقة ، ونطاق
الجوزاء : كواكب حولها ، وهذا البيت مترجم من الفارسية ومثله قول الآخر :
لَوْلَمْ يَكُنْ أَقْحُوَانَا نَغْرُ مَبْسِمِهَا مَا كَانَ يَزْدَادُ طِيبًا سَاعَةَ السَّحَرِ
(والحق به ما يبني على الشك) ولكونه مبنياً على الشك لم يجعل من
حسن التعليل لأن فيه ادعاء وإصراراً والشك ينافيه (كقوله كان السحاب)
البيت لأبي تمام . والغر : جمع الأغر . والسحاب : اسم جنس يطلق على الواحد
والجميع . ومن ثم وصفه بالجمع والمراد السحاب الماطرة : الغزيرة الماء . والضمير
في تحتها للرب في قوله قبل هذا البيت :

رُبِّي شَفَعَتْ رِيحُ الصَّبَا لِرِيَاضِهَا إِلَى الْمَزْنِ حَتَّى جَادَهَا وَهُوَ هَامِيعُ

وترقا أصله ترقا بالهمز . فقد عال على سبيل الشك نزول المطر من
السحاب بأنها غيبت حبيباً تحت تلك الربا . فهي تبكي عليه . وهذا البيت يشير
إلى قول محمد بن وهيب :

وَمِنْهُ التَّفْرِيعُ : وَهُوَ أَنْ يُثَبَّتَ لِمُتَعَلِّقٍ أَمْرٌ حُكْمٌ بَعْدَ إثْبَاتِهِ
لِمُتَعَلِّقٍ آخَرَ ، كَقَوْلِهِ :

أَحْلَامُكُمْ لِسَقَامِ الْجَهْلِ شَاقِيَةٌ * كَمَا دِمَاؤُكُمْ تُشْفَى مِنَ الْكَلْبِ

طَمَلَانِ طَالَ عَلَيْهِمَا الْأَمَدُ دَرَسَا فَلَا عِلْمَ وَلَا نَصَدُ

لَيْسَ الْبَيْلَى فَكَأَنَّمَا وَجَدَا بَعْدَ الْأَحْبَةِ مِثْلَ مَا أُجِدُ

ونظيره قول المتنبي :

رَحَلَ الْعَزَاءُ بِرِحْلَتِي فَكَأَنَّنِي أَتَّبَعْتُهُ الْأَنْفَاسَ لِلتَّشْيِيعِ

علة تضعيد الأنفاس في العادة ، هي التحسر والتأسف ، لا ما جوز أن يكون إياه ، والمعنى رحل عني العزاء بارتحال عنك ، أى معه أى بسنيبه ، فكأنه لما كان الصدر محل الصبر ، وكانت الأنفاس تتصعد منه أيضاً ، صار العزاء والتنفس الصعداء كأنهما نزيلان ، فلما رحل ذلك كان حقاً على هذا أن يشيعه قضاء لحق الصحبة (كقوله أحلامكم) فقد أثبت لدماثهم أنها تشفى من الكلب بعد أن أثبت لأحلامهم أنها تشفى من سقام الجهل ، والبيت للكسيت من قصيدة يمدح بها أهل البيت ، والكلب : ما يحدث في الإنسان عقيب عض الكلب ولا دواء له ، زعموا أنجع من شرب دم الملوك ، يقول : أنتم أرباب العقول الراجحة كما أنكم أشراف وملوك ، وفي طريقته قول الخمسي :

بُنَاةٌ مَكَارِمٍ وَأُسَاةٌ كَلَمٍ دِمَائِكُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشُّفَاةُ

هذا ومن التفريع قول الشريف الرضي :

إِذَا فَاتَ شَيْءٌ سَمِيَّةً دَلَّ أَنْفَهُ وَإِنْ فَاتَ عَيْنِيهِ رَأَى بِالْمَسَامِعِ

وَمِنْهُ تَأْكِيدُ الْمَدْحِ بِمَا يُشَبِّهُ الدَّمَ : وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَفْضَاهُمَا أَنْ
يُسْتَنْثَى مِنْ صِفَةِ دَمٍ مَنفِيَّةٍ عَنِ الشَّيْءِ صِفَةُ مَدْحٍ ، بِتَقْدِيرِ دُخُولِهَا
فِيهَا ، كَقَوْلِهِ :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفَهُمْ * بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
أَيُّ إِنْ كَانَ فُلُولُ السَّيْفِ عَيْبًا ، فَأَثْبَتَ شَيْئًا مِنْهُ عَلَى تَقْدِيرِ كَوْنِهِ

وقول ابن المعتز :

كَلَامُهُ أَخْذَعُ مِنْ لَحْظِهِ وَوَعْدُهُ أَكْذَبُ مِنْ طَيْفِهِ

فبينما هو يصف خدع كلامه أثبت خدع لحظه ، وبينما هو يصف كذب
وعده أثبت كذب طيفه (ومنه تأكيد المدح بما يشبه الذم) النظر في هذه
التسمية إلى الأعم الأغلب ، وإلا فقد يكون ذلك في غير المدح والذم ويكون
من محسنات الكلام كقوله تعالى : وَلَا تَنْسَكُوا مَا نَكَّحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا
مَا قَدْ سَلَفَ ، يعنى إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل
لكم غيره ، وذلك غير ممكن ، والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق إلى
إباحته وليس تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه (كقوله) أى قول النابغة الذبياني ،
فلول جمع قل : وهو الثلم يصيب السيف في حده (قراع الكتائب) مضاربة
الجيوش عند اللقاء (فأثبت) أى فقد أثبت الشاعر شيئاً من العيب على تقدير
كون فلول السيوف من العيب وهذا محال ، لأنه كناية عن كمال الشجاعة فهو
في المعنى تعليق بالمحال كما يقال حتى يبيض القار^(١) ، وحتى يلج الجمل في سم

منه ، وهو محال ، فهو في المعنى تعليق بالمحال ، والثأ كيد فيه من جهة
أنه كدعوى الشيء ببيئته ، وأن الأصل في الاستثناء الاتصال ، فذكر
أداته قبل ذكر ما بعدها يوهم إخراج شيء مما قبلها ، فإذا وليها صفة
مدح جاء الثأ كيد ، والثاني أن يثبت لشيء صفة مدح ، وتعقب بأداة
استثناء ، يلينها صفة مدح أخرى له ، نحو : أنا أفصح العرب بيد أنني
من قریش ، وأصل الاستثناء فيه أيضاً أن يكون منقطعاً لكنه
لم يقدر متصلاً ، فلا يفيد الثأ كيد إلا من الوجه الثاني ، ولهذا كان

الخياط ، وتأ كيد المدح في هذا الضرب من وجهين : أحدهما أنه كدعوى
الشيء ببيئته كأنه استدل على أنه لا عيب فيهم بأن ثبوت عيب فيهم معلق
بكون فلول السيوف عيباً وهو محال ، والثاني أن الأصل في الاستثناء الاتصال
أي كون المستثنى منه بحيث يدخل فيه المستثنى على تقدير السكوت عن
الاستثناء ، ليسكون ذكر المستثنى إخراجاً له عن الحكم الثابت للمستثنى منه ،
وذلك لأن الاستثناء المنقطع مجاز على ما تقرر في أصول الفقه ، وإذا كان
الامر كذلك فإذا نطق المتكلم بالإلا أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما
بعدها أن ما يأتي بعدها يخرج مما قبلها فيكون شيء من صفة الذم ثابتاً ، فإذا
ولها صفة مدح جاء التوكيد لكونه مدحاً على مدح ، وإن كان فيه شيء من
السحر ونوع من الخلابة (بيد) بيد هنا بمعنى غير وهو أداة استثناء (وأصل
الاستثناء فيه) يقول أصل الاستثناء في هذا الضرب أن يكون منقطعاً كما أن الاستثناء
في الضرب الأول منقطع لعدم دخول المستثنى في المستثنى منه ، وهذا لا ينافي
أن الأصل في مطلق الاستثناء هو الاتصال (لكنه لم يقدر متصلاً) بل بقي

الْأَوَّلُ أَفْضَلُ ، وَمِنْهُ ضَرْبٌ آخَرُ ، نَحْوُ : وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا
بِآيَاتِ رَبِّنَا ، وَالْإِسْتِدْرَاكُ فِي هَذَا الْبَابِ كَالِاسْتِثْنَاءِ كَمَا فِي قَوْلِهِ :
هُوَ الْبَدْرُ إِلَّا أَنَّهُ الْبَحْرُ زَاخِرًا * سِوَى أَنَّهُ الضَّرْعَامُ لَكِنَّهُ الْوَبْلُ
وَمِنْهُ تَأْكِيدُ الذَّمِّ بِمَا يُشَبِّهُ الْمَدْحَ : وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يُسْتَثْنَى
مِنْ صِفَةِ مَدْحٍ مَنفِيَّةٍ عَنِ الشَّيْءِ صِفَةُ ذَمٍّ ، بِتَقْدِيرِ دُخُولِهَا فِيهَا ، كَقَوْلِهِ :
فَلَا نَ لَا خَيْرَ فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ يُسَىُّ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَثَانِيَهُمَا أَنْ يُثَبَّتَ
لِلشَّيْءِ صِفَةُ ذَمٍّ ، وَتُعَقَّبَ بِأَدَاةِ اسْتِثْنَاءٍ ، تَلِيهَا صِفَةُ ذَمٍّ أُخْرَى لَهُ ،
كَقَوْلِكَ : فَلَا نَ فَاسِقٌ إِلَّا أَنَّهُ جَاهِلٌ ، وَتَحْقِيقُهُمَا عَلَى قِيَاسٍ مَا مَرَّ

عَلَى حَالِهِ مِنَ الْإِنْقِطَاعِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي هَذَا الضَّرْبِ صِفَةُ ذَمٍّ مَنفِيَّةٍ عَامَةً يُمْكِنُ
تَقْدِيرُ دُخُولِ صِفَةِ الْمَدْحِ فِيهَا (فَلَا يَفِيدُ التَّأْكِيدُ إِلَّا مِنَ الْوَجْهِ الثَّانِي)
وَهُوَ أَنَّ الْأَصْلَ فِي مَطَاقِ الْإِسْتِثْنَاءِ الْإِتِّصَالُ ، فَذَكَرَ أَدَاتَهُ قَبْلَ ذِكْرِ الْمُسْتَثْنَى
يُؤَيِّدُ إِخْرَاجَ شَيْءٍ بِمَا قَبْلَهَا مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ ، فَإِذَا ذَكَرَ بَعْدَ الْأَدَاةِ صِفَةَ
مَدْحٍ أُخْرَى جَاءَ التَّأْكِيدُ وَلَا يَأْتِي فِيهِ التَّأْكِيدُ مِنَ الْوَجْهِ الْأَوَّلِ أَعْنَى دَعْوَى
الشَّيْءِ بَدِيئَةً لِأَنَّهُ مَبْنَى عَلَى التَّعْلِيلِ بِالْحَالِ الْمَبْنَى عَلَى تَقْدِيرِ الْإِسْتِثْنَاءِ مُتَّصِلًا (وَمِنْهُ)
أَيُّ وَمَنْ تَأْكِيدُ الْمَدْحِ بِمَا يُشَبِّهُ الذَّمَّ (نَحْوُ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا) أَيْ وَمَا تَعْيِبُ مِنَّا إِلَّا أَصْلَ
الْمُنَاقِبِ وَالْمُفَاخِرِ كَامًا ، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِآيَاتِ اللَّهِ (كَمَا فِي قَوْلِهِ هُوَ الْبَدْرُ) فَالْأَوَّلَانِ
فِيهِ اسْتِثْنَاءٌ أَنْ مِثْلَ : بَيِّدَ أَيْ مِنْ قَرِيشَ ، وَقَوْلِهِ لَكِنَّهُ الْوَبْلُ ، اسْتِدْرَاكٌ يَفِيدُ
مِنَ التَّأْكِيدِ مَا يَفِيدُهُ هَذَا الضَّرْبُ مِنَ الْإِسْتِثْنَاءِ ، لِأَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ وَإِلَّا فِيهِ
بِمَعْنَى لَكِنْ ، وَالْبَيْتُ لِبَدِيعِ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِي يَدْحُ بِهِ خَلَفَ بْنَ أَحْمَدَ السَّجِسْتَانِي

وَمِنْهُ الْإِسْتِتْبَاعُ : وَهُوَ الْمَدْحُ بِشَيْءٍ عَلَى وَجْهِ اسْتِتْبَاعِ الْمَدْحِ بِشَيْءٍ
آخَرَ ، كَقَوْلِهِ :

نَهَبْتَ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ لَهُنَّتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدٌ
مَدَحُهُ بِالنَّهْيَةِ فِي الشَّجَاعَةِ عَلَى وَجْهِ اسْتِتْبَاعِ مَدَحِهِ بِكَوْنِهِ سَبَبًا لِصَلَاحِ
الدُّنْيَا وَنِظَامِهَا ، وَفِيهِ أَنَّهُ نَهَبَ الْأَعْمَارَ دُونَ الْأَمْوَالِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ظَالِمًا
فِي قَتْلِهِمْ . وَمِنْهُ الْإِدْمَاجُ : وَهُوَ أَنْ يُضْمَنَ كَلَامٌ سَبَقَ لِمَعْنَى مَعْنَى آخَرَ

(نهبت من الأعمار) هو للثاني (مدحه للنهية في الشجاعة) إذ كثر
قتلاه بحيث لو ورث أعمارهم لخلد في الدنيا (على وجه استتباع مدحه بكونه
سبباً لصلاح الدنيا) حيث جعل الدنيا مهنة بخلوده ، ولا معنى لتهنئة أحد
بشيء لا فائدة له فيه ولا ثمرة يجنيها منه (وفيه) يقول إن في البيت وجهين
آخرين من المدح ذكرهما علي بن عيسى الرُبَيعي ، فأولهما أنه نهب الأعمار دون
الأموال وهذا مما يشف عن علو الهمة ، وثانيهما أنه لم يكن ظالماً في قتل أحد
من مقتوليه لأنه لم يقصد بذلك إلا صلاح الدنيا وأهلها ، فهم مسرورون ببقائه
(ومنه الإدماج) يقال أدمج الشيء في الثوب : إذا لفته فيه (وهو أن يضمن
كلام سبق لمعنى معنى آخر) فهذا المعنى الثاني يجب ألا يكون مصرحاً به
ولا يسكون في الكلام إشعار بأنه مسوق لأجله ، فن قال في قول الشاعر يهنيء
بعض الوزراء لما استوزلا :

أَبَى دَهْرُنَا إِشْعَافَنَا فِي نَفُوسِنَا وَأَسْعَفَنَا فِيمَنْ نُحِبُّ وَنُكْرِمُ
فَقُلْتُ لَهُ نِعْمَاكَ فِيهِمْ أَتَمَّهَا وَدَعِ أَمْرَنَا إِنَّ الْمُهِيْمَ الْمَقْدَمُ

فَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الْإِسْتِتْبَاعِ ، كَقَوْلِهِ :

أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي * أَعْدْتُ بِهَا عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا
فَإِنَّهُ ضَمَّنَ وَصَفَ اللَّيْلِ بِالطُّوْلِ ، الشَّكَايَةَ مِنَ الدَّهْرِ ، وَمِنْهُ مَنْ
قَالَ لِأَعْوَرَ : * لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَوَاءٌ *

إنه أدمج شكوى الزمان ، وما هو عليه من اختلال الأحوال ، في التهنئة
فقدسها ، لأن الشكاية مصرح بها فكيف تكون مدحجة ولو جعل التهنئة مدحجة
لكان أقرب (فهو أعم من الاستتباع) لشموله المدح وغيره ، واختصاص
الاستتباع بالمدح (كقوله) أى قول أبي الطيب يصف طول الليل عليه ،
ومثله قول ابن المعتز في الخيري :

قَدْ نَفَضَ الْعَاشِقُونَ مَا صَنَعَ الْهَجْرُ بِأُلْوَانِهِمْ عَلَى وَرَقِهِ
فَإِنَّ الْغَرَضَ وَصَفَ الْخَيْرَ بِالصَّفْرَةِ ، فَأَدْمَجَ الْغَزَلَ فِي الْوَصْفِ ، وَكَذَلِكَ
قَوْلُ ابْنِ نَبَاتَةَ :

وَلَا بَدَّ لِي مِنْ جَهْلَةٍ فِي وَصَالِهِ * فَمَنْ لِي بِخَلِّ أَوْدَعِ الْحِلْمَ عِنْدَهُ
فإنه ضمن الغزل الفخر بكونه حلما المكنى عنه بالاستفهام عن وجود
خل صالح ، لأن يودعه حلمه ، وضمن الفخر بذلك بإخراج الاستفهام مخرج
الإبكار شكوى الزمان لتغير الإخوان حتى لم يبق فهم من يصلح لهذا الشأن ،
ونبه بذلك على أنه لم يعزم على مفارقة حلمه جملة أبداً ، ولكن إذا كان سريداً
لوصل هذا المحبوب المستلزم للجهل المنافي للحلم ، عزم على أنه إن وجد من
يصلح لأن يودعه حلمه أودعه إياه ، فإن الودائع تستعاد (كقول من قال
لأعور ليت عينيه سواء) فإنه يحتمل تمني أن تصير العين العوراء صحيحة

السكاكى : وَمِنْهُ مُتَشَابِهَاتُ الْقُرْآنِ بِاعْتِبَارٍ . وَمِنْهُ الْهَزْلُ الَّذِى
يُرَادُّ بِهِ الْجَدُّ ، كَقَوْلِهِ :

إِذَا مَا تَمَيَّيْتُ أَتَاكَ مُفَاخِرًا * فَقُلْ عَدُّ عَنْ ذَا كَيْفٍ أَكُلَاكَ لِلضَّبِّ
وَمِنْهُ تَخَاهُلُ الْعَارِفِ : وَهُوَ كَمَا سَمَّاهُ السكاكى سَوَقُ الْمَعْلُومِ .

فيكون مدحاً أو بالعكس فيكون ذمّاً . والقائل هو بشار بن برد قاله فى خياط
أعور يسمى عمرو وصدره :

* خَاطَ لِي عَمْرُو قِبَاءً *

(قال) السكاكى : وللمتشابهات من القرآن مدخل فى هذا النوع ، يعنى
التوجيه ، باعتبار وهو احتمالها للوجهين المختلفين . أى وتفارقة باعتبار آخر
وهو عدم استواء الاحتمالين لأن أحد المعنيين فى المتشابهات قريب والآخر
بعيد لما ذكره السكاكى نفسه من أن أكثر متشابهات القرآن من قبيل التورية
والإيهام . ويجوز أن يكون وجه المفارقة هو أن المعنيين فى المتشابهات لا يجب
تضادهما ، إذ يجوز اجتماعهما كالقدرة واليد بمعنى الجارحة ، بخلاف التوجيه
فإنه يجب فيه تضاد المعنيين . (ومنه الهزل الذى يراد به الجد) وترجمته تغنى عن
تفسيره ، ومن أمثاله قول امرئ القيس :

وَقَدْ عَلِمْتُ سَلَى وَإِنْ كَانَ بَعَاءً . بِأَنَّ الْفَتَى يَهْدَى وَلَيْسَ بِفَعَالٍ
فهو الفاتح لهذا الباب (كقوله) أى قول أبى نواس ، فإنه أورده على
سبيل الهزل ، والمراد به الجد . قالوا لأن تمبلاً كانت تكثر أكل الضب

مَسَاقَ غَيْرِهِ لِسُكُوتِهِ ، كَالْتَوْبِيخِ فِي قَوْلِ الْخَارِجِيَّةِ :
 أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ
 وَالْمُبَالَغَةِ فِي الْمَذْحِ ، كَقَوْلِهِ :
 أَلْمَعُ بَرَقَ سَرَى أُمِّ ضَوْءٍ مُصْبَاحٍ أُمِّ ابْتِسَامَتِهَا بِالْمُنْظَرِ الضَّاحِي
 أَوْ فِي الذَّمِّ كَقَوْلِهِ :
 وَمَا أَذْرَى وَسَوْفَ إِخَالُ أَذْرَى أَقَوْمُ آلِ حِصْنٍ أُمِّ نِسَاءٍ
 وَالتَّذْلُّهُ فِي الْحُبِّ فِي قَوْلِهِ :

بِاللَّهِ يَا ظَبِيَّاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لِيَلَايَ مِنْكُنَّ أُمُّ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ
 وَمِنْهُ الْقَوْلُ بِالْمُوجِبِ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ تَقَعَ صِفَةٌ
 فِي كَلَامِ الْغَيْرِ كَنَآيَةً عَنْ شَيْءٍ ، أُثْبِتَ لَهُ حُكْمٌ فَتُشَبِّهَتْ لَغَيْرِهِ مِنْ

وتعير به (في قول الخارجية) هي ليلي بنت طريف ، ترفى أخاها حين قتل
 وبعد البيت :

فَقَى لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ الثَّقَى وَلَا الرِّزْقَ إِلَّا مِنْ قَنَّا وَسُيُوفٍ
 (الخابور) نهر من ديار بكر تلتفت على حافتيه أشجار (ألمع برق) هو
 للبحترى ، والمنظر أراد به الوجه ، والضاحى : الظاهر المشرق (وما أدرى)
 هو لزهير (بالله يا ظبيات) هو للحسين بن عبد الله الغريبي ، ومثله قول
 ذي الرمة :

أَيَا ظَبِيَّةَ الْوَعَسَاءِ مِنْ جَلَّاجِلٍ وَبَيْنَ النَّقَا آتَتْ أُمُّ أُمِّ تَلَمٍ

غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِثُبُوتِهِ ، أَوْ نَفْيِهِ عَنْهُ ، نَحْوُ : يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ، وَالثَّانِي حَمْلُ لَفْظٍ وَقَعَ فِي كَلَامِ الْغَيْرِ عَلَى خِلَافِ مُرَادِهِ مِمَّا يَحْتَمِلُهُ بِذِكْرِ مُتَعَلِّقِهِ ، كَقَوْلِهِ :

قُلْتُ ثَقَلْتُ إِذْ أَتَيْتُ مِرَارًا * قَالَ ثَقَلْتُ كَاهِلِي بِالْأَيْدِي
وَمِنْهُ الْإِطْرَادُ : وَهُوَ أَنْ تَأْتِيَ بِأَسْمَاءِ الْمَذُوحِ أَوْ غَيْرِهِ وَآبَاءِهِ عَلَى

وَالْقَاع : هُوَ الْمُسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ (الْقَوْلُ بِالْمَوْجِبِ) وَيُسَمَّى أَسْلُوبَ الْحَكِيمِ (نَحْوُ يَقُولُونَ) فَإِنَّهُمْ كُنُوا بِالْأَعَزِّ عَنْ فَرِيقِهِمْ ، وَبِالْأَذَلِّ عَنْ فَرِيقِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَثْبَتُوا الْأَعَزَّ الْإِخْرَاجَ ، فَأَثْبَتَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ صِفَةَ الْعِزَّةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِثُبُوتِ حَكْمِ الْإِخْرَاجِ لِلْمُوصُوفِينَ بِصِفَةِ الْعِزَّةِ وَلَا لِنَفْيِهِ عَنْهُمْ (كَقَوْلِهِ قُلْتُ ثَقَلْتُ) فَلَفْظُ ثَقَلْتُ وَقَعَ فِي كَلَامِ الْغَيْرِ بِعَنْ حَمْلِكَ الْمُؤْنَةَ ، وَثَقَلْتُكَ بِالْإِيْيَانِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، وَقَدْ حَمَلَهُ عَلَى تَثْقِيلِ عَاتِقِهِ بِالْأَيْدِي وَالْمَنْ وَبَعْدَ الْبَيْتِ :

قُلْتُ طَوَّلْتُ قَالَ لَا بَلْ تَطَوَّلْتُ وَأَبْرَمْتُ قَالَ حَبْلٌ وَدَادَى
أَي طَوَّلْتُ الْإِقَامَةَ وَالْإِيْيَانِ ، وَأَبْرَمْتُ : أَي أَمَلْتُ ، وَأَبْرَمَ أَيْضاً : أَحْكَمَ ، وَالنَّطُولُ : الْإِنْعَامُ ، فَقَوْلُهُ أَبْرَمْتُ أَيْضاً مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْقَاضِي الْأَرْجَانِيِّ :

غَالَمَتْنِي إِذْ كَسَتَ جِسْمِي الضَّأَّ كِسْوَةً عَرَّتْ مِنَ اللَّحْمِ الْعِظَامَا
نَمْ قَالَتْ أَنْتَ عِنْدِي فِي الْهَوَى مِثْلُ عَيْنِي صَدَقْتَ لَكِنْ سَقَامَا
(وَمِنْهُ الْإِطْرَادُ) لِأَنَّ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ فِي تَحْدِيدِهَا كَلِمَاءُ الْجَارِي فِي إِطْرَادِهِ

ترتيب الولاة من غير تكلف ، كقوله :

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَّتْ عُرُوشُهُمْ * بِمُتَيْبَةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ
وَأَمَّا اللَّفْظِيُّ : فَمِنْهُ الْجِنَاسُ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ ، وَهُوَ تَشَابُهُمَا فِي اللَّفْظِ ،
وَالثَّامُ مِنْهُ أَنْ يَتَّفِقَا فِي أَنْوَاعِ الْحُرُوفِ وَأَعْدَادِهَا وَهَيَاتِهَا وَتَرْتِيبِهَا ، فَإِنْ
كَانَا مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ كَاثَمَيْنِ سُمِّيَ مُمَازِلًا ، نَحْوُ : وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ
الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ نَوْعَيْنِ سُمِّيَ مُسْتَقَرِّفًا ، كَقَوْلِهِ :
مَامَاتٍ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ * يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

وسهولة انسجامه (أن يقتلوك) أى إن تبجحوا بقتلك وفرحوا به ، فقد
أثرت في عزمهم وهدمت أساس مجدهم بقتل رئيسهم . هذا آخر المحسنات المعنوية
وقد أخذ المصنف في بيان المحسنات اللفظية وذكر منها في هذا الكتاب سبعة
أنواع : (أن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها) فخرج نحو
يفرح ويمرح ، ونحو الساق والمساق ، ونحو البرد والبرد ، ونحو الفتح والفتح
(نحو ويوم تقوم الساعة) ومثل قول أبي تمام :

إِذَا الْخَيْلُ جَايَتْ قَسَطَ الْحَرْبِ صَدَّعُوا * صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكَتَائِبِ
وقول الشاعر :

حَدَقُ الْآجَالِ آجَالُ وَالْهَوَى لِلْمَرْءِ قَتَالُ

الأول جمع أجل بالكسر : وهو الفطيع من بقر الوحش ، والثاني جمع
أجل : والمراد به انتهى الأعمار (مامات) هو لابي تمام :

وأيضاً إنَّ كَانَ أَحَدُ لَفْظَيْهِ مُرَكَّباً سُمِّيَ جِنَاسَ التَّرْكِيبِ ، فَإِنْ
اتَّفَقَا فِي الْخَطِّ خُصَّ بِاسْمِ الْمُتَشَابِهِ ، كَقَوْلِهِ :

إِذَا مَلَكَتْ يَمَّ يَكُنْ ذَاهِبَةً * فَدَعُهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَةٌ

وَالْأَخَصَّ بِاسْمِ الْمَفْرُوقِ ، كَقَوْلِهِ :

كُلُّكُمْ قَدْ أَخَذَ الْجَامَ مَ وَلَا جَامَ لَنَا

مَا الَّذِي ضَرَّ مُدِيرَ الْجَامِ لَوْ جَامَلْنَا

وَإِنْ اخْتَلَفَا فِي هَيَاتِ الْحُرُوفِ فَقَطَّ سُمِّيَ مُحَرَّفًا ، كَقَوْلِهِمْ : جَبَّةُ

الْبُرْدِ جَبَّةُ الْبُرْدِ وَنَحْوُهُ : الْجَاهِلُ إِمَّا مَفْرُطٌ أَوْ مَفْرِطٌ ، وَالْحَرْفُ الْمُسَدَّدُ

فِي حُكْمِ الْمُخَفَّفِ ، وَكَقَوْلِهِمْ : الْبِدْعَةُ شَرَكُ الشَّرِكِ ، وَإِنْ اخْتَلَفَا فِي

(خَصَّ بِاسْمِ الْمُتَشَابِهِ) لِمُتَشَابِهِ اللَّفْظَيْنِ فِي السِّكَاةِ (إِذَا مَلَكَ) هُوَ لِأَبَى الْفَتْحِ
الْبَسْتِ ، وَقَوْلُهُ لَمْ يَكُنْ ذَاهِبَةً : أَيُّ صَاحِبِ هَبَةٍ وَعَطَاءٍ ، وَقَوْلُهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَةٌ : أَيُّ
غَيْرِ بَاقِيَةٍ (كُلُّكُمْ قَدْ أَخَذَ الْجَامَ) هُوَ لِأَبَى الْفَتْحِ أَيْضاً ، وَالْجَامُ : إِنَاءٌ يَشْرَبُ فِيهِ الْخَمْرُ ،
وَمُدِيرُهُ : يَعْنِي بِهِ السَّاقِ ، وَقَوْلُهُ لَوْ جَامَلْنَا : أَيُّ عَامِلِنَا بِالْجَمِيلِ (خَصَّ بِاسْمِ
الْمَفْرُوقِ) لِإِفْتِرَاقِ اللَّفْظَيْنِ فِي صُورَةِ السِّكَاةِ (سَمِيَ مُحَرَّفًا) لِانْحِرَافِ هَيْئَةِ
أَحَدِ اللَّفْظَيْنِ عَنْ هَيْئَةِ الْآخَرِ (كَقَوْلِهِمْ جَبَّةُ الْبُرْدِ الْخ) فَقَدْ وَقَعَ الْإِخْتِلَافُ
بَيْنَ الْبُرْدِ وَالْبُرْدِ ، لِأَنَّ الْبَاءَ فِي الْأَوَّلِ ضَمٌّ ، وَفِي الثَّانِي فَتْحَةٌ ، وَأَمَّا الْجَبَّةُ وَالْجَنَّةُ
فَمِنْ التَّجْنِيسِ الْلاحِقِ لِالْمَحْرَفِ ، وَالْجَنَّةُ : الْوَقَايَةُ (إِمَّا مَفْرُطٌ أَوْ مَفْرِطٌ) الْأَوَّلُ
مِنْ الْإِفْرَاطِ وَهُوَ تَجَاوُزُ الْحُدُودِ ، وَالثَّانِي مِنَ التَّفْرِيطِ وَهُوَ التَّقْصِيرُ (كَقَوْلِهِمْ
الْبِدْعَةُ) مِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ :

وَالْحُسْنُ يَطْهَرُ فِي بَيْتَيْنِ رَوْنَقُهُ بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ أَوْ بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ

أَعْدَادِهَا سُمِّيَ نَاقِصًا ، وَذَلِكَ إِمَّا بِحَرْفٍ فِي الْأَوَّلِ ، مِثْلُ : وَالتَّتِ السَّاقُ
بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ، أَوْ فِي الْوَسْطِ ، نَحْوُ : جَدَّى جَهْدِي
أَوْ فِي الْآخِرِ ، كَقَوْلِهِ :

* يَمْدُونُ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمِ *

وَرُبَّمَا سُمِّيَ هَذَا مُطَرِّقًا ، وَإِمَّا بِأَكْثَرٍ ، كَقَوْلِهَا :

إِنَّ الْبُكَاءَ هُوَ الشَّفَا : مِنَ الْجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ

(سَمِيَ نَاقِصًا) لِنَقْصَانِ أَحَدِ اللَّفْظَيْنِ عَنِ الْآخَرِ (جَدَى جَهْدِي) أَيْ حَظِي
مِنَ الدُّنْيَا وَغَنَائِ فِيهَا لِأَنَّمَا هُوَ بِاجْتِهَادِي وَسَمِعِي (كَقَوْلِهِ يَمْدُونُ) تِمَامُهُ :

* تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ *

وَالْبَيْتُ لِأَنِّي تِمَامٌ ، وَقَوْلُهُ مِنْ أَيْدٍ : فَمِنْ زَائِدَةٍ عَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ أَوْ
لِلتَّبَعِيَّةِ مِثْلَهَا فِي قَوْلِهِمْ هَزْ مِنْ عَطْفِهِ وَحَرَكٍ مِنْ نَشَاطِهِ . وَبِالْجُمْلَةِ هُوَ الْوَاقِعُ
مَوْقِعُ مَفْعُولٍ يَمْدُونُ ، وَعَوَاصٍ جَمْعُ عَاصِيَةٍ مِنْ عَصَاهُ ضَرْبُهُ بِالْعَصَى : أَيْ
السِّيفِ ، وَعَوَاصِمِ : مِنْ عَصَمَهُ حَنْظَلُهُ وَحِمَاهُ ، وَفَوَاضٍ جَمْعُ قَاضِيَةٍ : مِنْ قَضَى عَلَيْهِ
قَتْلُهُ ، وَقَوَاضِبِ جَمْعُ قَاضِبٍ مِنْ قَضَبِهِ جَمْعُهُ : أَيْ يَمْدُونُ لِلضَّرْبِ يَوْمَ الْحَرْبِ
أَيْدِيًا ضَارِبَاتٍ لِلْأَعْدَاءِ حَامِيَاتٍ الْأَوَّلِيَّاتِ صَائِلَاتٍ عَلَى الْإِقْرَانِ بِسِيفٍ
قَاتِلَةٍ قَاطِعَةٍ (وَرُبَّمَا سَمِيَ مُطَرِّقًا) يَعْنِي هَذَا الْقِسْمَ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ الزِّيَادَةُ
فِي الْآخِرِ لِتَطَرُّفِ الزِّيَادَةِ فِيهِ . هَذَا ، وَوَجْهٌ حَسَنُهُ أَنَّكَ تَتَوَهَّمُ قَبْلَ أَنْ يَرُدَّ
عَلَيْكَ آخِرُ الْكَلِمَةِ كَالْمَلِمِ مِنْ عَوَاصِمِ أَنَّهَا هِيَ الَّتِي مَضَتْ ، وَلِأَنَّمَا أَتَى بِهَا
لِلتَّأَكِيدِ حَتَّى إِذَا تِمَكَّنَ آخِرُهَا فِي نَفْسِكَ وَوَعَاهُ سَمْعُكَ ، انْصَرَفَ عَنْكَ ذَلِكَ

وَرُبَّمَا سُمِّيَ هَذَا مُذَيَّلًا ، وَإِنْ اختلفا في أنواعها فَيُشْتَرَطُ أَنْ لَا يَقَعَ
بِأَكْثَرِ مِنْ حَرْفٍ ، ثُمَّ الْحُرُوفَانِ إِنْ كَانَا مُتَقَارِبَيْنِ سُمِّيَ مُضَارِعًا ، وَهُوَ
إِمَّا فِي الْأَوَّلِ نَحْوُ : بَيْنِي وَبَيْنَ كُنَى كَيْلٌ دَامِسٌ وَطَرِيقٌ طَامِسٌ ، أَوْ فِي
الْوَسَطِ نَحْوُ : وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ، أَوْ فِي الْآخِرِ نَحْوُ : الْخَيْلُ مَعْقُودٌ
بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ ، وَإِلَّا سُمِّيَ لَاحِقًا ، وَهُوَ أَيْضًا إِمَّا فِي الْأَوَّلِ ، نَحْوُ : وَيْلٌ
لِكُلِّ هَمَزَةٍ لَمَزَةٍ ، أَوْ فِي الْوَسَطِ ، نَحْوُ : ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ، أَوْ فِي الْآخِرِ نَحْوُ : وَإِذَا جَاءَهُمْ
أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ ، وَإِنْ اختلفا في تَرْتِيبِهَا سُمِّيَ تَجْنِيسَ الْقَلْبِ ، نَحْوُ :
حُسَامُهُ فَتَنَحَّ لِأَوْلِيَائِهِ حَتْفٌ لِأَعْدَائِهِ ، وَيُسَمَّى قَلْبَ كُلٍّ ، وَنَحْوُ : اللَّهُمَّ

التوهم . وفي ذلك حصول الفائدة بعد أن يخاطبك اليأس منها قاله الشيخ الإمام
(كقولها) أَيْ الْخُنْسَاءُ . وَالْجَوَى : الْحَرْقَةُ (مُذَيَّلًا) لِأَنَّ تِلْكَ الزِّيَادَةَ فِي
آخِرِهِ كَالذَّيْلِ (سَمِيَ مُضَارِعًا) لِضَارَعَةِ الْمَبَايِنِ مِنَ اللَّفْظَيْنِ لِصَاحِبِهِ فِي الْمَخْرَجِ
(نَحْوُ بَيْنِي) هَذَا كَلَامٌ لِلْحَرِيرِيِّ . وَالسَّكَنُ : الْمَنْزِلُ . وَالْدَامِسُ : الشَّدِيدُ الظُّلْمَةُ .
وَالطَّامِسُ : الْمَطْمُوسُ الْعَلَامَاتِ الَّتِي لَا يَهْتَدِي فِيهِ إِلَى الْمَرَادِ (وَيْلٌ لِكُلِّ هَمَزَةٍ
لَمَزَةٍ) الْهَمْزُ : السَّكْسَرُ . وَاللَّمَزُ : الطَّعْنُ . وَالْمَرَادُ السَّكْسَرُ مِنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ
وَالنُّعْضُ مِنْهُمْ . وَبِنَاءُ فِعْلَةٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ عَادَةٌ مِنْهُ قَدْ ضَرَى بِهَا وَنَحْوُهَا
اللَّعْنَةُ وَالضَّحْكَةُ (سَمِيَ تَجْنِيسَ الْقَلْبِ) لَوْ قُوعِ الْقَلْبِ : أَيْ عَكْسَ بَعْضِ الْحُرُوفِ
فِي أَحَدِ اللَّفْظَيْنِ بِالنَّظَرِ الْآخِرِ (نَحْوُ حُسَامِهِ) هَذَا مَا خُوِذَ مِنْ قَوْلِ الْأَحْنَفِ
ابْنِ قَيْسٍ :

اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا ، وَيُسَمَّى قَلْبَ بَعْضٍ وَإِذَا وَقَعَ أَحَدُهُمَا فِي أَوَّلِ
الْبَيْتِ وَالْآخِرِ فِي آخِرِهِ سُمِّيَ مَقْلُوبًا مُجَنِّحًا ، وَإِذَا وَلَّى أَحَدُ الْمُتَجَانِسِينَ
الْآخَرَ سُمِّيَ مُزْدَوَجًا وَمَكْرَرًا وَمُرْدَّدًا نَحْوُ : وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ .
وَيَلْحَقُ بِالْجُنَاسِ شَيْئَانِ ، أَحَدُهُمَا أَنْ يَجْمَعَ اللَّفْظَيْنِ الْإِشْتِقَاقُ نَحْوُ : فَأَقِمَّ
وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ، وَالثَّانِي أَنْ يَجْمَعَهُمَا الْمِثَابَةُ ، وَهِيَ مَا يُشَبِّهُ الْإِشْتِقَاقَ
نَحْوُ : قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْفَالِينَ . وَمِنْهُ رَدُّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ وَهُوَ فِي

خُسَامُكَ فِيهِ لِلْأَخْبَابِ فَتَحْ وَرُحْمُكَ فِيهِ لِلْأَعْدَاءِ حَتَفُ
(سَمِيَ مَقْلُوبًا مُجَنِّحًا) لِأَنَّ اللَّفْظَيْنِ كَانَهُمَا جَنَاحَانِ لِلْبَيْتِ . وَهَذَا كَقَوْلِ
ابْنِ نَبَاتَةَ :

سَاقٍ يُرِينِي قَلْبُهُ قَسْوَةً وَكُلُّ سَاقٍ قَلْبُهُ قَاسٍ
(نَحْوُ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ) وَنَحْوُ قَوْلِهِمْ مِنْ طَلَبٍ وَجَدَ وَجَدَ . وَقَوْلُهُمْ مِنْ
قَرَعٍ بَابًا وَجَلَّ وَجَلَّ . وَقَوْلُهُمْ النَّبِيذُ بَغِيرِ النِّعَمِ غَمٌ . وَبَغِيرِ الدِّهَمِ سَمٌ (نَحْوُ فَأَقِمَّ
وَجْهَكَ) مِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ . وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الظُّلُمُ ظُلُمَاتُ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَقَوْلُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ وَقَدْ سَأَلَ عَنِ النَّبِيذِ : أَجْمَعَ أَهْلَ الْحَرَمِينَ
عَلَى تَحْرِيمِهِ ، وَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

فَهَادِمُكَ أَتُحِدُّنِي عَلَى سَاكِفِي تَمْدٍ ۞

وقول البحتري :

يَعِشِي عَنِ الْمَجْدِ الْغَيْبِيِّ وَأَنْ تَرَى فِي سُودْدٍ أَرْبَا لَغَيْرِ أَرِيْبٍ
(نَحْوُ قَالَ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى : وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٌ . وَقَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ :

النَّثْرُ أَنْ يُجْعَلَ أَحَدُ اللَّفْظَيْنِ الْمَكْرُورَيْنِ أَوْ الْمُتَجَانِسَيْنِ أَوْ الْمُلْحَقَيْنِ بِهِمَا فِي
أَوَّلِ الْفِقْرَةِ ، وَالْآخَرُ فِي آخِرِهَا ، نَحْوُ : وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ
تَخْشَاهُ ، وَنَحْوُ : سَأَيْلُ اللَّيْمِ يَرْجِعُ وَدَمُهُ سَائِلٌ ، وَنَحْوُ : اسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا وَنَحْوُ : قَالَ إِنِّي لَعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ، وَفِي النَّظْمِ
أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا فِي آخِرِ الْبَيْتِ وَالْآخَرُ فِي صَدْرِ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ أَوْ
آخِرِهِ أَوْ صَدْرِ الثَّانِي ، كَقَوْلِهِ :

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ * وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعٍ

وَإِذَا مَارِ يَاسُ جُودِكَ هَبَّتْ * صَارَ قَوْلُ الْعَذُولِ فِيهَا هَبَاءً

(وَمِنْهُ) أَيِ وَمِنْ اللَّفْظِي (الْمَكْرُورِينَ) يَعْنِي الْمُتَّفَقِينَ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى
(أَوْ الْمُتَجَانِسِينَ) أَيِ الْمُتَشَابِهِينَ فِي اللَّفْظِ دُونَ الْمَعْنَى (أَوْ الْمُلْحَقِينَ بِهِمَا)
أَيِ الْمُتَجَانِسِينَ وَالْمُرَادُ بِهِمَا اللَّفْظَانِ اللَّذَانِ يَجْمَعُهُمَا الْإِشْتِقَاقُ أَوْ شَبْهُ الْإِشْتِقَاقِ
وَقَدْ مَثَلَ الْمُصَنِّفُ لِهَذِهِ الْأَرْبَعَةِ عَلَى التَّرْتِيبِ (أَحَدُهُمَا) أَيِ أَحَدِ اللَّفْظَيْنِ
الْمَكْرُورِينَ أَوْ الْمُتَجَانِسِينَ أَوْ الْمُلْحَقِينَ بِهِمَا (وَالْآخَرُ فِي صَدْرِ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ
أَوْ حَشْوِهِ أَوْ آخِرِهِ أَوْ صَدْرِ الثَّانِي) وَعَلَى هَذَا تَصِيرُ الْأَقْسَامُ سِتَّةَ عَشَرَ نَاجِمَةً
عَنْ ضُرُوبِ أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : الْمَكْرُورِينَ وَالْمُتَجَانِسِينَ وَالْمُلْحَقِينَ إِشْتِقَاقًا وَالْمُلْحَقِينَ
بِشَبْهِ الْإِشْتِقَاقِ فِي أَرْبَعَةٍ ، وَهِيَ كَوْنُ اللَّفْظِ الْمُقَابِلِ لَهَا فِي عَجْرِ الْبَيْتِ وَافِعًا فِي
صَدْرِ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ ، أَوْ حَشْوِهِ أَوْ آخِرِهِ ، أَوْ صَدْرِ الثَّانِي ، وَالْمُصَنِّفُ أَوْرَدَ
ثَلَاثَةَ عَشَرَ مَثَالًا وَأَهْمَلُ ثَلَاثَةَ اكْتِفَاءً لَعَلَّهُ بِأَمْثَلَةِ الْإِشْتِقَاقِ ، وَسَنَذْكُرُهَا أُخْرَى
إِنْ شَاءَ اللَّهُ (كَقَوْلِهِ سَرِيعٌ) فَيَا يَكُونُ الْمَكْرُورُ الْآخَرُ فِي صَدْرِ الْمِصْرَاعِ

وقوله :

تَمَتَّعَ مِنْ شَجَمِ عَرَارٍ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارٍ

وقوله :

وَمَنْ كَانَ بِالْبَيْضِ الْكَوَاعِبِ مُغْرَمًا فَمَا زِلْتُ بِالْبَيْضِ الْقَوَاضِبِ مُغْرَمًا

وقوله :

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُعَرَّجَ سَاعَةٍ قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلًا

الأول والبيت الأفيشر وتقدم السبب في قوله له (وقوله تمتع) فيما يكون المكرر الآخر في حشو المصراع الأول والبيت للصفة بن عبد الله القشيري ، والعرار : وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة ، وموضع من عرار رفع على أنه اسم ما ومن زائدة ، وتمتع مقول أقول في قوله :

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْمَيْسُ شَهْوَى بِنَا بَيْنَ الْمَنِيْفَةِ فَالضَّمَارِ

(وقوله ومن كان) فيما يكون المكرر الآخر في آخر المصراع الأول ، والبيت لأبي تمام ، والكواعب جمع كاعب : وهي الجارية حين يبدو ثديها للنهوض ، والبيض القواضب : السيوف القواطع (وقوله وإن لم يكن) فيما يكون المكرر الآخر في صدر المصراع الثاني ، والبيت لذي الرمة وقبلة :

أَلِمَّا عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَوْ وَجَدْتُهَا بَيْنَهَا أَهْلُهَا مَا كَانَ وَخْشًا مَقِيلًا

الإمام : النزول القليل ، والتعريج على الشيء : الإقامة عليه ، وانتصب معرج على أنه خبر يكن واسمه ضمير الإمام ، وقليلا صفة مؤكدة ، لأن القلة تفهم من إضافة التعريج إلى الساعة ، وقليلا فاعل نافع أو هو مبتدأ ونافع خبره ، والضمير في قايلا للساعة أي قليل التعريج في الساعة ينفعني ويبل أوامى ويروى

وقوله :

دَعَانِي مِنْ مَّلاَمِكُمْ سَفَاهًا فدَاعِي الشَّوْقِ قَبْلُكُمْ دَعَانِي

وقوله :

وَإِذَا الْبَلَابِلُ أَفْصَحَتْ بِلُغَاتِهَا فَانْفِ الْبَلَابِلِ بِاحْتِسَاءِ بَلَابِلِ

وقوله :

فَمَشْغُوفٌ بِآيَاتِ الْمَثَانِي وَمُفْتُونٌ بِرَنَاتِ الْمَثَانِي

وقوله :

أَمَلْتُهُمْ ثُمَّ تَأَمَّلْتُهُمْ فَلَاخَ لِي أَنْ لَيْسَ فِيهِمْ فَلَاخَ

غاني (وقوله دعاني) فيما يكون المتجانس الآخر في صدر المصراع الأول ، دعاني الأول بمعنى اتركاني ، والثاني من الدعاء بمعنى الطالب ، والسفاه : الطيش ، والبيت للقاضي الأبرجاني (وقوله وإذا البلابل) فيما يكون المتجانس الآخر في حشو المصراع الأول البلابل الأول جمع بلبل وهو الطائر المعروف ، والثاني جمع بلبال وهو الحزن ، والثالث جمع بليلة وهو لمبريق الحذر ، والاحتساء : الشرب ، والمقصود بالتمثيل هو البلابل ، الثالث بالنسبة إلى الأول والبيت للثعالبی (وقوله فمشغوف) فيما يكون المتجانس الآخر في آخر المصراع الأول ، المثاني الأول القرآن (١) والآخر أوتار المزمار التي ضم طاق منها إلى طاق ، ورناتها : نغماتها ، والبيت للحريري (وقوله أماتهم) فيما يكون المتجانس الآخر

(١) قال الجوهري : المثاني من القرآن ما كان أقل من المائتين ، وتسمى فاتحة الكتاب مثاني لأنها ثلثي في كل ركعة ، ويسمى جميع القرآن مثاني أيضاً لاقتران آية الرحمة بآية العذاب .

وقوله :

ضَرَائِبُ أَبْدَعْتَهَا فِي السَّمَاحِ فَلَسْنَا نَرَى لَكَ فِيهَا ضَرْبِيَا

وقوله :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْزَنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانٍ

وقوله :

لَوْ اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ زُرْتُكُمْ وَالْعَذْبُ يُهْجَرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْخَصْرِ

وقوله :

فَدَعَ الْوَعِيدَ ثَمَّ وَعِيدُكَ طَائِرِي أَطْنِينُ أَجْنَحَةُ الذُّبَابِ يَضِيرُ

في صدر المصراع الثاني ومعناه ظاهر وهو للقاضي الأرجاني (وقوله ضرائب) فيما يكون الملاحق الآخر بالمتجانسين اشتقاقاً في صدر المصراع الأول ، فالضرائب جمع ضريبة : وهي الطبيعة والسجية التي طبع الرجل عليها ، والضرب : المثل وأصله المثل في ضرب القداح فهما راجعان إلى أصل واحد في الاشتقاق والبيت للبحر (وقوله إذا المرء) مما يكون الملاحق الآخر اشتقاقاً في حشو المصراع الأول : أي إذا لم يخزن المرء لسانه على نفسه ولم يحفظه مما يعود ضرره إليه فلا يخزنه على غيره ولا يحفظه مما لا ضرر له فيه فيخزن وخزان مما يجمعهما الاشتقاق ، والبيت لامرئ القيس (وقوله لو اختصرتم) مما وقع أحد الملاحقين في آخر البيت والآخر في حشو المصراع الأول ويجمعها شبه الاشتقاق والبيت لابي الغلاء المعري ، قوله والعذب يعني من الماء والخصر البرودة ، يقول إن بعدى عنكم لكثرة ما أنعمتم على وطوقتموني من الإحسان (وقوله فدع الوعيد) فيما يكون الملاحق الآخر اشتقاقاً في آخر المصراع الأول

وقوله :

وَقَدْ كَانَتْ الْبَيْضُ الْقَوَاضِبُ فِي الْوَشَى * بَوَاتِرَ نَهَى الْآنَ مِنْ بَعْدِهِ بُتْرُ
وَمِنْهُ السَّجْعُ : وَهُوَ تَوَاطُؤُ الْفَاصِلَيْنِ مِنَ النَّثْرِ عَلَى حَرْفٍ
وَاحِدٍ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ السَّكَاكِيِّ : هُوَ فِي النَّثْرِ كَالْقَافِيَةِ فِي الشُّعْرِ ،

فضائر ويضير مما يجمعهما الاشتقاق ، والبيت لابن عينة المهابي (وقوله وقد كانت) فيما يكون الملاحق الآخر اشتقاقاً في صدر المصراع الثاني . قوله القواضب أى القواطع من ذاتها ، وقوله بواتر : أى قواطع لحسن استعماله إياها ، وبتتر جمع أوتر : مقطوع الفائدة ، فالبواتر والبتتر مما يجمعهما الاشتقاق والبيت لأبي تمام من قصيدته التى رثى بها محمد بن نهشل حين استشهد ، وهذا ، وأما الأمثلة الثلاثة التى أهملها المصنف ، فمثال ما يقع أحد الملاحقين الذين يجمعهما شبه الاشتقاق فى آخر البيت ، والآخر فى صدر المصراع الأول قول الحريري :

وَلَا حَ يَلْحَى عَلَى جَرَى الْعِنَانِ إِلَى مَلْهَى فَسُخْقًا لَهُ مِنْ لَاحٍ لَاحٍ
فالأول ماضى يلوح والآخر اسم فاعل من لحاه أبعد ، ومثال ما وقع
الآخر فى آخر المصراع الأول قول الحريري أيضاً :

وَمُضْطَلِعٌ بِتَخْلِيصِ الْعَانِي وَمُطْلِعٌ إِلَى تَخْلِيصِ عَانِي
فالأول من عنى يعنى ، والثانى من عنا يعنو ، ومثال ما وقع الآخر فى صدر
المصراع الثانى قول الآخر :

مَمْرَى لَقَدْ كَانَ الثَّرِيًّا مَكَانَهُ ثَرَاهُ فَأَنْشَى الْآنَ مَشْوَاهُ فِي الثَّرَى
فالثراء : وادى من الثروة ، والثرى : يائى (ومنه السجع) وليس قصاراه

(١) المضطالع بالشئ القوى فيه الناهض به وتخليص العاني فكالك الأسير .

وَهُوَ مُطَرَّفٌ ، إِنْ اخْتَلَفَا فِي الْوِزْنِ ، نَحْوُ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ، وَإِلَّا فَإِنْ كَانَ مَا فِي إِحْدَى الْقَرِينَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرُهُ
مِثْلَ مَا يُقَابَلُهُ مِنَ الْآخَرَى فِي الْوِزْنِ وَالتَّقْفِيَةِ فَتَرْصِيعٌ نَحْوُ : فَهُوَ يَطْبَعُ
الْأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرٍ لَفْظِهِ ، وَيَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرٍ وَعَظْمِهِ ، وَإِلَّا فَمُتَوَازٍ ،

أَنْ تَقِفَ عِنْدَ تَوَاطُؤِ الْفَوَاصِلِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ
الْإِظْهَارُ الْمَسْجُوعَةُ حَلُوةٌ حَادَّةٌ ، لَاغِثَةٌ وَلَا بَارِدَةٌ ، وَإِلَّا كُنْتَ كَمَنْ يَنْقُشُ
أَثْوَابًا مِنَ الْكَرْسَفِ ، أَوْ يَنْظُمُ عَقْدًا مِنَ الْحَرْفِ الْمَلُونِ ، وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ
يَكُونَ اللَّفْظُ فِيهِ تَابِعًا لِلْمَعْنَى وَإِلَّا كَانَ كَظَاهِرِ مَمُوهٍ عَلَى بَاطِنٍ مَشُوهٍ ، فَإِذَا تَوَفَّرَتْ
هَذِهِ الْأُمُورُ فَإِنْ وَرَاءَ ذَلِكَ مَطْلُوبًا آخَرٌ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْفَقْرَتَيْنِ
دَالَّةً عَلَى مَعْنَى غَيْرِ الْمَعْنَى الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا الْآخَرَى ، وَإِلَّا لَكَ أَنْ تَطْوِيلًا
كَقَوْلِ الصَّابِي : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تَدْرِكُهُ الْأَعْيُنُ بِالْحَاضِرِ ، وَلَا تَحْدُهُ الْأَلْسُنُ
بِالْغَاظِ ، وَلَا تَخْلُقُهُ الْعُصُورُ بِمَرُورِهَا ، وَلَا تَهْرِمُهُ الدَّهُورُ بِكَرُورِهَا ، ثُمَّ انْتَهَى
إِلَى الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : لَمْ يَرِ لِلْكَفْرِ أَثَرٌ إِلَّا طُمَسَهُ وَمَحَاهُ ،
وَلَا رِسْمًا إِلَّا أَزَالَهُ وَعَفَاهُ ، إِذَا لَافَقَ بَيْنَ مَرُورِ الْعُصُورِ وَكَرُورِ الدَّهُورِ ،
وَكَذَلِكَ لَافَقَ بَيْنَ مَحُوِّ الْأَثَرِ وَعَفَاءِ الرَّسْمِ (الْقَرِينَتَيْنِ) أَيْ الْفَقْرَتَيْنِ
سَمِيتِ الْفَقْرَةَ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا تَقَارَنُ أَخْتَهَا (فَتَرْصِيعٌ) وَاسْمُ كَذَلِكَ تَشْبِيهًا لَهَا
بِمَعْنَى إِحْدَى اللَّوْلُوتَيْنِ فِي الْعَقْدِ فِي مَقَابِلَةِ الْآخَرَى ، وَهَذَا النَّوعُ لِمَا فِيهِ مِنْ
تَعَمُّقِ الصَّنِيعَةِ وَتَعَسُّفِ السَّكْفَةِ ، لَا يَوْجَدُ إِلَّا فِي كَلَامِ الْمُتَفَصِّحِينَ (نَحْوُ فَهُوَ
يَطْبَعُ) فَإِنْ الْحَرِيرِيُّ كَمَا تَرَى قَدْ جَعَلَ يَطْبَعُ بِإِزَاءِ يَقْرَعُ ، وَالْأَسْجَاعُ بِإِزَاءِ
الْأَسْمَاعِ ، وَجَوَاهِرُ بِإِزَاءِ زَوَاجِرَ ، وَلَفْظُهُ بِإِزَاءِ وَعَظْمُهُ (وَإِلَّا) أَيْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ
مَا فِي إِحْدَى الْقَرِينَتَيْنِ وَلَا أَكْثَرُهُ مِثْلَ مَا يُقَابَلُهُ مِنَ الْآخَرَى ، فَهُوَ السَّجْعُ

نحو: فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة. قيل: وأحسن السجع ما تساوت قرائنه، نحو: في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود، ثم ما طالت قرينته، الثانية نحو: والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى، أو الثالثة، نحو: خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه، ولا يحسن

الموازى وذلك بأن يكون ما في إحدى القرينتين أو أكثره وما يقابله من الأخرى مختلفين في الوزن والتقفية جميعاً كما في الآية، أو في الوزن فقط نحو: والمرسلات عرفاً فالماضيات عصفاً، أو في التقفية فقط كقولهم حصل الناطق والصامت^(١)، وهلك الحاسد والشامت (قيل) قال ابن الأثير: السجع ثلاثة أقسام، الأول: أن يكون الفصلان متساويين كقوله تعالى: فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر، وهذا أشرف السجع منزلة للاعتدال الذي فيه، الثاني: أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول لا طويلاً يخرج به عن الاعتدال كثيراً وإلا كان قبيحاً، فن ذلك قوله تعالى: وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً تسكاد السموات يتفطرن منه وتتشق الأرض وتخر الجبال هداً، فإن الأول ثمان لفظات والثاني تسع، وله في القرآن غير نظير ويستثنى منه ما كان على ثلاث، فإن الأولين يحسبان في عدة واحدة واحدة ثم تأتي الثالثة بحيث تزيد عليها طويلاً، ويجوز أن تجيء مساوية لها كقوله تعالى: وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود فهذه الثلاث كل منها من لفظتين ولو جمعت الثلاثة منها نفس اللفظ أو ستماً كان حسناً، الثالث: أن يكون الآخر أقصر من الأول وهو عندي عيب فاحش، لأن السمع قد استوفى أمده من الفصل الأول بحكم طوله ثم يجيء الفصل الثاني قصيراً عن الأول

(١) أي وجد عندي الناطق وهو العبيد، والصامت نحر الإبل والعقار.

أَنْ يُؤَلَّى قَرِينَةً أَقْبَرَ مِنْهَا كَثِيراً . وَالْأَسْجَاعُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى سَكُونِ الْأَعْجَازِ .
كَقَوْلِهِمْ : مَا أَبْعَدَ مَا فَاتَ وَمَا أَقْرَبَ مَا هَوَات ، قِيلَ : وَلَا يُقَالُ فِي
الْقُرْآنِ أَسْجَاعٌ بَلْ يُقَالُ فَوَاصِلُ ، وَقِيلَ : السَّجْعُ غَيْرُ مُحْتَصٍ بِالنَّثَرِ .

فَيَكُونُ كَالشَّيْءِ الْمُبْتَوْرِ فَيَبْقَى الْإِنْسَانُ عِنْدَ سَمَاعِهِ ، كَنْ يَرِيدُ الْإِنْتِهَاءَ إِلَى غَايَةٍ
فَيَمْتَرُ دُونَهَا هَذَا ، وَالسَّجْعُ لِمَا قَصِيرُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَالْمُرْسَلَاتُ عِرفاً فَالْعَاصِفَاتُ
عَصْفاً ، أَوْ طَوِيلُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَإِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا
مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ وَإِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضُرَاءٍ مَسْتَهٍ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ
السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ، أَوْ مُتَوَسِّطُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ
وَالنَّشْقُ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ . وَمِنْ لَطِيفِ
السَّجْعِ قَوْلُ الْبَيْدِيِّ الْهُمْدَانِي مِنْ كِتَابِ لَهُ إِلَى ابْنِ فَرِيقُونَ : كِتَابِي
وَالْبَحْرُ وَإِنْ لَمْ أَرَهُ ، فَقَدْ سَمِعْتُ خَبْرَهُ ، وَاللَّيْثُ وَإِنْ لَمْ أَلْقَهُ ، فَقَدْ تَضَوَّرَتْ
خَلْقُهُ ، وَالْمَلِكُ الْعَادِلُ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ لَقِيَّتُهُ ، فَقَدْ لَقِيتُ صِدِّيقَهُ ، وَمَنْ رَأَى
مِنَ السَّيْفِ أَثَرَهُ ، فَقَدْ رَأَى أَكْرَهُ (وَالْأَسْجَاعُ) فَوَاصِلُ الْأَسْجَاعِ ،
مَوْضُوعَةٌ عَلَى أَنْ تَكُونَ سَاكِنَةً الْآخِرَ مُوَفَّوفاً عَلَيْهَا ، لِأَنَّ الْغَرَضَ
أَنْ يَرَاوَجَ بَيْنَهَا ، وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ فِي كُلِّ ضُورَةٍ إِلَّا بِالْوَقْفِ ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ وَصَلْتَ
قَوْلَهُمْ : مَا أَبْعَدَ مَا فَاتَ وَمَا أَقْرَبَ مَا هَوَات . لَمْ يَكُنْ بَدَ مِنْ لِجَرَاءِ كُلِّ مَنْ
الْفَاصِلَتَيْنِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ حِكْمُ الْإِعْرَابِ ، فَيَفُوتُ الْغَرَضُ مِنَ السَّجْعِ ، وَإِذَا
رَأَيْتَهُمْ يُخْرِجُونَ الْكَلِمَ مِنْ أَوْضَاعِهَا لِلْإِزْدَوَاجِ فِي قَوْلِهِمْ إِنِّي لَأَتِيهِ بِالْغَدَايَا
وَالْعَشَايَا : أَيْ بِالْغَدَوَاتِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِهِمْ فِي ذَلِكَ (قِيلَ وَلَا يُقَالُ فِي الْقُرْآنِ
أَسْجَاعٌ) السَّجْعُ نَوْعٌ مِنَ الْكَلَامِ يَعْتَمِدُ الصَّنْعَةَ ، وَقَلِيلًا يَنْجُو مِنَ التَّكْلِيفِ
وَالْتَعَسُفِ ، وَمَنْ قَصَدَهُ فِي كَلَامِهِ أَجْبَرَ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الْمَعْنَى تَابِعاً لَهُ وَهَذَا نَقَصُ

ومثاله من النظم قوله :

في الكلام كبير ، وعيب يخمش وجه الفصاحة ، فلذلك ذهب العقلاء إلى أن القرآن برىء من السجع ، وهذا الذي يظن به أنه سجع إنما هو فواصل يستريح الكلام إليها . قال الباقلاني : قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعاً ، لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه دون بعض ، لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع ، وليس كذلك ما اتفق بما هو في تقدير السجع من القرآن ، لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى ، وفصل بين أن ينظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ ، ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره ، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجاباً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى ، ثم قال ولو كان الذي في القرآن سجعاً لكان مذموماً ، لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه واختلقت طرقه كان قبيحاً من الكلام ، والسجع منهج مرتب وطريق مضبوط متى أحل به المتكلم نسب إلى الخروج عن الفصاحة ، وهذا الذي يظن به أنه سجع قد علمنا أن بعضه متقارب الفواصل ، متداني المقاطع ، وبعضه مما يمتد حتى يتضاعف طوله عليه وترد الفاصلة على ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير ، وهذا في السجع غير محمود (ومثاله من النظم قوله) وقول ذي الرمة :

كجَلا، في بَرَج صَفَرَاءٍ فِي نَعَج كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبُ

وقول الخنساء :

حَامِي الْحَقِيقَةِ مَحْمُودُ الْحَالِيقَةِ مَهْدِي الطَّرِيقَةِ نَفَّاعُ وَضَوَائِرِ

تَجَلَّى بِهِ رُشْدِي وَأَثَرْتُ بِهِ يَدِي * وَفَاضَ بِهِ ثِمْدِي وَأُورَى بِهِ زَنْدِي
وَمِنَ السَّجْعِ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ مَا يُسَمَّى التَّشْطِيرَ ، وَهُوَ جَعْلُ كُلِّ

جَوَابٍ قَاصِيَةٍ جَزَارُ نَاصِيَةٍ عَقَادُ أَلْوِيَةٍ لِلْخَيْلِ جَرَارُ
حُلُوِّ حَلَاوَتِهِ فَضْلٌ مَقَالَتُهُ فَاشِ حَالَتُهُ لِلْعَظْمِ جَبَارُ
وقول أبي صخر الهذلي :

سُودٌ ذَوَائِبُهَا بَيْضٌ قَرَائِبُهَا مَحْضٌ ضَرَائِبُهَا صِيغَتٌ مِنَ الْكَرَمِ
وهذا النوع كثير لا يحصره الاستقصاء (تجلي) هو لآي تمام ، قوله تجلي
به رشدى : يريد ظهر بهذا الممدوح بلوغى المقاصد ، وأثرت : أى صارت ذات
ثروة ، والتمد : الماء القليل لا مادة له ، والمراد هنا المال القليل ، ومعنى أورى
به زندي : صار ذا وري ، وهو عبارة عن الظاهر بالمطلوب (ومن السجع على
هذا القول ما يسمى التشطير) وكذلك منه ما يسمى التصريع ، وهو جعل
العروض مقفاة تقنية الضرب ، والعروض هو آخر المصراع الأول من البيت
والضرب آخر المصراع الثانى منه . قال ابن الأثير : التصريع ينقسم إلى سبع
مراتب ، الأولى : أن يكون كل مصراع مستقلا بنفسه فى فهم معناه ، ويسمى
التصريع الكامل كقول امرئ القيس :

أَفَاطِمُ مَهْلًا بَعْضُ هَذَا التَّدَلُّلِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرَمَعْتَ صَرْمِي فَأَجِلِ
الثانية : أن يكون الأول غير محتاج إلى الثانى ، فإذا جاء جاء مرتباً به
كقوله أيضاً :

حَقًّا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسَقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْ مَلِ
الثالثة : أن يكون المصراعان بحيث يصح وضع كل منهما موضع الآخر ،
كقول ابن الحجاج البغدادي :

مِنْ شَطَرِي الْبَيْتِ سَجْعَةً مُخَالَفَةً لِأُخْتِهَا ، كَقَوْلِهِ :
تَدْبِيرُ مُفْتَقَصٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٍ * لِلَّهِ مَرْتَقِبٍ فِي اللَّهِ مَرْتَقِبٍ

مِنْ شُرُوطِ الصَّبُوحِ فِي الْمِهْرَجَانِ خِزْنَةُ الشَّرْبِ مَعَ خُلُوءِ الْمَكَانِ
الرابعة : ألا يفهم معنى الأول إلا بالثاني ويسمى المصريع الناقص كقول:
أبي الطيب :

مَغَانِي الشَّعْبِ طَيْبًا فِي الْمَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّيِّعِ مِنَ الزَّمَانِ
الخامسة : أن يكون التصريع بلفظة واحدة في المصراعين ويسمى التصريع
المكسر ، وهو ضربان ، لأن اللفظة أما متحدة المعنى في المصراعين كقول عبيد
ابن الأبرص :

فَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَوْوُبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَوْوُبُ
وهذا أنزل درجة . وأما مخالفة المعنى لكونه مجازاً كقول أبي تمام :
فَتَى كَانَ شَرِبًا لِلْعَفَاةِ وَمَرَّتَمًا فَأَصْبَحَ لِلْهِنْدِيَّةِ الْبَيْضِ مَرَّتَمًا
السادسة : أن يكون المصراع الأول معلقاً على صفة يأتي ذكرها في أول
الثاني ويسمى التعليق : كقول امرئ القيس :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الْإِضْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
لأن الأول معلق بصبح وهذا معيب جداً . السابعة : أن يكون التصريع في
البيت مخالفاً لقافيته ويسمى التصريع المشطور . كقول أبي نواس :

أَقْلَنِي قَدْ نَدِيتُ مِنَ الذُّنُوبِ وَبِالْإِقْرَارِ عُدْتُ عَنِ الْجُحُودِ
فصرع بالباء ثم قناه بالdal انتهى . وهذا السابع خارج مما نحن فيه .
(كَقَوْلِهِ تَدْبِيرُ) فَالشَّطَرُ الْأَوَّلُ كَمَا تَرَى سَجْعَةً مَبْنِيَّةً عَلَى الْمِيمِ وَالثَّانِيَةُ سَجْعَةٌ

ومنه الموزانة : وهي تساوى الفاصلتين في الوزن دون التقنيّة نحو :
ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ، فإن كان ما في إحدى القرينتين
أولاً أكثره مثلاً ما يقابله من الأخرى في الوزن ، خصّ باسم المائلة
نحو : وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما السراط المستقيم ، وقوله :
مها الوحش إلا أن هاتأ أوائس فمأ الخط إلا أن تلك ذوابل
ومنه القلب ، كقوله :

مودته تدوم لكل هول وهال كل مودته تدوم

مبنية على الباء . والبيت لأبي تمام . والمرغب في الله : الراغب فيما يقربه من
رضوانه . والمرغب : المنتظر الثواب الخائف العقاب (ومنه) أي ومن اللفظي
(نحو ونمارق) فلفظا مصفوفة ومبثوثة متساويان في الوزن لافي النقيبة . لأن
الأول على الراء والثاني على التاء . ولا عبرة بناء التانيث لما هو معروف من
علم القوافي (مها الوحش) هو لأبي تمام يصنف النساء بسعة العيون وطول
القدود ، والمها جمع مهاة : البقرة الوحشية . والخط : موضع تنسب إليه الرماح
المستقيمة والمثالان — الآية البيت — بما يكون أكثر ما في إحدى القرينتين
مثل ما يقابله من الأخرى لعدم تماثل آتيناهما وهديناهما وزناً ، وكذا هاتأ وتلك
ومثال الجميع قول أبي تمام :

فأخجم لما لم يحد فيك مطامعاً وأقدم لما لم يحد عنك مهزباً

(ومنه القلب) وهو أن يكون الكلام بحيث إذا قلبت حروفه لم تتغير
قراءته ، ولا بد مع ذلك أن يكون جيد السبك منسجم المعاني . ويجري هذا

وَفِي التَّنْزِيلِ : كُلٌّ فِي فَلَكٍ ، وَرَبِّكَ فَكَبَّرُ . وَمِنْهُ التَّشْرِيعُ :
وَهُوَ بِنَاءُ الْبَيْتِ عَلَى قَافِيَتَيْنِ يَصِحُّ الْمَعْنَى عِنْدَ الْوُقُوفِ عَلَى كُلِّ مِنْهُمَا ،
بِقَوْلِهِ :

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدِّينِيَّةُ إِنِّهَا شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ

النوع في النظم والنثر . أما في النظم فقد يكون بحيث يكون كل من المصراعين
قلباً للآخر كقوله :

* أَرَانَا الْإِلَهَ هَلَالًا أُنَارًا *

وقد يكون مجمرع البيت قلباً لمجموعه ، كقول الفاضل الأرجاني : مودته
تدوم البيت ، وأما في النثر فكما في قوله تعالى : كل في فلك . وقول جل شأنه :
وربك فكبر . قالوا والحرف المشدد في هذا الباب في حكم المخفف . لأن المعتمد
هو الحروف المكتوبة (ومنه التشريع) ويسمى التوشيح . قال ابن الأثير :
وهو أن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحرین مختلفين . فإذا وقف من البيت
على القافية الأولى كان شعراً مستقيماً من بحر على عروض . وإذا أضاف إلى
ذلك ما بني عليه شعره من القافية الأخرى كان كذلك شعراً مستقيماً من بحر
آخر على عروض ، وصار ما يضاف إلى القافية الأولى للبيت كالوشاح ، فمن ذلك
قول بعضهم :

إِسْلَمَ وَدُمْتَ عَلَى الْخَوَادِثِ مَارَسًا رُكْنَا ثَبِيرٍ أَوْ هِضَابُ حِرَاءِ
وَنَالِ الْمَرَادَ مُمَكِّنًا مِنْهُ عَلَى رَغْمِ الدُّهُورِ وَقَرَّ بِطُولِ بَقَاءِ
إذا نظر إلى هذين البيتين وجدوهما يذكران على قافية أخرى وبحر آخر
بذلك أن يقال :

وَمِنْهُ لُزُومٌ مَّالًا يَلْزَمُ : وَهُوَ أَنْ يَجِيءَ قَبْلَ حَرْفِ الرَّوِيِّ أَوْ مَا فِي

إِسْلَمَ وَدُمْتَ عَلَى الْحَوَا دِثِ مَارَسَا رُكْنًا ثَبِيرِ
وَنَلِ الْمَرَادَ مُمَكَّنًا مِنْهُ عَلَى زَغَمِ الدُّهُورِ

وقد استعمل ذلك الحريري في مقاماته نحو قوله :

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَةُ إِنِّهَا شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكْتَ فِي يَوْمِهَا أَبْكْتَ غَدًا بُعْدًا لَهَا مِنْ دَارِ
غَارَاتِهَا لَا تَنْقُضِي وَأَسِيرُهَا لَا يُمْتَدِي بِجَلَائِلِ الْأَخْطَارِ
واعلم أن هذا النوع لا يحسن إلا إذا كان يسيراً . كالرقم في الثوب أو
الشية في الجلد . وحسنه منوط بما فيه من الصناعة . لا بما فيه من البراعة .
(ومنه لزوم مالا يلزم) قال ابن الأثير : وهو من أشق هذه الصناعة مذهباً
وأبعدها مسلوكاً . وذلك لأن مؤلفه يلزم مالا يلزمه . فإن اللازم في هذا
الموضوع وما جرى مجراه إنما هو السجع الذي هو تساوي أجزاء الفواصل من
الكلام المنشور في قوافيها . وهذا فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف
التي قبل الفاصلة حرفاً واحداً وهو في الشعر أن تتساوى الحروف التي
قبل روى الأبيات الشعرية ، ومن هذا النوع نثر ما رواه صاحب الأغاني
أن لقيط بن زرارَةَ تزوج بنت قيس بن خالد بن ذي الجدين لحظيت عنده
وحظي عندها ثم قتل فأمت بعده وتزوجت زوجاً غيره فكانت كثيراً ما تذكر
لقيطاً ، فلامها على ذلك فقالت : إنه قد خرج في يوم دجن وقد تطيب وشرب
فطرد البقر فصرع منها ، ثم أتاني وبه نضج دم ، فضممني ضمة وشمني شمة
فليتني مت شمة ، فلم أرَ منظرأ كان أحسن من لقيط ، فقولها ضمني ضمة وشمني

مَعْنَاهُ مِنَ الْفَاصِلَةِ مَا لَيْسَ بِالْأَزِمِ فِي السَّجْعِ ، نَحْوُ : فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ، وَقَوْلُهُ :

شبهة فليتني مت ثمة : من الكلام الخلو في باب اللزوم ولا كلفة عليه ، وهكذا
فليكن ومن ذلك قول الحماسي :

إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فُؤَادَكَ مَلَأَهَا خُلِقْتَ هَوَاكَ كَاخُلِقْتَ هَوَى لَهَا
بَيْضَاهَا بِأَكْرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا بِلَبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا
حَجَبَتْ تَمْوِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا
نَوْ إِذَا وَجَدْتَ لَهَا وَسَاوِسَ سَلَوَةٍ شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْوَادِ فَسَلَّهَا

ومعنا من اللطافة على ما يشهد لنفسه ، وكذلك قول الفرزدق :

مَنْعَ الْحَيَاةِ مِنَ الرِّجَالِ وَنَمْعَهَا حَدَقَ تَقْلُبَهَا النِّسَاءُ مِرَاضُ
وَكَأَنَّ أَفْتِدَةَ الرِّجَالِ إِذَا رَأَوْا حَدَقَ النِّسَاءِ لِنَبْلِهَا أَغْرَاضُ

ومن قصد من العرب قصيده كله على اللزوم كثير عزة ، وهي القصيدة
التي أولها :

خَابِلِيْ هَذَا رُبْعُ عِزَّةٍ فَاعْقِلَا قُلُوصَيْكُمَا ثُمَّ اخْلُلَا حَيْثُ حَلَّتِ

وهذه القصيدة تزيد على عشرين بيتاً ، وهي مع ذلك سهلة لينة تكاد تفرق
من لينة وسهوانها . وبالجمل ما يقع من هذا النوع المتقدم فهو غير مقصود
منه ، ولذلك لا يرى عليه من أثر الكلمة شيء ، أما المناخرون فنصدوا عمله
وأكثروا منه ، حتى أن أبا العلاء المعري عمل من ذلك ديواناً كاملاً سماه
اللزوم ، فأنى فيه بالجيد الذي يحمد والردى الذي يذم (وقوله) أى قول

سَأَشْكُرُ عُمْرًا مَا تَرَاحَتْ مَنِيتِي أَيَادِي لَمْ تُمَنَّ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَتَى غَيْرُ مُحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مَظْهَرُ الشُّكْرِ إِذَا النُّعْلُ زَلَّتِ
رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا فَكَانَتْ قَدْ ذِي عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ
وَأَصْلُ الْحَسَنِ فِي ذَلِكَ كُلهُ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ تَابِعَةً لِلْمَعَانِي
دُونَ الْعَكْسِ .

❦ خاتمة ❦

(في السَّرِقَاتِ الشُّعْرِيَّةِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ)
اتِّفَاقُ الْقَائِلِينَ إِنْ كَانَ فِي الْغَرَضِ عَلَى الْعُمُومِ ، كَالْوَصْفِ بِالشَّجَاعَةِ
وَالسَّخَاءِ فَلَا يُعَدُّ سَرِقَةً ، لِتَقَرُّرِهِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَادَاتِ ، وَإِنْ كَانَ فِي وَجْهِ
الدَّلَالَةِ ، كَالْتَشْبِيهِ وَالْمِجَازِ وَالْكِنَايَةِ ، وَكَذِكْرِ هَيَّاتٍ تَدُلُّ عَلَى

عبد الله بن الزبير الأسدي في عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما (لم
تمنن) أي لم تقطع ، أو لم تخاط بمنة (إذا النعل زلت) زلة القدم والنعل :
كناية عن نزول الشر والمحنة (خلتي) الخلة : الخصاصة والفقر (وأصل
الحسن في ذلك) قد أسلفنا أول البيديع جملة كافية في هذا المعنى فاجعلها على
ذكر منك وعض عليها بالنواجذ تسكن من الفائزين (وما يتصل بها) مثل
الافتباس والتضمن والعقد والحل والتلميح (وغير ذلك) مثل القول في
الابتداء والتخلص والانتفاء (في الغرض على العموم) أي فيما يشترك فيه
الناس عامة من الأغراض والمقاصد (لتقرره) فيشترك فيه الفصيح والأعجم
والشاعر والمفحم (وجه الدلالة) أي طريق الدلالة على الغرض .

الصِّفَةُ لِاخْتِصَاصِهَا بِمَنْ هِيَ لَهُ ، كَوَصْفِ الْجَوَادِ بِالتَّهَلُّلِ عِنْدَ وُرُودِ
 الْعُقَاةِ ، وَالبَّخِيلِ بِالْعُبُوسِ مَعَ سَعَةِ ذَاتِ الْيَدِ ، فَإِنْ اشْتَرَكَ النَّاسُ
 فِي مَعْرِفَتِهِ ، لَاسْتِقْرَارِهِ فِيهِمَا ، كَتَشْبِيهِ الشُّجَاعِ بِالْأَسَدِ ، وَالْجَوَادِ
 بِالْبَحْرِ ، فَهُوَ كَالْأَوَّلِ ، وَإِلَّا جَازَ أَنْ يُدْعَى فِيهِ السَّبْقُ وَالزِّيَادَةُ ، وَهُوَ
 ضَرْبَانِ : خَاصٌّ فِي نَفْسِهِ غَرِيبٌ ، وَعَامٌّ تُصَرِّفُ فِيهِ بِمَا أَخْرَجَهُ مِنْ
 الْإِتِّدَالِ إِلَى الْغَرَابَةِ ، كَمَا مَرَّ ، فَالْأَخْذُ وَالسَّرِقَةُ نَوْعَانِ : ظَاهِرٌ ، وَغَيْرُ
 ظَاهِرٍ ، أَمَّا الظَّاهِرُ : فَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ الْمَعْنَى كُلُّهُ مَعَ اللَّفْظِ كُلِّهِ أَوْ بَعْضُهُ ،
 أَوْ وَحْدَهُ ، فَإِنْ أُخِذَ اللَّفْظُ كُلُّهُ مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ لِنِظْمِهِ فَهُوَ مَذْمُومٌ ، لِأَنَّهُ
 مَسْرُوقَةٌ مُحْضَةٌ ، وَيُسَمَّى نَسْخًا وَانْتِحَالًا ، كَمَا حُكِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ
 أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ بِقَوْلِ مُعَنَّ بْنِ أَوْسٍ :

(العفاة) أى السائلين جمع عاف (مع سعة ذات اليد) وأما العبوس مع قلة
 ذات اليد فمن أوصاف الإخياء (معرفته) أى معرفة وجه الدلالة (فيهما) أى
 فى العمول والعادات (فهو كالأول) أى فلا اتفاق فى هذا النوع من وجه
 الدلالة على الغرض كالاتفاق فى الغرض العام فى أنه لا يعد سرقة ولا أخذاً
 (وإلا) أى وإن لم يشترك الناس فى معرفته بأن كان مما لا ينال إلا بفكر
 فهذا الذى يجوز أن يدعى فيه الاختصاص والسبق ، وأن يقضى بين القائلين
 فيه بالتفاضل ، وأن أحدهما فيه أفضل من الآخر ، وأن الثانى زاد على الأول
 أو نقص عنه (كما مر) فى باب التشبيه والاستعارة (كما حكى) حكى أن عبد الله
 ابن الزبير الشاعر دخل على معاوية فأنشده البيتين فقال له معاوية لقد شعرت

فَإِذَا أُنْزِلَ تُنْصِفُ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَسْقِلُ
وَيَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيْعَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَرْحَلُ

بعدي يا أبا بكر ، ولم يفارق عبيد الله المجلس حتى دخل معن بن أوس المزني ،
فأنشده قصيدته التي أولها :

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَى أَيُّنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

حتى أتى عليها ، رقيها ما أنشده عبد الله ، فأقبل معاوية على عبد الله ، وقال
له ألم تخبرني أنهما لك ، فقال المعنى لي واللفظ له ، وبعد فهو أخى من الرضاة .
وأنا أحق بشعره . قوله من أن تضيمه : أى بدلا من أن تظلمه ، وشفرة السيف
حده ، ومرحل من زحل عن مكانه زحولا : إذا انتحى وتباعد . يقول إنه
لا يبالي أن يركب من الأمور ما يؤثر فيه تأثير السيف مخافة أن يدخل عليه
ضيم أو يلحقه هضم أو احتقار متى لم يجد عن ركوبه مبعدا ولا معدلا . وهذا
ومما هو من قبيل ذلك ما روى للأبيرد اليربوعي :

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ إِذَا السَّنَةُ الشَّيْءُ أَعْوَزَ هَا الْقَطَرُ
ولابي نواس :

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ قَدُورُ

قال ابن الأثير : ومما كنت أستحسنه من شعر أبي نواس قوله من قصيدته
التي أولها :

* دَعِ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاهُ *

دَارَتْ عَلَى فَتْيَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ فَمَا يُصِيبُهُمْ إِلَّا بَمَا شَاؤُوا

وَفِي مَعْنَاهُ أَنْ يُبَدَّلَ بِالْكَلِمَاتِ كُلِّهَا أَوْ بَعْضِهَا مَا يُرَادُفُهَا ، وَإِنْ
كَانَ مَعَ تَغْيِيرٍ لِنَظْمِهِ ، أَوْ أُخِذَ بَعْضُ اللَّفْظِ ، سُمِّيَ إِغَارَةً وَمَسْبُخًا ،

وهذا من على الشعر ، وقفت في كتاب الأغاني لأبي الفرج على هذا
البيت في أصوات معبد وهو :

لَهْفِي عَلَى فَتْيَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ فَمَا أَصَابَهُمْ إِلَّا بِمَا شَاؤُوا
وما أعلم كيف هذا ، وقد أكثر الفرزدق وجريز من هذا في شعرهما ، حتى
لقد حكى أن امرأة من عقيل يقال لها ليلي كان يتحدث إليها الشباب ، فدخل
الفرزدق إليها وجعل يحادثها ، وأقبل فتى من قومها كانت تألفه ، فدخل إليها
فأقبلت عليه وتركت الفرزدق ، فغاضه ذلك ، فقال للفتى أتصارعني ، فقال ذلك
إليك ، فقام إليه فلم يلبث أن أخذ الفرزدق فصرعه وجلس على صدره فضرط ،
فوثب الفتى عنه وقال : يا أبا فراس هذا مقام العائد بك ، والله ما أردت
ما جرى ، فقال ويحك والله ما أبى أنك صرعتني ، ولكن كاني بابن الأثان ،
يعني جريرا ، وقد بلغه خبري فقال يهجوني :

جَلَسْتَ إِلَى لَيْلَى لِتَحْظَى بِقُرْبِهَا نَحْنُكَ دُبُرٌ لَا يَزَالُ يَخُونُ
فَلَوْ كُنْتَ ذَا حَزْمٍ شَدَدْتَ وَكَاءَهُ كَمَا شَدَّ جُرْبَانَ الدَّلَاصِ قِيُونُ

قال فوالله مامضى إلا أيام حتى بلغ جريرا الخبر ، فقال فيه هذين البيتين ،
وهذا من أغرب ما يكون في مثل هذا الموضع وأعجبه (أن يبدل) كقول
أمرئ القيس :

وَقُوفًا بِهَا تَحْيَى عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ
وقول طرفة :

وَقُوفًا بِهَا تَحْيَى عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ

فَإِنْ كَانَ الثَّانِي أُبْلَغَ لِاخْتِصَاصِهِ بِفَضِيلَةٍ ، فَمَمْدُوحٌ ، كَقَوْلِ بَشَّارٍ :
مَنْ رَقَبَ النَّاسَ لَمْ يَطْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهُجُ
وَقَوْلِ سَلَمٍ :

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ هَمًّا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ
وَإِنْ كَانَ دُونَهُ فَمَذْمُومٌ ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

وَقَوْلِ حَاتِمٍ :

وَمَنْ يَبْتَدِعُ مَا لَيْسَ مِنْ خِيَمِ نَفْسِهِ يَدْعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمُهَا
وَقَوْلِ الْأَعْوَرِ :

وَمَنْ يَقْتَرِفْ خُلُقًا سِوَى خُلُقِ نَفْسِهِ يَدْعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمُهَا
(لاختصاصه بفضيلة) كحسن السبك أو الاختصار أو الإيضاح أو زيادة
معنى (كقول بشار) فبيت سلم قالوا أجود سبكاً وأخصر لفظاً ، وقد روى
عن أبي معاذ راوية بشار أنه قال أنشدت بشاراً قول سلم فقال : ذهب والله
بنتي فهو أخف منه وأعذب ، والله لا أكلت اليوم ولا شربت . . هذا ، ومن
السرقات الممدوحة قول الشاعر :

خَلَقْنَا لَهُمْ فِي كُلِّ عَيْنٍ وَحَاجِبٍ بِسْمَرِ الْقَنَّا وَالْبَيْضِ عَيْنَا وَحَاجِبِ
وَقَوْلِ ابْنِ نَبَاتَةَ بَعْدَهُ :

خَلَقْنَا بِأَطْرَافِ الْقَنَّا فِي ظُهُورِهِمْ عُيُونًا لَهَا وَقَعُ الشُّيُوفِ حَوَاجِبُ
فبيت ابن نباتة أبلغ لاختصاصه بزيادة معنى ، وهو الإشارة إلى انهمامهم ،
ومن الناس من جعلهما متساويين (كقول أبي تمام) فإن مصراعه أحسن

هَيْهَاتَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلٌ
وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاوُهُ فَسَخَا بِهِ وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بِخِيَلًا
وَإِنْ كَانَ مِثْلَهُ فَأَبْعَدُ مِنَ الدَّمِّ ، وَالْفَضْلُ لِلأَوَّلِ ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

سبقنا من مصراع أبي الطيب ، لأن أبا الطيب أراد أن يقول ولقد كان الزمان به بخيلا فعدل عن الماضي إلى المضارع للوزن . فإن قلت المعنى أن الزمان لا يسمح بهلاكه ، قلنا السخاء بالشئ هو بذله للغير ، فإذا كان الزمان قد سخا به فقد بذله فلم يبق في تصريفه حتى يسمح بهلاكه أو يبخل به (أعدى الزمان) أى تعلم الزمان منه السخاء لجأده ، وأخرجه من العدم إلى الوجود ولولا سخاؤه الذى استفاده منه لبخل به على الدنيا واستبقاه لنفسه (فأبعد من الدم) هذا على تقدير ألا يكون فى الثانى دلالة على السرعة باتفاق الوزن والقافية ، وإلا فهو بالدم حقيق كقول أبي تمام :

مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِ وَإِنْ قَلِقْتُ رِكَابِي فِي الْبِلَادِ
وَمَا سَافَرْتُ فِي الْأَفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدُّوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي
وقول أبي الطيب :

وَإِنِّي عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لَعَادِي وَقَلْبِي عَنْ فِنَائِكَ غَيْرُ غَادٍ
لِحَبْلِكَ حَيْثُمَا اتَّجَهْتُ رِكَابِي وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِلَادِ
(كقول أبي تمام) وقول بشار :
يَأْقَوْمُ أُذُنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةً وَالْأُذُنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَخْيَانًا
وقول ابن الشحنة الموضلى :

لَوْ حَارَ مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَحِدْ إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النَّفُوسِ دَلِيلًا

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَخْبَابِ مَا وَجَدْتُ لَهَا الْمَنِيَّةَ إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلًا

وَإِنْ أَخَذَ لَأَمْنَى وَخَذَهُ سُبْنَى إِيْلَامًا وَسَلَخًا ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ كَذَلِكَ

أَوَّلُهَا كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

وَإِنِّي أَمْرُؤُ أَحَبُّكُمْ لِمَكَارِمِ سَمِعْتُ بِهَا وَالْأُذُنُ كَالْعَيْنِ تَعْشَقُ

وَكَذَا قَوْلُ الْأَرَجَانِيِّ :

لَمْ يُبَكِّكْنِي إِلَّا حَدِيثُ فِرَاقِكُمْ لَمَّا أُسْرَ بِهِ إِلَى مُوَدَّعِي

هُوَ ذَلِكَ الدُّرُّ الَّذِي أَوْدَعْتُمْ فِي مِسْمَعِي الْقَيْئُتَهُ مِنْ مَدْمَعِي

وَقَوْلُ جَارِ اللَّهِ :

وَقَالَتْ مَا هَـبْـذِهِ الدُّرُّ الَّتِي تَسَاقَطُهَا عَيْنَاكَ سَمَطَيْنِ سَمَطَيْنِ

فَقُلْتُ هِيَ الدُّرُّ الَّتِي قَدْ حَشَا بِهَا أَبُو مُضَرٍّ أُذُنِي تَسَاقَطُ مِنْ عَيْنِي

(كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ لَوْ حَارَ) فَإِنْ أَبَا الطَّيِّبِ أَخَذَ الْمَعْنَى بِرُمِيهِ مَعَ بَعْضِ

الْأَلْفَاظِ كَالْمَنِيَّةِ وَالْفِرَاقِ وَالْوَجْدَانِ وَالْإِثْنَانِ مُتَسَاوِيَانِ فِي الْبَلَاغَةِ ، وَالْإِرْتِيَادِ

الطَّالِبِ ، وَإِضَافَةِ الْمُرْتَادِ إِلَى الْمَنِيَّةِ بَيَانِيَّةٌ وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ (إِيْلَامًا) مِنْ أَلَمْ بِالشَّيْءِ

إِذَا قَصَدَهُ وَأَصْلُهُ مِنْ أَلَمْ بِالْمَنْزِلِ إِذَا نَزَلَ بِهِ (وَسَلَخًا) وَهُوَ كَشَطُ الْجِلْدِ

عَنْ نَحْوِ النِّسَاءِ ، وَاللَّفْظُ لِلْمَعْنَى بِمَنْزِلَةِ الْجِلْدِ ، فَكَأَنَّهُ كَشَطُ عَنْ الْمَعْنَى جِلْدًا

وَالْبَسَهُ جِلْدًا آخَرَ (كَذَلِكَ) أَيْ مِثْلَ مَا يُسَمَّى إِغَارَةً وَمَسْخَاً ، لِأَنَّ الثَّانِي

إِمَّا أَبْلَغُ مِنَ الْأَوَّلِ أَوْ دُونَهُ أَوْ مِثْلُهُ (كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ) وَكَقَوْلِ الْبَحْثَرِيِّ

هُوَ الصَّنْعُ إِنْ يَعَجَلَ فَيُخَيَّرُ وَإِنْ يَرِثُ فَلَا رَيْثُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ أَنْفَعُ
وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

وَمِنْ أَخْيَرِ بَطْنِ سَيْبِكَ عَنِّي أَسْرَعُ الشَّحْبِ فِي الْمَسِيرِ الْجَهَامِ
وثانيها كقول البحتري :

تَصُدُّ حَيَاكَ أَنْ تَرَكَ بِأَوْجِهِ أَتَى الذَّنْبَ عَاصِيهَا فَلَيْمَ مُطِيعُهَا
وقول أبي الطيب :

وَجُرِّمِ جَرَّهُ سَفَاهَ قَوْمٍ وَحَلَّ بَغِيرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ
فإن بيت أبي الطيب أحسن سبكاً ، وكأنه اقتبس من قوله تعالى : أنهلكنا
بما فعل السفهاء منا ، وكقول الآخر :

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الْغَنَى إِذَا كَانَتْ الْعُلْيَا فِي جَانِبِ الْفَقْرِ
وقول أبي تمام بعده :

يَصُدُّ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا عَنَّ سُودْدٌ وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيٍّ عَذْرَاءُ نَاهِدٍ

فبيت أبي تمام أخصر وأبلغ ، لأن قوله ولو برزت في زي عذراء ناهد :
زيادة حسنة (كقول أبي تمام هو الصنع) فبيت المتنبي أبلغ لاشتغاله على
زيادة بيان ، والريث : الإبطاء ، والسيب : العطاء ، والجهام : السحاب الذي لا ماء
فيه (كقول البحتري) فإن بيت أبي الطيب دون بيت البحتري ، لأنه قد فاته
ما أفاده البحتري بلفظي تألق ، والمصقول من الاستعارة التخيلية حيث أثبت
التألق والصقالة للكلام ، كإثبات الأظفار للنية ، ويلزم من هذا تشبيه كلامه
بالسيف وهو الاستعارة بالكناية ، ومعنى تألق : لمع ، والندی : المجلس الغاص
بأشراف الناس ، والمصقول : المنقح ، والعضب : السيف القاطع . شبه لسانه بسيفه .

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي النَّدِيِّ كَلَامُهُ الْمَصْقُولُ خِلَتْ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ
وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :

كَأَنَّ أَلْسِنَتَهُمْ فِي الشُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِمْ فِي الطَّمَنِ خُرُصَانَا
وَتَأَلَّهَا كَقَوْلِ الْأَعْرَابِيِّ :

وَلَمْ يَكُ أَكْثَرَ الْفَتَيَانِ مَالًا وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعًا

وخرصان الرماح : أسننها أو الحلق ، تطيف بأسافل الأسنة ، وواحد ما خرص بالضم والكسر ، وصف فصاحة أسنة الممدوحين وطلاقتها . يقول إن ألسنتهم في المضاء والنفاذ تشابه ألسنتهم عند الطمن ، فكان ألسنتهم جعلت أسنة رماحهم . ومن هذا التسمي قول بعض الأعراب :

وَرِيحُهَا أَطْيَبُ مِنْ طِيْبِهَا وَالطَّيْبُ فِيهِ الْمِسْكُ وَالْعَنْبَرُ
وقول بشار :

وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا بَصَبًا غَابَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ
وكذلك قول أشجع :

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصْدَانِ ضَوْءِ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامِ
فَإِذَا تَنَبَّهَ رُغْمَتُهُ وَإِذَا هَلَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامُ
وقول أبي الطيب :

يَرَى فِي النَّوْمِ رُيُوحَكَ فِي كَلَامِهِ وَيَحْشَى أَنْ يَرَاهُ فِي الشَّهَادِ
فقصر بذكر الشهاد لأنه أراد اليقظة فأخطأ ، إذ ليس كل يقظة شهاداً وإنما الشهاد امتناع الذكرى في الليل ، وأما المستيقظ بالنهار فلا يسمى ساهداً .
(كقول الأعرابي) وكذا قول أبي بكر بن النطاح :

وَقَوْلِ أَشْجَعَ :

وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغِنَى * وَلَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ
* وَأَمَّا غَيْرُ الظَّاهِرِ فَمِنْهُ أَنْ يَتَشَابَهَ الْمَغْنِيَانِ ، كَقَوْلِ جَرِيرٍ :

كَأَنَّكَ عِنْدَ السَّكَرِيِّ حَوْمَةٌ الْوَغَى تَنْزِيْهُ مِنَ الصَّفِّ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَ
وقول أبي الطيب :

فَكَأَنَّهُ وَالطُّغْنُ مِنْ قُدَامِهِ مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَافِهِ أَنْ يُطْعَمَ *
وكذا قول الآخر يذكر ابناً له مات :

الصَّبْرُ يَتِمُّدُ فِي الْمَوَادِنِ كَأَنَّهَا إِلَّا عَائِكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ
وقول أبي تمام بعده :

وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لَأَبْسِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأُصْبِحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجُوعُ
وفلان رجب الذراع والباع : سخرى (كقول جرير) فإن تعبير جرير
عن الرجل بذى العمامة كتعبير أبي الطيب عنه بن فى كفه قناة ، وكذا العبارة
عن المرأة بذات الخمار ، وبين فى كفه خضاب : ومن هذا النوع قول الطرماح
ابن حكيم الطائى :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنْ نِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ
وقول أبي الطيب :

وَإِذَا أَتَيْتُكَ مَذْمُومِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنْنى كَامِلٌ

فَلَا يَمْنَعُكَ مِنْ أَرْبٍ لِحَاظُهُمْ سَوَاءٌ ذُو الْعِمَامَةِ وَالْخِمَارِ

وقول أبي الطيب :

وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاقَةٌ كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابٌ

وَمِنْهُ أَنْ يُنْقَلَ الْمَعْنَى إِلَى مَعْنَى آخَرَ ، كقول البُخْتَرِيِّ :

سَلَبُوا وَأَشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمْ مُحْمَرَّةٌ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسَلَبُوا

وقول أبي الطَّيِّبِ :

فإن ذم الناقص أبا الطيب كبغض من هو غير طائل ذلك الرجل ، وشهادة
ذم الناقص أبا الطيب بفضله كزيادة حب الطرماح لنفسه ، وكذا قول أبي العلاء
المعري في مراثية :

وَمَا كُفَّةُ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ قَدِيمَةٌ وَلَكِنَّهَا فِي وَجْهِهِ أَثَرُ اللَّطْمِ

وقول القيسراني :

وَأَهْوَى الَّذِي أَهْوَى لَهُ الْبَدْرُ سَاجِدًا أَلَسْتَ تَرَى فِي وَجْهِهِ أَثَرَ التُّرْبِ

ولا يغرنك من البيتين المتشابهين أن يكون أحدهما نسيباً والآخر مديحاً
أو هجاء أو افتخاراً أو غير ذلك ، فإن الشاعر الحاذق إذا عمد إلى المعنى المختاس
لينظمه تحيل في إخفائه فغير لفظه وعدل به عن نوزعه ووزنه وقافيته (كقول
البُخْتَرِيِّ) فإن أبا الطيب كما ترى نقل المعنى من التتلى والجرحى إلى السيف ،
سلبوا : أى سلبوا ثيابهم ، وأشرفت الدماء عليهم : أى فظهرت الدماء عليهم
ملازمة لإشراق شعاع الشمس ، فكأنهم لم يسلبوا لأن الدماء المشرقة كانت
بمنزلة ثياب لهم : وأصل هذا المعنى من قول بعض العرب

يَكْسُو النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غَمْدِهِ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُغَمَّدٌ

وَمِنْهُ أَنْ يَكُونَ الثَّانِي أَشْمَلَ : كَقَوْلِ جَرِيرٍ :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ وَجَدْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا

وَقَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ :

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ

وَمِنْهُ الْقَلْبُ : وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الثَّانِي تَقْيِضَ مَعْنَى الْأَوَّلِ ،

كَقَوْلِ أَبِي الشَّيْصِ :

وَقَتُّ بَيْنَ ابْنَيْ هُشَيْمٍ بِطَفْنَةٍ لَهَا عَائِدَةٌ يَكْسُو السَّايِبَ إِزَارًا^(١)

(النَجِيعُ) النَجِيعُ مِنَ الدَّمِ : مَا كَانَ إِلَى السَّوَادِ ، وَهُوَ دَمُ الْجُوفِ

(كَقَوْلِ جَرِيرٍ) فَإِنْ جَرِيرٌ أَجْعَلَ النَّاسَ كُلَّهُمْ بَنِي تَمِيمٍ ، وَأَبَا نُوَاسٍ جَعَلَ الْعَالَمَ

كَافِيًا وَاحِدًا (كَقَوْلِ أَبِي الشَّيْصِ) فَإِنْ مَا فِي بَيْتِهِ مُنَاقِضٌ لِمَا فِي بَيْتِ

أَبِي الطَّيِّبِ ، لِأَنَّهُ صَرَحَ بِحُبِّ الْمَلَامَةِ ، وَالْمُتَنَبِّيُّ فِي حُبِّهَا بِهَمْزَةِ الْإِنْكَارِ ، لَكِنْ

كُلُّهُمَا بِإِعْتِبَارِ آخَرٍ ، وَلِهَذَا قَالُوا الْأَحْسَنُ فِي هَذَا النَّوْعِ أَنْ يَبَيِّنَ السَّبَبَ

كَأَنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ^(٢) إِلَّا أَنْ يَكُونَ ظَاهِرًا كَمَا فِي قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

وَنَعْمَةٌ مُعْتَنِي جَدَّوَاهُ أَحَلَّى عَلَى أذُنَيْهِ مِنْ نَعَمِ السَّمَاعِ

(١) عِنْدَ الْعَرَقِ سَالٌ فَلَمْ يَكْدِرْ قَاءً ، وَهُوَ عَرَقٌ عَائِدٌ .

(٢) فَإِنْ الْأَوَّلُ عَلَّلَ حُبَّ الْمَلَامَةِ بِحُبِّهِ لَذِكْرِهِ ، وَالثَّانِي عَلَّلَ كِرَاهِيَتَهُ

لَمْ يَكُونَهَا تَصَدَّرُ مِنَ الْأَعْدَاءِ .

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلْيَلْمَنِي الْيَوْمَ

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

أُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ
وَمِنْهُ أَنْ يُؤْخَذَ بِمَعْنَى الْمَعْنَى وَيُضَافَ إِلَيْهِ مَا يُحَسِّنُهُ كَقَوْلِ الْأَفْوَاهِ :
وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأْيَ عَيْنٍ ثِقَةٍ أَنْ سَتَمَارَ

وَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

وَقَدْ ظَلَمْتَ عِقْبَانَ أَعْلَامِهِ فَعَيَّ بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلَ
أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقَاتِلَ
فَإِنْ أَبَا تَمَامٍ لَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ مِنْ مَعْنَى قَوْلِ الْأَفْوَاهِ رَأْيَ عَيْنٍ

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

وَالْجَرَاحَاتِ عِنْدَهُ نَعَمَاتُ سَبَقَتْ قَبْلَ سَيْبِهِ بِسْوَالٍ

أَرَادَ أَبُو تَمَامٍ أَنَّ الْمَدْرُوحَ يَسْتَلْذِقُ نَعَمَاتِ السَّائِلِينَ لِمَا فِيهِ مِنْ غَايَةِ الْكَرَمِ
وَنَهَايَةِ الْجُودِ ، وَأَرَادَ أَبُو الطَّيِّبِ أَنَّهُ إِنْ سَبَقَتْ نِعْمَةٌ مِنْ سَائِلٍ عَطَاءَ الْمَدْرُوحِ
بَلَغَ ذَلِكَ مِنْهُ مَبَاغِ الْجَرَاحَةِ مِنَ الْمَجْرُوحِ ، لِأَنَّهُ عَادَهُ أَنْ يُعْطَى نَعِيرُ سَوْالٍ (عَلِيٍّ)
آثَارِنَا (وَرَامَنَا تَابِعَةً لَنَا) (رَأْيَ عَيْنٍ) يَعْنِي عَيَانًا (سَتَمَارَ) أَيْ سَتَطْعَمُ
مِنْ لَحُومٍ مِنْ تَقْتُلُهُمْ مِنَ الْقَتْلِ (وَقَدْ ظَلَمْتَ) يَقُولُ : إِنْ رَايَاتِ الْمَدْرُوحِ الَّتِي
هِيَ كَالْعِقْبَانِ قَدْ صَارَتْ مَظْلَلَةً بِالْعِقْبَانِ مِنَ الطَّيْرِ نَوَاهِلَ فِي دَمَاءِ الْقَتْلِ ، لِأَنَّهُ
إِذَا خَرَجَ لِلْفَزْوِ تَسِيرَ الْعِقْبَانِ فَوْقَ آثَارِهِ ، وَثُوبًا بِأَنَّهَا سَتَطْعَمُ لَحُومَ الْقَتْلِ
فَتَتَقَى ظِلَالَهَا عَلَيْهَا ، وَالنَّوَاهِلُ جَمْعُ نَاهِلَةٍ : مِنْ نَهْلٍ إِذَا رَوَى (فَإِنْ أَبَا تَمَامٍ)

وَأَمِنْ قَوْلِهِ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارُ ، لَكِنْ زَادَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلْ
وَقَوْلِهِ فِي الدِّمَاءِ نَوَاحِلَ ، وَبِإِقَامَتِهَا مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنَ الْجَيْشِ
وَبِأَنَّهُ يَتِمُّ حُسْنُ الْأَوَّلِ ، وَأَنَّ كَثْرَ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ وَنَحْوِهَا مَقْبُولَةٌ ، بَلْ
مِمَّا يُخْرِجُهُ حُسْنُ التَّصَرُّفِ مِنْ قَبِيلِ الْإِتِّبَاعِ إِلَى حَيْزِ الْإِبْتِدَاعِ ،
وَالْمَا كَانَ أَشَدَّ خَفَاءً كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْقَبُولِ ، هَذَا كُلُّهُ إِذَا عُلِمَ أَنَّ
أَنِّي أَخَذَ مِنَ الْأَوَّلِ ، لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّفَاقُ مِنْ قَبِيلِ تَوَارِدِ

إِنْ أَنْ أَبَا تَمَامٍ أَخَذَ بَعْضُ مَعْنَى بَيْتِ الْأَفْوَهَ لَا كُلَّهُ ، لِأَنَّ الْأَفْوَهَ أَفَادَ بِقَوْلِهِ
رَى عَيْنَ قَرَبِ الطَّيْرِ مِنَ الْجَيْشِ لِأَنَّهَا إِذَا بَعْدَتْ تَخِيلَتْ وَلَمْ تَرَوْهَا لَكِنْ يَكُونُ
فِيهَا تَوْفَعًا لِلْفَرِيَسَةِ ، وَهَذَا يُوَكِّدُ الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ أَعْنَى وَصْفِهِمْ بِالشَّجَاعَةِ
وَالْفَتْدَارِ عَلَى قَتْلِ الْأَعَادِي ، ثُمَّ قَالَ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارُ لِجَعْلِهَا وَاثِقَةً بِالْمِيرَةِ ، وَأَمَّا
أَبُو تَمَامٍ فَلَمْ يَلَمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، لَكِنْ زَادَ عَلَى الْأَفْوَهَ بِقَوْلِهِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلْ ،
وَقَوْلِهِ فِي الدِّمَاءِ نَوَاحِلَ ، ثُمَّ بِإِقَامَتِهَا مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنَ الْجَيْشِ ،
هَذَا يَتِمُّ حُسْنُ قَوْلِهِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلْ ، وَهَذِهِ الزِّيَادَاتُ حَسَنَتْ قَوْلَهُ ،
وَلَكِنْ كَانَ قَدْ تَرَكَ بَعْضُ مَا أَتَى بِهِ الْأَفْوَهَ . فَقَوْلُ الْمَصْنُفِ وَبِهَا أَى هَذِهِ
الْيَادَةُ الْآخِرَةُ وَهِيَ إِقَامَتُهَا مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنَ الْجَيْشِ ، وَقَوْلُهُ الْأَوَّلُ
فِي قَوْلِهِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلْ (إِذَا عُلِمَ أَنَّ الثَّانِيَّ أَخَذَ مِنَ الْأَوَّلِ) بِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ
لَمْ يَحْفَظْ قَوْلَ الْأَوَّلِ حِينَ نَظَّمَ قَوْلَهُ ، أَوْ بِأَنَّهُ يُخْبِرُ هُوَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ أَخَذَ مِنْهُ
لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّفَاقُ مِنْ قَبِيلِ تَوَارِدِ الْخَوَاطِرِ (كَمَا وَقَعَ لِي فِيمَا دَرَجَ مِنْ
أَيَّامِ أَيَّامٍ كُنْتُ لَا أَعْرِفُ شِعْرًا وَلَا شَاعِرًا ، وَذَلِكَ بَيْتُ قَائِدِهِ فِي صَدِيقٍ غَابَ
عَنْ حِرْسٍ مِنَ الزَّمَنِ وَهُوَ :

الخواطر ، أى مجيئه على سبيل الاتفاق من غير قصد للأخذ ، فإذا
لم يعلم قيل قال فلان كذا وقد سبقه إليه فلان فقال كذا .

ومما يتصل بهذا القول فى الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتاميح .
أما الاقتباس : فهو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على
أنه منه ، كقول الخليلي : فلم يكن إلا كمنح البصر أو هو أقرب ،
حتى أنشد فأغرب ، وقول الآخر :

إن كنت أزمعت على هجرنا من غير ما جرم فصبر جميل
وإني تبدلت بنا غيرنا فحسبنا الله ونعم الوكيل

وسا كنت أدري قبل بعدك ما الجوى ولا حادثات الدهر كيف تنوب
فأسمعه صاحباً لي فقال إن مثله لكثير عزة وهو :

وما كنت أدري قبل عزة ما البكا ولا موجعات القلب حتى تولت
فما كاد يسمه حتى أخذت منى هزة الطرب ، وكدت أخرج من جلدي فرحاً
وقلت الآن أغبط نفسي إذ طبعتم على غرار أعيان الشعراء ، وكما يحكى عن ابن
ميادة أنه أنشد لنفسه :

مفيد ومثلاف إذا ما أتيتته تهلل وتهلل اهتزاز المهند

ف قيل له أين يذهب بك هذا للحطيمه ، فقال الآن علمت أنى شاعر ، إذ
وافقت على قوله ولم أسمع (الآخر) هو أبو القاسم بن الحسن الكاتبي
(أزمعت) أى عزمت (من غير ما جرم) من غير ذنب صدر من فازائده

وَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ : قُلْنَا شَاهَتِ الْوُجُوهُ ، وَقُبِحَ اللَّكْعُ وَمَنْ يَرْجُوهُ .
قَوْلِ ابْنِ عَبَّادٍ :

قَالَ لِي ابْنُ رَقِيٍّ سَيِّءُ الْخُلُقِ فِدَارُهُ
قُلْتُ دَعْنِي وَجْهَكَ الْجَنَّةُ خَفَّتْ بِالْمَكَارِهِ
وَهُوَ مُسْرَبَانٍ : مَا لَمْ يُنْقَلْ فِيهِ الْمُقْتَبَسُ عَنْ مَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ ، كَمَا
لَدَّةٌ ، وَخِلَافُهُ ، كَقَوْلِهِ :

إِنِّي أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِيكَ مَا أَخْطَأْتُ فِي مَنَعِي
لَقَدْ أَنْزَلْتُ حَاجَاتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ
وَلَا بَأْسَ بِتَغْيِيرِ يَسِيرِ الْوَزْنِ أَوْ غَيْرِهِ ، كَقَوْلِهِ :

لَمَّا شَاهَتِ الْوُجُوهُ) أى قبحت وهو لفظ الحديث ، فإنه روى أنه لما اشتدت
لرب يوم حنين ، أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كماً من الحصباء فرمى به
شركيين ، وقال شَاهَتِ الْوُجُوهُ (اللَّكْعُ) أى اللثيم ، ويقال هو العبد الذليل
نفس (فِدَارُهُ) من المداراة ، وهى المجاملة والملاطفة (وَجْهَكَ الْجَنَّةُ)
بد اقتبس من لفظ الحديث حمت الجنة المكاره ، وحمت النار بالشهوات :
فى أن وجهك الجنة فلا بد لى من تحمل مكاره الرقيب ، كما لا بد لطالب الجنة
ن مشاق التكاليف (كَقَوْلِهِ) أى قول ابن الرومى ، فإن بواد غير ذى زرع
نتبس من القرآن الكريم ، لكن معناه فى القرآن واد لا ماء فيه ولا نبات ،
فى البيت جناب لا خير فيه ولا نفع (كَقَوْلِهِ) أى قول بعض المعارفة
مد وفاة بعض أصحابه ، ومثله قول عمر الخيام

قَدْ كَانَ مَا خِفْتُ أَنْ يَكُونَا * إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَ
وَأَمَّا التَّضْمِينُ : فَهُوَ أَنْ يُصَمَّنَ الشَّعْرُ شَيْئًا مِنْ شَعْرِ الْغَيْرِ مَعَ التَّنْبِيهِ
عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَشْهُورًا عِنْدَ الْبُلَغَاءِ ، كَقَوْلِهِ :

سَبَقْتُ الْعَالَمِينَ إِلَى الْعَالِي بِصَائِبِ فِكْرَةٍ وَعُلُوِّ هِمَّةٍ
وَلَا حَاجَ بِحِكْمَتِي نَوْرُ الْهُدَى فِي لَيَالٍ لِلضَّلَالَةِ مَذْلَمَةٍ
يُرِيدُ الْجَاهِلُونَ لِيُطْفِئُوهُ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ

وكذلك قول القاضي منصور الهروي الأزدي :

فَلَوْ كَانَتْ الْأَسْلَاقُ تُحَوِّى وَرَاثَةً وَلَوْ كَانَتْ الْأَرَاهُ لَا تَتَشَعَّبُ
لَأُصْبِحَ كُلُّ النَّاسِ قَدْ ضَمَّيْنَاهُمْ هَوًى كَمَا أَنَّ كُلَّ النَّاسِ قَدْ ضَمَّيْنَاهُمْ أَبُ
وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ كُلُّ مَيْسَرَةٍ لِمَا هُوَ مَخْلُوقٌ لَهُ وَمُقَرَّبٌ
(عليه) أى على أنه من شعر الغير (كقوله) أى قول الحريري يحكى ما قاله
الغلام الذى عرضه أبو زيد اللبيبي : والمصراع الأخير للعرجي وتماه :

* لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ تَغْرِ *

ومن هذا النوع قول ابن العميد :

وَصَاحِبِ كُنْتُ مَغْبُوطًا بِصُحْبَتِهِ دَهْرًا فَعَادَرَنِي فَرْدًا بِإِلَاسَتِكُنِي
هَبَّتْ لَهُ رِيحُ إِقْبَالِ فِطَارٍ بِهَا نَحْوُ الشَّرُورِ وَأَلْجَانِي إِلَى الْحُزَنِ
رَأَيْتُهُ كَانَ مَطْوِيًّا عَلَى إِحْنٍ وَلَمْ يَكُنْ فِي ضُرُوبِ الشَّعْرِ أَنْشَدَنِي

حَلَى أَنَّى سَأُنْشِدُ عِنْدَ بَيْعِي أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا
وَأَحْسَنُهُ مَا زَادَ عَلَى الْأَصْلِ بِنُكْتَةٍ كَالْتَوْرِيَةِ وَالتَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ :
إِذَا الْوَهْمُ أَبْدَى لِي لَمَاهَا وَثَغَرَهَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعَذِيبِ وَبَارِقِ
وَيَذَكِّرُنِي مِنْ قَدِّهَا وَمَدَامِي مَجْرَى عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ
. وَلَا يَضُرُّ التَّغْيِيرُ الْيَسِيرُ ، وَرُبَّمَا سُمِّيَ تَضَمِينُ الْبَيْتِ ، فَمَا زَادَ

إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَوْا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْتُمُّهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخُشِنِ
والبيت لأبي تمام (كالتورية والتشبيه في قوله) أي قول ابن أبي الأصبع ،
فالمصراعان الأخيران مطلع قصيدة لأبي الطيب ، والعذيب وبارق : موضعان ،
والعوالي : الرماح ، والسوابق : الخيل . يقول إنهم كانوا نزولاً بين هذين الموضعين
وكانوا يحرمون الرماح عند مطاردة الفرسان ويسابقون على الخيل ، فالشاعر
الثاني أراد بتضمينه بالعذيب وبارق معنيين البعيدين ، لأنه جعل العذيب
تصغير العذب ، وعنى به شجرة الحبيبية ، وبارق ثغرها الشبيه بالبرق ، وبما بينهما
ريّة ، وهذا تورية ، وشبهه تبختر قدها بتمایل الرمح وجريان دمه على التتابع
بجريان الخيل السوابق ، فزاد على أبي الطيب هذه التورية والتشبيه (ولا يضر
التغيير اليسير) ليدخل في معنى الكلام كقول بعض المتأخرين في يهودى (١) به
داه الثعلب (٢) :

أَقُولُ لِمَعْشَرٍ غَلَطُوا وَغَضُّوا ١ عَنِ الشَّيْخِ الرَّشِيدِ وَأَنْكَرُوهُ

(١) ذمّاً له بكونه أقرع .

(٢) هو مرض يسقط الشعر من الرأس .

اسْتِعَانَةً ، وَتَضْمِينَ الْمَضْرَاعِ فَمَا دُونَهُ إِيدَاعًا وَرَفُوعًا . وَأَمَّا الْعَقْدُ : فَهُوَ أَنْ يُنْظَمَ نَثْرٌ لَا عَلَى طَرِيقِ الْاِقْتِبَاسِ ، كَقَوْلِهِ :

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ * وَحَيْفَةُ آخِرُهُ يَفْخَرُ

عَقْدَ قَوْلٍ عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ : وَمَا لِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرَ ، وَإِنَّمَا أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وَآخِرُهُ حَيْفَةٌ . وَأَمَّا الْحَالُ : فَهُوَ أَنْ يُنْثَرَ نَظْمٌ كَقَوْلِ بَعْضِ الْمَغَارِبَةِ : فَإِنَّهُ لَمَّا قُبِحَتْ فَعَلَاتُهُ ، وَحَنَظَلَتْ نَخْلَاتُهُ ، لَمْ يَزَلْ سُوءَ الظَّنِّ

هُوَ ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا مَتَى يَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُوهُ

البيت لسحيم بن وثيل وأصله :

أَنَا ابْنُ رَجُلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا مَتَى أَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

على طريقة التسكيم كما ترى . فغيره إلى طريقة الغيبة ليدخل في المنصود (إيداعاً) لأن الشاعر الثاني قد أودع شعره شيئاً من شعر الأول (ورفوياً) لأنه رفا خرق شعره بشعر غيره (كقوله) أى قول أبي العتاهية . ومثله قوله أيضاً :

وَكَاثَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا

عقد قول بعض الحكماء في الإسكندر لما مات . كان الملك أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس (وأما الحل) وشرط كونه مقبولاً شيئاً أحدهما : أن يكون سبك مختاراً لا بتقاصير عن سبك أصله ، والثاني : أن يكون حسن الموقع مستتراً في محله غير فاق (كقول بعض المغاربة) يصف شخصاً بأنه سيء الظن لقياسه غيره على نفسه والمعلات الأفعال وحنظلات نخلاته .

يَعْتَادُهُ ، وَيُصَدِّقُ تَوَهُّمَهُ الَّذِي يَعْتَادُهُ . حَلَّ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ :
 إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِهِ
 وَأَمَّا التَّلْمِيحُ : فَهُوَ أَنْ يُشَارَ إِلَى قِصَّةٍ أَوْ شِعْرِ مِنْ غَيْرِ
 ذِكْرِهِ ، كَقَوْلِهِ :

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي الْأَحْلَامُ نَأْمٌ أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرَّكْبِ يَوْشَعُ

صارت ثمار نخلاته كالنخل في المارة . ومثل هذا قول صاحب الوشى المرقوم
 في حل المظلوم يصف فلم كاتب : فلا تحظى به دولة إلا نخرت على الدول ،
 وغنيت به عن الخيل والخول ، وقالت أعلى الممالك ما يبني على الأقلام لا على
 الأسل حل قول أبي الطيب ..

✽ أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الْأَسْلِ ✽

وكقول بعض الكتاب في وصف السيف : أوره عشق الرقاب نحولا ،
 فبكي والدمع مطر تزيد به الحدود نحولا ، حل قول أبي الطيب أيضاً :
 فِي الْخُلْدِ أَنْ عَزَمَ الْخَلِيْطُ رَحِيلاً مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الْخُدُودُ نُحُولاً
 وكقول في أستاذنا الإمام الشيخ محمد عبده : صار له دوى في كل قطر
 كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر ، حلت قول أبي الطيب يخاطب على بن أحمد
 الأنطاكي :

وَتَرَكْتُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيّاً كَأَنَّمَا تَدَاوَلُ سَمْعَ الْمَرْءِ أَنْسَالُهُ الْعَشْرُ
 (كقوله فوالله) هو لاني تمام وقيله :

لَجِئْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّيَ الْهَوَى قُلُوباً عَهْدَنَا طَيْرَهَا وَهِيَ وَقَعُ

أشار إلى قصة يوشع عليه السلام واستيقافه الشمس ، وكقوله :
 اعمرؤ مع الرمضاء والنار تلتطى أرق وأحفي منك في ساعة الكرب
 أشار إلى البيت المشهور :
 المستجير بعمرؤ عند كربة كالمستجير من الرمضاء بالنار

فردت علينا الشمس والليل راغم بشمس لهم من جانب الخدر تطلع
 نضا ضوءها صبغ الدجنة وانطوى لبهجتها ثوب السماء المجزع
 الضمير في أخراهم ولهم الأجابة المرتجائين وإن لم يجر لهم ذكر في اللفظ ،
 وحام الطير على الماء : دار ، وحومه غيره ، ونضا : ذهب به وأزاله ، الضمير
 في ضوءها وبهجتها للشمس الطالعة من الخدر ، والدجنة : الظلمة ، وانطوى :
 انضم ، والمجزع : ذو لونين ، وقوله أحلام نائم : استعظام لما رأى واستغرب
 (أشار إلى قصة يوشع) على ما روى أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت
 الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ، ويدخل السبت فلا يحل له
 قتالهم ، فدعا الله فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم (لعمرؤ) هو لابي تمام ،
 والرمضاء : الأرض الشديدة الحر ، وأحفي من حفي بفلان : إذا بالغ في إكرامه
 وأظهر السرور والفرح (المستجير بعمرؤ) لهذا البيت قصة هي أن البسوس
 زارت أختها الهيلة وهي أم جساس بحار لها من جرم بن زبان له ناقة وكليب
 قد حمى أرضاً من العالية فلم يكن يرعاها إلا إبل جساس لمصاهرة بينهما ،
 فخرجت في إبل جساس ناقة الجرمي ترعى ن حمى كليب ، فأنكرها كليب فرماها
 فاختل ضرعها ، فولدت حتى بركت بمناء صاحبها بضرعها يشحب دماً ولبناً وصاحت
 البسوس واذلاء واغربتا ، فقال لها جساس أيتها الحرة اهدئي فوالله لأعقرن

﴿ فُضِّلَ ﴾

يَنْبَغِي لِلْمُتَكَلِّمِ أَنْ يَتَأَنَّقَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ مِنْ كَلَامِهِ ، حَتَّى تَكُونَ
أَعْذَبَ لَفْظًا ، وَأَحْسَنَ سَبْكًا ، وَأَصَحَّ مَعْنَى أَحَدَهَا : الْإِبْتِدَاءُ كَقَوْلِهِ :
﴿ قَدْ نَبِّئُكَ مِنْ ذِكْرِى حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ ﴾

لَخَلَا هُوَ أَعَزَّ عَلَى أَمَلِهِ مِنْهَا فَلَمْ يَزَلْ جَسَّاسٌ يَتَوَقَّعُ غُرَّةَ كَلْبٍ حَتَّى خَرَجَ وَنَبَّاعِدَ
عَنِ الْحِمَى ، فَبَلَغَ جَسَّاسًا خُرُوجَهُ ، فَخَرَجَ عَلَى فَرَسِهِ فَأَتْبَعَهُ فَرَسُ صَاحِبِهِ ، ثُمَّ
وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ يَا عَمْرُو أَتَمَتْنِي بِشَرْبَةِ مَاءٍ ، فَأَجِزْ عَلَيْهِ فَمَضَى ، وَقِيلَ الْمُسْتَجِيرُ
بِعَمْرُو الْبَيْتِ ، وَنَشَبَ الشَّرِبُ بَيْنَ نَغْلَبَ وَبَكَرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً كُلَّمَا لَتَغْلَبَ عَمْرُو بَكَرَ ،
وَلِهَذَا قِيلَ أَشَامُ مِنَ الْبَسُوسِ . هَذَا وَمِنَ التَّلْيِيجِ ضَرْبٌ يَشْبَهُ الْمَغْزِ ، كَمَا رَوَى أَنَّ
تَمِيمًا قَالَ لِشَرِيكَ الْفَيْرِيِّ : مَا فِى الْجَوَارِحِ أَحَبُّ إِلَى مِنَ الْبَازِىِ فَقَالَ : إِذَا كَانَ
يَصِيدُ الْقَطَا . أَشَارَ التَّمِيمِ إِلَى قَوْلِ جَرِيرٍ :

أَنَا الْبَازِىِ الْمِطْلُ عَلَى تَمْيِيرٍ أَتِيحَ مِنَ السَّمَاءِ أَمَّا أَنْصِبَابًا

وَأَشَارَ شَرِيكَ إِلَى قَوْلِ الطَّرْمَاحِ :

تَمِيمٌ بِطَرِيقِ اللَّوْثِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا (وَأَوْ سَلَسَكَ طَرِيقَ الْمَسْكَرِ ضَلَّتْ

(أَحَدَهَا الْإِبْتِدَاءُ) لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يَقْرَعُ السَّمْعَ ، فَإِنْ كَانَ عَذْبًا حَسَنَ
السَّمَكِ صَحِيحَ الْمَعْنَى أَفْجَلُ السَّمَاعِ عَلَى الْكَلَامِ . وَلِهَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .
الْمَوْحَمُ وَطَسَ وَطَسِمَ وَكَمْ مِصْ . فَيَقْرَعُ أَسْمَاعَهُمْ بِشَيْءٍ بَدِيعٍ لَيْسَ لَهُمْ بِمَثَلِهِ
عَهْدٌ لِيَكُونَ ذَلِكَ دَعَايَةً لَهُمْ إِلَى الْإِسْتِمَاعِ لَمَّا بَعْدَهُ . وَمِنْ هُنَا جَعَلَ أَكْثَرَ الْإِبْتِدَآتِ
بِالْحَمْدِ لِلَّهِ لِأَنَّ النُّفُوسَ تَشْغُوفُ لِلثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ ، فَهُوَ دَاعِيَةٌ إِلَى الْإِسْتِمَاعِ (كَقَوْلِهِ
قَفَا بِيَاكٍ) قِيلَ لَمَّا سَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ . قَاتِلِ اللَّهَ الْمَلِكَ

وكقوله :

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَمِيمَةٌ وَسَلَامٌ خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَهْلَهَا الْأَيَّامُ
وَأَنْ يَتَجَنَّبَ فِي الدِّيحِ مَا يُتَطِيرُ بِهِ ، كقوله :
* مَوْعِدُ أَحِبَّائِكَ بِالْفُرْقَةِ غَدِ *

الضليل . وقف واستوقف وبكى واستبكى . وذكر الحبيب ومنزله في مصراع واحد ، والبيت مطلع معلقة امرئ القيس وتماه :

* بِسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَيَحْوَمَلِ *

ومن الابتدآت الحميدة قول النابغة الجعدي :

كَلِّفْنِي لَهُمْ يَا أُمَيَّةُ نَاصِبٍ وَآيِلٍ أَقَاسِيهِ يَطِيءُ الْكَوَاكِبِ
وقول المتنبي :

أَثَرَاهَا لِكثْرَةِ الْمُشَاقِّ تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلَاقَةً فِي السَّاقِ

(وكقوله) أى قول أشجع السلى (موعِد) مطلع قصيدة لابن مقاتل الضرير أنشدها للداعي العلوى ، فقال له الداعي : موعِدُ أَحِبَّائِكَ يَا أَعْمَى وَلَكَ المثل السوء ، ويروى أيضاً أنه دخل عليه فى يوم مهرجان وأنشد :

لَا تَقُلْ بُشْرَى وَأَسْكِنْ بُشْرِيَانِ غُرَّةَ الدَّاعِي وَيَوْمَ الْمَهْرَجَانِ

فتطير به وقال يا أعمى تبتدىء بهذا يوم المهرجان ، وقيل بطحه وضربه خمسين عصاً ، وقال لإصلاح أدبه أبلغ من ثوابه . . ويروى أنه لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان ، تجلس فيه وجمع أهله وأصحابه ، وأمرهم أن يخرجوا فى زينتهم ، فمارى الناس أحسن من ذلك اليوم ، فاستأذن إسحق الموصلى المنفى

وَأَحْسَنُهُ مَا يُنَاسِبُ الْمَقْصُودَ ، وَيُسَمَّى بَرَاةَ الْإِسْتِهْلَالِ ، كَقَوْلِهِ

فِي التَّهْنِئَةِ :

بُشْرَى فَقَدْ أَنْجَزَ الْإِقْبَالَ مَا وَعَدَا *
 * * *

وقوله في المرثية :

هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمِلٍّ فِيهَا حَذَارٍ حَذَارٍ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي

ش . يَأْجَادُ فِيهِ . إِلَّا أَنَّهُ ابْتَدَأَهُ بِذِكْرِ الدِّيَارِ وَعَفَائِهَا فَقَالَ :

يَا دَارُ غَيْرِكَ الْبِلَاءُ وَمَحَاكُ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلَاكَ

فتطير المعتصم وتغامر الناس ، وعجبوا كيف ذهب على أبي إسحاق مع
 قومه وعلمه وطول خدمته للملوك ، ثم أقاموا يومهم وانصرفوا ، فما عاد منهم
 أحد إلى ذلك المجلس . وخرج المعتصم إلى سر من رأى وخرب القصر
 (يرى) هو لأبي محمد الخازن يهنيء ابن عباد بمولود لبنته . وأحسن منه قول
 أبي تمام يهنيء المعتصم بالله بفتح عمورية . وكان أهل التنجيم زعموا أنها
 لا تنجح في ذلك الوقت :

الْيَقُفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ

بَيْنَ الصَّفَائِحِ لِأَسْوَدَ الصَّحَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جِلَاءُ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ

وقول أبي الطيب في التهنئة بزوال مرض :

إِنْدُ عَوْفٍ إِذْ عُوْفِيَتْ وَالْكَرَمُ وَزَالَ مِنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ السَّقَمُ

(هي الدنيا) لأبي الفرج السامري يرى بعض ملوك بني بويه . وأحسن

م . قول أوس بن حجر :

وثانيها التَّخْلُسُ مِمَّا شُبِّبَ الْكَلَامُ بِهِ ، مِنْ نَسِيبٍ أَوْ غَيْرِهِ ،
إِلَى الْمَقْصُودِ ، مَعَ رِعَايَةِ الْمَلَاءَمَةِ بَيْنَهُمَا ، كَقَوْلِهِ :
يَقُولُ فِي قَوْمِ تَوْمٍ وَقَدْ أَخَذَتْ مِنَّا الشَّرَى وَخَطَا الْمَلَائِكَةُ الْقُودُ
أَمْطَلَعَ الشَّمْسُ تَبْقَى أَنْ تَوْمَ بِنَا فَقُلْتُ كَلَّا وَلَكِنْ مَطْلَعُ الْجُودِ

أَيْتَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا
وقول أبي تمام :

كَذَا فَلْيَجَلَّ الْخَطْبُ وَلْيَفْذَحِ الْأَمْرُ وَلَيْسَ لَعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ
(وثانيها التخلص) لأن السامع يكون مترقباً للانتقال من التشبيب
إلى المقصود كيف يكون . فإذا كان حسناً متلائم الطرفين حرك من نشاط
السامع . وأعان على إصغاء ما بعده . وإن كان بخلاف ذلك كان الأمر
بالعكس . هذا وكان الأحسن والأوضح للمصنف أن يقول وثانيها التخلص .
وهو الانتقال عما ابتدئ به الكلام به من نسيب أو غيره إلى المقصود الخ ، كما
لا يخفى على العاقل . فقوله مما شُبِّبَ الْكَلَامُ بِهِ : أراد مطلق الابتداء والافتتاح
لا خصوص التشبيب الذي هو ذكر أيام الشباب واللاهو والغزل والنسيب
أن يصف الشاعر جمال المرأة وحاله معها في العشق (أو غيره) كالافتخار
والهجو والشكاية (بينهما) أي بين ما شُبِّبَ أي ابتدئ به الكلام وبين
المقصود (كقوله يقول) قومس : صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل
وأخذت منا السرى : أي أثر فينا السير ليلاً ونقصت من قوائنا . والمهرية : الإبل
المنسوبة إلى مهرة بن حيدان . والقود : الطوال الظهور والأعناق . والبيتان
لأن تمام في عهد الله بن طاهر هدا من بدائع التخلص قول زهير

وَقَدْ يُنْتَقَلُ مِنْهُ إِلَى مَا لَا يُبْلَاغُهُ ، وَيُسَمَّى الْاِقْتِضَابَ ، وَهُوَ مَذْهَبُ
الرَّوَيْبِ الْأَوَّلَى وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْمُخَضَّرِمِينَ ، كَقَوْلِهِ :

رَأَى اللَّهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ خَيْرًا جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبًا
كُلَّ يَوْمٍ تُبْدَى صُرُوفُ اللَّيَالِي خُلُقًا مِنْ أَبِي سَعِيدٍ غَرِيبًا

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَكِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمٌ
وقول مسلم بن الوليد :

أَجِدُكَ مَا تَدْرِي أَنَّ رَبَّ لَيْلَةٍ كَانَ دُجَاهًا مِنْ قُرُونِكَ يُنْشَرُ
سَهَرَتْ بِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بِغُرَّةٍ كَفُرَّةٌ يَحْيَى حِينَ يُذْكَرُ جَعْفَرُ

وقول المتنبي :

خَلِيلٌ مَا لِي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فَكَمْ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِ الْقَصَائِدِ
لَا تَعْجَبَا إِنَّ الشُّيُوفَ كَثِيرَةٌ وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ

(الأولى) يعني الجاهلية (من المخضرمين) وهم الذين أدركوا الجاهلية
الإسلام مثل ليبيد . قال الزمخشري : ناقة مخضرمة أى جدد نصف أذنبا ، ومنه
لمخضرم الذى أدرك الجاهلية والإسلام كأنما قطع نصفه حيث كان فى الجاهلية
(كقوله) أى قول أبى تمام وهو من الإسلاميين ، لأنه كان فى زمن الدولة
العباسية . هذا والاقتضاب فى الشعر كثير والتخاض بالنسبة إليه قطرة
من بحر ، فمن الاقتضاب قول أبى نواس فى قصيدته النونية التى أولها :

* يَا كَثِيرَ النَّوحِ فِي الدَّمَنِ *

فَاسْتَقْنِي كَأْسًا عَلَى عَذَلٍ كَرِهْتَ مَسْمُوعَهُ أَذْنِي

وَمِنْهُ مَا يَقْرُبُ مِنَ التَّخْلِصِ ، كَقَوْلِكَ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ : أَمَّا بَعْدُ ، قِيلَ
وَهُوَ فَصْلُ الْخُطَابِ ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ، أَيْ
الْأَمْرُ هَذَا أَوْ هَذَا كَمَا ذَكَرَ ، وَقَوْلِهِ : هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ
مَآبٍ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْكَاتِبِ : هَذَا بَابٌ * وَثَالِثُهَا الْإِنْتِهَاءُ ، كَقَوْلِهِ :
وَإِنِّي جَدِيرٌ إِذْ بَلَغْتُكَ بِالْمَنَى وَأَنْتَ بِمَا أَمَلْتُ مِنْكَ جَدِيرٌ
فَإِنْ تَوَلَّيْتَنِي مِنَكَ الْجِيلَ فَأَهْلُهُ وَإِلَّا فَإِنِّي عَازِرٌ وَشَاكُورٌ

مِنْ كُمَيْتِ اللَّوْنِ صَافِيَةٍ خَيْرِ مَا سَأَلْتُ فِي بَدَنِي
مَا اسْتَقَرَّتْ فِي فُؤَادِي فَتَى فَدَرَى مَا لَوْعَةُ الْحَزَنِ
تَضَحَّكَ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ قَامَ بِالْآثَارِ وَالسَّنَنِ
سَنَ لِلنَّاسِ النَّدَى فَنَدَوْا فَكَأَنَّ الْبُخْلَ لَمْ يَكُنْ

(قِيلَ وَهُوَ فَصْلُ الْخُطَابِ) قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : وَالَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ
مِنْ عِلَاءِ الْبَيَانِ أَنَّ فَصْلَ الْخُطَابِ هُوَ أَمَّا بَعْدُ لِأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ يَفْتَتِحُ كَلَامَهُ فِي
كُلِّ أَمْرٍ ذِي شَأْنٍ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتَحْمِيدِهِ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ إِلَى الْغَرَضِ
الْمَسْئُوقِ لَهُ فَصْلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ أَمَّا بَعْدُ (وَثَالِثُهَا الْإِنْتِهَاءُ)
لِأَنَّهُ آخِرُ مَا يَعْبَهُ السَّمْعُ وَيَرْتَسِمُ فِي النَّفْسِ ، فَإِنْ كَانَ بِمُخْتَارٍ أَجْبَرَ مَا عَسَاءَ وَقَعَ
فِيمَا قَبْلَهُ مِنَ التَّقْسِيرِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُخْتَارٍ كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ ، وَرَبَّمَا أَنْسَى مُحَاسِنَ
مَا قَبْلَهُ (كَقَوْلِهِ وَإِنِّي) أَيْ قَوْلُ أَيْ نَوَاسٍ فِي الْخَصِيبِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ

وَأَحْسَنُهُ مَا آذَنَ بِانْتِهَاءِ الْكَلَامِ ، كَقَوْلِهِ :
 بَقِيتَ بَقَاءَ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ * وَهَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلٌ
 وَجَمِيعُ فَوَاتِحِ السُّورِ وَخَوَاتِمِهَا وَارِدَةٌ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا
 يَظْهَرُ ذَلِكَ بِالتَّأَمُّلِ مَعَ التَّنَدُّكِ لِمَا تَقَدَّمَ .

(بقيت) قيل إنه للمرمى (واردة على أحسن الوجوه وأكملها) فإنك
 إذا نظرت إلى فواتح السور جماعها ومفرداتها رأيت من البراعة والتفنن وضروب
 الإشارة ما قد أصاب المحزن وطبق المفصل . وإذا نظرت إلى خواتمها وجدت
 من الأدعية والوصايا والمواعظ والتحميد والوعيد والوعيد ، وغير ذلك من
 الخواتم ما لا يبقى للنفوس بعده مطمع . وما تسجد لحسنه مصانع البلغاء .
 هذا آخر ما يسره الله سبحانه مما أردنا وضعه على هذا الكتاب ، في أوقات
 كنا نختلسها اختلاسا من بين تشعب الأعمال وتزاحم الأشغال . فإن كنت
 وفيت بما وعدت فالشكر لله سبحانه على معونته وحسن توفيقه . وإلا فأحق
 الناس بقبول عذره ، وإقلال عتبه ، من وقف نفسه لصناعة التأليف في زمن
 فترت فيه همم طلاب العلوم ، وخارت عزائمهم عن مساعدة المؤلفين وتنشيطهم
 على الدأب في عملهم والعناية بصناعتهم . فإن فاتني إيفاء العمل حقه من الأجر ،
 فإن يفوتني إن شاء الله إعطاؤه قسطه من العذر ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا
 أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا
 ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا .
 ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .

عبد الرحمن البرقوقي

فهرست التلخيص

الموضوع	صفحة
مقدمة الشارح للطبعة الأولى	٢
مقدمة الشارح للطبعة الثانية	٢١
مقدمة في الفصاحة والبلاغة	٢٤
(الفن الأول علم المعاني)	٣٧
تنبيه (في صدق الخبر وكذبه)	٣٨
أحوال الإسناد الخبري	٤٠
أحوال المسند إليه	٥٣
أحوال المسند	١٠١
أحوال متعلقات الفعل	١٢٦
القصر	١٣٧
الإنشاء	١٥١
الفصل والوصل	١٧٥
تذنيب أصل الحال	١٩٦
الإيجاز والإطناب والمساواة	٢٠٩
(الفن الثاني علم البيان)	٢٣٥
التشبيه	٢٣٨
الحقيقة والمجاز	٢٩٢

الموضوع	صفحة
فصل (في الاستعارة بالكناية)	٣٢٤
» (في مذهب السكاكي في الحقيقة والمجاز)	٣٢٨
» (فيما به تحسن الاستعارة)	٣٣٤
» (في المجاز بالحذف والزيادة)	٣٣٦
الكناية	٣٣٧
فصل « أطبق البلغاء الخ »	٣٤٦
(الفن الثالث غم البديع)	٣٤٧
المطابقة	٣٤٨
مراعاة النظر	٣٥٤
الأرضاد	٣٥٦
المشاكاة	٣٥٦
المزاوجة	٣٥٨
العكس	٣٥٨
الرجوع	٣٥٩
التورية	٣٥٩
الاستخدام	٣٦٠
الف والنشر	٣٦١
الجمع	٣٦٣

الموضوع	صفحة
التفريق	٣٦٣
التقسيم	٣٦٤
الجمع مع التفريق	٣٦٤
الجمع مع التقسيم	٣٦٥
الجمع مع التفريق والتقسيم	٣٦٦
التجريد	٣٦٨
المبالغة	٣٧٠
المذهب الكلامي	٣٧٤
حسن التعليل	٣٧٥
التفريع	٣٧٩
تأكيد المدح بما يشبه الذم	٣٨٠
تأكيد الذم بما يشبه المدح	٣٨٢
الاستتباع	٣٨٣
الإدماج	٣٨٣
التوجيه	٣٨٤
الهزل الذي يراد به الجد	٣٨٥
تجاهل العارف	٣٨٥
القول بالموجب	٣٨٦

الموضوع	صفحة
الاطراد	٣٨٧
الجناس	٣٨٨
رد المعجز على الصدر	٣٩٣
السجع	٤٠٤
الموازنة	٤٠٤
القلب	٤٠٤
التشريع	٤٠٥
لزوم مالا يلزم	٤٠٦
خاتمة في السرقات وما يتصل بها	٤٠٨
فصل ينبغي للمتكلم أن يتأنق	٤٢٩
في ثلاثة مواضع	